دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل

مجلّة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلّة علمية محكّمة - نصف سنويَّة

(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد الرابع والستون
البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني: www.alwasl.ac.ae

64

ذوالقعدة - يونيو
1443 هـ / 2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مَجَلَّةُ جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الرابع والستون

ذوالقعدة ١٤٤٣ هـ - يونيو ٢٠٢٢ م

المشرف العام

أ. د. محمـد أحمد عبدالرحمن

مدير الجامعة

رئيس التَّحرير

أ. د. خالد توكال

نائب رئيس التَّحرير

د. لطيفة الحمادي

أمين التَّحرير

د. شريف عبد العليم

ردمد: ٢٧٩١-٢٩٣٠

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

أعضاء هيئة التَّحرير

أ. د. إياد إبراهيم – الإمارات

أ.د. مختار مرزوق – مصر

أ. د. مصطفى لهلالي – بريطانيا

أ.د. فائزة القاسم – فرنسا

أ.د. سعيد يقطين – المغرب

أ.د. جودة مبروك – مصر

أ.د. حسن عواد السريحي – السعودية

د. عبد الخالق عزاوي – أمريكا

د. أحمد بشارات – الإمارات

د. عبد الناصر يوسف – الإمارات

لجنة الترجمة: أ.صالح العزام، أ.داليا شنواني، أ.مجدولين الحمد
د. محمد جمال

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلّة

أ. د. صلاح فضل

جامعة عين شمس – رئيس مجمع اللغة العربية – القاهرة

أ. د. قطب الريسوني

جامعة الشارقة – دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. بن عيسى بطاهر

جامعة الشارقة – دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. صالح بن محمد صالح الفوزان

جامعة الملك سعود – الرياض – المملكة العربية السعودية

أ. د. جميلة حيدة

جامعة وجدة – المملكة المغربية

جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» - الاسم السابق - إلى: جامعة الوصل.

وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦-١٩٨٧م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

- رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسّدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦ / ١٩٨٧م.
- وبتاريخ ٢ / ٤ / ١٤١٤هـ الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٣م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

١- برامج البكالوريوس:

- صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.
- ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.
- أُعتمد برنامج بكالوريوس علوم المكتبات والمعلومات عام ٢٠٢٠.
- احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٩٩٢م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.
- واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩ / ١٠ / ١٤١٣هـ الموافق ٢١ / ٤ / ١٩٩٣م.
- تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ الموافق - ١٩٨٦ / ١٩٨٧م إلى نهاية عام ٢٠٢٠-٢٠٢١ (١٢٧٦١)؛ منهم (١٠١٤١) طالبة و (٢٦٢٠) طالبًا.
- تخرج فيها حتى يونيو ٢٠٢١ (٣١) دفعة من الطلاب، (٣٠) دفعة من الطالبات في تخصص الدراسات الإسلامية (١٧) دفعة من الطلاب، (٢٣) دفعة من الطالبات في تخصص اللغة العربية.

برامج الدراسات العليا:

- أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وشرع في برنامج الدكتوراه بدءًا من العام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م.
- اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبتي الأدب والنقد واللغة والنحو.
- وفي ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف.

أعيد اعتماد برامج الماجستير والدكتوراه؛ فصارت الجامعة تمنح:

- درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.
- درجة الماجستير في الفقه وأصوله.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الفقه وأصوله.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات اللسانية.
- بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا إلي تاريخ صدور العدد، (٣٠٣) طالبًا؛ منهم (٢١١) خريجا بشهادة الماجستير و (٩٢) خريجا بشهادة الدكتوراه.

المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُسْتجدات في:

الرؤية:

تطمح جامعة الوصل إلى أن تكون لبرامجها وقدراتها البحثية الصدارة إقليميًّا ودوليًّا.

الرسالة:

تقديم برامج غير ربحية ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا؛ لتأهيل كوادر متخصصة لسوق العمل المحلي والإقليمي، وتعزيز القدرات البحثية وتطوير التفكير الإبداعي، وتنمية الشراكة المجتمعية في بيئة جامعية تتسم بالأصالة والحداثة والابتكار.

مجلس الأمناء:

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كليات الجامعة: تشمل الجامعة الأتية:

- كلية الدراسات الإسلامية.
- كلية الآداب.
- كلية الإدارة.

نظام الدراسة:

- مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلهما.
- تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي وقد طُبق منذ العام الجامعي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢.
- يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقرّرة.
- نظام الدراسة في الدراسات العليا: مدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما.

البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:

١- المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًّا منها:

- ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها العاشرة في ٢٠٢١.
- مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠٢٠.
- مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين.
- المؤتمر الدولي الثاني للدراسات العليا والبحث العلمي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثاني في ٢٠٢١م.
- المؤتمر الدولي للسانيات، يعقد كل عامين، عقدت المؤتمر الأول ٢٠٢١.
- المؤتمر الدولي للسرديات، يعقد كل عامين، عقد المؤتمر الأول في٢٠٢٢.

٢- المجلات المحكمة: تصدر جامعة الوصل ثلاث مجلات علمية محكمة، وهي:

- مجلة جامعة الوصل، تصدر مرتين كل عام.
- مجلة فكر ومعرفة، تصدر عن كلية الآداب مرة في العام.
- مجلة الموئل، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية، مرة في العام.

٣- الكتاب العلمي: تصدر الجامعة الكتاب العلمي، وله فرعان:

- الأول: الكتاب العلمي (مرجع دراسي)، وصدر منه ٣٠ كتابًا.
- الثاني: الكتاب العلمي (غير المخصص لأغراض دراسية).

٤- مشروع طباعة الرسائل الجامعية، تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجَّانًا.

٥- المكتبة الإلكترونية، مفتوحة الوصول (open access) على موقع الجامعة.

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي / اشتراكنا في مجلّة جامعة الوصل لمدّة (.....) سنة، ابتداء من:.....

– **الاسم الكامل:**.....

– **العنوان:**.....

– **الهاتف:**.....

– **البريد الإلكتروني:**.....

– **قيمة الاشتراك:**.....

رسوم الاشتراك

مصدر الاشتراك	نوع الاشتراك		قيمة الاشتراك		
	الفترة	الكمية	المؤسسات	الأفراد	الطلبة
داخل دولة الإمارات العربية المتحدة	سنة واحدة	٢	١٠٠ درهم إماراتي	٨٠ درهم إماراتي	٥٠ درهم إماراتي
	سنتان	٤	٢٠٠ درهم إماراتي	١٥٠ درهم إماراتي	١٠٠ درهم إماراتي
خارج دولة الإمارات العربية المتحدة	سنة واحدة	٢	٥٠ دولار أمريكي	٤٠ دولار أمريكي	٣٠ دولار أمريكي
	سنتان	٤	١٠٠ دولار أمريكي	٨٠ دولار أمريكي	٦٠ دولار أمريكي

طريقة الدفع:

- داخل دولة الإمارات العربية المتحدة: نقدًا (مكتب المجلّة بالحرم الجامعي)، أو حوالة مصرفية.
- خارج دولة الإمارات العربية المتحدة: تحويل مصرفي.
- البيانات: جامعة الوصل.

بنك دبي الإسلامي – دبي

رقم الآيبان: AE030240001520816487801

يُرسل وصل الإيداع على العنوان العادي: (رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧)
أو العنوان الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

قواعد النشر

أولًا:

تنشر المجلّة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريرًا أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانيًا:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.

٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:

٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.

٤. تقبل البحوث التي تكون جزءا من رسالة جامعية لم تناقش بعد.

٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.

٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.

٧. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.

٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجهُ وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

- يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آليًّا توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا:(١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.
- تذكر ببوغرافيا(معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من...إلى...).
- إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكْتفَى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).
- يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا:×) أو أكثر.
- تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغويًّا، ولا تقبل المجلة بحوثًا غير مدققة لغويًّا.

ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.

٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.

٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجلات المحكمة، أو قد تكون جزءًا من كتاب محكم.

٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤ ((٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .

٥. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشَرْ إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.

٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.

٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.

٨. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

٢. البحوث المرسلة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.

٤. يحق للمجلة – عند الضرورة – إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.

٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونيا، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.

٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامسًا: رسوم النشر:

- إسهامًا من مجلة جامعة الوصل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.
- ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبـــي – دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧ – فاكس ٠٠٩٧١٤٣٩٦٤٣٨٨
أو البريد الألكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

المحتويـــــــــات

- **الافتتاحية**

رئيس التحرير..... ١٩-٢١

- **المؤتمرات العلمية : الأهمية والأثر**

المشرف العام..... ٢٣-٢٥

- **البحوث**..... ٢٧

- **أثر الظواهر الصوتيّة في تفسير «مفاتيح الغيب» دراسة وصفية تحليلية**

د. صلاح الدين أحمد موسى دراوشة - د. عبد العزيز بن الحسين أيت بها ٢٩-٧٦

- **الاحتجاج بلغة الإمام مالك**

د. عبد الغني ادعيكل ٧٧-١٢٦

- **إشكالات الصكوك الاستثمارية وما يواجه مشروعيّتها من تحديات**

د. محمد علي جبران زريّب ١٢٧-١٧٤

- **برامج الانغماس اللغوي ودورها في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها**

د. إدريس محمود ربابعة ١٧٥-٢٢٠

- **حفظ موارد المياه واستدامتها في السنة النبوية - دراسة موضوعية**

د. نورة بنت عبد الله الغملاس ٢٢١-٢٥٤

- **الدمية الصناعية الجنسية ومخاطرها المحتملة (دراسة فقهية مقارنة)**

د. فاطمة جابر السيد يوسف ٢٥٥-٣٣٠

- **المشروع والممنوع في دعوة الإنس للجن إلى الله تعالى «دراسة تحليلية نقدية»**

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغامدي ٣٣١-٣٦٠

- **المكانُ في مجموعةِ (الحفلة) للقاصِّ السعودي عبد الله با خشوين**

د. سهام صالح العبودي ٣٦١-٤١٢

- **ملامح البيئة المحليّة الإماراتيّة في روايات مريم الغفلي**

د. بديعة خليل الهاشمي ٤١٣-٤٥٠

- **خطابات الفائزين بجائزة نوبل في الأدب الفرنسي والعربي بين التناص والتحليل الجمالي**

أ. د. فتحية سيد محمود الفرارجي ٢١-٤٢

الافتتاحية

أ. د. خالد توكال
رئيس التحرير

يشهد هذا العدد تطورًا واضحًا لمجلة جامعة الوصل من عدد من الجوانب منها أنها - أولا- طورت في هيئة التحرير لتضم عددًا من العلماء المتميزين في مجالاتهم، ينتمون إلى أكثر من قارة؛ مما يؤهل المجلة - بحق- أن تكون مجلة عالمية من الفئة الأولى، ثم إنها -ثانيًا- قد بدأت تنشر بلغات ثلاثة هي: العربية والإنجليزية والفرنسية، بالإضافة إلى نشرها البحوث التي تقع ضمن مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، فتنوعت بذلك مجالاتُها، وتعددت لغاتها؛ مما أهلها باستحقاق من أن تتبوأ هذه المكانة المرموقة في نفوس الباحثين.

ولن نعدو الحقيقة إذا قلنا إن مجلة جامعة الوصل تقف فريدة بين أوعية النشر العالمية، فهي من ناحية تنشر الأبحاث للباحثين المتقدمين إليها بلا مقابل، وهي - من ناحية أخرى- تنتهج سياسة الوصول المفتوح (Open Access)؛ لكل إنتاجها، وهما جانبان نذُر أن يكونا في مجلة واحدة.

وبالإضافة إلى وجودها الدائم والمستمر على موقع جامعة الوصل، فإن لها صفحتها على الفيس بوك بعنوان (Alwasl Journal)، كما أن لها صفحاتها على المواقع الإلكترونية التي تتيح الاطلاع المجاني مثل أكاديميا، وأرشيف.

وكل هذه الجهود الرامية إلى التطوير والتحسين والإجادة والحرص على وصول العلم إلى طالبه بكل السبل ما كان ليحدث لولا تلك الرعاية الدائمة التي توليها إدارة الجامعة لمجلة جامعة الوصل، وتشجيعها الدائم لها ولهيئة التحرير، والإصرار على تذليل العوائق متى كانت.

لقد احتوى العدد الرابع والستون على أبحاث رتبت ألفبائيًا كما يأتي:

البحث الأول: أثر الظواهر الصوتية في تفسير (مفاتيح الغيب)، دراسة وصفية تحليلية.

يهدف البحث إلى إظهار مدى حاجة المفسر إلى علم الأصوات اللغوية واستعانته بالوسائل والأدوات الصوتية في تحليل وتفسير ألفاظ القرآن الكريم وآياته؛ مستعنيًا بالمنهج الوصفي التحليلي؛ ومتخذا من تفسير (مفاتيح الغيب) مدونة له.

البحث الثاني: الاحتجاج بلغة الإمام مالك.

يعد هذا البحث محاولة جادة لبيان صحة القصص والآثار التي تتهم بالضعف لغة الإمام مالك، فيتبع بالبحث والاستقراء تلك الدعاوى، ويرد عليها بالحجج والدلائل التي تثبت عكس ما أشيع عن لغته - رحمه الله- سواء من ناحية السند أو من ناحية المتن.

البحث الثالث: إشكالات الصكوك الاستثمارية وما يواجه مشروعيتها من تحديات.

يهدف هذا البحث إلى العناية بالجانب التحليلي للصكوك الاستثمارية فيشخص العقبات والتحديات والإشكاليات التي تعترض مشروعيتها، وكذلك يعرج إلى تحرير الحكم، وهو قبل ذلك يقدم المداخل التصويرية لمفهومها وأهم ما يتعلق بها من عناصر وصفية، وأحكام شرعية.

البحث الرابع: برامج الانغماس اللغوي ودورها في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها.

يهدف هذا البحث إلى معرفة برامج الانغماس اللغوي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، وأيها أكثر جدوى في ذلك. ويبين مدى وجود فروق إحصائية ذات دلالة بين متوسط تقديريات عينة البحث تعزى لمتغيرات الجنس والخبرة والمؤهل العلمي والرتبة العلمية. وفي سبيل ذلك فقد طبق الباحث استبانة أداة لبحثه، معتمدًا المنهج الوصفي.

البحث الخامس: حفظ موارد المياه واستدامتها في السنة النبوية.

يهدف البحث إلى بيان سياسة الحفاظ على الماء في السنة النبوية، وإبراز استراتيجية تنمية الموارد، وذلك عبر جمع الأحاديث الواردة في الموضوع؛ للإفادة من التوجيهات النبوية لهذا الموضوع المهم؛ متوسلا المنهج الاستقرائي والتحليلي.

البحث السادس: الدمية الصناعية الجنسية ومخاطرها المحتملة، دراسة فقهية مقارنة.

يهدف هذا البحث إلى توضيح المخاطر المحتملة التي تسببها التكنولوجيا التي أنتجت الدمى الصناعية، وتبين التبعات النفسية والاجتماعية لها، كما تظهر موقف الشرع منها، متوسلا في ذلك المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي والاستنباطي.

البحث السابع: المشروع والممنوع في دعوة الإنس للجن إلى الله تعالى، دراسة تحليلية نقدية.

يهدف هذا البحث إلى بيان المشروع والممنوع في دعوة الإنس للجن إلى الله تعالى، فيظهر الأدلة الشرعية والعقلية على وجود الجن، وعن تكليفهم، وعن مدى مشروعية دعوة الإنس للجن، ثم يبين الطرق الصحيحة لهذه الدعوة، كما يظهر الطرق الخاطئة والممنوعة .

البحث الثامن: المكان في مجموعة الحفلة للقاص السعودي عبد الله باخشوين.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أشكال حضور المكان في هذه المجموعة باستخدام آليات البحث السيميائي عبر التركيز على ظواهر مكانية يمكن من خلالها استكشاف البعدين المعنوي والجمالي لحضور المكان.

البحث التاسع: ملامح البيئة المحلية الإماراتية في روايات مريم الغفلي.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أبرز ملامح البيئة المحلية في صورتها الروائية في روايات ثلاثة هي: (طوي بخيتة)، و(نداء الأماكن... خزينة)، و(أيام الزغنبوت)، متخذا من المنهج الوصفي التحليلي وسيلة لبلوغ الهدف.

البحث العاشر: خطابات الفائزين بجائزة نوبل في الأدب الفرنسي والعربي بين التناص والتحليل الجمالي.

وهو بحث باللغة الفرنسية، ويهدف إلى إبراز أهمية الخطابات التي أدلى بها الفائزون بجائزة نوبل في مجالي الأدب الفرنسي والعربي، فيبين خصائصها ويظهر كيف يساهم الاستشهاد في عملية إثراء الخطابات الموجهة لجمهور متنوع.

كلمة المشرف: المؤتمرات العلمية: الأهمية والأثر
بقلم: الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن

ستظل الجامعة من أعظم المنجزات البنّاءة في تاريخ البشرية، وقد غدت بما تقدمه للمجتمع ضرورة اجتماعية لا غنى عنها، وأصبحت الجامعات من مقاييس تقدُّم الأمم والمجتمعات. ذلك لأنّ دور الجامعة اليومَ لم يَعُدْ يقتصرُ على العملية التدريسية وحدها، وإنما أخذ يمتدّ إلى البحث العلمي الذي أضحى أداةً محورية لإنتاج منظومة المعارف وتطويرها، وأصبحت الأبحاث العلمية من أبرز المعايير الأساسية التي تُصنَّف على أساسها الجامعاتُ عالميًّا، وقد أخذ دور الجامعة يمتد إلى خدمة المجتمع، عبرَ التواصل مع المؤسسات الاجتماعية المتنوعة، بغرض مدِّها بما ينقصها من الخريجين المتميزين، وبما تبتكرُه الجامعات من حلول لما يقابل كثيرا من تلك المؤسسات من عوائق أو مشكلات.

ولقد أخذ البحث العلمي في جامعة الوصل يتقدم بشكل مبرمج، ويَظهر بأشكال متعددة، وأنواع مختلفة، ووسائل متباينة، من ذلك النشر العلمي، والمؤتمرات العلمية، والنشاط العلمي لأعضاء هيئة التدريس، والمشروعات البحثية، إلى غير ذلك مما هو معروف ومقرر.

وفي هذه الكلمة سنصَوِّب النظرَ نحو المؤتمرات العلمية، فنبين أهميتها، ونبرز آثارها الإيجابية، ونوضِّح من خلال ما تعقده جامعة الوصل من مؤتمرات علمية إسهامَها في دعمِ مسيرة البحث العلمي الخلاق في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وابتداءً نشير إلى أنّ المؤتمر العلمي ما هو إلا اجتماعٌ يُعقد دوريًّا ضمن إطار تنظيمي معيّن، ويضم عددًا من الباحثين والعلماء المتخصصين، لعرض ومناقشة مجموعةٍ من الأبحاث ذات الصلة بالمجال المعرفي والتخصص العلمي، بغرض التعرف على الاتجاهات والنظريات العلمية الحديثة، حول موضوعٍ يتضمن عددًا من المحاور، بإشراف مؤسسةٍ أكاديمية أو مركز بحثي.

وتُعد المؤتمرات العلمية من أفضل وسائل النشر العلمي؛ وذلك نظرًا لما تنفرد به من مزايا تختلف عن طرق النشر الأخرى، ففي المؤتمر العلمي يتمّ التفاعل المباشر بين الباحثين ونظرائهم، سواءٌ المشاركون منهم في المؤتمر أو الذين يحضرونه متداخلين ومتلقين، إضافةً إلى سرعة الاستجابات العملية للتحكيم. وفيما يأتي نذكر عددا من النقاط التي تُبرِز أهمية المؤتمرات العلمية، وهي:

١- تحقِّقُ المؤسساتُ الأكاديمية أو المراكز البحثية عن طريق تنظيم المؤتمرات معيارًا مهمًّا من معايير التصنيف العالمية.

٢- تفتح المؤتمرات للمؤسسات العلمية وللمراكز البحثية آفاقًا للتعاون العلمي مع الجامعات التي ينتمي إليها المشاركون أو المحكمون.

٣- تُمَكِّنُ المؤتمراتُ المؤسساتِ العلميةَ التي تعرض تجاربها من تقييم هذه التجارب، والاستماع إلى النقد البنّاء لها من المشاركين من ناحية، ومن العلماء المحكّمين من ناحية أخرى؛ وهذا يؤدِّي إلى تطوير نتائج هذه التجارب، ومما يؤكد هذه الأهمية صدورُ دراساتٍ تؤكد أنّ أبرز الحلول للمشكلات العلمية والصناعية تخرجُ من رحِم المؤتمرات واللقاءات العلمية.

٤- تساعد المؤتمرات على إشهار أسماء الباحثين، واسم المؤسسة التي ينتمون إليها، بين المتخصصين المشابهين لهم في المجالات العلمية.

٥- تدعم المؤتمراتُ العلمية ثقةَ الباحث العلمي، ولاسيما عند عرض بحثه أمامَ المتخصصين في المجال الذين الْتقوا معه عليه حول مائدة المؤتمر وهم من بلاد مختلفة.

٦- تسهِم المؤتمرات العلمية في بناء علاقات أكاديمية بين الباحثين من شتّى الأقطار.

٧- تفتح المؤتمرات آفاقًا بحثية جديدة، من خلال تلاقح أفكار الباحثين في مجال التخصص.

٨- تتطوَّر مهاراتُ الباحثين وطلاب الدراسات العليا من خلال الاستفادة من تحكيم العلماء المبرزين في مجالاتهم لأبحاث المشاركين، وتثرَى الخبرة العملية لهم في مجال التخصص.

٩- تمثل المؤتمرات فرصة لخروج بعض الأفكار المهمة إلى مجال التطبيق؛ ولذلك منافع تعود على الباحث وعلى المؤسسة التي ينتمي إليها.

١٠- تمثل المؤتمرات فرصةً لطلاب الدراسات العليا لأنْ يكتشفوا فرصَ التحسين في رسائلهم العلمية؛ مما يسهِم في إقناع لجنة التحكيم بجودة أعمالهم، كما أنها تفتح أمامهم آفاقًا جديدة لمسيرتهم البحثية.

وإيمانًا منّا في جامعة الوصل بأهمية هذا النوع من النشاط البحثي العلمي، وتحقيقًا لرؤية الجامعة ورسالتها، أخذنا في إقامة عدد من المؤتمرات العلمية في المجالات المعرفية والتخصصية التي تقوم بها الجامعة، وتتضمنها خطتها البحثية، كما أخذنا في الإعداد لمجموعة من المؤتمرات في المجالات التي ستُفتتح في الوقت المنظور. وقد عملت الجامعة على الإعداد الجيد لمؤتمراتها ولاسيما أبرز الجوانب الأساسية، مستفيدةً من التقدم التكنولوجي. فوفرت سبُلَ المشاركة عن بُعد، تقديرًا لظروف الباحثين المختلفة، وأخذت تستقبلُ الأبحاث إلكترونيًّا، وتدير عملية التحكيم العلمي للبحوث عن طريق لجان

علمية دولية، يتم اختيارها بعناية من العلماء المبرزين من كثير من دول العالم، معتمدة عددًا من المعايير العالمية في التحكيم، ويبدو ذلك واضحا من خلال مطويات المؤتمرات التي نظمتها الجامعة، وهي بهذا تسعى إلى الإسهام في رفع مستوى البحث العلمي في دولة الإمارات العربية المتحدة، وفتح باب التعاون العلمي الدولي. ونشير هنا إلى أبرز المؤتمرات التي تُعقد في جامعة الوصل، وهي على النحو الآتي:

١- الندوة الدولية للحديث الشريف: وهي مؤتمر دولي دأبت الجامعة على عقده كلَّ عامين منذ ما يزيد على عقدين من الزمان، وينظمه مركز بحوث السنة النبوية بالجامعة، وكانت الندوة الدولية العاشرة للحديث الشريف قد عُقدت في يونيه ٢٠٢١.

٢- المؤتمر الدولي للدراسات العليا والبحث العلمي: تهتم الجامعة في هذا المؤتمر بطلاب الدراسات العليا، فهم الأمل في ابتكار كل جديد لمستقبل البحث العلمي، ولذا نحرص على أنْ يطّلعوا على أحدث النظريات العلمية والاتجاهات المعرفية. وقد عقدت عمادة الدراسات العليا بالجامعة النسخةَ الثانية من هذا المؤتمر في نوفمبر ٢٠٢١.

٣- المؤتمر الدولي للغة العربية: فاللغة العربية وآدابها من المجالات التي توليها الجامعة اهتمامًا بالغًا، وفي هذا الإطار كانت كلية الآداب بجامعة الوصل قد نظّمت مؤتمرها العلمي في نسخته الأولى في ديسمبر ٢٠٢٠، وتُعِد الآن لعقد النسخة الثانية منه في نوفمبر ٢٠٢٢.

٤- المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية: تنظم كلية الدراسات الإسلامية بالجامعة مؤتمرًا علميًّا كل عامين، ومن المقرر أنْ يُعقدَ مؤتمرها في نسخته الأولى، بالشراكة مع الجامعة القاسمية بدولة الإمارات العربية المتحدة في يونيه عام ٢٠٢٢.

٥- المؤتمر الدولي للسانيات: يُعد هذا المؤتمر امتدادًا لما كان يسمى (الندوة الدولية للسانيات)، وينظمه مركز الدراسات اللسانية والسردية بالجامعة في كل عامين، ومن المقرر أنْ تُعقد نسخته الثانية في يونيه ٢٠٢٣.

٦- المؤتمر الدولي للسرديات: يقوم على تنظيم هذا المؤتمر أيضًا مركز الدراسات اللسانية والسردية بالجامعة، ويجري عقده كل عامين، وقد عُقد في نسخته الأولى في مارس ٢٠٢٢.

وفي نهاية هذه الكلمة لا يسعني إلّا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير لمعالي جمعة الماجد راعي صرح جامعة الوصل الأشم، وملهم الإدارة للتقدم بالجامعة إلى مصافِّ الجامعات العالمية، ليس على مستوى دولة الإمارات العربية المتحدة فحسب، وإنّما على المستويين الإقليمي والدولي.

البحـوث

أثر الظواهر الصوتيّة في تفسير «مفاتيح الغيب» دراسة وصفية تحليلية

Acoustic Phenomena Effect in the Interpretation of «Mafateeh Al Ghayeb (keys of the unseen) » (Analytical Descriptive Study)

د. صلاح الدين أحمد موسى دراوشة
جامعة زايد – الإمارات العربية المتحدة

د. عبد العزيز بن الحسين أيت بها
جامعة زايد – الإمارات العربية المتحدة

Dr. Salah Al-Din Ahmad Mousa Darawsheh
Zayed University - United Arab Emirates

Dr. Abdelaaziz bin Alhoucain Ait Baha
Zayed University - United Arab Emirates

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.01

تاريخ تسلم البحث 2021/4/21 - وصدر خطاب القبول 2021/11/17

ملخص البحث

تتناغم العلوم اللغوية وغير اللغوية وتتآزر في تفسير دلالات الآيات القرآنية والإيضاح عن معانيها ومراميها، ويتنوع استمداد المفسر من كل علم حسب موضوع العلم من جهة، ومضمون الآية وألفاظها وسياقها ومقاصدها. وقد كان هدفنا من هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية مفادها مدى حاجة المفسر إلى علم الأصوات اللغوية واستعانته بالوسائل والأدوات الصوتية في تحليل وتفسير ألفاظ القرآن الكريم وآياته؛ بالاعتماد على نماذج مختارة من تفسير «مفاتيح الغيب» لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

ومن أبرز الظواهر الصوتية التي استعان بها الرازي في تفسيره للنماذج القرآنية المدروسة: المحاكاة الصوتية، والتضعيف والتشديد، وتناسب الفواصل. وقد خلصت الدراسة إلى وعي الرازي بأهمية المكون الصوتي في تفسير النص القرآني وبيان معانيه ودلالته.

الكلمات المفتاحية: علم الأصوات، المحاكاة الصوتية، التضعيف، التشديد، تناسب الفواصل، تفسير القرآن الكريم، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب.

Abstract

Linguistic and non-linguistic sciences coordinate and cooperate in interpreting and clarifying the meanings of Qu'anic verses and its objectives. The interpreter resorts to each science according to the subject of science on the one hand, and the content of the verse and its context and purpose on the other hand. The purpose of this study is answer the hypothesis which states that the interpreter is in need of phonetics to analyze and interpret the meanings of the holy Qur'an and its verses by using acoustic mechanisms and tools based on samples from the most famous exegetical work which is Mafateeh Al Ghayb «the keys of the unseen» by Fakhr Eddin Razzi (606 Hijri). The method used in this study is the descriptive and analytical approach.

In Fact, the most obvious acoustic phenomenon used by Razzi in his interpretation of Qur'anic samples is: phonetic simulation, weakening and stress, and the proportion of intervals. The study concluded that Al-Razi was aware of the importance of the phonemic component in interpreting the Qur'anic text and clarifying its meanings and significance.

Keywords: phonetics, phonetic simulation, weakening, stress, comma matching, the Holy Qur'an interpretation, Fakhr Eddin Razzi, «MafaatiH al Ghayb».

المقدمة

يعدّ علم التفسير من أجلّ العلوم الإسلامية وأعظمها شأوا؛ إذ من خلاله يتوصل إلى معرفة معاني القرآن الكريم، والإيضاح عن دلالاته ومقاصده، والكشف عن وجوه تأويله، فهو العلم الذي يبحث عن كيفية نطق ألفاظ القرآن، ومدلولاته، وأحكامه الإفرادية والتركيبية، والمعاني التي تحمل عليها حال التركيب، وغيرها[1].

وقد اشترط علماء القرآن على من يريد أن يشتغل بهذا العلم أن يكون متبحرا في كثير من العلوم التي لا يمكنه أن يفهم النّص القرآني ويستخرج أحكامه وحِكَمَهُ بدونها، لأنّ الجمع بين علوم ومعارف شتى هو الذي سيتيح له الاستعانة بما يقتضيه السّياق ويفرضه المقام داخل النص القرآني، وفي مقدمة هذه العلوم علوم اللغة العربية أصواتا وصرفا ونحوا وبلاغة، يقول الزركشي: «واسْتِمْدادُ ذَلكَ من عِلْم اللُّغَة والنَّحْو والتَّصْريف وعِلْم البَيان وأُصُول الفقْه والقِراءات ويَحْتاجُ لمَعْرفَة أسْباب النُّزُول والنّاسخ والمَنسُوخ»[2]، وفي السياق نفسه يقول السيوطي: «وتَمامُ هَذه الشَّرائط أنْ يَكُونَ مُمْتَلئًا من عدَّة الإعْراب لا يَلْتَبسُ عَلَيْه اخْتلافُ وُجُوه الكَلام فَإنَّهُ إذا خَرَجَ بالبَيان عَنْ وَضْع اللِّسان إمّا حَقيقَةً أَوْ مَجازًا فَتَأْويلُهُ تَعْطيلُهُ»[3] ومن شروط المفسر كذلك الإلمام بعلَم القراءات التي هي: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعَزْوِ الناقلة»[4].

١- ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.
يقول الزركشي في تعريف علم التفسير: «التَّفْسيرُ علْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتابِ اللهِ المُنَزَّل عَلى نَبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ وبَيانُ مَعانيه واسْتخْراجُ أحْكامِه وحِكَمِه»، ج١ ص ١٣.
٢- المرجع نفسه، ج١ ص ١٣.
٣- المرجع نفسه، ج٤ ص ٢٠١.
٤- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص ٩.

من خلال هذا يتبين لنا مدى حاجة المفسر إلى الإلمام بعلوم اللغة عامة، وعلم الأصوات اللغوية خاصة، وضرورة استثمار هذا العلم في تفسير النص القرآني، وقد كان فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) واعيا بهذا الأمر، مدركا لأهمية المعرفة الصوتية في تفسير القرآن الكريم، والدليل على ذلك الحيزُ الكبير الذي خصّه في الجزء الأول من تفسيره «مفاتيح الغيب»، لبسط مجمل القواعد والأسس التي يتأسس عليها الكلام العربي، ومن بين هذه الأسس الأساس الصوتي، فوجدناه يتحدث عن تعريف الصوت وكيفية حدوثه وانتشاره وإدراكه، كما تحدث عن أقسام الأصوات العربية ومخارجها وصفاتها، بل تجاوز ذلك إلى الحديث عن جمالياتها وبلاغتها ومحاسنها في الإفراد والتركيب، ليكون ذلك عنوانا على منهجه في التفسير الذي يستحضر التحليل الصوتي لألفاظ الآيات القرآنية وتراكيبها.[1]

ومن الجدير بالذكر أنّ الرازي لم يكن سباقا في مجال استثمار التحليل الصوتي في التفسير، بل نجد إشارات متفرقة في بعض التفاسير السابقة عليه، مثل: تفسير «المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي، وتفسير «الكشاف» للزمخشري،

١- من بين النصوص الدالة على هذا الأمر قول الرازي: «الحُرُوفَ عَلَى قِسْمَيْنِ مُتَقَارِبَةُ الْمَخْرَجِ وَمُتَبَاعِدَةُ الْمَخْرَجِ، وأيْضًا الحُرُوفُ عَلَى قِسْمَيْنِ مِنها صُلْبَةٌ ومنها رَخْوَةٌ، فَيَحْصُلُ مِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ أَقْسَامٌ أَرْبَعَةٌ الصُّلْبَةُ الْمُتَقَارِبَةُ، والرِّخْوَةُ الْمُتَقَارِبَةُ، وَالصُّلْبَةُ الْمُتَبَاعِدَةُ، والرِّخْوَةُ الْمُتَبَاعِدَةُ، فَإِذَا تَوَالَى فِي الْكَلِمَةِ حَرْفَانِ صُلْبَانِ مُتَقَارِبَانِ صَعُبَ اللَّفْظُ بِهَا، لأَنَّ بِسَبَبِ تَقَارُبِ الْمَخْرَجِ يَصِيرُ التَّلَفُّظُ بِهَا جَارِيًا مَجْرَى مَا إِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مُقَيَّدًا ثُمَّ يَمْشِي، وبِسَبَبِ صَلَابَةِ تِلْكَ الْحُرُوفِ تَتَوَارَدُ الأَعْمَالُ الشَّاقَّةُ الْقَوِيَّةُ عَلَى الْمَوْضِعِ الواحد مِنَ الْمَخْرَجِ، وتَوَالِي الأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ يُوجِبُ الضَّعْفَ والإِعْيَاءَ، ومِثْلُ هَذَا التَّرْكِيبِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَلِيلٌ وثانِيهَا: أَنَّ جِنْسَ بَعْضِ الحُرُوفِ أَلَذُّ وأَطْيَبُ فِي السَّمْعِ، وكُلُّ كَلِمَةٍ يَحْصُلُ فِيهَا حَرْفٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ كَانَ سَمَاعُهَا أَطْيَبَ وَثالِثُها: الوَزْنُ فَنَقُولُ: الْكَلِمَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ ثُنَائِيَّةً أَوْ ثُلاثِيَّةً أَوْ رُبَاعِيَّةً، وَأَعْدَلُها هُوَ الثُّلاثِيُّ لأَنَّ الصَّوْتَ إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ بِسَبَبِ الحَرَكَةِ، وَالحَرَكَةُ لا بُدَّ لَهَا مِنْ مَبْدَأٍ وَوَسَطٍ ومُنْتَهًى، فَهَذِهِ ثَلاثُ مَرَاتِبَ، فالكَلِمَةُ لا بُدَّ وأَنْ يَحْصُلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلاثَةُ حَتَّى تَكُونَ تَامَّةً، أَمَّا الثُّنائِيَّةُ فَهِيَ نَاقِصَةٌ وأَمَّا الرُّبَاعِيَّةُ فَهِيَ زَائِدَةٌ، والغائِبُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ الثُّلاثِيَّاتُ، فَثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا ضَبْطُ فَضَائِلِ اللُّغَاتِ، والاسْتِقْرَاءُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ مَوْصُوفَةٌ بِهَا، وَأَمَّا سَائِرُ اللُّغَاتِ فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، واللهُ أَعْلَمُ.» الرَازِيَ فخر الدين، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦ هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨١م، ج ٢٧ ص ٩٧.

وقد وقع اختيارنا على تفسير مفاتيح الغيب لكونه أكثر هذه التفاسير إلمامًا بموضوع المقال وتوسعًا فيه، وعناية به.

إشكالية الدراسة:

تروم هذه الدراسة الإجابة عن سؤال مركب نصوغه كالآتي:

- كيف وظف فخر الدين الرازي معطيات علم الأصوات وأدواته ووسائله في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم وآياته؟
- وما الظواهر الصوتية التي قام بمقاربتها؟
- وهل كان لهذه الظواهر أثر في استنباط الدلالات والأحكام القرآنية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- الوقوف على مدى حضور التفسير الصوتي للنص القرآني في تفسير «مفاتيح الغيب».
- التعرف على الأدوات الصوتية التي يوظفها في الكشف عن التناسب الصوتي في القرآن الكريم.
- بيان أشكال التلاؤم بين المستوى الصوتي وباقي المستويات اللغوية الأخرى في النص القرآني.
- الدفاع عن أهمية المستوى الصوتي وإسهامه في بلاغة القرآن وبيانيّته وإعجازه.
- رفض الفكرة التي ترى أنّ التعبير القرآني لا يعير اهتماما كبيرا للجانب

اللفظي، وأنّه إن كان له وظيفة، فهي وظيفة ثانوية فقط[١].

الدراسات السابقة:

في الحقيقة لم نقف على دراسة سابقة تناولت الظواهر الصوتية وأثرها في تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير الرازي، وكلّ ما عثرنا عليه هو جملة من الدراسات التي تناولت المستوى الصوتي في النص القرآني بوجه عام، وفي مقدمتها:

١- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: لشادي، محمد إبراهيم، (الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان -الرسالة، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م). حيث تناولت بعض الظواهر الصوتية مثل: الجرس والإيحاء والإيقاع وانسجام التأليف، وقد استشهد صاحبها ببعض النماذج والشواهد الدّالة على جمالية الأداء الصوتي في القرآن الكريم وأثرها في نفوس المتلقين.

٢- القرينة الصوتية في النحو دراسة نظرية تطبيقية: للأنصاري، عبد الله بن محمد بن مهدي، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠١٣). وقد تناولت هذه الدراسة جملة من الوظائف النحوية والأسلوبية للقرائن الصوتية، لذلك فهي قريبة من حيث الغاية والهدف من دراستنا هذه، ويتجلى وجه الاختلاف في تناولها لظواهر صوتية أخرى، وكذلك في المتن التطبيقي للدراسة.

٣- ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، التركيب والرسم والإيقاع: لعتيق، عمر عبد الهادي، (عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ط١، ٢٠١٠م). وقد ناقشت مسألة الإيقاع، خاصة ما يرتبط بإيقاع الفواصل وعلاقته بالمعنى

١- من أنصار هذا الرأي قديما عبد القاهر الجرجاني في كتابه «دلائل الإعجاز»، وحديثا عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في كتابها «التفسير البياني للقرآن الكريم».

المستفاد من الآيات والسور.

٤- الصوت اللغوي في القرآن: للصغير، محمد حسين علي، (دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م). وقد لوحظ في الدراسة أنها ركّزت على دراسة الصوت اللغوي في فواتح السور، وبعض مظاهر الأداء والتجويد، كما أشارت إلى ظواهر الملحظ الصوتي في فواصل الآيات، وكذا الإيقاع الصوتي في موسيقى الفواصل.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد الظواهر الصوتية في القرآن الكريم، والوقوف عند تفسير الرازي لها، ثم تحليل النماذج والشواهد الدالة على الظواهر الصوتية المدروسة.

خطة البحث:

قد وقفنا في تفسير الرازي على ظواهر صوتية متعددة ومتنوعة، واقتصرنا على نماذج ثلاثة منها، لكونها أقوى برهانا وأوضح دلالة على أطروحتنا في البحث، وبناء عليه جاءت خطة البحث في مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة.

ناقش البحث في المحور الأول المحاكاة الصوتية من خلال محاكاة المخارج والصفات للدلالات، والمحاكاة المضعفة. وفي المحور الثاني تناول التشديد بفعل التضعيف أو الإدغام: تكرار الفعل والتدرج في الحدث، والمبالغة في الفعل وقوة الحدث، ومراعاة التلاؤم واجتناب التنافر. وأخيرا عرض المحور الثالث مراعاة التناسب الصوتي في الفواصل القرآنية من خلال انتقاء اللفظ، والحذف، والتقديم والتأخير، والإمالة.

أولا: المحاكاة الصوتية

يطلق مفهوم المحاكاة الصوتية (Onomatopoeia) ويراد به: «الدلالة الكامنة في بعض أصوات اللغة، وفي بعض التراكيب الصوتية، وفي بعض الكلمات الموحية، حيث يرتبط فيها اللفظ بالمعنى، وتدل عمليات النطق والإصدار (التلفظ) فيها على دلالة الوحدة اللغوية صوتا كان أو كلمة».[١] ويعدّ هذا المفهوم من المفاهيم المثيرة للجدل منذ بدايات الفكر اللغوي الإنساني إلى عصرنا الحالي، عصر اللسانيات، وقد انقسم إزاءه اللغويون على ثلاثة آراء، فالرأي الأول: يعمم هذه الظاهرة على اللغات الإنسانية، ويرى أنّ أصل اللغات إنّما هو المحاكاة الصوتية، ومن ثم فالعلاقة بين الدال والمدلول؛ أي بين الصورة الصوتية والصورة الذهنيّة للوحدة اللغوية، هي علاقة طبيعية، والرأي الثاني: على عكس الأول يرى أنّ العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطيّة، وينفي بشكل قاطع أيّ ارتباط بين الصوت والمعنى في الوحدات اللغوية، أما الرأي الثالث: فهو توفيقي لا يعمم هذه الظاهرة على اللغة كلها، كما يفعل أصحاب الرأي الأول، ولا ينفي وجودها بالقطع، كما يذهب أصحاب الرأي الثاني، بل يرى أصحاب هذا الرأي أنّ ظاهرة المحاكاة الصوتية موجودة في المفردات اللغويّة ولها أشكال متعددة إلى درجة لا يمكن إنكارها، لكنها محدودة إلى درجة لا يمكن تعميمها.[٢]

ولعلّ التفسير الصوتي الوجيه، بما يتماشى مع الرأي الأخير، هو أنّ هذه الظاهرة، ليست «إلا انطباعات إدراكية يشعر بها المستمع انطلاقا من طبيعة الصوت ذاته، فالطبيعة النطقية الفيزيولوجية للصوت هي التي تكسبه هذه الخصائص».[٣]

١- الضالع، محمد صالح، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، (ب ط)، ٢٠٠٢م، ص ٢٢.

٢- لمزيد من التفصيل في هذه الآراء، ينظر: زهران، البدراوي، مبحث في قضية الرمزية الصوتية، طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.

٣- زاهيد، عبد الحميد، حركات العربية- دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، سلسلة الصوت (٤)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش-المغرب، ط١، أكتوبر ٢٠٠٥م، ص ٣٢.

ويعدّ فخر الدين الرازي من علماء العربية الذين يعترفون بوجود ظاهرة المحاكاة الصوتية في اللغة، وفي ذلك يقول: «وقَدْ يَتَّفقُ في بَعْض الأَلْفاظ كَوْنُهُ مُناسبًا لمَعْناهُ مثْلَ تَسْميَتهمُ القَطا بهَذا الاسْم، لأنَّ هَذا اللَّفْظَ يُشْبهُ صَوْتَهُ، وكَذا القَوْلُ في اللَّقْلَق، وأيْضًا وضَعُوا لَفْظَ «الخَضْم» لأكْل الرَّطب نَحْو البطِّيخ والقثّاء، ولَفْظَ «القَضْم» لأكْل اليابس نَحْو قَضَمَت الدّابَّةُ شَعيرَها، لأنَّ حَرْفَ الخاء يُشْبهُ صَوْتَ أكْلِ الشَّيْء الرَّطْبَ وحَرْفَ القافِ يُشْبهُ صَوْتَ أكْلِ الشَّيْء اليابس»[1]، فهو هنا يقرّ صراحة بوجود مناسبة بين الأصوات والمعاني في بعض الألفاظ، بحيث نستشعر المعنى من خلال الصوت فقط.

وقد توسّع الدارسون المحدثون، على هدي من اجتهادات القدماء، في بحث المحاكاة الصوتية ومخّتلف تجلياتها في النصوص والخطابات، فتحدثوا عن الأدوات والوسائل الصوتية التي من خلالها تكتسب الألفاظ القدرة على محاكاة الدلالات، فقد يكون ذلك: «من مخارج الأصوات وصفاتها، (...) أو من نوع الحركة مع نوع المقطع، (...) أو من تضعيف أحد الحروف، (...) أو من نوع المقطع وتكراره»[2] وباستقراء ما وقفنا عليه من نماذج ونصوص في تفسير الرازي نلاحظ أنه استثمر أغلب هذه الأدوات في التحليل الصوتي للألفاظ القرآنية بغية استكناه دلالاتها والاستدلال على بلاغتها.

وسندرس ضمن ظاهرة المحاكاة ما يرتبط بالتناسب بين المعنى ومخارج الأصوات وصفاتها، وكذلك نوع المقطع وتكراره في الألفاظ الرباعية المضعفة، ونترك مسألة التضعيف للظاهرة الموالية.

١- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب: ج١ ص ٣٠.
٢- شادي، محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان (الرسالة)، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٩-٣٠.

١ – محاكاة المخارج والصفات للدلالات

أشار فخر الدين الرازي إلى هذه الظاهرة في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾[١]، حيث علّق على اختلاف القرّاء في كلمة «قبضة» بين الضاد والصاد، وكان للفرق الصوتي بينهما أثر جلي في استنباط الفرق الدلالي، يقول في ذلك: «قَرَأَ الحَسَنُ قُبْضَةً بِضَمِّ القاف وهِيَ اسْمٌ لِلْمَقْبُوض كالغُرْفَة والضُّفَّة وأمّا القَبْضَةُ فالمَرَّةُ مِنَ القَبْض وإطْلاقُها عَلى المَقْبُوض مِن تَسْمِيَة المَفْعُول بِالمَصْدَر كَضَرْب الأمير وقُرِئَ أيْضًا فَقَبَصْتُ قَبْصَةً بالضّاد والصّاد فالضّادُ بِجَمِيع الكَفِّ والصّادُ بِأطْرَاف الأصابِع ونَظِيرهُما الخَضْمُ والقَضْمُ الخاءُ بِجَمِيع الفَم والقافُ بِمُقَدَّمه»[٢]. لقد اعتمد فخر الدين الرازي في رصد الفرق اللطيف بين اللفظتين، على الفرق الصوتي بين الصاد والضاد، فالضاد صوت انفجاري مجهور، لذلك ناسبت خصائصه الصوتية القبض والإمساك بجميع الكف، أما الصاد فصوت احتكاكي مهموس، وهذا أكثر ملاءمة للتناول اليسير الذي يكون بأطراف الأصابع .

ولئن كانت إشارة الرازي مقتضبة نوعا ما، فقد كان تعبير ابن جني (ت ٣٩٥هـ) قبله صريحا في استحضار صفات الضاد والصاد وخصائصهما الصوتية في التفريق بين اللفظيتين، حيث علّق على الآية نفسها بقوله: «القبض بالضاد معجمة باليد كلّها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع ، وهذا ممّا قدّمت إليك في نحوه تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، وذلك أنّ الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها ما جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق

١- سورة طه، الآية: ٩٦.
٢- الرازي، مفاتيح الغيب: ج ٢٢ ص ١١٠.

محلّها ما جعلت عبارة عن الأقل»[1]. ولعلّ في تعدد القراءات هنا دلالة على الثراء الدلالي للنص القرآني، حيث ينفتح، بفضل ذلك، على آفاق رحبة من التفسير والتأويل.

ومن نماذج هذه الظاهرة كذلك تعليق الرازي على قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[2]، حيث اقتبس من الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وارتضى تفسيره للفظة القصم قائلا: «قالَ صاحِبُ «الكَشّاف» القَصْمُ أفْظَعُ الكَسْرِ وهُوَ الكَسْرُ الَّذِي يُبِينُ تَلاؤُمَ الأجزاء بخلاف الفصم»[3]. وقال في تفسير لفظ الفصم في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[4]؛ «الفَصْمُ كَسْرُ الشَّيْءِ مِن غَيْرِ إبانَةٍ، والانْفِصامُ مُطاوِعُ الفَصْمِ؛ فَصَمْتُهُ فانْفَصَمَ»[5]. ويقول أبو هلال العسكري في معجم الفروق: «القصم بالقاف الكسر مع الإبانة قال أبو بكر: القصم مصدر قصمت الشيء قصما إذا كسرته والقصمة من الشيء القطعة منه والجمع قصم. والفصم بالفاء كسر من غير إبانة قال أبو بكر: انفصم الشيء انفصاما إذا تصدّع ولم ينكسر، قال أبو هلال ومنه قوله تعالى: «لا انفصام لها» ولم يقل لا انقصام لها لأن الانفصام أبلغ فيما أريد به هاهنا وذلك أنه إذا لم يكن لها انفصام كان أحرى أن لا يكون لها انقصام»[6].

١- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الفتح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٢ ص ٥٥-٥٦.

٢- سورة الأنبياء، الآية: ١١.

٣- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٢ ص ١٤٥. وقد ورد كلام الزمخشري في تفسيره بالقول: «واردة عن غضب شديد، ومنادية على سخط عظيم، لأن القصم أفظع الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم.» الكشاف، ج٤ ص ١٣١.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٥- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٧ ص ١٧.

٦- العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٤٣١.

نتبين من خلال تفسير الرازي للفظين، استشعاره لارتباط دلالة كل منهما بخصائص الصوت الذي فيه، وإن لم يعبّر عن ذلك صراحة، فدلالة القصم على الكسر الشديد الذي يحدث معه انفصال أجزاء الشيء المكسور مستمد من الخصائص الصوتية للقاف، لما فيها من الشدّة والصلابة، فقد وصفها الخليل بن أحمد بالقول: «العين والقاف لا تدخلان في بناء إلاّ حَسَّنَتاه، لأنّهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا»[١]، وقوة الجرْس تناسب قوة الإيحاء على المستوى الإدراكي، ولعلّ قوة الجرس هذه تستفاد من كون القاف صوتا انفجاريا «يتم إنتاجه عن طريق اتصال مؤخر اللسان بمنطقة اللهاة مع الطبق الليّن بصورة لا تسمح بمرور الهواء، يعقبه تسريح فجائي له»[٢]؛ وهذا التسريح الفجائي هو الذي يُسمع منه صوت القاف، كما أنّ ارتفاع اللسان باتجاه منطقة اللهاة والطبق اللين تنتج عنه ظاهرة صوتية أخرى تسهم في قوة صوت القاف وضخامة جرسه، وهي ظاهرة التفخيم، أو الاستعلاء في عرف القدماء، يضاف إلى ذلك اتصاف القاف بالقلقلة وهي من صفات القوة عند القدماء. أما الفصم بالفاء فأخف وقعا ودلالة، وذلك لأنّ الفاء، عكس القاف، احتكاكي مرقق «يتم إنتاجه عن طريق ملامسة الشفة السفلى للأسنان العليا بصورة تسمح بمرور الهواء ولكن مع حدوث احتكاك».[٣]

وجدير بالملاحظة هنا أنّ الاختيار القرآني لم يكن بين القاف والفاء فحسب، بل بين السين والصاد أيضا، أي بين لفظي (قصم وقسم)، فقد اختار التعبير القرآني الصاد لأن السياق سياق قوة وشدّة، والصاد صوت استعلاء مع إطباق، يقول ابن جني: «القصم أقوى فعلا من القسم، لأن القصم يكون معه الدق، وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما، فلذلك خص بالأقوى الصاد، وبالأضعف

١- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج١ ص ٥٣.
٢- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص ٣١٨.
٣- المرجع نفسه، ص ٣١٥.

السين.»[1]

٢- المحاكاة المُضَعّفَةُ

قسّم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) المحاكاة الصوتية في الرباعي إلى نوعين: «مُؤلَّفة أو مُضاعَفة»[2] ومثّلَ للحكاية المؤلفة بلفظ (دهداق)، «وأما الحكايةُ المُضاعفَة فإنّها بمنزلة الصَّلْصلة والزَّلْزَلَة وما أشبهها، يتوهمون في حُسن الحركة ما يتوهمون في جَرْس الصوت، يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف... ألا تَرى الحكايةَ أنّ الحاكي يَحكي صَلصلة اللجام فيقول صَلْصَلَ اللّجام، وإن شاء قال: صَلَّ، يُخّفِّفُ مرّة اكتفاء بها، وإنْ شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فيقول: صل، صَل، صَل، يتكلّف من ذلك ما بدا له... نحو قولك: صَرَّ الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صَرْصَرَة، فكأنّهم تَوَهَّموا في صوت الجندب مدا وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا.»[3]

فالحكاية المضاعفة عند الخليل، لها وجهان، الأول: المحاكاة التي تستفاد من جرس الصوت، أي إنّ الأصوات اللفظية النطقية، تحاكي الأصوات والأحداث الفعلية، التي يدل عليها اللفظ المضاعف، أمّا الوجه الثاني فيتجلى في دلالة المضاعفة في اللفظ على تكرير الفعل وترجيع الصوت، فهي بذلك محاكاة مزدوجة، وقد تبع ابنُ جني (ت ٣٩٥هـ) الخليل في تقرير هذا الوجه الأخير من المحاكاة بقوله: «وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة، والقلقلة،

١- ابن جني، الخصائص: ج٢ ص ١٦١.
وينظر كذلك: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (ب ط)، ١٩٨٤، ج ١٧ ص ٢٥، حيث يقول: «القصم الكسر الشديد الذي لا يرجى بعده التئام ولا انتفاع، واستعير للاستئصال والإهلاك القوي كإهلاك عاد وثمود وسبأ».
ويقول الزركشي مقارنا بين القصم في هذه الآية والقسم في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]: «بالسين تفريق الأرزاق والإنعام، وبالصاد تفريق الإهلاك والإعدام». البرهان في علوم القرآن، ج ١ ص ٤٣٠.
٢- الفراهيدي، كتاب العين، ج١ ص ٥٤.
٣- الفراهيدي، كتاب العين، ج١ ص ٥٥- ٥٦.

والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة والقرقرة... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر»[١].

ونظرا لاقتناع الرازي بحقيقة هذه المحاكاة، وحضورها في النص القرآني، فقد أشار إليها في مناسبات متعددة، واستعان بها في بيان الدلالات الكامنة في بعض الألفاظ القرآنية في سياقاتها النصية، ومن ذلك:

- **لفظ «صرصر»**، وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع عدة[٢]، وقد فسره الرازي بالاستناد إلى القيمة الإيحائية الموجودة في أصواته، فقال في تفسير قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[٣]، «وفي الصَّرْصَرِ قَوْلانِ أحدهما: أنّها العاصفة التي تصرصر أي تُصَوِّتُ في هُبُوبِها، وفي عِلَّةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ وُجُوهٌ؛ قِيلَ إِنَّ الرِّياحَ عِنْدَ اشْتِدادِ هُبُوبِها يُسْمَعُ مِنها صَوْتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ الصَّرْصَرِ فَسُمِّيَتْ هَذِهِ الرِّياحُ بِهَذا الاسْمِ وقِيلَ هُوَ مِن صَرِيرِ البابِ، وقِيلَ مِنَ الصَّرَّةِ والصَّيْحَةِ، ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ [الذّاريات: ٢٩]. والقَوْلُ الثّانِي: أَنَّها البارِدَةُ الَّتِي تُحْرِقُ بِبَرْدِها كَما تُحْرِقُ النّارُ بِحَرِّها، وأَصْلُها مِنَ الصِّرِّ وهو البرد قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ [آلِ عِمْرانَ: ١١٧]»[٤]. والملاحظ من هذا التفسير أنّه يربط بين أصوات اللفظ ودلالته، بل يربط معنى اللفظ بفعل التصويت نفسه، فلفظ الصرصر عند الرازي هنا يرتبط بتصويت معين، لذلك وصفت هذه الريح به، لأنها تصدر صوتا قويا عند هبوبها، ثم لم يتوقف الرازي عند هذا الحدّ حتى حدد نوع الصوت الذي يصدر عن هذه الريح وعقد مشابهة بينه

١- ابن جني، الخصائص، ج٢ ص ١٥٥.
٢- من ذلك: سورة فصلت، الآية: ١٦، وسورة القمر، الآية: ١٩، وسورة الحاقة، الآية: ٦.
٣- سورة فصلت، الآية: ١٦
٤- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٧ ص ١١٣.

وبين صوت الصرصر[1] في أحد الأقوال، وبين صوت صرير الباب في قول آخر، وصوت الصياح في قول ثالث. وهذا كله داخل في الوجه الأول من المحاكاة الذي ذكرناه سابقا وهو المحاكاة بجرس الصوت.

وأما الوجه الثاني من أوجه المحاكاة الصوتية في هذا اللفظ فقد نوّه إليه الرازي في قوله: «وكُلُّ ما كانَ فيه تَكْرِيرٌ كُرِّرَتْ فيه فاءُ الفِعْلِ، نَحْوُ صَرَّ، وصَرْصَرَ، وصَلَّ وصَلْصَلَ، وكَفَّ، وكَفْكَفَ، وأَقَلَّ الشَّيْءَ، أَيْ رَفَعَهُ مِن مَوْضِعِه، فإذا كرر قيل: قلقل»[2]، فنحن نحس من جرس أصوات هذا اللفظ محاكاة صوت الريح في هبوبها، كما نحس من تكرير المقطع الصوتي (صر) تكرار هذا الصوت واسترسال هذه العاصفة الشديدة مدة طويلة من الزمن، ولم يكن هبوبها مرة واحدة. ونضيف إلى هذا كله ملحظًا صوتيًا مهمًا، يتعلق بطبيعة الأصوات المكوّنة لهذا اللفظ وهما الصاد والراء، فمن المثير هنا أنّ الصاد من أصوات الصفير التي تصدر عن جهاز النطق مصحوبة بصوت يشبه الصفير[3]، وبه سمي صوت الصرصر وصرير الباب وصوت الصياح، أمّا شدّة صوت الصفير وقوته فتستفاد من صفة التفخيم/ الإطباق التي تميّز صوت الصاد دون غيره من أصوات

١- جاء في لسان العرب؛ مادة صرر: «والصَّرْصَر: دُوَيْبَّة تَحْتَ الأرض تَصِرُّ أيام الرَّبيع.»
ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، لسان العَرب، دار صَادر -بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٦ ص ٢٠.
وفي هذا يقول ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، ج٢٤ ص ٢٥٤: «والصرصر الريح العاصفة التي يكون لها صرصرة، أي دوي في هبوبها من شدة سرعة تنقلها، وتضعيف عينه للمبالغة في شدتها بين أفراد نوعها كتضعيف كبكب للمبالغة في كبِ.»
ويقول البقاعي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] «(بريح صرصر) أي هي في غاية ما يكون من شدة البرد والصوت كأنه كرر فيها البرد حتى صار يحرق بشدته، والصوتَ حتى صار يصم بقوته» البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم (ت ٨٨٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ج٢٠ ص ٣٤٣.

٣- ينظر: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ)، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار - بغداد، ط١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م، ص ١٠٩.

الصفير في اللغة العربية،[١] فكأنّه اختار أقوى أصوات الصفير ليناسب قوة دوي هذه الريح العاصفة. أمّا صوت الرّاء فمن أهم صفاته التّكرار حيث يتم نطقه «عن طريق ضرب طرف اللسان في اللثة ضربات متتالية مكررة»[٢]، بل إنّه الصوت التكراري الوحيد في اللغة العربية، فجاء هذا الصوت أشدّ مناسبة لما يستفاد من هذا اللفظ وسياقه من دلالة التكرار، وهذا من بديع الاختيارات القرآنية.

- **لفظ «صلصال»**[٣]؛ وقد فسّره فخر الدين الرازي باعتماد الأدوات الصوتية نفسها التي وظّفها في تفسير لفظ «صرصر»، فقال مُعقبا على قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٤]، «في الصَّلْصال قَوْلان: قيلَ الصَّلْصالُ الطِّينُ اليابسُ الَّذي يُصَلْصلُ وهُوَ غَيْرُ مَطْبُوخ، وإذا طُبِخَ فَهُوَ فَخّارٌ. قالُوا: إذا تَوَهَّمْتَ في صَوْته مَدًّا فَهُوَ صَليلٌ، وإذا تَوَهَّمْتَ فيه تَرْجيعًا فَهُوَ صَلْصَلَةٌ. قالَ المُفَسِّرُونَ: خَلَقَ اللَّهُ تَعالى آدَمَ من طين فَصَوَّرَهُ وتَرَكَهُ في الشَّمْس أرْبَعينَ سَنَةً، فَصارَ صَلْصالاً كالخَزَف ولا يَدْري أحَدٌ ما يُرادُ به، ولَمْ يَرَوْا شَيْئًا منَ الصُّوَر يُشْبهُهُ إلى أنْ نَفَخَ فيه الرُّوحَ. وحَقيقَةُ الكَلام أنَّهُ تَعالى خَلَقَ آدَمَ من طين عَلى صُورَة الإنْسان فَجَفَّ فَكانَت الرِّيحُ إذَا مَرَّتْ به سُمعَ لَهُ صَلْصَلَةٌ فَلذَلكَ سَمّاهُ اللَّهُ تَعالى صَلْصالاً»[٥]. حيث وقف أولا على المحاكاة بالجرس الصوتي، فبيّن أنّ الصلصال هو الطين الجاف الذي يصدر عنه صوت صلصلةٍ بفعل الريح ونحوها، وأصل الصَّلْصَلة:

١- أصوات الصفير في العربية أربعة هي الصاد والسين والزاي والشين، وليس فيها صوت مفخم مطبق إلا الصاد.
٢- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص ٣١٨.
٣- ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في مواضع متفرقة، منها: سورة الحجر، الآيات: ٢٦- ٢٨ -٣٣، وسورة الرحمن، الآية: ١٤.
٤- سورة الحجر، الآية: ٢٦
٥- الرازي، مفاتيح الغيب: ج١٩ ص ١٨٣.

صَوتُ الحَديدِ إذا حُرِّكَ[1]، وقيل هي تردد الصوت من الشيء اليابس[2]، ثم بين ثانيا: المحاكاة الصوتية المستفادة من تكرار المقطع الصوتي في لفظ الصلصال، فهذا التكرار يناسب الترجيع والصدى الصوتي الناجم عن صوت الصلصلة. ويمكننا تأكيد هذه المحاكاة بما أشرنا إليه سابقا من صفة الصفير الموجودة في صوت الصاد والتي تناسب تماما صلصلة الخزف. وهذا كله في نظر الرازي سبب وجيه يعلل تسمية هذا الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام بالصلصال.

- **لفظ زلزل/زلزلة**؛ ورد هذا اللفظ في أكثر من موضع من النص القرآني[3]، ورغم اختلاف السياقات فقد أرجع الرازي دلالته إلى أصل واحد، بالاستناد إلى إجراء المحاكاة الصوتية، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[4] «والمعنى حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَديدَةً، كَما قالَ: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤]... واعْلَمْ أنْ زَلَّ لِلْحَرَكَةِ المُعْتادَة، وزَلْزَلَ لِلْحَرَكَةِ الشَّديدَةِ العَظِيمَة، لما فيه من مَعْنى التَّكْرير، وهُوَ كالصَّرْصَر في الرِّيح، ولأَجْلِ شِدَّةِ هَذِهِ الحَرَكَةِ وصَفَها اللّٰهُ تَعالى بِالعِظَم فَقالَ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]»[5]. فقد حمل لفظ (زلزلت) في الآية على أصله الذي يدل على تحريك الشيء عن مكانه وزعزعته عن استقراره، تحريكًا شديدًا عنيفًا خارجًا عن المألوف؛ وقد استنبط الرازي هذه الشدّة من خلال المقارنة بين

١- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٨٩م، ج٣ ص ٤٦.

٢- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ج٢ ص ٣٤٩.

٣- ورد في سورة البقرة، الآية: ٢١٤، وسورة الحج، الآية: ١، وسورة الأحزاب، الآية: ١١، وسورة الزلزلة، الآية: ١.

٤- سورة الزلزلة، الآية: ١

٥- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٣٢ ص ٦٧-٥٨.

الفعل الثلاثي زلّ والرباعي المضعف زلزل، فالأول للحركة المألوفة، والثاني للاضطراب العظيم، بدلالة تكرير المقطع الصوتي فيه، ثم بدلالة السياق القرآني، فلأجل شِدَّةِ هَذِهِ الحَرَكَةِ وقوة هذا الاضطراب وصفه الله بالشيء العظيم.

أما قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [1]، فقد فسره بقوله: «وزُلْزِلُوا أيْ حُرِّكُوا بأنْواعِ البَلايا والرَّزايا، قالَ الزَّجّاجُ: أصْلُ الزَّلْزَلَةِ في اللُّغَةِ مِن أزالَ الشَّيْءَ عَنْ مَكانِه فإذا قُلْتَ: زَلْزَلْتُهُ فَتَأْوِيلُهُ أنَّكَ كَرَّرْتَ تِلْكَ الإزالَةَ فَضُوعِفَ لَفْظُهُ بِمُضاعَفَةِ مَعْناهُ، وكُلُّ ما كانَ فِيهِ تَكْرِيرٌ كُرِّرَتْ فِيهِ فاءُ الفِعْلِ، نَحْوُ صَرَّ، وصَرْصَرَ، وصَلَّ وصَلْصَلَ، وكَفَّ، وكَفْكَفَ، وأقَلَّ الشَّيْءَ، أيْ رَفَعَهُ مِن مَوْضِعِه، فإذا كرر قيل: قلقل، وفسّر بعضهم زُلْزِلُوا هاهنا بِخُوِّفُوا، وحَقِيقَتُهُ غَيْرُ ما ذَكَرْنا، وذَلِكَ لأنَّ الخائِفَ لا يَسْتَقِرُّ بَلْ يَضْطَرِبُ قَلْبُهُ، ولِذَلِكَ لا يُقالُ ذَلِكَ إلاّ في الخَوْفِ المُقِيمِ المُقْعِدِ، لأنَّهُ يُذْهِبُ السُّكُونَ، فَيَجِبُ أنْ يَكُونَ زلزلوا هاهنا مَجازًا، والمُرادُ: خُوِّفُوا، ويَجُوزُ أنْ يَكُونُوا مُضْطَرِبِينَ لا يَسْتَقِرُّونَ لِما في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والخَوْفِ»[2]، فالملاحظ هنا، أنّ الرازي بعد أن قرر الدلالةَ الطبيعية للفظ نقلاً عن الزجاج، حمله على معنى مجازي لكنه لم يخرجه عن معناه الإيحائي، فلم يعْدُ أن صرف الحركة والاضطراب في الفعل من المعنى المادي إلى المعنى النفسي، وهو الخوف والجزع، لكن هذا المعنى النفسي لا يلبث أن يدفع صاحبه إلى الفعل المادي، فهذا الخوف والجزع يقلق صاحبه، فيضطرب ويقوم ويقعد ولا يقر له قرار، كما تضطرب الأشياء المادية التي تحرك بعنف فتتزعزع وتتقلع.

١- سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
٢- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٦ ص ٢٠-٢١.

وقد وظّف الرازي التكرار المقطعي في تفسير ألفاظ قرآنية أخرى على المنوال نفسه[١]، وقد اكتفينا ببعض الشواهد منها بما يتناسب وطبيعة الدراسة. وجملة الأمر، «إنّ تكرار المقطع الصوتي نفسه في هذه الجذور مرتين أو أكثر يؤدي إلى القوة والزيادة والمبالغة»[٢].

ثانيا: التّشديد بفعل التّضّعيف أو الإدغام

ينتج التشديد في اللفظ إمّا بفعل التضعيف في الوزن أو عن طريق إدغام صوت في صوت، والفرق بينهما أنّ «التضعيف يقع في عين الكلمة ولامها، ويعني تكرير الحرف الواحد في موضعه، بينما الإدغام إدخال صوت في صوت، ولهما حرفان من الوزن مثل: اطّرَدَ على وزن افتعل، بينما التضعيف يضاعف ما يقابل في الوزن نحو كَسّرَ على وزن فَعَّلَ»[٣]. فكلاهما ينتج عنه تشديد الحرف، وإن كانت العلّة مختلفة.

ومذهب التشديد في العربية معروف، وذلك في السياقات التي تحتاج إلى تأكيد الفعل وتكريره، وقد ذكره ابن جني في «باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني» من كتابه الخصائص، وذلك في قوله: «ومن ذلك أنّهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل»[٤]. كما أنّ التشديد قد تكون الغاية منه «الزيادة في المعنى أو التعدية أو إقامة الوزن»[٥].

لقد وظّف الرازي قيمة التشديد في تفسير كثير من ألفاظ النص القرآني،

١- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: ج٢٤ ص ١٥٢، ج١١ ص ٨٦، ج٣١ ص ١٩٦، ج٩ ص ١٣٠.
٢- البنا، زياد عبدالله عبد الصمد، دلالات الألفاظ الرباعية المضاعفة في القرآن الكريم، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٦٤، ٢٠٢٠م، ص ٥٦- ٥٧.
٣- عكاشة، محمد، التطور الصوتي في الألفاظ أسبابه وظواهره، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٥٢.
٤- ابن جني، الخصائص، ج٢ ص ١٥٥.
٥- عكاشة، محمد، التطور الصوتي في الألفاظ، أسبابه وظواهره، ص ٥٢.

واستثمرها في الإيحاء الصوتي الدلالي، بما يتناسب مع سياق التركيب، وقد ربطه بمجموعة من الدلالات منها:

١– تكرار الفعل والتّدرج في الحدث

ومن أمثلته لفظ «نزّل» الذي ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، كما ورد نظيره (أنزل) كذلك، وقد ربط الرازي كلّ واحد منهما بسياق وروده، وفسّرهما بالاستناد إلى أسلوب التضعيف، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [١]، «فاعْلَمْ أنَّ الكتابَ هاهُنا هُوَ القُرْآنُ... وإنَّما خُصَّ القُرْآنُ بالتَّنْزيلِ، والتَّوْراةُ والإنْجيلُ بالإنْزالِ، لأنَّ التَّنْزيلَ للتَّكْثيرِ، واللَّهُ تَعالى نَزَّلَ القُرْآنَ نَجْمًا نَجْمًا، فَكانَ مَعْنى التَّكْثيرِ حاصِلاً فيه، وأمّا التَّوْراةُ والإنْجيلُ فَإنَّهُ تَعالى أنْزَلَهُما دَفْعَةً واحِدَةً، فَلِهَذا خَصَّهُما بِالإنْزالِ»[٢]، وقال في موضع آخر: «التَّنْزيلَ مُخْتَصٌّ بِالنُّزُولِ عَلى سَبيلِ التَّدْريجِ، والإنْزالُ مُخْتَصٌّ بِما يَكُونُ النُّزُولُ فِيهِ دُفْعَةً واحِدَةً»[٣]، فسياق التضعيف عند الرازي يفيد تكرار فعل النّزول مرات متعددة، كما يفيد التدرج في الحدث، لأنّ القرآن الكريم كما هو معلوم نزل مُنَجّمًا على ثلاث وعشرين سنة، أما سياق التخفيف فلا يفيد ذلك بل يدل على النزول جملة واحدة دون تكرار ولا تدرج.

١- سورة آل عمران، الآية: ٣.

٢- الرازي، مفاتح الغيب، ج٧ ص ١٧٠

٣- المرجع نفسه، ج٥ ص ٩٣.

وفي المعنى نفسه يقول ابن الزبير الغرناطي: «»ذلك أن لفظ (نزّل) يقتضي التكرار لأجل التضعيف، تقول (ضرَب) مخففا لمن وقع ذلك عليه مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أنسب وأقوى، أما إذا قلنا (ضرّب) بتشديد الراء فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه، فقوله تعالى: (نزّل عليك الكتاب) مشير إلى تفصيل المنزل وتنجيمه بحسب الدعاوى وأنه لم ينزل دفعة واحدة، أما لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك إعطاء (نزّل) وإن كان محتملا».

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج١ ص ٢٨٦.

ومن النماذج على هذا الملحظ كذلك ما ذكره الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾[1]، «قَرَأَ حَمْزَةُ والكسائيُّ وابْنُ عامرٍ جَمَّعَ بالتَّشْديد والباقُونَ بالتَّخْفيفِ والمَعْنى في جَمَّعَ وجَمَعَ واحدٌ مُتَقاربٌ، والفَرْقُ أَنَّ جَمَّعَ بالتشديد يفيد أنه جمعه من هاهنا وهاهنا، وأَنَّهُ لَمْ يَجْمَعْهُ في يَوْم واحد، ولا في يَوْمَيْنِ، ولا في شَهْرٍ ولا في شَهْرَيْنِ، يُقالُ: فُلانٌ يُجَمِّعُ الأَمْوالَ أيْ يَجْمَعُها مَن هاهنا وهاهنا، وأمّا جَمَعَ بالتَّخْفيف، فَلا يُفيدُ ذَلكَ، عَدَّدَهُ أيْ أحْصاهُ وجاءَ التَّشْديدُ لكَثْرَة المَعْدُود كَما يُقالُ: فُلانٌ يُعَدِّدُ فَضائلَ فُلان، ولهَذا قالَ السُّدِّيُّ: وعَدَّدَهُ أيْ أحْصاهُ يَقُولُ: هَذا لي وهَذا لي يُلْهيه مالُهُ بالنَّهارِ فَإذا جاءَ اللَّيْلُ كانَ يُخْفيه»[2]. فالتشديد في قراءة من قرأ به يدل على تكرار فعل الجمع، وامتداد زمانه ومكانه، فهذا المال كثير لم يجمعه صاحبه دفعة واحدة إنما جمعه مرة بعد مرة، ومن أمكنة مختلفة، وعلى مُدَد مستطيلة، وهذا من الاتساع الدلالي الذي تمنحه القراءات المختلفة للنص القرآني. ويمكن ربط دلالة الجمع كذلك بخاصية الزم التي يتميز بها صوت الميم الذي وقع عليه التشديد هنا، وتكون هذه الخاصية باجتماع الشفتين وانطباقهما «وخروج الهواء كله من المجرى الأنفي»[3] فاجتماع عضوَي النطق وانطباقهما يناسب اجتماع المال عند هذا الشخص وشدة حبه له والتصاقه به فلا يترك منفذا يُنفذ إليه منه، كما لا يترك زمُّ الشفتين منفذا للهواء، فيخرج عبر التجويف الأنفي. والأمر نفسه بالنسبة للفظ عدّده، حيث يرى الرازي أن التشديد هنا للدلالة على كثرة هذا المال المعدود ووفرته حتى ألهى صاحبه عن كل شيء.

١- سورة الهُمَزة، الآية: ٢.
٢- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٢ ص ٩٢- ٩٣.
٣- زاهيد، عبد الحميد، علم الأصوات وعلم الموسيقى- دراسة صوتية مقارنة، سلسلة الصوت ١، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص ٩٩.

مثال آخر عن هذا الايحاء الصوتي لظاهرة التشديد نجده عند الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ﴾[١]، حيث قال: «قالَ المُفَسِّرُونَ: وإنَّما جاءَ غَلَّقَتْ عَلى التَّكْثِيرِ لأنَّها غَلَّقَتْ سَبْعَةَ أبْوابٍ، ثُمَّ دَعَتْهُ إلى نَفْسِها.»[٢] لقد ربط الرازي على غرار جمهرة المفسرين بين مجيء الفعل على صيغة التضعيف (غلّقت) بدل صيغة التعدية (أغلقت)، وبين كثرة الأبواب التي قامت امرأة العزيز بإغلاقها لتنفرد بيوسف عليه السلام، وكثرة الأبواب، التي بلغ عددها سبعة، تعني تكرار فعل الإغلاق مع كل باب، كما أنّ هذه الصيغة تناسب الجهد العضلي المضاعف الذي بذلته هذه المرأة في إحكام إغلاق هذه الأبواب كلها[٣].

وهاهنا نموذج آخر نستدل به على كثرة هذه الظاهرة في تفسير الرازي، فعلى غرار صيغة (غلّق) يفسّر قراءة التشديد في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾[٤]، قائلا: «قَرَأ عاصِمٌ وحَمْزَةُ والكسائِيُّ فُتِحَت خَفِيفَةً والباقُونَ بالتَّثْقِيلِ والمَعْنى كَثُرَتْ أبْوابُها المُفَتَّحَةُ لنُزُولِ المَلائِكَةِ... فَإنْ قِيلَ قَولُهُ: وفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أبْوابًا يُفِيدُ أنَّ السَّماءَ بِكُلِّيَّتِها تَصِيرُ أبْوابًا، فَكَيْفَ يُعْقَلُ ذَلِكَ؟ قُلْنا فِيهِ وُجُوهٌ: أحَدُها: إنَّ تِلْكَ الأبْوابَ لَمَّا كَثُرَتْ جِدًّا صارَتْ كَأنَّها لَيْسَتْ إلّا أبْوابًا مُفَتَّحَةً»[٥]، ولا شكّ أنّ تكرير الفعل المستفاد من هذه القراءة يناسب كثرة أبواب السماء التي تفتح في هذه اللحظة، حتى كأنّه لا يبقى موضع فيها إلاّ وفتح منه

١- سورة يوسف، الآية: ٢٣.
٢- الرازي، مفاتيح الغيب: ج١٨ ص ١١٥.
٣- وفي الشاهد نفسه يقول البقاعي: «وغلّقت أي تغليقًا كثيرًا» انظر نظم الدرر: ج١٠ ص ٦٠. ويقول ابن عاشور: «وتَضْعِيفُ غَلَّقَتِ لإفادَةِ شِدَّةِ الفِعْلِ وقُوَّتِه، أيْ أغْلَقَتْ إغْلاقًا مُحْكَمًا.» تفسير التحرير والتنوير، ج١٢ ص ٢٥٠.
٤- سورة النبأ، الآية: ١٩.
٥- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٣١ ص ١٢، وفي ذلك يقول ابن عاشور رابطا قراءة التشديد بقوة الفعل وشدته: «وقَرَأ نافِعٌ وابْنُ كَثِيرٍ وابْنُ عامِرٍ وأبُو عَمْرٍو وأبُو جَعْفَرٍ ويَعْقُوبُ وفُتِّحَتْ بتَشْدِيدِ الفَوْقِيَّةِ، وهُوَ مُبالَغَةٌ في فِعْلِ الفَتْحِ بكَثْرَةِ الفَتْحِ أوْ شِدَّتِه إشارَةً إلى أنَّهُ فَتْحٌ عَظِيمٌ لِأنَّ شَقَّ السَّماءِ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلّا اللهُ». التحرير والتنوير، ج٣٠ ص ٣٢.

باب، كما تدلّ هذه الصيغة كذلك على كون أبواب السماء قد فُتحت على مصراعيها وأشرعت على أقصى حدودها وهذه الدلالة مناسبة جدا لسياق الآية.

٢– المبالغة في الفعل وقوة الحدث

ومن نماذج هذا الملحظ تفسير الرازي لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾[١]، مقارنة مع قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ قائلا: «الكذّابُ بالتَّشْديد يُفيدُ المُبالَغَةَ، فَوُرُودُهُ في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾(النبأ: ٢٨) مُناسبٌ لأنَّهُ يُفيدُ المُبالَغَةَ في وصْفهمْ بالكَذب، أمّا وُرُودُهُ هاهُنا فَغَيْرُ لائق، لأنَّ قَوْلَهُ: لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْوًا ولا كذَّابًا يُفيدُ أنَّهُمْ لا يَسْمَعُونَ الكَذبَ العَظيمَ وهَذا لا يَنْفي أنَّهُمْ يَسْمَعُونَ الكَذبَ القَليلَ، ولَيْسَ مَقْصُودُ الآيَة ذَلكَ بَل المَقْصُودُ المُبالَغَةُ في أنَّهُمْ لا يَسْمَعُونَ الكَذبَ البَتَّةَ، والحاصلُ أنَّ هَذا اللَّفْظَ يُفيدُ نَفْيَ المُبالَغَة، واللّائقُ بالآيَة المُبالَغَةُ في النَّفْي والجَوابُ: أنَّ الكسائيَّ قَرَأ الأوَّلَ بالتَّشْديد والثّانيَ بالتَّخْفيف، ولَعَلَّ غَرَضَهُ ما قَرَّرْناهُ في هَذا السُّؤال، لأنّ قراءَةَ التَّخْفيف هاهُنا تُفيدُ أنَّهُمْ لا يَسْمَعُونَ الكَذبَ أصْلاً، لأنّ الكذابَ بالتَّخْفيف والكَذبَ واحدٌ لأنّ أبا عَليٍّ الفارسيَّ قالَ: كذابٌ مَصْدَرُ كَذَبَ كَكتاب مَصْدَرُ كَتَبَ فَإذا كانَ كَذَلكَ كانَت القراءَةُ بالتَّخْفيف تُفيدُ المُبالَغَةَ في النَّفْي، وقراءَةُ التَّشْديد في الأوَّل تُفيدُ المُبالَغَةَ في الثُّبُوت فَيَحْصُلُ المَقْصُودُ مِن هَذهِ القراءَة في المَوْضعَيْن عَلى أكْمَل الوُجُوه،... وإنْ أخَذْنا بقراءَة التَّشْديد في المَوْضعَيْن وهيَ قراءَةُ الباقينَ، فالعُذْرُ عَنْهُ أنَّ قَوْلَهُ: لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْوًا ولا كَذّابًا إشارَةٌ إلى ما تَقَدَّمَ من قَوْله: وكَذَّبُوا بآياتنا كذّابًا والمَعْنى أنَّ هَؤُلاء السُّعَداءَ لا يَسْمَعُونَ كَلامَهُمُ المُشَوَّشَ الباطلَ الفاسدَ، والحاصلُ أنَّ النِّعَمَ الواصلَةَ إلَيْهِمْ تَكُونُ خالِيَةً عَنْ زَحْمَة أعْدائهِمْ وعَنْ سَماعِ كَلامِهِمُ الفاسِدِ وأقْوالِهِمُ الكاذِبَة الباطلَة»[٢].

١– سورة النبأ، الآية: ٣٥.
٢– الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١ ص ٢٢.

لقد فسّر الرازي ورود لفظ كذّاب في الآية الأولى بما يتماشى مع فكرته من دلالة التشديد على المبالغة والشدّة، وذلك مناسب لسياق الآية التي تفيد المبالغة في وصف المشركين بالكذب، ولشدّة يقينه بهذه الدلالة راح يلتمس تخريجًا دلاليًا مغايرًا لقراءة التشديد التي لا تناسب السياق في الآية الثانية، لأنّ ورود اللفظ بالتشديد في هذه الآية يفيد نفي المبالغة في الكذب، وهذا لا ينفي عدم المبالغة فيه، بينما اللائق بالآية المبالغة في النفي، أي لا يسمعون فيها لغوا ولا كذبا من أي درجة كان.

ومن أمثلة ذلك أيضا لفظ «يُمَسّكون» في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[1] فقد فسّره الرازي بالقول: «وقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عاصِمٍ يُمَسِّكُونَ مُخَفَّفَةً والباقُونَ بِالتَّشْدِيدِ... قال الواحدي: والتشديد أقوى، لأنّ التشديد للكثرة وهاهنا أريد به الكثرة»[2]. فالتّشديد في نظر الرازي – نقلا عن الواحدي– يدل على قوة الفعل، إلى جانب دلالته على كثرته، والمعنيان متكاملان في سياق الآية، فهي تفيد شدّة تمسّك هؤلاء بكتاب الله، وقوّة إصرارهم على الثبات في سبيل الله وعلى دينه القويم، كما تدل على الكثرة لأنّ هذا التمسك يجب أن يتجدد باستمرار في كل وقت وحين، وقد عبّر عن ذلك برهان الدين البقاعي بقوله: «أي يمسكون إمساكًا شديدًا يتجدد على وجه الاستمرار، وهو إشارة إلى أن التمسك بالسنة في غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور الفساد»[3].

ومن شواهده كذلك تفسير الرازي لقراءة التشديد في قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4]، حيث عقّب عليها بالقول: «أمّا

١- سورة الأعراف، الآية: ١٧٠
٢- الرازي، مفتاح الغيب، ج١٥ ص ٤٨.
٣- البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٨ ص ١٤٩.
٤- سورة النور، الآية: ١.

قَوْلُهُ: وفَرَضْناها فالمَشْهُورُ قراءَةُ التَّخْفيف، وقَرَأ ابْنُ كَثير وأَبُو عَمْرو بالتَّشْديد.... وأمّا قراءَةُ التَّشْديد فَقالَ الفَرّاءُ: التَّشْديدُ لِلْمُبالَغَة والتَّكْثير، أمّا المُبالَغَةُ فَمن حَيْثُ إنَّها حُدُودٌ وأحْكامٌ فَلا بُدَّ منَ المُبالَغَة في إيجابها لِيَحْصُلَ الانْقيادُ لقَبُولها، وأمّا التَّكْثيرُ فَلوَجْهَيْن: أحَدُهُما: أنَّ اللَّه تَعالَى بَيَّنَ فيها أحْكامًا مُخْتَلفَةً، والثّاني: أنَّهُ أوْجَبَها عَلى كُلِّ المُكَلَّفينَ إلى آخرِ الدَّهْر»[1] فنحن نرى كيف تلطف الرازي لتخريج هذه القراءة وبيان وجه البلاغة والبراعة فيها، حيث أبرز تناسبها التام مع معنى الآية، بالاعتماد على دلالة التشديد على المبالغة والكثرة، فالتّشديد على الرّاء في لفظ (فرّضناها) يدلّ على المبالغة في إيجاب الفروض والحدود والأحكام التي نصّ عليها النص القرآني في آياته وسوره، كما يدلّ كذلك على كثرة هذه الفروض وكثرة العباد المكلفين بها من لدن نزول القرآن إلى قيام الساعة.

٣- مراعاة التلاؤم واجتناب التنافر

ويعدّ هذا الملحظ الصوتي من التخريجات الجميلة التي فسّر بها الرازي مسألة التضعيف الناتج عن الإدغام، فمن الوظائف الأساسية للإدغام: «تخفيف النطق والاختصار، ليخرج الكلام سهلا دون تعثر، لأنه نطق قائم على التماثل الصوتي الأصلي أو الناتج عن القلب»[2]. يتضح ذلك من خلال تفسيره للتغييرات التي طرأت على لفظ «مُدَّكِر» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[3]، يقول الرازي: «مُدَّكِر مُفْتَعِلٌ من ذَكَرَ يَذْكُرُ وأصْلُهُ مُذْتَكِرٌ [لَمّا] كانَ مَخْرَجُ الذّالِ قَريبًا من مَخْرَج التّاء، والحُرُوفُ المُتَقارِبَةُ المَخْرَج يَصْعُبُ النُّطْقُ بها عَلى التَّوالي ولهَذا إذا نَظَرْتَ إلى الذّال مَعَ التّاء عِنْدَ النُّطْق تَقْرُبُ الذّالُ من أنْ تَصيرَ تاءً والتّاءُ تَقْرُبُ من أنْ تَصيرَ دالاً فَجُعِلَ التّاءُ دالاً ثُمَّ أُدْغِمَتِ الذالُ فيها،

١- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٢٣ ص ١٣٠.
٢- الأنصاري، عبد الله بن محمد بن مهدي، القرينة الصوتية في النحو دراسة نظرية تطبيقية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠١٣، ص ٣٤٣.
٣- سورة القمر، الآية: ١٥.

ومنهُمْ مَن قَرَأَ عَلى الأَصْلِ مُذْتَكِرٌ، ومنهُمْ مَن قَلَبَ التّاءَ دالاً وقَرَأَ مُذْدَكِرٌ، ومنَ اللُّغَوِيِّينَ مَن يَقُولُ فِي مُدَّكِرٍ مُذْدَكِرٌ فَيَقْلِبُ التّاءَ ولا يُدْغِمُ ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ، والمُدَّكِرُ المُعْتَبِرُ المُتَفَكِّرُ»[1]،

لقد طرأت تحويلات كثيرة على البنية العميقة للفظ (مذتكر)، للوصول إلى البنية السطحية التي هي (◈)، فقد قُلبت التاء أولاً إلى دال لتناسب الذال، ثم أدغمت الذال في الدال في إطار مماثلة تقدمية[2]، من أجل تحقيق درجة أعلى من التناسب والتلاؤم، وذلك لأنّ بقاء اللفظ على أصله يُحدث ثقلاً في النطق وتنافرا في اللفظ، ناتجا عن تقارب أصوات الذّال والدّال والتّاء في المخرج؛ فالذّال أسنانية، والتّاء والدّال أسنانية لثوية. ونوضح هذه التغييرات في الرسم الآتي:

ومن نماذجه كذلك تعليق الرازي على قراءة لفظ «تزّكى» بالتشديد في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[3] يقول: «التَّشْدِيدُ عَلى إدْغام تاءِ التَّفَعُّلِ في الزّاي لِتَقارُبِهِما والتَّخْفِيف»[4]، فأصل الفعل على هذه القراءة هو (تتزكى)، ونظرا لتوالي التّاءين واتّحاد مخرجهما مع مخرج الزّاي، أدغمت التّاء الثانية في الزّاي تجنبا للتنافر وتحصيلا للتخفيف والتلاؤم، أما قراءة التخفيف (تزَكى) فلا يرد عليها هذا الملحظ.

١- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٩ ص ٤٢.
٢- ينظر بخصوص المماثلة التقدمية: مالبرج، برتيل، علم الأصوات، ترجمة ودراسة: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤، ص ١٤١- ١٤٢.
٣- سورة النازعات، الآية: ١٨.
٤- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١ ص ٤١.

ثالثا: مراعاة التناسب الصوتي في الفواصل القرآنية

يعدّ نظام الفواصل من أبرز المياسم الأسلوبية للنّص القرآني التي تَفرّد بها عن كثير من النصوص اللغوية، حيث تمنحه هذه الفواصل نظامًا صوتيًا وتركيبيًا فريدًا، وللفاصلة القرآنية تجليات وأشكال ومظاهر غنية ومتنوعة، جعلت الدارسين يختلفون في تحديد مفهومها تحديدًا دقيقًا، فقد أورد السيوطي عددًا من تعريفات العلماء لمصطلح الفاصلة في قوله: «الفاصلة كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع، وقال الداني: كلمة آخر الجملة.... وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني. وفرّق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، فقال: الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها، وكلّ رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية»[1].

نستنتج من هذا النص أنّ مصطلح الفاصلة في بحوث القدماء كان يتراوح بين الدلالة على كلمة آخر الآية، وهو في هذا يشبه قافية الشعر وقرينة السجع، أو الدلالة على كلمة آخر الجملة، وهذه قد تكون رأس آية وقد لا تكون، وقد يدلّ على الحروف المتشاكلة في المقاطع، وهذا أخصّ من الكلمة. وبغض النظر عن هذه التفصيلات، فسنعتبر مفهوم الفاصلة هنا كما ورد في نماذج الرازي هو تشاكل رؤوس الآيات، وهذا التشاكل قد يكون في صوت واحد أو أكثر، وقد يكون في كلمة كاملة أو أكثر من كلمة.

وقد اعتمد الرازي على مبدأ مراعاة التناسب الصوتي في الفواصل لتفسير كثير من الاختيارات اللفظية والصوتية للقرآن الكريم، في مقدمتها انتقاء اللفظ، والحذف، والتقديم والتأخير، والإمالة، وإطلاق الألف للترنم.

١- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م، ج٣ ص ٢٩٠-٢٩١.

١ – انتقاء اللفظ

ويتبدّى هذا الملحظ -في نظر الرازي- في كثير من الشواهد القرآنية التي تتفق في الدلالة ولكن تختلف في الفاصلة، وذلك لكي تناسب كل فاصلة الفواصل التي قبلها والتي بعدها، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [٢]، يقول الرازي: «قالَ هاهُنا: مُنْقَعِر فَذَكَّرَ النَّخْلَ، وقالَ في (الحاقَّة): كَأَنَّهُمْ أعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ فَأنَّثَها، قالَ المُفَسِّرُونَ: في تِلْكَ السُّورَةِ كانَتْ أواخِرُ الآياتِ تَقْتَضِي ذَلِكَ لِقَوْلِه: مُسْتَمِرٌّ ومُنْهَمِرٍ ومُنْتَشِرٌ [القَمَر: ١٩، ١١، ٧] وهُوَ جَوابٌ حَسَنٌ، فَإنَّ الكَلامَ كَما يُزَيَّنُ بِحُسْنِ المَعْنى يُزَيَّنُ بِحُسْنِ اللَّفْظِ،... وهَذا غايَةُ الإعْجازِ حَيْثُ أتى بِلَفْظٍ مُناسِبٍ لِلْألْفاظِ السّابِقَةِ واللّاحِقَةِ مِن حَيْثُ اللَّفْظِ، فَكانَ الدَّلِيلُ يَقْتَضِي ذَلِكَ، بِخِلافِ الشّاعِرِ الَّذِي يَخْتارُ اللَّفْظَ عَلى المَذْهَبِ الضعيف لأجل الوزن والقافية»[٣] فالآيتان معا تحيلان على قصة قوم عاد لما كذبوا بآيات الله فسلّط عليهم عاصفة عاتية أهلكتهم، لكن لما اختلفت رؤوس الآيات بين سورة القمر وسورة الحاقة، اختار التعبير القرآني لكل سورة ما يناسب فواصلها، فقال في سورة القمر (نخل منقعر) ليناسب ما قبله (مستمر – منهمر – منتشر) وقال في سورة الحاقة (نخل خاوية) ليناسب ما قبله وبعده (الطاغية – عاتية– باقية). وقد عدّ الرازي هذا التناسب الذي يجمع بين المعطى الصوتي ومقتضى الدلالة غاية في الإعجاز لأنّه يخالف صنيع الشعراء الذين يسعون وراء القوافي ويرضون بأدنى تعلق دلالي.

ومن شواهد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [٤]، فقد تساءل الرازي لمَ جاء (فيعتذرون) مرفوعا بثبوت النون، مع أنّ له نظيرا

١- سورة القمر، الآية: ٢٠.
٢- سورة الحاقة، الآية: ٧.
٣- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٩ ص٤٨- ٤٩.
٤- سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥- ٣٦.

في آية أخرى جاء منصوبا بحذفها وهو قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾[1]، فجاء جوابه: «الفاء هاهنا للنَّسَق فَقَطْ، ولا يُفيدُ كَوْنَهُ جَزاءً البتة، ومِثْلُهُ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البَقَرَة، ٢٤٥] بالرَّفْع والنَّصْب، وإنَّما رُفِعَ يَعْتَذِرُونَ بالعَطْف لأنّهُ لَوْ نُصِبَ لَكانَ ذَلكَ يُوهِمُ أنَّهُمْ ما يَعْتَذِرُونَ لأنَّهُمْ لَمْ يُؤْذَنُوا في الاعْتذار، وذَلكَ يُوهِمُ أنَّ لَهُمْ فيه عُذْرًا مُنِعُوا عَنْ ذكْرِه وهُوَ غَيْرُ جائز. أمّا لَمّا رُفِعَ كانَ المَعْنى أنَّهُمْ لَمْ يُؤْذَنُوا في العُذْرِ وهُمْ أيْضًا لَمْ يَعْتَذِرُوا لا لأجْلِ عَدَمِ الإذْنِ بَلْ لأجْلِ عَدَمِ العُذْرِ في نَفْسِهِ، ثُمَّ إنَّ فيه فائدَةً أُخْرى وهِيَ حُصُولُ المُوافَقَةِ في رُؤوسِ الآياتِ لأنّ الآياتِ بالواوِ والنُّونِ، ولَوْ قِيلَ: فَيَعْتَذِرُوا لَمْ تَتوافَقِ الآياتُ، ألَا تَرى أنَّهُ قالَ في سُورَةِ اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ: ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القَمَر: ٦] فَثَقَّلَ لأنّ آياتِها مُثَقَّلَةٌ، وقالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطَّلاق ٨] وأجْمَعَ القُرّاءُ عَلى تَثْقِيلِ الأوَّلِ وتَخْفِيفِ الثّاني لِيُوافِقَ كُلٌّ مِنهُما ما قبله.»[2]، لقد جاء جواب الرازي جامعا بين التفسير الدلالي وهو كون اللفظ جاء مرفوعا ليدلّ على أنّ هؤلاء لم يعتذروا لأنهم لا يملكون عذرا مقبولا، والتفسير الصوتي وهو مجيء اللفظ مناسبا في المقطع الأخير لما قبله وما بعده من الفواصل التي تنتهي بالنون المسبوقة بالواو أو الياء. كما أورد نظيرا آخر لهذا الملحظ في غاية الدلالة، وهو ورود لفظ (نكُر) في سورة القمر بضم الكاف ليناسب الفواصل التي اكتنفته، بينما ورد في سورة الطلاق بسكون الكاف ليناسب سياقه كذلك.

وفي آية أخرى يستشهد الرازي بكلام الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) الذي يفسر فيه سبب اختيار لفظ الطغوى بدل الطغيان -وكلاهما مصدر طغى- في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾[3]، «قالَ الفَرّاءُ: الطُّغْيانُ والطَّغْوى مصدران إلا أنّ الطغوى

١- سورة فاطر، الآية: ٣٦.
٢- الرازي، مَفَاتيح الغيب، ج٣٠ ص ٢٨٠ -٢٨١.
٣- سورة الشمس، الآية: ١١.

أشبه برؤوس الآيات فاخْتِيرَ لِذَلِكَ وهُوَ كالدَّعْوى مِنَ الدُّعاء»[١]؛ فالفرّاء -ومعه الرازي- يرى أنّ الطغوى والطغيان معا يناسبان سياق الآيات دلاليًا، لكن اختيار الطغوى، يفسّره الحرص على الجمع بين المحتوى الدلالي والجمال الصوتي، لكونه يناسب رؤوس الآيات التي قبله والتي بعده وهي: زكّاها- دسّاها - أشقاها..، بل إنّ السورة كلها مبنية على هذه الفاصلة، فلو جاءت هذه الفاصلة بخلاف هذا اللفظ لكان كسرًا واضحًا في موسيقى فواصلها.

٢- الحذف

ويقصد بالحذف هنا إسقاط صوت ما -صامتًا أو صائتًا- من آخر الكلمة التي تأتي في فاصلة الآية، وقد فسّر الرازي كثيرًا من مواضع الحذف في الفواصل القرآنية بمراعاة التناسب الصوتي بينها وبين ما قبلها وما بعدها من الآيات، وهذا من الاعتبارات الإيقاعية المهمة التي يجري عليها نسق القرآن. ومن شواهد حذف الصامت التي ذكرها الرازي قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٢]، يقول الرازي مفسرًا: «والقلى البُغْضُ. يُقالُ: قَلاهُ يَقْلِيه قِلًى ومَقْلِيَةً إذا أبْغَضَهُ، قالَ الفَرّاءُ: يُرِيدُ وما قَلاكَ، وفي حَذْفِ الكاف وُجُوهٌ أحَدُها: حُذِفَتِ الكافُ اكْتِفاءً بالكاف الأُولى في ودَّعَكَ، ولأنّ رؤوس الآيات بالياء، فَأوْجَبَ اتِّفاقُ الفَواصِلِ حَذْفَ الكاف وثانيها: فائدَةُ الإطْلاقِ أنَّهُ ما قَلاكَ ولا [قلا] أحدًا من أصْحابِكَ ولا أحَدًا ممَّنْ أحَبَّكَ إلى قِيامِ القِيامَةِ»[٣]، فقد قرر الرازي بداية، أُسوة بالفراء، أنّ عطف لفظ (قلى) على لفظ (ودّعك) يوجب أن يكون أصله (قلاك)، لأنّ الخطاب للنبي- صلى الله عليه وسلام-، لكنّه ورد خارجًا عن الأصل بحذف كاف الخطاب، وموجب هذا الحذف عند الرازي لفظي ومعنوي، أمّا اللفظي فهو مراعاة اتفاق

١- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١ ص ١٩٥.
٢- سورة الضحى، الآية: ٣.
٣- الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١ ص ٢١٠.

الفواصل؛ فالآيات التي قبلها والتي بعدها تنتهي كلّها بألف مقصورة، ولو ثبتت الكاف في (قلى)، لما تحقق هذا التناسب، وأمّا الموجب المعنوي لحذف الكاف فهو إطلاق دلالة اللفظ لتشمل النبي- عليه الصلاة والسلام- وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم القيامة.

وأما حذف الصائت فقد ذكر الرازي كثيرًا من نماذجه، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾[1]، حيث أشار إلى حذف الياء من كلمتي (كيدوني وتنظروني)، فقد «أَثْبَتَ نافِعٌ وأَبُو عَمْرٍو الياءَ فِي كِيدُونِي، والباقُونَ حَذَفُوها ومِثْلُهُ فِي قَوْلِه: فَلا تُنْظِرُونِ. قالَ الواحِدِيُّ، والقَوْلُ فِيهِ إِنَّ الفَواصِلَ تُشْبِهُ القَوافِيَ، وقَدْ حَذَفُوا هَذِهِ الياءاتِ إِذا كانَتْ فِي القَوافِي... والَّذِينَ أَثْبَتُوها فَلأَنَّ الأَصْلَ هُوَ الإِثْباتُ»[2].

وعليه ينبغي بداية التمييز من الناحية الصوتية بين التغيير الذي وقع في كلمة (كيدوني)، والذي وقع في كلمة (تُنظروني)، فرغم أنّنا نلاحظ من الناحية الخطية سقوط الياء من الكلمتين، وهو ما دفع الرازي وغيره من القدماء إلى القول بأنّها محذوفة، ولكنْ هناك فرق بين الكلمتين صوتيًا، لأنّ قراءة (كيدونِ) بالكسرة يعني أنّ الصائت الطويل (الياء) لم يحذف كلية، وإنّما تم اختلاس مُدته الزمنية واختزالها حتى صارت في زمن النطق بالصائت القصير من جنسه وهو (الكسرة)، فتم تعويضه بها كتابيًا[3]، أما لفظ (تُنظرونْ) بالوقف على السكون فقد حُذف منه الصائت الطويل (الياء) بالفعل، والعلّة في ذلك في نظر الرازي،

١- الأعراف، الآية: ١٩٥.
٢- الرازي، مفاتيح الغيب: ج١٥ ص ١٩٨.
٣- وفي نظير هذه المسألة يقول عبد الحميد زاهيد معلقًا على نص للفراء في الموضوع: «فالإثبات والحذف الواردان عند الفراء هما وصفان لما يجري على المستوى الكتابي، أما ما يجري على المستوى الصوتي فشيء آخر، فإثبات الياء معناه إتمام مدة الحركة، وحضور الياء علامة على إتمامها، أما الحركة (ي) في غلام فالأصح أنها مختزلة وليست محذوفة (...) فقد تحولت الحركة في (غلام) من حركة طويلة إلى حركة قصيرة.» ينظر: حركات العربية- دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، ص ١٤٢.

على غرار الواحدي، مراعاة التناسب الصوتي للفواصل، التي تشبه القوافي في الشعر، وكما أنّ الحذف في القوافي سائغ لتحقيق التقفية، فهو كذلك في الفواصل مطلوب لتحقيق التناسب والمشاكلة الصوتية؛ والفواصل التي تكتنف هذه الآية كلها منتهية بالنون الساكنة المردوفة بالواو أو الياء، ولو ثبتت الياء في نهاء اللفظ (تنظرون) لوقع كسر في إيقاع الفواصل.

ومن الآيات الأخرى التي فسّرها الرازي باعتماد ظاهرة مراعاة التناسب الصوتي للفواصل قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[١]، حيث عقّب عليها بالقول: «المَسْأَلَةُ الثّالِثَةُ: قالَ تعالى من قبل: فَفَتَحْنا، وفَجَّرْنا، وبأَعْيُننا، ولَمْ يَقُلْ كَيْفَ كانَ عَذابُنا؛ نَقُولُ لِوَجْهَيْنِ أحَدُهُما: لَفْظِيٌّ وهُوَ أنَّ ياءَ المُتَكَلِّمِ يُمْكِنُ حَذْفُها لأنّها في اللَّفْظِ تَسْقُطُ كَثِيرًا فِيما إذا التَقى ساكِنان، تَقُولُ: غُلامِي الَّذَي، وداري الَّتِي، وهُنا حُذِفَتْ لِتَواخِي آخِرِ الآياتِ، وأمّا النُّونُ والألِفُ في ضَمِيرِ الجَمْعِ فَلا تُحْذَفُ»[٢]، لقد لاحظ الرازي أنّ التعبير القرآني في الآيات السابقة كان باستخدام نون الجمع الدالة على التعظيم، لكنّ الخطاب في هذه الآية تحوّل إلى استخدام ياء المتكلم، ليتم حفظ النسق الصوتي للفواصل بعد حذفها، دون الوقوع في اللبس، وذلك لأنّ الياء في كلام العرب تحذف كثيرًا، وتسقط بسهولة ويسر، وفي ذلك يقول الفرّاء: «للعرب في الياءات التي في آخر الحروف (...) أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة، (...) فيقولون هذا غلامي قد جاء، وغلام قد جاء»[٣].

وقد رفضت عائشة بنت الشاطئ أن يكون مسوغ الحذف في هذه الشواهد التي ذكرها الرازي ونقلها عن غيره من العلماء والمفسرين، هو مراعاة التناسب

١- سورة القمر، الآية: ١٦، ولأمثلة أخرى انظر: مفاتيح الغيب، ج٣٠ ص ٧١.
٢- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٢٩ ص ٤٢- ٤٣.
٣- الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص/ ٢٠٠- ٢٠١.
وانظر كذلك: عتيق، عمر عبد الهادي، ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، التركيب والرسم والإيقاع: عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص ٢٦٤.

الصوتي في الفواصل فقط، إنّما ورد لمقتضيات معنوية يقويها الأداء اللفظي؛ تقول: «وأمّا تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل»[1]. ونحن لا نضيّق واسعًا؛ فكما وردت ظواهر نصيّة في القرآن الكريم الغاية منها مقتضيات معنوية محضة، فكذلك لا شيء يمنع من وروود ظواهر أخرى، مثل ما نحن بصدده، الهدف منها الملحظ اللفظي، ثم إنّ النص القرآني منفتح على الجمع بين المقتضيات المعنوية واللفظية، دون الحاجة لأن تكون إحداها أصلا والأخرى فرعا، لأنّه نص إلهي في الطبقة العليا من البلاغة والبيان.

٣- التقديم والتأخير

يعدّ التقديم والتأخير من الملامح التركيبية المهمة في النص القرآني، وتختلف الغاية منه حسب سياقه من النص، ويعد مراعاة التناسب الصوتي في الفواصل من الغايات الكبرى التي ذكرها الرازي لهذا الملمح في تفسيره، فقد عقب على قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[2]، بعد أن ذكر أقوال العلماء والمفسرين في تفسير لفظ «الغساق» فقال: «إنْ فَسَّرْنا الغَسّاقَ بالبارد كانَ التَّقْديرُ: لا يَذُوقُونَ فيها بَرْدًا إلاّ غَسّاقًا ولا شَرابًا إلاّ حَميمًا، إلاّ أنَّهُما جُمِعا لأَجْلِ انْتِظامِ الآي، ومِثْلُهُ مِنَ الشِّعْرِ قَوْلُ امْرِئِ القَيْسِ:

كَأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابِسًا لَدى وكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي

والمَعْنى كَأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا العُنّابُ ويابِسًا الحَشَفُ البالي»[3] لقد ذهب

١- عبد الرحمن، عائشة، التفسير البياني للقرآن، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٥) دار المعارف، القاهرة، ط٧، (ب ت)، ص ج١ ص ٣٥.
٢- سورة النبأ، الآيتان: ٢٤- ٢٥.
٣- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٣١ ص ١٦. (تلفظ الكلمات صوتيا عند الإمالة هكذا: عِيْبِد، سِيْلِم، جِيْلِس)

أغلب المفسرين إلى أنّ في الآيتين تقديمًا وتأخيرًا على طريقة اللف والنشر، كما ذكر ابن عاشور حيث قال: «واسْتِثْناءُ حَمِيمًا وغَسّاقًا مِن بَرْدًا أوْ شَرابًا عَلى طَرِيقَةِ اللَّفِّ والنَّشْرِ المُرَتَّبِ، وهُوَ اسْتِثْناءٌ مُنْقَطِعٌ لأنّ الحَمِيمَ لَيْسَ مِن جِنْسِ البَرْدِ في شَيْءٍ إذْ هُوَ شَدِيدُ الحَرِّ، ولأنّ الغَسّاقَ لَيْسَ مِن جِنْسِ الشَّرابِ»[١] لكنهم لَم يذكروا أنّ الغاية من هذا التقديم والتأخير هي مراعاة انتظام الآيات، ونحسب هذا من النُّكَت البيانية التي انفرد بها الرازي، ولعلّه لا يقصد بانتظام الآيات تناسب الفواصل صوتيًا فحسب، بل يقصد كذلك ما ينتج عن الجمع بين المستثنى منه الأول والثاني في آية، والمستثنيين الأول والثاني في آية أخرى، من حسن النظم وبراعة السبك، وأخذ الكلم بعضها بأعناق بعض.

٤ – الإمالة

الإمالة عند علماء العربية هي: «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء، لضرب من تجانس الصوت، وذلك قولك في (عابد) عابد، وفي (سالم) سالم، وفي (جالس) جالس، وفي (رمى) رمى، وفي (سعى) سعى ونحو ذلك»[٢]. أما في الصوتيات الحديثة فـ«تعدّ الإمالة ألفونا حركيا لأنّها تَحَقُّق صوتي يضاف إلى حركات اللغة العربية. فهي حركة تتوسط الفتحة والكسرة، فلا هي بفتحة خالصة، ولا كسرة خالصة»[٣]؛ نلاحظ من هذين النصين أنّ الإمالة هي صائت نصفه فتحة ونصفه كسرة، طويلتين كانتا أو قصيرتين، أمّا الغاية الأساسية لإنتاج هذا الصائت الجديد الذي هو الإمالة فقد عبّر عنها ابن جني بالتجانس الصوتي، لأنّه ينتج عن الإمالة صائت يجمع بين خصائص الفتحة وخصائص الكسرة.

١- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج٣٠ ص ٣٨. انظر كذلك: البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر، ج٢١ ص ٢٠٦.

٢- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ)، اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٣١١.

٣- زاهيد، عبد الحميد، حركات العربية- دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، ص ١٠٦.

وقد تنبّه الرازي إلى هذه المقصديّة من الإمالة، ونصّ عليها في تفسيره لبعض الفواصل القرآنية التي قُرئت بها، ومن ذلك فواصل سورة الشمس التي عقّب عليها بالقول: «القُرّاءُ مُخْتَلِفُونَ في فَواصِلِ هَذِهِ السُّورَةِ وما أَشْبَهَها نَحْوَ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾(الليل:١)، ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الضحى: ١-٢) فقرؤوها تارَةً بالإمالَةِ وتارَةً بالتَّفْخيم وتارَةً بَعْضَها بالإمالَةِ وبَعْضَها بالتَّفْخيم، قالَ الفَرّاءُ: بِكَسْرِ ضُحاها، والآياتُ الَّتِي بَعْدَها وإنْ كانَ أَصْلُ بَعْضِها الواوَ نَحْوَ: تَلاها، وطَحاها ودَحاها، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَإِنَّهُ لَمّا ابْتُدِئَت السُّورَةُ بِحَرْفِ الياءِ أَتْبَعَها بِما هُوَ مِنَ الواوِ لأنّ الألِفَ المُنْقَلِبَةَ عَنِ الواوِ قَدْ تُوافِقُ المُنْقَلِبَةَ عَنِ الياءِ، ألا تَرى أنَّ تَلَوْتُ وطَحَوْتُ ونَحْوَهُما قَدْ يَجُوزُ في أفْعالِها أنْ تَنْقَلِبَ إلى الياءِ نَحْوَ: تَلِيَ ودَحِيَ، فَلَمّا حَصَلَتْ هَذِهِ المُوافَقَةُ اسْتَجازُوا إمالَتَهُ كَما اسْتَجازُوا إمالَةَ ما كانَ مِنَ الياءِ»[1]. يبدو من استشهاد الرازي بكلام الفرّاء حول الإمالة، أنّه يميل إلى هذا الوجه من القراءة، كما أنّ في هذا الاستشهاد اقتناع بالتوجيه الصوتي الذي ذكره الفرّاء لقراءة الإمالة، فهذه القراءة في نظر الفرّاء تحافظ على التجانس الصوتي والمشاكلة بين فواصل هذه السورة ومثيلاتها التي ذكرها الرازي، فهذه الفواصل أصل بعضها الياء وأصل بعضها الآخر الواو، وإذا قرئت على أصولها فسيتم تفخيم التي بالواو وإمالة التي بالياء، وهذا لا يحقق التناسب الذي تحققه الإمالة، ولأجل هذا التناسب استجازوا إمالة ما كان منها بالواو وأتبعوه ما أصله ياء، ولشدّة حماسة الفرّاء لهذا الوجه من التناسب علّق على قراءة حمزة بقوله: «وكان حمزة يفتح ما كان من الواو، ويكسر ما كانَ من الياء، وذلك من قلّة البصر بمجاري كلام العرب»[2].

١- الرزاي، مفاتيح الغيب: ج٣١ ص ١٨٩- ١٩٠.
٢- الفرّاء، معاني القرآن، ج٣ ص ٢٦٦.

٥- إطلاق ألف الفاصلة

وتعدّ هذه الظاهرة من عادات العرب في الترنم عند الإنشاد والغناء، حتى إنّهم يُجيزونها في ما ينصرف وما لا ينصرف من الأسماء، يقول سيبويه: «أمّا إذا ترنموا فإنّهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لأنّهم أرادوا مد الصوت»[١]، فالغرض من إلحاق هذه الألف هو امتداد الصوت بالحرف، وبذلك يحصل الترنم الذي هو ترجيع الصوت بالتحبير والتطريب. وقد اعتمد الرازي على هذه الظاهرة في تفسير بعض الآيات والقراءات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[٢]، فقد عقّب عليه بقوله: «وقَرَأَ حَمْزَةُ لا تَخَفْ وفيه وجْهان. أحَدُهُما: أنَّهُ نَهْيٌ. والثّاني: قالَ أبُو عَلِيٍّ: جَعَلَهُ جَوابَ الشَّرْطِ عَلى مَعْنى إنْ تَضْرِبْ لا تَخَفْ، وعَلى هَذِهِ القِراءَةِ ذَكَرُوا في قَوْلِه: ولا تَخْشى ثَلاثَةَ أوْجُه. أحَدُهُما: أنْ يَسْتَأْنِفَ كَأنَّهُ قِيلَ وأنْتَ لا تَخْشى أيْ ومِن شَأْنِكَ أنَّكَ آمِنٌ لا تَخْشى. وثانيها: أنْ لا تَكُونَ الألِفُ هِيَ الألِفَ المُنْقَلِبَةَ عَنِ الياءِ الَّتِي هِيَ لامُ الفِعْلِ ولَكِنْ زائِدَةٌ لِلْإطْلاقِ مِن أجْلِ الفاصِلَةِ كَقَوْلِه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ (الأحزاب: ٦٧) ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ (الأحْزابِ: ١٠). وثالِثُها: أنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِه:

وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أسيرا يمانيا[٣]

فقد وجد الرازي أنّ ورود الألف في لفظ (تخشى) في فاصلة الآية لا يتناسب مع قراءة حمزة، لأنّ هذه القراءة توجب أن يكون الفعل مجزومًا بحذف حرف العلّة الألف، لكن علمه بمجاري كلام العرب، وأنّ القراءات القرآنية جارية على

١- سيبويه، عمرو بن عثمان الحارثي (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٨م، ج٤ ص ٢٠٤.

٢- سورة طه، الآية: ٧٧.

٣- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٢٢ ص٩٢. (لاحظ إثبات الألف في قوله لم ترى، وحقّها الحذف لعلة الجزم، وهذا من باب إطلاق الصوت)

سنن العرب في كلامها، جعله يوجه هذه القراءة إلى ظاهرة الإطلاق الصوتي من أجل مراعاة تناسب هذه الفاصلة مع ما قبلها وما بعدها، تماما كما تفعل العرب في قوافي أشعارها، بل إنّه دعم هذا التوجيه بآيات قرآنية أخرى وردت فيها الألف لأجل تناسب الفواصل وتلاؤمها، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[2]، وفي هذه الآيات يقول الزمخشري: «وزيادة الألف لإطلاق الصوت: جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف»[3]. فالألف في (الظنونا والسبيلا) ليس ألف تنوين النّصب، لأنّ الاسم المعرف لا ينون، كما أنّ الألف في (يخشى)، ليست منقلبة عن ياء الفعل، لأنّ الفعل هنا مجزوم بحذف حرف العلّة على قراءة حمزة، ومن ثم فهذه الألفات لها وظيفة أخرى هي تشاكل الفواصل والترنم والتطريب بإطلاق الصوت.

ولم يوظف الرازي هذه الظاهرة في هذه الآيات فقط، بل هناك آيات أخرى نكتفي بعرضها دون مناقشة لوضوحها، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ۝١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلًا﴾[5]، يقول الرازي: «قُرِئَ (سلاسلا) بالتنوين، وكذلك (قَوارِيرا قَوارِيرا)، ومِنهُمْ مَن

١- سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
٢- سورة الأحزاب، الآية: ١٠.
٣- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض بمشاركة فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ج٥ ص ١٠٠.
وفي السياق نفسه يقول الزركشي تعليقا على زيادة ألف (الظنونا): «لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتُساوي المقاطع، وتُناسب نهايات الفواصل»، انظر: البرهان في علوم القرآن، ج١ ص ٦٠-٦١.
٤- سورة الإنسان، الآية: ٤.
٥- سورة الإنسان، الآية: ١٥- ١٨.

يَصِلُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، ويَقِفُ بِالأَلِفِ... وأَمّا إِلْحاقُ الأَلْفِ في الوَقْفِ فَهُوَ كَإِلْحاقِها في قوله: (الظُّنُونا والرَّسُولا والسَّبيلا)، فيشبه ذلك بالإطلاق في القوافي»[١]. ويقول في لفظ سلسبيلا: «سَلْسَبِيلاً صُرِفَ لأَنَّهُ رَأْسُ آية، فصار كقوله الظُّنُونا والسَّبِيلا»[٢].

بقي أن نُنبّه هنا إلى أنّ ظاهرة ألف الإطلاق، في حقيقتها الصوتية، ليست زيادة ألف في آخر الفاصلة، كما يصفها القدماء، بل هي زيادة في المدة الزمنية للصائت القصير (الفتحة) حتى يصير صائتًا طويلًا من جنسها (الفتحة الطويلة / ألف المد)، ولذلك يتم إثبات الألف في الخط للدلالة على هذه الزيادة. كلّ ذلك ليتم التّرنّم والتّطريب بامتداد الصوت، والتناسبُ في الفواصل كلّها على نسق بديع دون كسر. وتحويل الحركة القصيرة إلى حركة طويلة في مقاطع الكلام وفواصله ظاهرة موسيقية معروفة، الغاية منها تحبير الصوت وتحسينه، يقول عبد الحميد زاهيد: «أمّا في الموسيقى، فإنّنا نُوظّف الحركات لغاية موسيقية وهي مدّ الأنغام والألحان، فتُكسب الصوت لذّة وجمالا»[٣].

١- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٣٠ ص ٢٤٠.
٢- المرجع نفسه: ج٣٠ ص ٢٥١.
٣- زاهيد، عبد الحميد، علم الأصوات وعلم الموسيقى-دراسة صوتية مقارنة، ص ص ١١٠-١١١.
ويقول في موضع آخر موضحًا هذه الظاهرة الموسيقية: «يتضح من هذه المعطيات أن أواخر المقاطع قبل اللحن إن كانت حركة طويلة فذلك هو المبتغى، وإن كانت حركة قصيرة تحولت إلى طويلة، وإن كانت حرفا أضيفت له حركة طويلة، لتصير نواة كل هذه المقاطع بعد اللحن حركة طويلة». نفسه، ص ١١٦.

خاتمة

وبعد؛ فهذه كانت جولة في رحاب تفسير مفاتيح الغيب للرازي، حاولنا من خلالها استجلاء مدى حضور الوعي الصوتي في الفعل التفسيري للنّص القرآني عند هذا المفسر، ومدى استثمار الأدوات الصوتية في تعليل الظواهر اللغوية، الإفرادية منها والتركيبة، وتوجيه الدّلالة النّصية القرآنية.

وقد توصلنا من خلال الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها:

١- كان فخر الدين الرازي، منذ الصفحات الأولى من تفسيره، واعيًا بأهمية المكوّن الصوتي في تفسير النص القرآني وبيان معانيه ودلالاته، لذلك مهّد لهذا التفسير بتقرير بعض المعطيات والحقائق الصوتية في جزئه الأول، ثم مضى في استحضار هذه المعطيات كلما دعت الحاجة إليها في التفسير.

٢- كانت المحاكاة الصوتية، والتضعيف والإدغام، والفواصل، ومختلف الظواهر الصوتية التي تزخر بها القراءات القرآنية، المجال الأبرز الذي وجد فيه الرازي مرتعًا خصبًا لتوظيف ثقافته الصوتية.

٣- وظف الرازي المكوّن الصوتي في التوجيه اللفظي والدلالي لكثير من الآيات القرآنية.

٤- إذا كانت الرغبة في تنزيه القرآن، جعلت بعض الدارسين يرفض الاهتمام بالظواهر الشكلية واللفظية في التوجيه الصوتي لبعض الظواهر النصية القرآنية، وجعلت بعضهم الآخر يضيف إلى الملحظ الصوتي مقتضيات معنوية أخرى، فإنّنا نعتقد أنّ المناسبة الصوتية لم تكن يومًا شأنًا لغويًا بلاغيًا هيّنًا أو محتقرًا في عرف الأدباء والشعراء والبلاغيين، ولم تكن بحاجة إلى مقتضيات معنوية تبيّنها وتبررها، بل كانت لها أهميتها ودلالتها وقيمتها الفنية

التي تجعلها غايةً في حدّ ذاتها، منتسبةً إلى جوهر البلاغة والفصاحة والبيان.

وبناء على هذه النتائج توصي هذه الدراسة بما يأتي:

١- الانكباب على دراسة أثر الظواهر الصوتية في تفسير آي القرآن الكريم عند مختلف علماء التفسير، وذلك للوقوف على مختلف التصورات والملامح العامة لهذه الظواهر في تفسير القرآن الكريم عامة.

٢- إيلاء الظواهر الصوتية قيمتها اللغوية وأهميتها النصية في مختلف الدراسات اللغوية والبلاغية المرتبطة بالنص القرآني.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٨٩م.
- الأنصاري، عبد الله بن محمد بن مهدي، القرينة الصوتية في النحو دراسة نظرية تطبيقية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠١٣.
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- البنا، زياد عبد الله عبد الصمد، دلالات الألفاظ الرباعية المضاعفة في القرآن الكريم، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر، العدد ٦٤، أكتوبر ٢٠٢٠م.
- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، (ب ط)، (د.ت).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، اللمع في العربية: تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة ٢، ١٩٨٥م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الفتح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار - بغداد، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- الرازي فخر الدين، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨١م.

- زاهيد، عبد الحميد، حركات العربية- دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، سلسلة الصوت (٤)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش-المغرب، ط١، أكتوبر ٢٠٠٥م.
- زاهيد، عبد الحميد، علم الأصوات وعلم الموسيقى- دراسة صوتية مقارنة، سلسلة الصوت ١، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض بمشاركة فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
- زهران، البدراوي، مبحث في قضية الرمزية الصوتية، طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.
- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- سيبويه، عمرو بن عثمان الحارثي (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٨م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.
- شادي، محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان (الرسالة)، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

- الضالع، محمد صالح، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، (ب ط)، ٢٠٠٢م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (ب ط)، ١٩٨٤.
- عبد الرحمن، عائشة، التفسير البياني للقرآن، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٥) دار المعارف، القاهرة، ط٧، (ب ت).
- عتيق، عمر عبد الهادي، ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، التركيب والرسم والإيقاع: عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ
- عكاشة، محمد، التطور الصوتي في الألفاظ أسبابه وظواهره، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- مالبرج، برتيل، علم الأصوات، ترجمة ودراسة: د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر -بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

References:

- Ibn al-Atheer, Majd al-Din Abu al-Saadat al-Mubarak bin Muhammad (d. 606 AH), Al-Nihayat Fi Gharayb Al-hadith w Al-Ather, achieved by: Taher Ahmad Al-Zawi and Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, Scientific Library - Beirut, 1399 AH - 1989 AD.
- Al-Ansari, Abdullah bin Muhammad bin Mahdi, the phonetic presumption in grammar, an applied theoretical study: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, 1st edition, 2013.
- Al-Beqai, Burhan Al-Din Abi Al-Hassan Ibrahim (d. 885 AH), Nethm Al-durar fi Tanasub Al-Ayat wa Al-suwer, Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo, 1404 AH - 1984 AD.
- Al-Binaa, Ziyad Abdullah Abdul-Samad, Dalalat Al'alfaz Al-rubaeiat Al-mudaeifat fi Al-quran Al-karim (The meanings of the double quadruple words in the Holy Qur'an), Jill Literary and Intellectual Studies Journal, Algeria, Issue 64, October 2020 AD.
- Ibn al-Jazari, Shams al-Din Muhammad ibn Muhammad (d. 833 AH), Munjid Al-muqriiyn wa Murshid Al-taalibin, Investigation: Zakaria Amirat, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, first edition, 1420 AH - 1999 AD.
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman (d. 392 A.H.), Al-Khasais, investigated by Muhammad Ali Al-Najjar, the Scientific Library, Cairo, (n.d).
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman (d. 392 A.H.), Al-Luma' in Arabic, Investigation: Hamed Al-Mu'min, Arab Renaissance Library, Beirut - Lebanon, 2nd Edition, 1985 AD.
- Ibn Jani, Abu al-Fath Othman (d. 392 AH), Al-muhtasib fi Tabyin Wujuh Shawadhi Al-qira'at wa Al-iidah Eanha, achieved by Ali al-Najdi Nasif, and Abd al-Fath Ismail Shalabi, Committee for the Revival of Islamic Heritage, Cairo, 1984 AD.
- Al-Dani, Abu Amr Othman bin Saeed (d. 444 A.H.), Al-tahdid fi Al-iitqan wa Al-tajwid, achieved by: Dr. Ghanem Qaddouri Hamad, Dar Al-Anbar Library - Baghdad, Edition: First 1408 A.H. - 1988 AD.
- Al-Razi Fakhr Al-Din, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan (d. 606 AH), Mafatih Al-ghayb, Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution, Beirut, Lebanon, first edition, 1981 AD.
- Zahid, Abdel Hamid, Harakat Al-earabiat, Dirasat Sawtiat fi Al-turath Al-sawtii Al-Arabi (Arab movements- Phonetic study in the Arabic vocal heritage), Al-

Sawt Series (4), The National Press and Warraqa, Marrakesh-Morocco, first edition, October 2005.

- Zahid, Abdel Hamid, Eilm Al-Aswat wa Eilm Al-Musiqaa, Dirasat Sawtiat Muqarana (Phonology and musicology - a comparative study of acoustics), Voice Series 1, Dar Yaffa Scientific for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, first edition, 2010 AD.
- Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad (d. 794 AH), Al-burhan fi Eulum Al-quran, achieved by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, Issa al-Babi al-Halabi and his associates, Cairo, first edition, 1957 AD.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar bin Muhammad (d. 538 AH), Al-kashaf ean Haqayiq Ghawamid Al-tanzil wa Euyun Al-aqawil fi Wujuh Al-taawil, achieved by Adel Abdul-Mawgod, and Ali Muhammad Muawad with the participation of Fathi Abdul-Rahman Ahmed Hijazi, Obeikan Library Riyadh, first edition, 1998 AD.
- Zahran, Al-Badrawi, Mabhath fi Qadiat Al-ramziat Al-sawtiati, Tabieat alealaqat bayn Al-kalimat wa ma Tarmuz ‘iilayh (A study on the issue of phonetic symbolism,
- The nature of the relationship between the word and what it stands for), Dar Al Maaref, Cairo, second edition, 1987 AD.
- Al-Samin Al-Halabi, Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Youssef (d. 756 AH), Umdat Al-hufath fi Tafsir Ashraf Al-alfath, investigation: Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut- Lebanon, first edition, 1417 AH - 1996 AD
- Sibawayh, Amr bin Othman Al-Harthy (d. 180 AH), Al-kitabi (the book), achieved by: Abdel Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd edition, 1403 AH-1988 AD.
- Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr Jalal Al-Din (d. 911 AH), Al-iitqan fi Ulum Al-quran (Proficiency in the Quran Sciences), achieved by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Turath for Publishing and Distribution, Cairo, first edition, 1967 AD.
- Shadi, Muhammad Ibrahim, Al-balaghat Al-sawtiat fi Al-quran Al-kareem (Phonetic Rhetoric in the Holy Quran), The Islamic Company for Production, Distribution and Advertising (Al-Risala), Cairo, first edition, 1988 AD.
- Al-Sagheer, Muhammad Hussein Ali, The Linguistic Sound in the Qur’an, Arab Historian House, Beirut - Lebanon, first edition, 2000 AD.

- Al-Dhalea, Muhammad Salih, Al-'uslubia Al-sawtia (phonetic stylistics), Gharib House for Publishing and Distribution, Cairo, 2002 AD.
- Ibn Ashour, Mohamed Eltaher, Tafsir Al-tahrir wa Al-tanwir (Editing and Enlightening), Tunisian House for Publishing, Tunisian, 1984 AD.
- Abd al-Rahman, Aisha, Al-tafsir Al-bayaniu Lilquran (The graphic interpretation of the Qur'an), Literary Studies Library (25), Dar al-Maaref, Cairo, seventh edition, (n.d).
- Atiq, Omar Abdel-Hadi, Thawahir 'Uslubiat fi Al-quran Al-karim, Al-tarkib wa Al-rasm wa Al-'iiqae (Stylistic phenomena in the Holy Quran, Composition, Drawing and Rhythm), The Modern World of Books, Irbid - Jordan, First edition, 2010 AD.
- Al-Askari, Abu al-Hilal al-Hasan bin Abdullah (d. 395 AH), Muejam Al-furuq Al-lughawia (Dictionary of Linguistic Differences), investigated by Sheikh Baitullah Bayat, Islamic Publishing Corporation, first edition, 1412 AH.
- Okasha, Muhammad, Al-tatawur Al-sawtiu fi Al-alfath Asbabuh wa Thwahiruh (The phonemic development of words, its causes and phenomena), Universities Publishing House, Cairo, first edition, 2009 AD.
- Omar, Ahmed Mukhtar, Dirasat Al-sawt Al-lughawii (The study of phonemic sound), World of Books, Cairo, first edition, 1997 AD.
- Al-Gharnati, Ahmed bin Ibrahim bin Al-Zubayr (d. 708 AH), Al-taawil Al-qatie Bidhawi Al-'iilhad wa Al-taetil fi Tawjih Al-mutashabih Allafth min Ay Al-tanzil, investigated by Saeed Al-Falah, Dar Al-Gharb Al-Islami, The second edition, 1428 AH - 2007 AD.
- Al-Fara', Abu Zakaria Yahya bin Ziyad (d. 207 AH), Maeani Al-quran (The Meanings of the Qur'an), The World of Books, third edition, 1983 AD.
- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed (d. 175 AH), Kitab Al-eayn (The Book of Al-Ain), investigated by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, and Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Dar and Al-Hilal Library, Cairo (n.d).
- Malberg, Bertil, Ealm Al'aswati (Phonology), translation and study: Dr. Abdel-Sabour Shaheen, Youth Library, Cairo, 4th edition, 1984 AD.
- Ibn Manthuor, Abu al-Fadl Muhammad ibn Makram ibn Ali (d. 711 AH), Lisan al-Arab (Arab Tongue), Dar Sader - Beirut, third edition, 1414 AH.

الاحتجاج بلغة الإمام مالك

Al 'Ihtijaj / Invoking in Imam Malik Language

د. عبد الغني ادعيكل
جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– المغرب

Dr. Abdelghani Daikal
Ibn Tufail University - Faculty of Arts and Human Sciences - Morocco

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.02

تاريخ تسلم البحث 2019/9/15 - وصدر خطاب القبول 2020/6/25

ملخص البحث

هذا البحث محاولة علمية لبيان صحة القصص والآثار التي تحكي ضعفا في لغة الإمام مالك؛ إذ بعد التتبع والاستقراء والدراسة العلمية والموضوعية، وجدناها قد نُسِبَت إليه كذبا وزورا؛ فهي إما ضيقة أو موضوعة من جهة السند لجهالة بعض رواته أو اشتهارهم بالكذب أو غير ذلك من العلل القادحة، وإما منكرة من جهة المتن، وقد تقوَّتْ هذه النتيجة وتعززت بسوْق كثير من شهادات أرباب اللغة يمدحون فيها لغة الإمام ويثنون عليه بها، وأيضا بما يجده الدارس لحياته العلمية من اعتناء شديد باللغة العربية وتمكنه من ناصيتها، والصبر على تحصيلها، وثنائه على علومها وأهلها، واعتبارها من الدين، ويعد تراثه اللغوي خير شاهد على هذا؛ فهو من الأوائل الذين خدموا اللغة العربية من خلال اهتمامه بغريب الحديث، وكتاب الموطأ أو ما رواه طلبته عنه؛ ومن اطلع على ما سبق، سيقف على اعتنائه ببيان غريب النصوص الشرعية وتفسيرها، وسيعلم قطعا ويقينا أن مالكا إمام في اللغة ورائد في هذا الفن.

Abstract

This research is a scientific attempt to show the validity of the stories that tell a weakness in the language of Imam Malik, because after tracking, extrapolating, and conducting a scientific and objective study, we found them to have been attributed to him falsely; they are either weak or fabricated in terms of the chain of transmission due to the ignorance of some of its transmitters who wer famous for lying and other problems or denied in terms of the text. This result has been strengthened by quoting many of the leaders of the language in which they praise the imam and his language, as well as what the researcher finds, in the Imam's scientific life, as a great interest and mastery of the Arabic language, patience to acquire it, praising it and its speakers, and considering it a part of the religion; his linguistic heritage is considered the best evidence of this; He is one of the first to serve the Arabic language by giving him a strange talk, and from the reading of his book al-Mutta or what his students have written about him, one will stand on the Imam's care for the strange the legal texts and their interpretations. One will also know ,for sure, that Malik in an imam in the language and a pioneer in this art.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وبعد:

فإن الله ﷻ شرف اللغة العربية ورفع شأنها وأعلى قدرها لمّا نزل وحيه بها، فقد اصطفاها سبحانه من بين اللغات جميعا لتكون وعاء لكلامه في كتابه الخالد الذي جعله الله ﷻ منهاج الحياة، وازدادت رفعتها وسموقها لما جعلها لغة نبيه ﷺ في تخاطبه مع أمته.

ولما كان الوحي منزلا بهذه اللغة، كان لزاما على الناظر فيه أن يلم بها، وأن يتمكن من زمامها، وأن يكون متمرسا في أساليبها، ومتفننا في وجوهها حتى يستطيع الوقوف على أسرار التشريع، وإدراك مقاصده المتضمنة لمصالح المكلفين؛ فهي شرط أساس ومفتاح ضروري لفتح أبواب الشريعة؛ ودون معرفتها تلتبس على الناظر فيها الوجوه، وتلتوي به السبل، ويحز في غير مفصل، ويفزع إلى غير معقل.

ونظرا إلى أهمية اللغة العربية في فهم الخطاب الشرعي، اشترط الأصوليون في المجتهد -الذي يحق له النظر في النصوص الشرعية بغرض استنباط الأحكام للمسائل العملية- التمكن من اللسان العربي، والتمرس في أساليبه المتنوعة، وإن لم يكن كذلك؛ فهو عامي حقه تقليد مسلك المجتهد الذي تحصلت له هذه الصفة، قال علي الأبياري -: «(اشترط الأصوليون في المجتهد) أن يحصل علم اللغة والعربية؛ حيث يفهم مدلول الألفاظ، ويفرق بين النص والظاهر، والمجمل، والعامّ والأعمّ، فإن الشريعة عربية، ولا يتصور أن يحيط بفهم الأحكام من لغة

العرب من لا يفهمها»[١].

لكن عند الاطلاع على سيرة الإمام مالك، يُصادف الباحث قصصا تحكي ضعفا في لغته، ووهنا في لسانه، والأدهى أنك تجده في بعضها يتعلل مذهبه بتعليلات واهية دالة على عدم تحرجه من الوقوع في اللحن وإن عظم قبحا وشناعة، ومن القصص التي تروى عنه في هذا السياق ما جاء عن هارون محمد ابن هارون، يقول: سمعت ابن أبي أويس، يقول: «حضر رجل من الأشراف عليه ثوب حرير، قال: فتكلم مالك بكلام لحن فيه، قال: فقال الشريف: ما كان لأبوي هذا درهمان ينفقان عليه، ويعلمانه النحو؟»[٢].

وكذلك ما جاء عن عبد الله بن إدريس قال: «كنت عند مالك بن أنس فقال له رجل: إن محمد بن إسحاق يقول: اعرضوا علي علم مالك بن أنس فإني أنا بيطاره، فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجلة يقول: اعرضوا علي علم مالك»[٣].

وأيضا ما جاء عن الأصمعي أنه قال: «ما هبت عالما قط ما هبت مالكا، حتى لحن، فذهبت هيبته من قلبي، وذلك أنني سمعته، يقول: مطرنا مطرا، وأي مطرا»[٤].

١- علي بن إسماعيل الأبياري: التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، تحقيق: علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري، دار الضياء- الكويت، ط؛ الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، (٣/ ٣٢٧).

٢- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم العمل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط؛ الرابعة، ١٣٩٧هـ، (٩٤).

٣- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي-السعودية، ط؛ الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م؛ (٢/ ١١٠١)؛

٤- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي؛ دار ابن الجوزي- السعودية؛ ط؛ الثانية، ١٤٢١هـ، (٢/ ٥٥)؛ أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك؛ تحقيق: ابن تاويت الطنجي وعبد القادر الصحراوي ومحمد بن شريفة وسعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، ط؛ الأولى، (د ت)، (٢/ ٣٤)؛ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، (٥١/ ٣٣٦-٣٣٧).

فهذه الأخبار وغيرها صورت للخاصة والعامة أن الإمام مالكا لم يكن من أهل السليقة، وأنه لا يعتمد على كلامه في الاحتجاج للغة، بل وجدنا من رجال المذهب المالكي من ينساق مع هذه القصص ويتكئ عليها في دفع بعض الإشكالات اللغوية التي ثبتت عن الإمام ﷺ، مقرا بخطإ الإمام فيها، ومعتذرا عنها بأنه لم يكن من أرباب اللغة المعتمدين؛ ومن تلك الإشكالات ما جاء في الموطأ من قول الإمام مالك: «فالأمر عندنا فيمن يقول علي مشى إلى بيت الله أنه إذا عجز ركب. ثم عاد فمشى من حيث عجز. فإن كان لا يستطيع المشي فليمش ما قدر عليه، ثم ليركب. وعليه هدي بدنة أو بقرة أو شاة، إن لم يجد إلا هي»[1]. فذهب البعض إلى أن في عبارة الإمام: «إن لم يجد إلا هي» لحنا، والصحيح أن يقال: إلا إياها، وقد استشكل هذه العبارة الشيخ أحمد البرزنجي، فأرسل رسالة إلى الشيخ أحمد بن محمد العربي زروق الذي بدوره أرسل رسالة إلى الشيخ سالم بوحاجب التونسي يسأله توجيها لهذا الإشكال؛ فكتب هذا الأخير إليه جوابا فصل فيه إشكاله باستحضار الشواهد الشعرية المعتمدة، ومما ورد في جوابه: «وهذا الخدش واضح التعليق بعبارة الإمام وهو ﷺ وإن لم يكن من أرباب السليقة العربية الذين يلتزمون في كلامهم عدم الحيادة عن قوانينها، بل إن مالك بن أنس من الأئمة الذين يحتج بأقوالهم دون استعمالهم، لكن حَمْل كلام مثله على موافقة قواعد اللسان واجبٌ ما أمكن»[2].

إن هذه القصص المحكية والإشكالات الجلية تنقش في قلب كل باحث في العلوم الشرعية وبالخصوص المهتم بالمذهب المالكي حيرة منهجية وقلقا معرفيا، وتضطره إلى طرح كثير من الأسئلة المشكلة منها: هل كان الإمام مالك ضعيفا

١- مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي-الإمارات، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، كتاب النذور والأيمان، باب فيمن نذر إلى بيت الله فعجز.

٢- أحمد بن إسماعيل البرزنجي: إصابة الداهي شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي، المطبعة الحميدية المصرية، ط؛ ١٣١٦هـ، (٢٦-٢٧).

في اللسان العربي؟ وهل هذه القصص المروية في حقه صحيحة أم ضعيفة وموضوعة؟ وإذا كانت صحيحة فهل تنهض سببا في عدم صحة الاحتجاج بلغته؟ وإذا لم يصح الاحتجاج بلغته فكيف يتصور مجتهد مطلق مستقل ضعيف اللسان؟ وإذا كانت ضعيفة أو موضوعة فما سبب نسبها إليه؟ وما منزلة الإمام مالك عند أهل اللسان العربي؟ هذا ما سنحاول الجواب عنه من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: نقد الآثار والقصص المروية في ضعف لغة الإمام مالك.

المبحث الثاني: منزلة الإمام مالك عند أهل اللغة.

المبحث الثالث: لغة الإمام مالك في المعاجم اللغوية.

المبحث الرابع: خدمة الإمام مالك للغة العربية.

إن دراسة هذه المباحث بتجرد وموضوعية كفيلة بكشف اللثام عن الحق في المسألة وبيانه، وإزالة اللبس الواقع فيها وكشفه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول: نقد الآثار والقصص المروية في ضعف لغة الإمام مالك.

إن القصص والآثار التي تحكي ضعفا في لغة الإمام مالك – من خلال التتبع والاستقراء الذي قمت به لأغلب المصادر المترجمة للإمام، وكذلك لكثير من المصادر اللغوية والنحوية والمعاجم، وأيضا لكثير من المؤلفات الأصولية والفقهية في المذهب المالكي– لا تخرج عن ثلاثة آثار:

أولها: ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي نصر أحمد بن علي بن عبدوس الأهوازي إجازة، قال: سمعت محمد بن إبراهيم الأصبهاني، يقول: سمعت عبد الله بن الحسين بن سعيد المَلْطِي، يقول: سمعت أبا هارون محمد بن هارون، يقول: سمعت ابن أبي أويس، يقول: «حضر رجل من الأشراف عليه ثوب حرير، قال: فتكلم مالك بكلام لحن فيه، قال: فقال الشريف: ما كان لأبوي هذا درهمان ينفقان عليه، ويعلمانه النحو؟ قال: فسمع مالك كلام الشريف، فقال: لأن تعرف ما يحل لك لبسه مما يحرم عليك خير لك من «ضرب عبد الله زيدا»، «وضرب زيد عبد الله»»[1].

ثانيها: ما رواه الخطيب البغدادي قراءة على أبي الحسين بن الفضل القطان، عن أبي بكر: محمد بن الحسن بن زياد النقاش، قال: نا محمد بن هارون بطبرستان، نا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: «ما هبت عالما قط ما هبت مالكا، حتى لحن، فذهبت هيبته من قلبي، وذلك أنني سمعته يقول: مطرنا مطرا، وأي مطرا. فقلت له في ذلك، فقال: كيف لو قد رأيت ربيعة بن أبي عبد الرحمن؟ كنا إذا قلنا له «كيف أصبحت؟ يقول: «بخيرا بخيرا»، وإذا مالك قد جعل لنفسه قدوة يقتدى

١- الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم العمل (٩٤)؛ وينظر أيضا: أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، (٣٤).

به في اللحن»[١].

ثالثها: ما رواه ابن عبد البر من وجوه عن عبد الله بن إدريس أنه قال: «قدم علينا محمد بن إسحاق فذكرنا له شيئا عن مالك، فقال: هاتوا علم مالك فأنا بيطاره، قال ابن إدريس: فلما قدمت المدينة ذكرت ذلك لمالك فقال: ذاك دجال من الدجاجلة، نحن أخرجناه من المدينة، قال ابن إدريس: وما كنت سمعت بجمع دجال قبلها يعني على ذلك الجمع»[٢].

إن تجلية الحقيقة وبيانها تحتاج منا إلى دراسة نقدية لسند هذه الآثار حتى يتسنى لنا معرفة درجتها من حيث الاعتبار والاعتماد، وزعزعة تلك الصورة التي اعتقدها الناس في الإمام مالك.

أما القصة الأولى فقد ورد في سندها خمسة رواة وهم: أبو نصر أحمد بن علي بن عبدوس الأهوازي، ومحمد بن إبراهيم الأصبهاني، وعبد الله بن الحسين بن سعيد الملطي، وأبو هارون محمد بن هارون، وأبو عبد الله إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس، كل هؤلاء يروون القصة بطريق السماع.

ففيما يخص أبا نصر أحمد بن علي بن عبدوس الأهوازي الجصاص المعدل الأهوازي[٣]، فقد قال فيه الخطيب البغدادي: «كتب الناس عنه بانتخاب محمد

١- الخطيب البعدادي: الفقيه والمتفقه (٢ / ٥٥)؛ وينظر أيضا: أبو بكر محمد بن يحى الصولي: أدب الكاتب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية -مصر، المكتبة العربية - بغداد، ط؛ ١٣٤١هـ، (١٣٣)؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق (٥١ / ٣٣٦).

٢- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (٢ / ١١٠١).

٣- أحمد بن علي بن عبدوس بن محمد بن الحسن بن الحسين بن هارون بن مهران أبو نصر الجصاص المعدل الأهوازي قدم بغداد في حداثته، فسمع من أبي علي ابن الصواف، وأبي بكر بن خلاد، ونحوهما. وقدمها وقد علت سنه دفعات، وحدث بها عن أبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ الأصبهاني، وعبد الله بن معاوية الطلحي الكوفي، وأحمد بن محمد بن العباس الأسفاطي البصري، وأبي سليمان محمد بن الحسين الحراني، وغيرهم. توفي سنة ٤٢٣ هـ؛ ينظر ترجمته في المصادر الآتية: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط؛ الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، (٥ / ٥٢٧)؛ أبو عبد الله محمد شمس الدين بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط؛=

بن أبي الفوارس، وسمعت منه، وكان ثقة ثبتا»[1]، وكل من أتى بعد الخطيب اعتمد على توثيقه.

أما محمد بن إبراهيم الأصبهاني فلم أقف على ترجمة له، وكذلك عبد الله بن الحسين بن سعيد الملطي وأبو هارون محمد بن هارون، إلا أن الملطي قد وردت فيه إشارات من بعض المحدثين ما يدل على ضعفه؛ فقد قال الخطيب البغدادي: «وقد حدثني محمد بن علي الصوري، قال: سمعت عبد الغني بن سعيد المصري الحافظ، يقول: ليس في الملطيين ثقة»[2].

وأما أبو عبد الله إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس[3]؛ فقد اختلفت فيه كلمة المحدثين، فذهب بعضهم إلى تضعيفه. قال يحيى بن معين: صدوق

= الأولى، ٢٠٠٣م، (٩/ ٣٨٦)، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْني الحنفي: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مَركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن، ط؛ الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، (١/ ٤٢٦).

١- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٥/ ٥٢٧).

٢- المرجع نفسه (٧/ ٦٣٢)؛ وينظر كذلك: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، (٢/ ٢٢٥)؛ كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: سهيل زكار، دار الفكر، (د ب)، (١/ ٢٥٢)؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط؛ الأولى، ٢٠٠٢م، (٣/ ٤٢٤)؛ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط؛ الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، (١٢/ ٤٢٣).

٣- الإمام الحافظ الصدوق إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر، أبو عبد الله، الأصبحي المدني، ابن أخت مالك بن أنس، ولد سنة ١٣٩هـ، وتوفي سنة ٢٢٦هـ، وقيل: ٢٢٧هـ، روى له: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. ينظر ترجمته في المصادر الآتية: أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط؛ الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (٣/ ١٢٤-١٢٩)؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك (٣/ ١٥١)؛ الذهبي: تاريخ الإسلام (٥/ ٥٣٤)؛ أبو عبد الله علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط؛ الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، (٢/ ١٨٣-١٨٥)؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند، ط؛ الأولى، ١٣٢٦ه-، (١/ ٣١٠-٣١٢).

ضعيف العقل، ليس بذاك، يعني أنه لا يحسن الْحَدِيث، ولا يعرف أن يؤديه، أو يقرأ من غير كتابه. وقال: أبو أويس وابنه ضعيفان. وقال أيضا: ابْن أَبي أويس وأبوه يسرقان الْحَدِيث. وقال: مخلط، يكذب، ليس بشيء[١].

وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان مغفلا[٢].

وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: ليس بثقة[٣].

وقال أبو أحمد بن عدي: وابن أبي أويس هذا روى عن خاله مالك أحاديث غرائب، لا يتابعه أحد عليه، وعن سليمان بن بلال، وغيرهما من شيوخه[٤].

في حين ذهب آخرون إلى توثيق حديثه. قال أحمد بن حنبل: لا بأس به[٥]. وكذلك قال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين[٦]، وخرج له الشيخان في صحيحيهما. ووثقه ابن حبان[٧].

١- أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي: تاريخ ابن معين رواية الدوري، المحقق: أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- مكة المكرمة، ط الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (١ / ٦٥)؛ أبو أحمد بن عدي الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وعبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط؛ الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، (١ / ٥٢٥)؛ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي: الضعفاء الكبير، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية- بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. (١ / ٨٧)؛ المزي: تهذيب الكمال (٣ / ١٢٧-١٢٨).

٢- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط الأولى، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م، (٢ / ١٨١)؛ المزي: تهذيب الكمال (٣ / ١٢٨).

٣- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: الضعفاء والمتروكون، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط؛ الأولى، ١٣٩٦هـ، (١٧)؛ ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال (١ / ٥٢٥)؛ المزي: تهذيب الكمال (٣ / ١٢٨).

٤- ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال (١ / ٥٢٧)؛ المزي: تهذيب الكمال (٣ / ١٢٩).

٥- ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (٢ / ١٨١)؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (١٠ / ٣٩٢).

٦- المزي: تهذيب الكمال (٣ / ١٢٧).

٧- ابن حبان: الثقات (٨ / ٩٩).

قال الذهبي - مجملا القولين معا: «كان عالم أهل المدينة، ومحدثهم في زمانه على نقص في حفظه وإتقانه، ولولا أن الشيخين احتجا به، لزحزح حديثه عن درجة الصحيح إلى درجة الحسن»[1]. وقال أيضا: «الرجل قد وثب إلى ذاك البر، واعتمده صاحبا «الصحيحين، ولا ريب أنه صاحب أفراد ومناكير تنغمر في سعة ما روى، فإنه من أوعية العلم، وهو أقوى من عبد الله كاتب الليث»[2].

خلاصة القول إن هذه القصة غير صحيحة من جهة السند لعلة جهالة أكثر رواتها، وإذا ثبت ضعفها، ثبت معها ضعف ما أنبنى عليها من تقريرات واستنتاجات.

وأما من جهة المتن؛ فيظهر على القصة علامات الوضع والضعف لاعتبارات عدة منها:

أولا: أن القصة فيها اختلاق واضح، إذ لبس الحرير بالنسبة للرجال معلوم حكمه، ومشتهر أمره بين العامة والخاصة، فكيف للرجل الشريف أن تسمح له نفسه بلبس ما حرم الله ﷻ؟ وكيف يسمح لرجل متلبس بمعصية بدخول المسجد النبوي؟ وكيف يجرؤ هذا الرجل الشريف بقدح علني في إمام ذاع صيته وعلا نجمه واشتهر علمه؟ أما كان يعرف لباقة الحديث وهو من الشرفاء؟

ثانيا: إن الإمام مالكا كان مجلسه مليئا بأهل العلم والفضل، ولم ينقل عنه بطريق صحيح ما يقدح في علمه، ولو ثبت عنه ذلك لنقل إلينا ولو بطريق واحد صحيح، لكن هذا لم يحصل؛ بل وجدنا الأخبار المتواترة ناطقة بزيف هذه القصة؛ إذ كل من جالسه من أقرانه وخالطه من طلبته، تجد لسانه يلهج بذكر فضائله وأخلاقه وسعة علمه وتمكنه من ناصيته. ولا أدري كيف يصل المرء إلى هذه المنزلة

١- الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٣٩٢).
٢- المصدر نفسه (١٠ / ٣٩٣).

إذا كان معدما لأهم مفتاح لقراءة النص الشرعي، هذا بالإضافة إلى كثرة شيوخه وطلبته المشهود لهم بالتمكن من علوم اللغة، ومن كان هذا حاله لزم أن يكون مشاركا لهم في هذا الفضل.

ثالثا: ورد في القصة استعمالات نحوية لم يكن لأهل العلم بها عهد كقوله: «ضرب عبد الله زيدا»، و«ضرب زيد عبد الله»؛ فهذه الاستعمالات لم تشتهر إلا في بداية القرن الثالث الهجري لما انتشر اللحن في العامة والخاصة[١]؛ مما يدل على أن هذه القصة مختلقة غير ثابتة.

أما فيما يخص القصة الثانية فقد ورد في سندها خمسة رواة وهم:

أولا: أبو الحسين بن الفضل القطان[٢]؛ قال فيه الخطيب البغدادي: «كتبنا عنه، وكان ثقة»[٣]، وقال السمعاني: «كان صدوقا مشهورا في مشايخ بغداد»[٤]، وقال ابن الجوزي: «وكان ثقة»[٥]، وقال الذهبي: «الشيخ العالم الثقة، المسند»[٦]، وقال أيضا: «وهو مجمع على ثقته»[٧].

١- نعم قد ثبت استعمالها كما جاء في كتاب الجمل لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، لكن لم يكن ذلك بالأمر المشتهر عند أهل العلم.

٢- محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم أبو الحسين البغدادي الأزرق القطان، مُتَّوثِيّ الأصل، ولد سنة ٣٣٥هـ، حدث عنه الحافظ أبو بكر الخطيب وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي والشَّريف أبو الحسين محمد بن علي بن المهتدي بالله والقاسم بن الفضل الثقفي، وتوفي سنة ٤١٥هـ؛ ينظر ترجمته في المصادر الآتية: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٣/ ٤٤)؛ أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط؛ الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، (٦٢-٦٣)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٨٩).

٣- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٣/ ٤٤).

٤- ابن السمعاني: الأنساب (١٠ / ٤٥٢).

٥- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط؛ الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (١٥ / ١٦٩).

٦- الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٨٩).

٧- المرجع نفسه (١٣ / ٨٩).

ثانيا: أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش[1]، قال فيه الخطيب البغدادي: «في أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة»[2]، وقال ابن الجوزي: «في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة، وقد كان يتوهم الشيء فيرويه، وقد وقفه الدارقطني على بعض ما أخطأ فيه فرجع عن الخطأ»[3]، وقال طلحة بن محمد بن جعفر: «كان يكذب في الحديث، والغالب عليه القصص»[4]، وقال أبو بكر البرقاني: «كل حديث النقاش مناكير، وليس في تفسيره حديث صحيح»[5]، وقال الذهبي: «الذي وضح لي أن هذا الرجل مع جلالته ونبله متروك ليس بثقة»[6].

ثالثا: أبو بكر محمد بن هارون الروياني الرازي[7]، وثقه أبو يعلى الخليلي[8]،

١- محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن عفر بن سند أبو بكر المقرئ النقاش. نسبه أبو حفص بن شاهين، وهو موصلي الأصل. ولد سنة ٢٦٦هـ، كان عالماً بحروف القرآن، حافظاً للتفسير، كتب الحديث وقيد السنن، وصنف المصنفات، وطالت أيامه، فانفرد بالإمامة في صناعته مع ظهور نسكه وورعه، وصدق لهجته، وبراعة فهمه، وحسن اضطلاعه، واتساع معرفته؛ توفي في سنة ٣٥١هـ. ينظر ترجمته في المصادر الآتية: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٢ / ٦٠٢)؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٤ / ١٤٨)؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط؛ الأولى، (من ١٩٠٠م إلى ١٩٩٤م)؛ (٤ / ٢٩٨-٢٩٩)؛ الذهبي: تاريخ الإسلام (٨ / ٣٦)؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط؛ الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (١٦٧-١٦٩).

٢- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٢ / ٦٠٢).

٣- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٤ / ١٤٨).

٤- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٢ / ٦٠٢).

٥- المرجع نفسه (٢ / ٦٠٢).

٦- الذهبي: تاريخ الإسلام (٨ / ٣٦).

٧- أبو بكر محمد بن هارون الروياني، صاحب المسند، طاف البلاد، وسمع بالبصرة من بندار وعمرو بن علي وغيرهما، وبالكوفة من أبي كريب وطبقته، وبمصر من الربيع بن سليمان وابن اخي ابن وهب وابن عبد الحكم، وببغداد من محمد بن إسحاق الصغاني، روى عنه جعفر بن عبد الله بن يعقوب، توفي سنة ٣٠٧هـ. ينظر ترجمته في المصادر الآتية: أبو يعلى خليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد- الرياض، ط؛ الأولى، ١٤٠٩ه، (٢ / ٨٠١)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (١١ / ٣١٠-٣١٢)؛ أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: بوجمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج- جدة، ط؛ الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، (٣ / ٢٤).

٨- أبو يعلى الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢ / ٨٠١).

وقال فيه ابن نقطة: «ثقة إمام»[١]، وقال الذهبي: «الإمام الحافظ الثقة»[٢].

رابعا: أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني[٣]، كان أبو داود لا يحدث عنه بشيء، وسأله مرة أبو عبيد عن حديث من حديثه فأبى أن يحدثني به[٤]، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال فيه: «وهو الذي صنف القراءات، وكان فيه دعابة، غير أني اعتبرت حديثه فرأيته مستقيم الحديث، وإن كان فيه ما لا يتعرى عنه أهل الأدب»[٥]، وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: «أتيت السجستاني وأنا حدث، فرأيت منه بعض ما ينبغي أن تهجر حلقته له، فتركته مدة، ثم صرت إليه»[٦]، وقال مسلمة بن قاسم: أرجو أن يكون صدوقا. وقال أبو بكر البزار: مشهور لا بأس به[٧].

١- أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني بن أبي بكر ابن نقطة الحنبلي البغدادي: إكمال الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، الناشر: جامعة أم القرى- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، (٢ / ١٤٨).

٢- الذهبي: سير أعلام النبلاء (١١ / ٣١٠).

٣- أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني النحوي اللغوي المقرئ، نزيل البصرة وعالمها؛ كان إماما في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرد وغيرهما، وكان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي، توفي في البصرة سنة ٢٥٥هـ؛ ينظر ترجمته في المصادر الآتية: ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل (٤ / ٢٠٤)؛ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط؛ الثانية، (د ت)، (٩٤-٩٦)؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان (٢ / ٤٣٠-٤٣٣)؛ المزي: تهذيب الكمال (١٢ / ٢٠١-٢٠٧)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٢ / ٢٦٨-٢٧٠)؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب (٤ / ٢٥٧-٢٥٨).

٤- ينظر: المزي: تهذيب الكمال (١٢ / ٢٠٤).

٥- ابن حبان: الثقات (٨ / ٢٩٣)؛ وهو يشير إلى أن الغالب في أهل اللغة الضعف في رواية الحديث.

٦- أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، ط: ١٣٧٣هـ / ١٩٦٦م، (٧٢).

٧- مغطاي: إكمال تهذيب (٦ / ١٤١)؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب (٤ / ٢٥٨).

خامسا: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي[1]، قال يحيى بن معين: «سمعت الأصمعي يقول سمع مني مالك بن أنس»[2]، وقال يحيى: «الأصمعي ثقة»[3]، وقال الشافعي: «ما رأيت بذلك العسكر أصدق لهجة من الأصمعي»[4]، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه كان يثني على الأصمعي في السنة[5]، وسئل أبو داود عن الأصمعي، فقال: صدوق[6]، وقال الأزدي: ضعيف الحديث[7]، سئل أبو زيد الأنصاري عن أبي عبيدة والأصمعي، فقال: كذابان. وسئلا عنه فقال: ما شئت من عفاف وتقوى[8]. والذي عليه أئمة الحديث أن الأصمعي ثقة فيما يرويه.

خلاصة القول إن هذه القصة هي الأخرى لا تصح لضعف أبي بكر محمد النقاش؛ فقد كان يروي المناكير، وأيضا لاختلاف المحدثين في شأن أبي حاتم السجستاني.

وقد بحثت في المصادر التي تُعنى برواية الآثار ونقلها لعلي أجد شاهدا يقوي هذه الرواية؛ فلم أعثر إلا على هذه الرواية التي رواها أبو بكر محمد بن يحيى

١- أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي الأصمعي البصري اللغوي. أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والنوادر، ولد: سنة بضع وعشرين ومائة، تصانيفه عديدة ونوادره كثيرة، وأكثر تواليفه مختصرات، وقد فقد أكثرها، توفي سنة ٢١٦هـ، عن ثمان وثمانين سنة؛ ينظر ترجمته في المصادر الآتية: ابن خلكان: وفيات الأعيان (٣/ ١٧٠-١٧٦)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥-١٨١)؛ أبو محمد الطيب بن عبد الله بامخرمة الهجراني: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: بوجمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج- جدة، ط؛ الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، (٢/ ٤٢٠-٤٢٦).

٢- تاريخ ابن معين برواية الدوري (٣/ ١٩٤)؛ وذلك لأن الإمام مالكا لا يحدث إلا عن ثقة.

٣- أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين: تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية- الكويت، ط؛ الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، (١٥٨)، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (١٢/ ١٥٧).

٤- تاريخ بغداد (١٢/ ١٥٧).

٥- أبو عبد الله أحمد بن حنبل: الجامع في العلل ومعرفة الرجال، رواية: المروذي وغيره، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية، بومباى-الهند، ط؛ الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، (٢٦٤).

٦- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (١٢/ ١٥٧).

٧- الذهبي: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٦٢).

٨- المصدر نفسه (٢/ ٦٦٢).

الصولي عن محمد بن القاسم بن خلاد عن الأصمعي، قال: دخلت المدينة على مالك بن أنس، فما هبت أحدا هيبتي له، فتكلم فلحن. ثم ساق القصة بتمامها مع اختلاف يسير[١].

وهذه الرواية أيضا ضعيفة لضعف محمد بن القاسم[٢]، ما جعلها غير صالحة في المتابعات.

وهذه النتيجة نفسها توصل إليها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني؛ إذ قال: «هذه الحكاية منكرة عن الأصمعي، فينظر من حكاها عن كتاب المبرد، وعلى فرض ثبوتها عن المبرد؛ ففيه كلام معروف، ومحمد بن القاسم التمائمي لم أعرفه، ولعله محمد بن القاسم اليمامي وهو أبو العيناء؛ أصله من اليمامة، وليس بثقة؛ قد اعترف بوضع الحديث فما بالك بالحكايات»[٣].

وأما من جهة المتن؛ فيظهر على القصة علامات الضعف لاعتبارات عدة منها[٤]:

أولا: أن الأصمعي كان من أشد الناس توقيرا لأئمة السنة، ومن كان هذا شأنه، لا يمكنه أن يصدر منه هذا الكلام لمجرد غلط وقع فيه ربما له فيه عذر، كما سنرى.

١- ابن قتيبة: أدب الكاتب (١٣٣).

٢- أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الضرير مولى أبي جعفر المنصور، ويعرف بأبي العيناء، أصله من اليمامة، ومولده بالأهواز، ومنشؤه بالبصرة، وبها كتب الحديث وطلب الأدب، ولد سنة ١٩١هـ، وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا، وأسرعهم جوابا، وأحضرهم نادرة، لم يسند من الحديث إلا القليل، والغالب على رواياته الأخبار والحكايات، توفي سنة ٢٨٣هـ، وقيل ٢٨٢هـ، ودفن بالبصرة، قال فيه الدارقطني: أبو العيناء ليس بقوي في الحديث، ويروى أنه كان يضع الحديث كما ذكره إسماعيل بن محمد النحوي، ينظر ترجمته وحاله في المصادر الآتية: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٤ / ٢٨٤)؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان (٤ / ٣٤٣-٢٤٨)؛ الذهبي: تاريخ الإسلام (٦ / ٨٢١).

٣- عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المكتب الإسلامي، ط؛ الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، (٢ / ٦٠٩).

٤- ينظر: المرجع نفسه (٢ / ٦٠٩)؛ فقد ذكر بعض الاعتبارات.

ثانيا: أنه كان مبجلا لمالك حتى روي عنه أنه كان يفتخر بأن مالكا روى عنه، لأنه كان يعلم أن رواية الإمام مالك عنه فيها تعديل لحاله وتوثيقه، ورفع لمقامه، وإعلاء لمكانته.

ثالثا: أن فيها قَرْنَ مالك بشيخه ربيعة، وهذا يدل على تحري الطعن في علماء المدينة، وليس ذلك دأب الأصمعي؛ إنما هو دأب أصحاب الرأي.

رابعا: أن اللحن الذي تضمنته الحكاية خارج عن المعتاد؛ فإن العامة فضلا عن العلماء يقفون بالسكون. ولا يمكن أن يتصور أن يصدر هذا اللحن من عامة ذلك الزمان، فما بالك بعالم كانت تضرب إليه أكباد الإبل شرقا وغربا من أجل نيل مكرمة سؤاله والجلوس في مجلسه. وهذا كله يدل على أن هذه الحكاية فرية، قصد بها الغض من علماء المدينة.

خامسا: أن الحادثة وقعت في مجلس يجمع كثيرا من عامة الناس وطلبة الإمام مالك، ولم ينقل هذه القصة أحد من خلال تتبعنا واستقصائنا إلا ما سبق ذكره، الشيء الذي يجعلنا نقطع بعدم صحة هذه القصة لتوفر الدواعي على اشتهارها، فقد وقعت في مجلس كثير عدده، وبين إمامين جليلين تشرئب النفوس إلى رواية ما حصل بينهما.

سادسا: أن اللحن الذي صدر من بعض الأئمة -وليس الإمام مالك منهم قطعا- محمول عندهم على التنزل لإفهام العامة، فإن فهم المقاصد والمعاني أولى من مراعاة تراكيب النحو وأساليبه التي قد تستغلق على الناس، فيفوت المقصود الأعظم وهو فهم المعنى وإدراك الحكم، أو خرج من هؤلاء الكبار على وجه التسامح كراهية التكلف في الكلام، ولا سيما إذا اتضح المعنى واستبان المقصود، أو صدر منهم مجاراة لواقع أهل المدن الذين يغلب عليهم اللحن، لأن المدائن مجتمع الناس من العرب والعجم الواردين عليها؛ قال ابن فارس: «قال ابن داود:

وإن قبيحا مفرط القباحة بمن يعيب مالك بن أنس بأنه لحن في مخاطبة العامة بأن قال: «مطرنا البارحة مطرا أي مطرا» أن يرضى هو لنفسه أن يتكلم بمثل هذا. لأن الناس لم يزالوا يلحنون ويتلاحنون فيما يخاطب بعضهم بعضا اتقاء للخروج عن عادة العامة، فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة، وإنما العيب على من غلط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة»[١].

أما فيما يخص القصة الثالثة فهي قصة مشهورة مأثورة، فقد رويت من طرق متعددة منها طريق مسلم بن الحجاج النيسابوري قال حدثني إسحاق ابن راهويه حدثنا يحيى بن آدم حدثنا عبد الله بن إدريس، وهي كما ترى طريق مسلسل بالأئمة الموثوقين؛ وإذا كانت القصة ثابتة لا مطعن في سندها، توجه اهتمامنا إلى نقد متنها قصد تجلية الحق في شأنها.

إن الناظر في متن القصة يلحظ أمورا عديدة منها:

أولا: ليس في القصة ما يدل على اعتراض عبد الله بن إدريس على الإمام مالك في جمع لفظة الدجال على دجاجلة، وغاية ما في الأمر أنه لم يسبق له أن سمع بها، وعدم سماعه لا يقتضي عدم وجوده، وهو ليس بأفضل من الإمام مالك، كما أنه لم يحط بكلام العرب كله، ولعل هذه تدخل فيما لم يحط به خبرا.

ثانيا: لو لحن الإمام في ذلك الجمع لما فوت عبد الله بن إدريس فرصة التصحيح والتقويم، فلِمَ لم ينقل عنه ذلك أو أي تصرف يدل على لحنه مع تشدده في أمر اللغة كما نقل عنه واشتهر، دل هذا على أن لجمع الكلمة بتلك الصيغة وجها في لغة العرب.

ثالثا: نقل عن أئمة اللغة أن الإمام مالكا انفرد برواية كثير من الألفاظ العربية، ولم يقل أحد منهم إن ذلك لحن منه، بل اعتبروا ذلك مزية من مزاياه،

١- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية (٣٤-٣٥).

وفضلا من فضائله في باب العلوم وخاصة علوم اللغة، وأنه أحاط بما لم يحط به حتى من كان إماما في هذا الشأن؛ جاء عن الأصمعي أنه قال: «أخبرني مالك أن الاستجمار هي الاستطابة، ولم أسمعه إلا من مالك»[1]، وروى محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سمع يونس بن عبد الأعلى يقول: سئل ابن عيينة عن قوله: «من استجمر فليوتر» فسكت، فقيل له: أترضى بما قال مالك؟ قال: وما قال مالك؟ قيل، قال مالك: الاستجمار: الاستطابة بالأحجار، فقال ابن عيينة: مثلي ومثل مالك كما قال الأول:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس[2].

رابعا: قد تداول أهل اللغة والنحو من عهد الإمام مالك استعمال دجاجلة جمع دجال شاهدا على أن فعالا يُكَسَّر على فعاعلة سماعا لا قياسا كجبار وجبابرة، وشماس وشمامسة، ودجال ودجاجلة المسموع من الإمام مالك رضي الله عنه، وممن اعتمده واستشهد به من اللغويين النحويين أبو حيان الأندلسي في كتابه ارتشاف الضرب من كلام العرب[3]، ومن المتأخرين اللغويين جلال الدين السيوطي في كتابه المزهر[4]، والسيد مرتضى الزبيدي في شرحه تاج العروس على القاموس[5].

١- القاضي عياض: ترتيب المدارك (١ / ٨١).

٢- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر- دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، (١ / ٦٩-٧٠).

٣- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط؛ الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، (١ / ٤٥٩).

٤- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط؛ الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، (١ / ٢٤٢).

٥- أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (ب ب)، (٢٨ / ٤٧٢)؛ ينظر ما كتبه الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي في السنية الكاملة الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية، مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣١٩ لصاحبها إسماعيل حافظ، (٦٥-٦٩)؛ فقد أجاد وأفاد في الرد على من اتهم الإمام مالكا باللحن.

خامسا: ألف كثير من أئمة اللغة العربية في لحن العامة والخاصة، وتتبعوا تاريخ اللحن والألفاظ التي وقع فيها الفساد اللغوي، ولم نجد أحدا نسب الإمام مالكا إلى اللحن إلا ما يحكى عن المبرد في كتابه اللحنة، وفي هذا دليل على اتصافه بالفصاحة والمكنة من اللسان العربي.

المبحث الثاني: منزلة الإمام مالك عند أهل اللغة.

إن الدارس للحياة العلمية للإمام مالك يستطيع أن يقف على جوانب مضيئة في لغته وتمكنه من ناصيتها، ويتلمس منهجه في طلبها والصبر على تحصيلها، ويدرك قصده من اهتمامه وشغفه بها؛ ويمكن تلمس منزلته عند أئمة هذا الشأن في جوانب متعددة أهمها:

أولا: طلبه لعلوم اللغة عند أهلها؛ قال أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي: «(إن) مالك بن أنس إمام دار الهجرة ﷺ اختلف إلى عبد الرحمن بن هرمز عدة سنين في علم لم يبثه في الناس، فمنهم من قال: تردد إليه لطلب النحو واللغة قبل إظهارهما، وقيل: كان ذلك من علم أصول الدين، وما يرد به مقالة أهل الزيغ والضلالة»[1].

والناظر في هذا الأثر يترجح عنده أن الإمام مالكا تردد عليه لطلب اللغة والنحو كما قيل، لأسباب:

أولها: أن شهرة ابن هرمز كانت في العربية؛ فقد قال أهل العلم فيه: «إنه أول من وضع علم العربية؛ والسبب فى هذا القول أنه أخذ عن أبى الأسود الدؤلي، وأظهر هذا العلم بالمدينة، وهو أول من أظهره وتكلم فيه بالمدينة. وكان من أعلم

١- أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط؛ الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م، (٢/ ١٧٢-١٧٣).

الناس بالنحو وأنساب قريش، وما أخذ أهل المدينة النحو إلا منه، ولا نقلوه إلا عنه»[1]، وإذا كان كذلك، دل على أن الإمام قد تلقى منه ما كان يتقنه ويبرع فيه.

ثانيها: أنه لو كان علما غير العربية لظهر وبان لحاجة المسلمين إليه، ولنقل عنه غيره ممن تتلمذ عليه، ولما جاز للإمام كتم هذا العلم وإخفاؤه، فلما عدمت كل هذه القضايا في الوجود، علمنا أن الذي طلبه الإمام من ابن هرمز هو علوم اللغة.

ثالثها: إذا كان فهم الخطاب الشرعي يتوقف على التمكن من اللسان العربي، فلا يليق بالإمام أن يسعى في تحصيل العلوم الأخرى إلا إذا كان يستشعر من نفسه تمكنا وتبحرا فيها.

رابعها: أن حذق العربية وضبطها لغة ونحوا يحتاج إلى سنوات، وهذا أمر ثابت في الخبر.

خامسها: أنه لم يكن ابن هرمز – وحده من خالطه الإمام وتعلم منه اللسان، بل جلس عند غيره وتعلم منه القواعد وتبصر بها، فقد ثبت أن أبا الزناد عبد الله بن ذكوان من شيوخ الإمام مالك، وأبو الزناد كان ثقة كثير الحديث فصيحا بصيرا بالعربية عالما عاقلا[2]، ومن كان هذا شأنه يصعب على من خالطه صدور اللحن الشنيع منه.

ولهذه الأسباب وغيرها اختار أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري القول الأول، وأهمل غيره من الأقوال، قال -: «يقال إن مالك

١- المرجع نفسه (٢ / ١٧٢).

٢- أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط؛ الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، (٥ / ٤١٥).

ابن أنس كان يختلف إليه يتعلم منه العربية»[١].

ثانيا: ثناؤه على علوم اللغة وأهلها؛ فهو يعتبرها من الدين؛ ولا يمكن فهم مقاصده إلا بها، وهي أيضا من العلوم المحمودة التي ترفع صاحبها درجات سميقة، فلو كان – يشعر بضعف فيها أو بعدم فائدتها، لما استساغ لنفسه أن يتكلم فيما يعتبر سبة له، ما يدل على تملكه حظا وافرا منها، وأنه إمام يؤخذ بقوله فيها اعتمادا واستدلالا، وتصحيحا وتصويبا؛ ومن أقواله المأثورة المشهورة في الثناء على علوم اللغة: «الإعراب حلي اللسان؛ فلا تمنعوا ألسنتكم حليها»[٢]، فهو – جعلها من الأمور التي يتزين بها عامة الناس ويمدحون عليها، وترفع بها مكانتهم عند العوام، ولا يليق بالعالم الذي يتوقف اجتهاده على تمكنه منها أن يكون عاميا فيها، ولا يليق به أيضا أن يكون العامي أتقن للسان منه؛ ما يدلنا على أن الإمام – كان على درجة عالية من الإتقان والتبحر في اللسان العربي رغم عدم شهرته فيه لغلبة الفقه والحديث عليه.

ثالثا: ثناء أهل اللسان على لغته؛ وما كان لهم أن يثنوا عليه لو لم يكن أهلا لذلك، وهي مزية أخرى تدحض كل المقولات المنتقصة من لغة الإمام –، قال الإمام الشافعي –: «حفظت الموطَّأ قبل أن آتيَ مالكَ بن أنس، فلما أتيته قال لي: اطلب مَنْ يقرأ لك. فقلت: لا عليك أن تسمع قراءتي، فإن أعجبتك قراءتي، وإلا طَلَبْتُ مَنْ يَقْرأ لي. فقال لي: هات، فلما قرأت أَعْجَبَتْه قراءتي، فقرأتُ عليه[٣]؛ وقال أيضا في قصة طويلة: «فغدوت إليه وابتدأت، فَكُلَّمَا تهيبت مالكا وأردتُ أن أقطع، أَعْجَبَه حُسْنُ قراءتي وإِعْرَابِي، يقول: يا فَتى زِدْ. حتى قرأته عليه في أيام

١- أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر-القاهرة، ط؛ الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، (١٦٣).

٢- الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين (١٣).

٣- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث-القاهرة، ط؛ الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، (١/ ١٠٠-١٠١).

يسيرة»[1].

إن هذه القصة تؤكد مكانة اللغة في نفس الإمام مالك -، فما أعجبته قراءة الإمام الشافعي إلا لأنه وصل إلى مقام رفيع يمكنه من تذوق اللسان العربي والاستمتاع به ممن يقرؤه سليقة وملكة، ولو كان كما وصفه أولئك المنتقصون لما فرق بين الإعراب واللحن، ولما ميز بين الجزالة والركاكة.

وقال الإمام الشافعي أيضا: «كان مالك بن أنس يقرأ بالسَّلِيقِيَّة يستقصره في ذلك، والسَّلِيقِيَّة تُذَم مرة وتُمدح أخرى، إذا ذمت فلعدم الإعراب، وإذا مدحت فللدرَابَة والفصاحة»[2].

قال ابن العربي المعافري -: «وأما مالك ﷺ فكان حبر الشريعة حبر اللغة، لم يخف عليه شيء من هذه الاعتراضات، ولكنه كان حواطا على الدين، ملتفتا إلى مصالح المسلمين، غواصا على معاني ألفاظ العربية»[3]؛ وقال أيضا -في سياق الدفاع عنه حينما قدم الشافعية الإمام الشافعي عليه-: «كل ما قال الشافعي أو قيل عنه أو وصف به فهو كله جزء من مالك، ونُغْبَة من بحره؛ ومالك أوعى سمعا، وأثقب فهما، وأفصح لسانا، وأبرع بيانا، وأبدع وصفا، ويدلك على ذلك مقابلة قول بقول في كل مسألة وفصل»[4].

وقال الإمام اللغوي المحدث أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي: «وقالوا: إن كلام مالك ﷺ حجةٌ تثبت به القواعد النحوية»[5].

١- المرجع نفسه (١٠٣).

٢- الخطابي: غريب الحديث (٣/ ٥٩).

٣- أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري: القبس في شرح موطإ مالك بن أنس، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم؛ دار الغرب الإسلامي؛ ط؛ الأولى، ١٩٩٢م، (١ / ٣٠١).

٤- أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري: أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط؛ الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، (١ / ٤١٠-٤١١).

٥- عبد الله محمد بن الطيب الفاسي: فيض الانشراح من فيض طي الاقتراح، تحقيق وشرح: محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ط؛ الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، (٥٥١).

رابعا: دفاع أهل اللسان عن لغة الإمام مالك؛ وفي هذا تزكية له وثناء على عروبته وسليقته وملكته وسجيته، وإقرار منهم بتمكنه وتبحره وتفننه، قال أبو بكر بن داود بن علي الظاهري: «وإن قبيحا مفرط القباحة بمن يعيب مالك بن أنس بأنه لحن في مخاطبة العامة بأن قال: «مطرنا البارحة مطرا أي مطرا»، أن يرضى هو لنفسه أن يتكلم بمثل هذا؛ لأن الناس لم يزالوا يلحنون ويتلاحنون فيما يخاطب بعضهم بعضا اتقاء للخروج عن عادة العامة؛ فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة، وإنما العيب على من غلط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة والله المستعان»[١].

خامسا: اشتراط الإمام مالك في الناظر في النصوص الشرعية بغرض الاستنباط والتأمل والتدبر إتقان اللسان العربي، واعتبر أن حراسة الشريعة من كل انحراف في الفهم والعمل منوطة بضبط الأساليب العربية؛ قال -: «ألا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر ذلك إلا جعلته نكالا»[٢].

والناظر في كلامه هذا يتبين له المكانة اللغوية التي تربع على عرشها الإمام؛ فلو كان يستشعر من نفسه ضعفا في هذه العلوم لما سوغ لنفسه النظر في النصوص الشرعية بغرض استنباط الأحكام للقضايا الإنسانية، ولما استعظم أيضا واستشنع التصدر للنظر في النصوص الشرعية بالتفسير والبيان فيمن كان موصوفا بالخواء اللغوي أو ضعيفا فيها. كما أن كلام الإمام فيه بيان لحكمين؛ أولهما جواز توظيف الشواهد العربية شعرا ونثرا في تفسير النص الشرعي، وثانيهما حرمة تولي الجاهل بلغات العرب بيان المقصود من اللفظة الشرعية. وما كان الإمام لينصح غيره بما

١- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية (٣٥).

٢- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط؛ الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، (٣/ ٥٤٣)؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي: التفسير البسيط، تحقيق: حقق في ١٥ رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط؛ الأولى، ١٤٣٠هـ، (١/ ٤١١).

يؤهله للفهم عن الله ورسوله ﷺ وهو في حاجة إلى تلك النصيحة.

سادسا: ملازمة للعلماء ومجالسهم ونفوره من مخالطة العوام والسفهاء؛ لقد عرف عن الإمام ملازمته للعلماء والصلحاء والوجهاء منذ صغره، وتنقل من مجلس إلى مجلس، ولازم بعض الأئمة ملازمة الظل لصاحبه سنوات عديدة، ويروى أنه أخذ عن تسع مئة شيخ؛ ثلاث مئة من التابعين، وست مئة من أتباع التابعين، وهذا أمر من شأنه أن يصقل مواهبه الفكرية، ويعلي من ذوقه اللغوي، ويدرب لسانه على الفصاحة في تخاطبه، ويفتق ذهنه ويطور مهارته العقلية، ويصون سمعه عن اللحن الذي تقع فيه العامة والعجم، ويعصمه من النزول إلى دركات العامة في تخاطبها. كما أنه لا يليق بطالب درس على كل هؤلاء وشهدوا له بأنه أهل للفتيا أن يقع في تلك الأخطاء الفظيعة التي تمجها أسماع طلبة هذا العصر.

خلاصة الأمر أن الإمام مالكا إمام في اللغة، ريان من علومها، قد شهد له بالتمكن والتقدم أرباب اللسان، وليس كما صورته بعض القصص المنسوبة إليه زورا.

المبحث الثالث: لغة الإمام مالك في المعاجم اللغوية.

إن المتأمل في المرويات اللغوية المالكية -رغم قلتها- في المعاجم اللغوية والمصنفات الأدبية يلحظ الهيبة التي يتمتع بها الإمام -، والمكانة السامقة التي اعتلاها في العرش اللغوي، فلا تلفي الراوي عنه إلا مذعنا لمروياته اللغوية، أو مفسرا لما قد يُجْمَل على البعض من كلامه أو مروياته، أو ناقلا على سبيل التسليم لما أثر عنه، وحتى لا نكون متخرصين أسوق شواهد من المعاجم اللغوية تبين قيمة لغة الإمام مالك عند أهل اللسان العربي؛ وذلك من خلال النقاط الآتية:

أولا: الاعتماد على تفسيراته للألفاظ الغريبة؛ وأقواله من هذا الصنف كثير، ولولا خشية الإطالة لأتينا على ما وقفنا عليه، ولكن حسبنا أن ننقل ما يوضح المقصود.

المثال الأول: معنى الاستجمار؛ قال أبو عبيد: «قال عبد الرحمن بن مهدي: فسر مالك بن أنس الاستجمار أنه الاستنجاء. قال أبو عبيد وقال أبو زيد: هو الاستنجاء بالحجارة. وقال أبو عمرو والكسائي: هو الاستنجاء أيضا. وروى ابن هانىء عن أبي زيد، يقال: استجمر واستنجى واحد، إذا تمسح بالحجارة»[(١)].

المثال الثاني: معنى الصعيد؛ قال ابن فارس: «الصاد والعين والدال أصل صحيح يدل على ارتفاع ومشقة. من ذلك: الصعود، خلاف الحدور... فأما الصعيد فقال قوم: وجه الأرض. وكان أبو إسحاق الزجاج يقول: هو وجه الأرض، والمكان عليه تراب أو لم يكن. قال الزجاج: ولا يختلف أهل اللغة أن الصعيد ليس بالتراب. وهذا مذهب يذهب إليه أصحاب مالك بن أنس. وقولهم: إن الصعيد وجه الأرض سواء كان ذا تراب أو لم يكن، هو مذهبنا»[(٢)].

المثال الثالث: معنى الضفيرة؛ قال أبو عمرو الداني: «الضفيرة من الشعر وغيره، وجمعها: ضفائر، وكذلك كل ما فتل من حبل وغيره، فهو بالضاد. ومن ذلك قول النبي ﷺ في الأمة إذا زنت في الثالثة أو الرابعة: «فبيعوها ولو

١- أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري: تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط؛ الأولى، ٢٠٠١م، (١١ / ٥٤).

٢- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (٣/ ٢٨٧)؛ قال يحيى: وسئل مالك عن رجل جنب أراد أن يتيمم فلم يجد ترابا إلا تراب سبخة، هل يتيمم بالسباخ؟ وهل تكره الصلاة في السباخ؟. قال مالك: «لا بأس بالصلاة في السباخ، والتيمم منها. لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [سورة النساء؛ الآية ٤٣] فكل ما كان صعيدا فهو يتيمم به سباخا كان أو غيره»؛ ينظر الموطأ: كتاب وقوت الصلاة، باب تيمم الجنب.

بضفير»[1]. قال مالك: وهو الحبل[2].

المثال الرابع: معنى الغبش؛ قال ابن بكير: «قال مالك: غبش وغلس وغبس واحد؛ قال أبو منصور: ومعناها بقية الظلمة يخالطها بياض الفجر»[3].

ثانيا: اعتبار قوله مؤثرا في الوفاق والخلاف؛ ولو لم يكن من أهل اللسان، لما كان لاختلافه تأثير، فلما وجدنا غير ذلك، دل ذلك على سليقيته وفصاحته؛ ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

المثال الأول: معنى الْقِطْنِيَّة؛ فقد جاء في التهذيب: «والقُطنية: الحبوب التي تخرج من الأرض. ويقال: لها: قِطنية، مثل: لُجِّي ولِجِّي، قال وإنما سميت الحبوب: قطنية: لأنها تزرع في الصيف، وتدرك في آخر وقت الحر. وقيل: سميت: قطنية: لأن مخارجها من الأرض، مثل مخارج الثياب القطنية. وقال أبو معاذ. القَطَانيُّ: الْخِلْفُ وَخُضَرُ الصَّيْف. وقالَ شَمِرٌ: القطنية: اسم لهذه الحبوب التي تطبخ. قَال الأَزهري: هي مثل العَدَسِ والخُلَّرِ: وهو الماش والفول والدَّجْرِ: وهو اللّوبِياءُ، والحِمَّص وما شاكلها مما يختبز، ويقتات، سماها الشافعي كلها: قطنية، فيما أخبرني عبد الملك عن الربيع عنه، وهو قول مالك بن أنس»[4].

المثال الثاني: معنى الرَّوَاح؛ فقد روى الحسن بن يحيى عن ابن المنذر قال: كان مالك بن أنس يقول: «لا يكون الرواح إلا بعد الزوال»[5]، في حين ذهب

١- الموطأ: كتاب الحدود، باب جامع ما جاء في حد الزنا، حديث رقم (٦٣٣).

٢- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر- دمشق، ط؛ الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، (٨٢)؛ كلام الإمام موجود في الموطأ: كتاب الحدود، باب جامع ما جاء في حد الزنا، حديث رقم (٦٣٣).

٣- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط؛ الثالثة، ١٤١٤هـ، (٦/ ٣٢٢).

٤- الأزهري: تهذيب اللغة (٩/ ٢٢).

٥- الخطابي: غريب الحديث (١/ ٣٢٨)؛ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (ب ت)، (١/ ٣٠١).

بعض اللغويين إلى أن الرائح هو الخارج عن أهله، وكل من خرج في وقت من الأوقات فقد راح، وعلى هذا مذهب العرب إذا أرادوا الرحيل أي وقت كان من ليل أو نهار قالوا: الرواح[١].

المثال الثالث: معنى القلة والكثرة؛ قال أحمد بن فارس: «واعترض قوم بهذا الذي ذكرناه على أبي عبد الله مالك بن أنس في قوله في الجائحة؛ لأن مالكا يذهب إلى أن الجائحة إذا كانت دون الثلث لم يوضع لأنها قليل بمنزلة ما تناله العوافي[٢] من الطير وغيرها وما تلقيه الريح، فإذا بلغت الجائحة الثلث وما زاد فهي كثيرة، ولزم وضعها للحديث المروي فيها»[٣].

ثالثا: جعل كلامه من الشواهد في بيان معنى اللفظة العربية؛ وهذا وجه آخر يبين مكانة الإمام مالك عند أهل اللغة، فلو كان ممن دخلت لسانه العجمة، وجرى على لسانه اللحن، لما وجدنا أئمة اللغة وأساطينها يحتجون لكلامهم بما تلفظ به الإمام، ومن الأمثلة التي يستأنس بها في هذا السياق، أن كثيرا من اللغويين عند تفسيرهم لألفاظ: خم العين، وسرو الشرب، وشد الحظار؛ استشهدوا بما قاله الإمام في الموطأ: «والسنة في المساقاة التي يجوز لرب الحائط أن يشترطها على المساقى: شَدُّ الْحِظَارِ، وَخَمُّ الْعَيْنِ، وَسَرْوُ الشَّرَبِ. وَإِبَّارُ النَّخْلِ، وَقَطْعُ الْجَرِيدِ، وَجَدُّ الثَّمَرِ هذا وأشباهه»[٤].

قال ابن منظور في دلالة مادة «خمم»: «وهو من خممت البيت إذا كنسته؛ ومثله قول مالك: وعلى الساقي خم العين أي كنسها وتنظيفها»[٥].

١- الخطابي: غريب الحديث (١ / ٣٢٨)؛ قال الأزهري: "والرواح: العشي، يقال: رحنا رواحا: يعني السير بالعشي، وسار القوم رواحا، وراح القوم كذلك. قال: والرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل... قلت: وسمعت العرب تستعمل الرواح في السير كل وقت، يقال راح القوم إذا ساروا وغدوا كذلك. ويقول أحدهم لصاحبه تروح ويخاطب أصحابه فيقول روحوا أي سيروا"؛ تهذيب اللغة (٥ / ١٤٣).
٢- العوافي: من قولك: عافت الطير أي استدارت على الشيء أو الماء أو الجيف.
٣- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية (٩٧).
٤- الموطأ: كتاب المساقاة، باب ما جاء في المساقاة.
٥- ابن منظور: لسان العرب (١٢ / ١٩٠).

وقال أيضا في مادة «سرا»: «والسري: النهر؛ عن ثعلب، وقيل: الجدول، وقيل: النهر الصغير كالجدول يجري إلى النخل، والجمع أسرية وسريان... وقوله عز وجل: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [1]؛ روي عن الحسن أنه كان يقول: كان والله سريا من الرجال، يعني عيسى عليه السلام، فقيل له: إن من العرب من يسمي النهر سريا، فرجع إلى هذا القول. وروي عن ابن عباس أنه قال: السري الجدول، وهو قول أهل اللغة. وأنشد أبو عبيد قول لبيد يصف نخلا نابتا على ماء النهر:

سُحُقٌ يُمَتِّعُها الصَّفَا وسَرِيُّه عُمٌّ نواعِمُ، بَيْنَهُنَّ كُرُومُ

وفي حديث مالك بن أنس: يشترط صاحب الأرض على المساقي خم العين وسرو الشرب؛ قال القتيبي: يريد تنقية أنهار الشرب وسواقيه، وهو من قولك سروت الشيء إذا نزعته، قال: وسألت الحجازيين عنه فقالوا: هي تنقية الشربات. والشربة: كالحوض في أصل النخلة منه تشرب، قال: وأحسبه من سروت الشيء إذا نزعته وكشفت عنه» [2].

رابعا: تفرده في نقل بعض الألفاظ عن العرب؛ إذ ثبت نقله لكلمات لم ينقلها غيره، ومن ذلك ما جاء عنه في جمع دجال على دجاجلة، قال ابن منظور: «قال ابن خالويه: ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبي عمرو قال: الدجال المموه، يقال: دجلت السيف موهته وطليته بماء الذهب، قال: وليس أحد جمعه إلا مالك بن أنس في قوله هؤلاء الدجاجلة؛ ورأيت هنا حاشية قال: صوابه أن يقول لم يجمعه على دجاجلة إلا مالك بن أنس؛ إذ قد جمعه النبي ﷺ في حديثه الصحيح فقال: «يكون في آخر الزمان دجالون» [3] أي كذابون مموهون» [4].

١- سورة مريم: الآية ٢٤.
٢- ابن منظور: لسان العرب (١٤ / ٣٨٠).
٣- صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم (٢٢٣٩).
٤- لسان العرب (١١ / ٢٣٦-٢٣٧).

وقال الزَّبِيدِي في السياق نفسه: «والجمع: دجالون، كما في التهذيب. قال شيخنا: وقد جمعوه على دجاجلة، على غير قياس. وعن عبد الله بن إدريس الأزدي: ما عرفت دجالا يجمع على دجاجلة حتى سمعتها من مالك، حيث قال: وذكر ابن إسحاق، يعني صاحب السيرة: إنما هو دجال من الدجاجلة»[١].

وقد ورد عن الأصمعي أنه قال: «أخبرني مالك أن الاستجمار هي الاستطابة ولم أسمعه إلا من مالك»[٢]، وروى الخطابي عن محمد بن الحسين الآبري، نا محمد بن إسحاق بن خزيمة، سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سئل ابن عيينة عن قوله: «من استجمر فليوتر»[٣] فسكت، فقيل له: أترضى بما قال مالك؟ قال: وما قال مالك؟ قيل، قال مالك: الاستجمار: الاستطابة بالأحجار، فقال ابن عيينة: مثلي ومثل مالك كما قال الأول:

وابـن لبون إذا مـا لـز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس[٤].

إذًا؛ من خلال ما سبق الإشارة إليه، يمكن القول: إن الإمام مالكا من أهل اللسان العربي الذين يتكلمون بها سليقة وسجية، يحتج بأقوالهم فيما يتعلق باللغة، ويستشهد بمروياتهم في بيان دلالة الألفاظ.

المبحث الرابع: خدمة الإمام مالك للغة العربية.

يمكن القول: إن الإمام مالكا من أوائل من خدموا اللغة العربية بالاعتناء بغريب الحديث، فقد ترك لهذه الأمة قاموسا لغويا يفيدها في فهم خطاب الشارع الحكيم. ومن طالع كتابه الموطأ أو ما رواه طلبته عنه؛ فسيقف على اعتناء الإمام

١- الزبيدي: تاج العروس (٢٨ / ٤٧٨).
٢- القاضي عياض: ترتيب المدارك (١ / ٨١).
٣- متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب الاستجمار وترا، حديث رقم (١٦٢)؛ صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الإيثار في الاستنثار والاستجمار، حديث رقم (٢٣٧).
٤- الخطابي: غريب الحديث (١ / ٦٩-٧٠).

في بيان غريب النصوص الشرعية وتفسيرها باعتباره مرحلة أساس في اقتناص الأحكام الشرعية، وسيعلم قطعا ويقينا أن مالكا إمام في اللغة ورائد في هذا الفن؛ قال أبو عبد الله الحاكم -: «ذكر النوع الثاني والعشرين من علوم الحديث هذا النوع منه معرفة الألفاظ الغريبة في المتون، وهذا علم قد تكلم فيه جماعة من أتباع التابعين، منهم: مالك، والثوري، وشعبة، فمن بعدهم»[1].

ومما ينبغي التنبيه إليه، أن أغلب المصنفين في غريب الحديث قد جعلوا تفسيرات الإمام عمدتهم في البيان والإيضاح، وأن قوله مؤثر في توجيه التص الشرعي، ومؤثر أيضا في دلالته وفاقا واختلافا، وما ذاك إلا لأنه إمام في العلوم اللغوية.

ونظرا إلى كثرة الأمثلة التي يمكن سوقها في بيان صدق هذه الدعوى؛ -إذ مجموع الألفاظ التي فسرها الإمام في الموطأ وحده تتجاوز الستين، فإذا أضفنا عليها مرويات طلبته في المدونة وغيرها، حصلنا ثورة لغوية مهمة-؛ فإنني سأقتصر على بعضها بما يحقق المقصود ويوصل إلى الهدف المنشود؛ ومن تلك الأمثلة:

المثال الأول: قال يحيى: قال مالك: وسمعت أن البائس هو الفقير. وأن المعتر هو الزائر. وقال أيضا: والقانع هو الفقير أيضا[2].

المثال الثاني: ما رواه الإمام مالك عن يحيى بن سعيد، أن عمر بن الخطاب انصرف من صلاة العصر فلقي رجلا لم يشهد العصر. فقال عمر: «ما حبسك عن صلاة العصر»؟ فذكر له الرجل عذرا، فقال عمر: «طففت» قال يحيى: قال

١- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري: معرفة علوم الحديث، المحقق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط؛ الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، (٨٨).

٢- الموطأ: كتاب الصيد، باب ما يكره من أكل الدواب.

مالك، ويقال: «لكل شيء وفاء وتطفيف»[١].

المثال الثالث: ما رواه الإمام مالك، عن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن، أنه سمعها تقول: «لعن رسول الله ﷺ المختفي والمختفية»، يعني نباش القبور[٢].

المثال الرابع: ما رواه الإمام مالك عن حميد بن نافع : فقلت لزينب بنت أبي سلمة: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: «كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها، دخلت حفشا، ولبست شر ثيابها، ولم تمس طيبا، ولا شيئا حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به، فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بعرة، فترمي بها، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره» قال مالك: «والحفش: البيت الرديء، وتفتض تمسح به جلدها كالنشرة»[٣].

المثال الخامس: ما رواه الإمام مالك عن داود بن الحصين، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ «نهى عن المزابنة، والمحاقلة»، والمزابنة: اشتراء الثمر بالتمر في رؤوس النخل، والمحاقلة: كراء الأرض بالحنطة[٤].

المثال السادس: ما رواه الإمام مالك عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «جرح العجماء جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس» قال مالك: «وتفسير الجبار أنه لا دية فيه»[٥].

١- الموطأ: كتاب وقوت الصلاة، باب ما جاء في دلوك الشمس وغسق الليل.
٢- الموطأ: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الاختفاء، حديث رقم (٢٧٠).
٣- الموطأ: كتاب الطلاق، باب ما جاء في الإحداد، حديث رقم (٥٣٠).
٤- الموطأ: كتاب البيوع، باب جامع بيع التمر، حديث رقم (٥٥٤).
٥- الموطأ: كتاب العقول، باب جامع العقل، حديث رقم (٦٥٤).

المثال السابع: ما رواه الإمام مالك عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبي مسعود الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن» يعني بمهر البغي: ما تعطاه المرأة على الزنا، وحلوان الكاهن رشوته، وما يعطى على أن يتكهن[1].

وبهذا المثال نختم هذا المبحث، وقد وقفنا كما ترى على جملة من التفسيرات اللغوية للألفاظ، وما تركته أكثر بكثير مما ذكرته، فقد تتبعتها في كتاب الموطأ والمدونة فألفيتها تقارب المئتين أو تزيد، وهي تؤكد ما سلف التنبيه إليه فيما سبق من المباحث على إمامة الإمام مالك في علوم اللغة وعلو كعبه فيها، صحيح أن مروياته فيها قليلة بالمقارنة مع غيره، لكن شهرته في الفقه والحديث جعلته مغمورا في اللغة، ولو أنه جعلها قصده الأول كالفقه والحديث، لغرد فيها وحيدا، كما غرد في العلوم التي اعتنى بها.

١- الموطأ: كتاب البيوع، باب ما جاء في ثمن الكلب، حديث رقم (٥٦٨).

خـاتـمة

يأمل الباحث من خلال هذه الدراسة -التي لم يكن القصد منها استيعاب الموضوع نظرا إلى طبيعة المقال- أن يكون ما سطره كافيا للفت أنظار الباحثين والدارسين إلى أهمية الموضوع بقصد توجيه عنايتهم إلى دراسة التراث اللغوي عند الإمام مالك، دراسة علمية ومنهجية واستقرائية بقصد دحض كل الشبهات التي أثيرت حول لغة الإمام، وبيان دور اللغة في العملية الاجتهادية عنده، وكذا إنتاجاته وإسهاماته فيها.

كما يأمل الباحث أيضا أن تكون هذه الدراسة محاولة أولية تأسيسية تسهم في تسليط الضوء على القضية المدروسة، وتقدم للباحثين في التراث المالكي والمهتمين به مجموعة من النتائج والخلاصات التي يمكن تسجيلها فيما يأتي:

أولا: أن كل القصص والآثار التي تحكي ضعفا في لغة الإمام مالك ووهنا فيها لا تصح عنه؛ وقد تتبعناها ودرسناها دراسة علمية موضوعية، وقد وجدناها نسبت إليه كذبا وزورا، فهي كما رأينا إما ضعيفة أو موضوعة من جهة السند لجهالة بعض رواته أو اشتهارهم بالكذب أو غير ذلك من العلل القادحة، وإما منكرة من جهة المتن، ويبعد جدا أن يقع في مثل تلك الأخطاء من هو في مكانة الإمام مالك وجلالة قدره.

ثانيا: أن الإمام مالكا إمام في اللغة، ريان من علومها، قد شهد له بالتمكن والتقدم أرباب اللسان، وليس كما صورته بعض القصص المنسوبة إليه زورا.

ثالثا: أن الدارس للحياة العلمية للإمام مالك يستطيع أن يقف على جوانب مضيئة في لغته وتمكنه من ناصيتها، ويتلمس منهجه في طلبها والصبر على تحصيلها، ويدرك قصده من اهتمامه وشغفه بها؛ ويمكن تلمس منزلته عند أئمة

هذا الشأن في جوانب متعددة منها طلبه لعلوم اللغة عند أهلها مثل ابن هرمز، وثناؤه على علوم اللغة وأهلها واعتبارها من الدين ولا يمكن فهم مقاصده إلا بها، وثناء أهل اللسان على لغته ولو كان غير ذلك لوجدنا قدحا لا مدحا، ودفاع أهل اللسان عن لغة الإمام مالك؛ وفي هذا تزكية له وثناء على عروبته وسليقته وملكته وسجيته، وإقرار منهم بتمكنه وتبحره وتفننه، واشتراط الإمام مالك في الناظر في النصوص الشرعية بغرض الاستنباط والتأمل والتدبر إتقان اللسان العربي.

رابعا: أن الناظر والمتأمل في المرويات اللغوية المالكية -رغم قلتها- في المعاجم اللغوية والمصنفات الأدبية يلحظ الهيبة التي يتمتع بها الإمام -، والمكانة السامقة التي اعتلاها في العرش اللغوي، فلا تلفي الرواة عنه إلا مذعنين لمروياته اللغوية، أو مفسرا لما قد يُجْمَل على بعض كلامه أو مروياته، أو ناقلا على سبيل التسليم لما أثر عنه.

خامسا: أن الإمام مالكا من أوائل من خدموا اللغة العربية بالاعتناء بغريب الحديث، فقد ترك لهذه الأمة قاموسا لغويا يفيدها في فهم خطاب الشارع الحكيم، ومن طالع كتابه الموطأ أو ما رواه طلبته عنه؛ فسيقف على اعتناء الإمام في بيان غريب النصوص الشرعية وتفسيرها باعتباره مرحلة أساسًا في اقتناص الأحكام الشرعية، وسيعلم قطعا ويقينا أن مالكا إمام في اللغة ورائد في هذا الفن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .
- أحمد بن إسماعيل البرزنجي: إصابة الداهي شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي، المطبعة الحميدية المصرية، ط؛ ١٣١٦هـ.
- أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وعبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط؛ الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط؛ الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث-القاهرة، ط؛ الأولى، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم العمل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط؛ الرابعة، ١٣٩٧هـ.
- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي؛ دار ابن الجوزي- السعودية؛ ط؛ الثانية، ١٤٢١هـ، (٢ / ٥٥).
- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط؛ الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط؛ الثانية، (د ت).
- أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري: أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط؛ الثالثة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري: القبس في شرح موطإ مالك بن أنس، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم؛ دار الغرب الإسلامي؛ ط؛ الأولى، ١٩٩٢م.
- أبو بكر محمد بن يحى الصولي: أدب الكاتب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية -مصر، المكتبة العربية - بغداد، ط؛ ١٣٤١هـ.

- أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي البغدادي: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط؛ الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني بن أبي بكر ابن نقطة الحنبلي البغدادي: إكمال الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، الناشر: جامعة أم القرى- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي: الضعفاء الكبير، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية- بيروت، ط؛ الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط؛ الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط؛ الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط؛ الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط؛ الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م.
- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي: التفسير البسيط، تحقيق: حقق في ١٥ رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط؛ الأولى، ١٤٣٠هـ.
- أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط؛ الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين: تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية- الكويت، ط؛ الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط؛ الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي: تاريخ ابن معين رواية الدوري، المحقق: أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- مكة المكرمة، ط؛ الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط؛ الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
- أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، ط: ١٣٧٣هـ/ ١٩٦٦م.
- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر- دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط؛ الأولى، (من ١٩٠٠م إلى ١٩٩٤م).
- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: الضعفاء والمتروكون، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط؛ الأولى، ١٣٩٦هـ.
- عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المكتب الإسلامي، ط؛ الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- أبو عبد الله أحمد بن حنبل: الجامع في العلل ومعرفة الرجال، رواية: المروذي وغيره، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية، بومباى-الهند، ط؛ الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري: معرفة علوم الحديث، المحقق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط؛ الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط؛ الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط؛ الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- أبو عبد الله علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط؛ الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- عبد الله محمد بن الطيب الفاسي: فيض الانشراح من فيض طي الاقتراح، تحقيق وشرح: محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ط؛ الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط؛ الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- أبو عبد الله محمد شمس الدين بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط؛ الأولى، ٢٠٠٣م.
- علي بن إسماعيل الأبياري: التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، تحقيق: علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري، دار الضياء- الكويت، ط؛ الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي-السعودية، ط؛ الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله ﷻ وفى المشهور من الكلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر- دمشق، ط؛ الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْني الحنفي: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سَالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث- صنعاء، اليمن، ط؛ الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط؛ الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند، ط؛ الأولى، ١٣٢٦ه.
- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط؛ الأولى، ٢٠٠٢م.
- أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك؛ تحقيق: ابن تاويت الطنجي وعبد القادر الصحراوي ومحمد بن شريفة وسعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، ط؛ الأولى، (د ت)، (٢ / ٣٤).
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط؛ الثالثة، ١٤١٤هـ.
- أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (ب ت).
- أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (ب ب).
- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، (٥١ / ٣٣٦-٣٣٧).
- كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: سهيل زكار، دار الفكر، (د ب).
- مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي-الإمارات، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر- القاهرة، ط؛ الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: بوجمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج- جدة، ط؛ الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري؛ تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر؛ دار طوق النجاة؛ ط؛ الأولى، ١٤٢٢هـ.
- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط؛ الأولى، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي: السنية الكاملة الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية، مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣١٩ لصاحبها إسماعيل حافظ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري: تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط؛ الأولى، ٢٠٠١م.
- أبو يعلى خليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد- الرياض، ط؛ الأولى، ١٤٠٩ه.

Sources and References:

- The Holy Quran: Warsh Recitation ('An Naafi')
- Ahmed bin Ismail al-Barzanji: 'Isabet Al Dahii Shakelat 'Irab 'In Lam Yajed 'Ila Heya. Egyptian Hamidia press. (1st ed.),1316 AH.
- Abu Ahmed Abdullah bin Uday bin Abdullah al-Jarjani. Al Kamel Fi Du'afa' Al Rijal Auditing: Adel Ahmed Abdel-Qadi, Ali Mohammed Mouawad and Abdel Fattah Abu Sunni. Scientific Books. Beirut, Lebanon. (1st ed.), 1418 AH /1997 AD.
- Abu Bakr Ahmed bin Al-Hussein al-Beheqi: Shu'ab Al 'Imaan. Auditing: Abdul Ali Abdul Hamid Hamed, Al-Rashid Library in Riyadh in collaboration with the Salafist House in Bombay. India, (1st ed.). 1423 AH / 2003 AD.
- Abu Bakr Ahmed bin Al-Hussein al-Beheqi: Manaqib Al Shafe'i (Virtues of Al Shafe'i). Auditing: Mr. Ahmed Saqr. Dar Al Heritage Library. Cairo. (1st ed.), 1390 AH /1970 AD.
- Abu Bakr Ahmed bin Ali al-Khatib al-Baghdadi: 'Iqtida' Al 'Ilm Al 'Aamal (Science Requires Work). Auditing: Mohammed Nasser al-Din al-Albanian. Islamic Bureau. Beirut. (4th ed.), 1397 AH.
- Abu Bakr Ahmed bin Ali al-Khatib al-Baghdadi: Al Faqih Wa Al Mutafaqeh. Auditing: Abu Abdul Rahman Adel bin Yusuf al-Gharazi. Dar Ibn al-Jawzi. Saudi Arabia. (2nd ed.), 1421 AH (2/55).
- Abu Bakr Ahmed bin Ali al-Khatib al-Baghdadi: Baghdad History. Auditing: Bashar Awad Marouf, Dar al-Gharbi al-Islami. Beirut, (1st ed.). 1422 AH / 2002 AD.
- Abu Bakr Mohammed bin Al-Hassan al-Zubaidi al-Andalusi: Grammarians' and Linguists' Classes. Auditing: Mohamed Abo Fadl Ibrahim. Dar al-Ma'afa. (2nd ed.).
- Abu Bakr Mohammed bin Abdullah bin Al-Arabi al-Ma'afri: 'Ahkaam Al Qura'an (The Provisions of Qur'an). Auditing: Mohammed Abdelkader Atta. Dar al-Sama'a. Beirut, Lebanon. (3rd ed.) 1424 AH / 2003 AD.
- Abu Bakr Mohammed bin Abdullah bin Al-Arabi al-Ma'afri: Al Qabas Fi Sharh Muwatta' Malik bin Anas. Auditing: Mohammed Abdullah Ould Karim. Dar al-Gharbi al-Islami. (1st ed.). 1992 AD.
- Abu Bakr Mohammed bin Yaha al-Souli: 'Adab Al Katib (Writer's Literature). Auditing: Mohammed Bahha'. Al-Archaeological Salafist Press. Egypt. Arab Library. Baghdad, (1st ed.). 1341 AH.

- Abu Bakr Moin al-Din Mohammed bin Abdul Ghani, son of Hanbali al-Baghdadi Point: Al Taqyed Li Ma'refat Ruwaat Al Sunan and Masaneed. Auditing: Kamal Yusuf al-Hout, Dar al-Suri. (1st ed.).1408 AH / 1988 AD.
- Abu Bakr Moinuddin Mohammed bin Abdul Ghani bin Abu Bakr ibn Al-Hanbali al-Baghdadi: Ikmal Al Ikmaal. Auditing: Abdul Qayyum Abdul Rib al-Nabi, Publisher: Um al-Qura University. Mecca, (1st ed.).1410 AH.
- Abu Jaafar Mohammed bin Amr bin Musa bin Hammad al-Aqili: Al Du'afaa' Al Kabeer. Auditing: Abdul Muti Amin Qalaji. Dar al-Sama'a- Beirut. (1st ed.).1404 AH / 1984 AD.
- Jalaluddin Abdul Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti: Al Mizher Fi 'Uluum Al Lughah Wa Anwa'iha (in linguistics and its types). Auditing: Fouad Ali Mansour. Dar al-Saniq. Beirut. (1st ed.).1418 AH /1998 AD.
- Jamal al-Din Abdul Rahman bin Ali bin Mohammed al-Jawzi: Al Mawdu'at (Topics). Auditing: Abdul Rahman Mohammed Osman, Mohammed Abdul Mohsen, Owner of the Salafist Library in Medina. (1st ed.).1386 AH / 1966 AD.
- Abu al-Hajjaj Jamal al-Din Yusuf bin Abdul Rahman al-Mazzi: Tahtheeb Al Kamal Fi Asmaa' Al Rijal. Auditing: Bashar Awad Marouf, Al-Resala Foundation. Beirut. (1st ed.). 1400 AH / 1980 AD.
- Abu al-Hassan Jamal al-Din Ali bin Yusuf al-Qafti: 'Inbah Al Ruwah 'Ala 'Anba' Al Nuhat. Auditing: Mohammed Abu Fadl Ibrahim. Arab Thought House. Cairo, and the Cultural Books Foundation. Beirut. (1st ed.).1406 AH / 1982 AD.
- Abu al-Hassan Ali bin Ahmed bin Mohammed al-Wahidi: Al Tafseer Al Baseet (Simple Interpretation). Auditing: Auditing in 15 Doctoral Letters at Imam Mohammed Bin Saud University, then conducted by a scientific committee from the University in Bske and coordinated, Dean of Scientific Research - Imam Mohammed Bin Saud Islamic University. (1st ed.).1430 AH.
- Abu Al-Hussein Ahmed bin Fares al-Qazwaini: Al-Sahabi Fi Fiqh Al Lughah Al Arabiah Wa Masa'ilaha Wa Sunan Al Arab Fi Kalameha. Muhammad Ali Beydoun. (1st ed.).1418 AH / 1997 AD.
- Abu Al-Hussein Ahmed bin Fares bin Zakaria al-Qazwaini Al-Razi: Maqayes Al Lughah (Language Standards). Auditing: Abdessalam Mohammed Haroun. Dar al-Thought. 1399 AH / 1979 AD.
- Abu Hafs Omar bin Ahmed bin Osman Ibn Shaheen: Tareekh 'Asmaa' Al Thuqat. Auditing: Sobhi Al-Samarrai, Salafist House. Kuwait. (1st ed.). 1404 AH / 1984 AD.

- Abu Hayyan Mohammed bin Yusuf bin Ali al-Andalusi: 'Irtishaf Al Darb Fi Lisan Al Arab. Auditing, explaining, and studying: Rajab Osman Mohammed, Al Khanji Library in Cairo. (1st ed.). 1418 AH / 1998 AD.
- Abu Zakaria Yahya bin Moin al-Baghdadi: The History of Ibn Mo'in Al Douri Narrating. Auditing: Ahmed Mohammed Nur Saif, Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage. Mecca. (1st ed.). 1399 AH /1979 AD.
- Abu Saad Abdul Karim bin Mohammed al-Samani: Al Ansaab (Genealogy). Auditing: Abdul Rahman bin Yahya Al-Moallemy Al-Yamani and others, Council of the Ottoman Knowledge Department, Hyderabad. (1st ed.). 1382 AH / 1962 AD.
- Abu Saeed al-Hassan bin Abdullah al-Sirafi: Akhbaar Al Nahawyeen Al Basryeen (Grammarians). Auditing: Taha Mohammed al-Zini, Mohammed Abdul Moneim Khafaji, Mustafa al-Babi al-Halabi. (1st ed.). 1373 AH / 1966 AD.
- Abu Suleiman Hamad bin Mohammed bin Ibrahim bin Al-Khattab al-Basti, known as Al-Khattab al-Khattab: Gharib Al Hadith. Auditing: Abdul Karim Ibrahim al-Gharbawi, Dar al-Fikr. Damascus. 1402 AH / 1982 AD.
- Abu Abbas Shamseddine Ahmed bin Mohammed Ibn Khalkan: Wafiyat Al 'Ayaan Wa 'Anba' 'Abna' Al Zamman. Auditing: Ihsan Abbas. Dar Sader - Beirut. (1st ed.). (From 1900 to 1994 AD).
- Abu Abdul Rahman Ahmed bin Shoaib Women: Al Dua'fa' Wa Al Metrocon. Auditing: Mahmoud Ibrahim Zayed. Dar al-Awa - Aleppo. (1st ed.). 1396 AH.
- Abdul Rahman bin Yahya bin Ali al-Moallemy al-Yamani: Al Tankeel Bema Fi Ta'neeb Al Kuthari Min Al Abateel. The Islamic Office. (2nd ed.) 1406 AH / 1986 AD.
- Abu Abdullah Ahmed bin Hanbal: Al Jami' Fi Al 'Ilal Wa Ma'rfat Al Rijal. Narrating: Al-Marouti and others, Auditing: Willyullah bin Mohammed Abbas. Salafist House. Bombay-India. (1st ed.). 1408 AH / 1988 AD.
- Abu Abdullah al-Hakim Mohammed bin Abdullah bin Mohammed bin Hamaduyeh al-Nisaburi: Ma'rifat 'Ulum Al Hadith. Auditing: Mr. Most Hussein. House of Scientific Books. Beirut. (2nd ed.). 1397 AH / 1977 AD.
- Abu Abdullah Shamseddine Mohammed bin Ahmed al-Dhahabi: Seyar 'Alaam Al Nublaa'. (The Biography of Famous/Brilliant Nobles). Auditing: A Group of Auditing under the supervision of Sheikh Shoaib Al-Arnaout. Al-Resala Foundation. (3rd ed.). 1405 AH / 1985 AD.
- Abu Abdullah Shamseddine Mohammed bin Ahmed Al-Dhahabi: Ma'rifat Al Quraa' Al Kibar 'Ala Al Tabaqat Wa Al 'Asaar. Dar al-Suri. (1st ed.). 1417 AH / 1997 AD.

- Abu Abdullah Aladdin Makhtay bin Qalyj bin Abdullah al-Bakjri: 'Ikmaal Tahtheb Al Kamal Fi Asmaa' Al Rijal (Completing the Perfect Refinement in the Names of Men). Auditing: Abu Abdul Rahman Adel bin Mohammed and Abu Mohammed Osama bin Ibrahim. Al-Faruq Al-Haditha printing, and publishing. (1st ed.). 1422 AH / 2001 AD.
- Abdullah Mohammed bin Tayeb Al Fassi: Fayed Al 'Inshirah Min Fayd Taye Al 'Iqtirah. Auditing, and explanation: Mahmoud Yusuf Fajal. Research House for Islamic Studies and Heritage Revival in Dubai. (1st ed.).1421 AH / 2000 AD.
- Abu Abdullah Mohammed bin Saad, known as Ibn Saad: Al Tabqaat Al Kubra (The Great Classes). Auditing: Mohammed Abdelkader Atta. House of Scientific Books. Beirut. (1st ed.). 1410 AH / 1990 AD.
- Abu Abdullah Mohammed Shamseddine bin Ahmed bin Osman al-Dhahabi: Tarekh Al Islam Wa Wafeyaat Al Mashaheer Wa Al 'Alaam (The History of Islam, The Deaths of Celebrities and Media Figures). Auditing: Bashar Awad Marouf. Dar al-Gharbi al-Islami. (1st ed.). 2003 AD.
- Ali bin Ismail Al-Abyari: Al Tahqeq Wa Al Bayaan Fi Shareh Al Burhaan Fi 'Usul Al Fiqh (Investigation and statement in explaining the evidence in the Jurisprudence Principles). Auditing: Ali bin Abderrahmane Bassam al-Jazairi. Dar al-Dia. Kuwait. (1st ed.). 1434 AH / 2013 AD.
- Abu Omar Yusuf bin Abdullah bin Abdul Bar al-Qartabi: Jaame' Bayan Al 'Ilm Wa Fadleh. Auditing: Abu al-Cubs Al-Zuhairi. Dar Ibn al-Jawzi. Saudi Arabia. (1st ed.). 1414 AH / 1994 AD.
- Abu Amr Osman bin Saeed al-Dani: Al Farq Bayna Al dad Wa Al Dhad Fi Kitab Allah 'Aza Wa Jal Wa Fi Al Mashhoor Min Al Kalaam. Auditing: Hatem Saleh al-Da'dan. Dar al-Bashair. Damascus. (1st ed.). 1428 AH / 2007 AD.
- Abu al-Fida Zain al-Din Qasim bin Qatlubga Al-Sudouni Al-Hanafi: Al Thuqat Meman Lam Yaqa' Fi Al Kutub Al Sitah. Studying and Auditing: Shadi bin Mohammed bin Salem Al Noman, Al-Numan Center for Research, Islamic Studies, and Heritage Achievement. Sana'a. Yemen. (1st ed.). 1432 AH / 2011 AD.
- Abu al-Faraj Jamal al-Din Abdul Rahman bin Ali al-Jawzi: Al Muntatham Fi Tareekh Al 'Umam Wa Al Muluuk Auditing: Mohammed Abdelkader Atta and Mustafa AbdelKader Atta. House of Scientific Books. Beirut. (1st ed.). 1412 AH / 1992 AD.
- Abu Fadl Ahmed Bin Ali bin Hajar al-Ashkelani: Tahthib Al Tahthib. Regular Knowledge Circle Press. India. (1st ed.).1326 AH.

- Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Mohammed bin Ahmed bin Hajar al-Ashkelani: Lisan Al-Mezan. Auditing: Abdel Fattah Abu Ghada. Dar al-Bashair al-Islami. (1st ed.). 2002 AD.
- Abu Al-Fadl Judge Iyad al-Hasabi: Tarttib Al Madarik Wa Taqrib Al Masalik. Auditing: Ibn Tawit al-Tingi, Abdelkader Sahraoui, Mohamed Ben Sherifa and Said Ahmed Arhab, Fadala Press. Muhammadiyah. Morocco. (1st ed.). (2/34).
- Abu al-Fadl Jamal al-Din Mohammed bin Makram bin Ali bin Masar al-Ruweifi al-Aqrabi: Lisan Al Arab. Dar Sader. Beirut. (3rd ed.) 1414 AH.
- Abu Al-Fadl Iyadh bin Musa al-Hasabi al-Sabti: Mashariq Al Anwaar 'Ala Sihah Al Aathar. The Antique Library and The House of Heritage.
- Abu al-Fayed Mohammed bin Mohammed bin Abdul Razzaq al-Husseini, alias Morteza Al Zubaidi: Taj Al 'Aruus Min Jawaher Al Qamoos (The Bride's Crown is a jewel in the dictionary). Dar al-Hidaya.
- Abu al-Qasim Ali bin Al-Hassan bin Hibaallah, known as Ibn Askar: Damascus History. Auditing: Amr bin Jara al-Amrwi. Dar al-Thought. 1415 AH / 1995 AD. (51/336-337).
- Kamal al-Din Omar bin Ahmed Ibn al-Adim: Bughyat Al Talab Fi Tareekh Halab. Auditing: Suhail Zakkar. Dar al-Fikr.
- Malik Bin Anas: Al Muwatt'. Auditing: Mohammed Mustafa Al Azami, Zayed Bin Sultan Al Nahyan Foundation. Abu Dhabi/UAE, 1425 AH / 2004 AD.
- Abu al-Muhasin al-Mahbou, ibn Mohammed bin Maser al-Tanukhi al-Maari: Tarekh Al 'Ulamaa' Al Nahawyeen Min Al Basreyeen Wa Al Kufeyeen Wa Ghayrehim. Auditing: Abdel Fattah Mohammed al-Helou, Hijr for printing and publishing. Cairo. (2nd ed.).1412 AH / 1992 AD.
- Abu Mohammed al-Tayeb bin Abdullah bin Ahmed bin Ali Baqhra: Qiladat Al Naher Fi Wafiyat 'Ayaan Al Dahr. Auditing: Boujemaa Makri and Khaled Zouari. Dar al-Mahj. Jeddah. (1st ed.). 1428 AH / 2008 AD.
- Muhammad bin Ismail Abu Abdullah al-Bukhari al-Jaafi: Al Jami' Al Musnad Al Sahih Al Mukhtaser Min Omur Rasul Allah (PBUH) Wa Sunaneh Wa Ayameh= Sahih Al Bukhari. Auditing: Mohammed Zuhair bin Nasser al-Nasser. Dar Al-Tuq al-Najat. (1st ed.).1422 AH.
- Abu Mohammed Abdul Rahman bin Mohammed Ibn Abi Hatem al-Razi: Al Jarh Wa Al Ta'deel (Wound and Modification). Arab Heritage Revival House. Beirut. (1st ed.). 1271 AH / 1952 AD.

- Mohammed Mahmoud bin Al-Qatalab al-Turki al-Shangiti: Al Sunaniyah Al Kamelah Al Rehlah Al 'Ilmeyah Al Shaqiteyah Al Tarkezeyah. Encyclopedia Press on Bab al-Khalq Street. Egypt. 1319 AD by Ismail Hafez.
- Muslim Ibn al-Hajjaj Abu al-Hassan al-Qashiri al-Nisaburi: Al Musnad Al Sahih Al Mukhtaser Benaql Al 'adl 'An Al 'Adl 'Ila Rasul Allah (PBUH)Auditing: Mohammed Fouad Abdel Baki. House of Revival of Arab Heritage. Beirut.
- Abu Mansour Mohammed bin Ahmed bin Al-Azhari: Tahtheb Al Lughah (Language Discipline). Auditing: Mohammed Awad Mareeb. Arab Heritage Revival House. Beirut. (1st ed.). 2001 AD.
- Abu Ya'ali Khalil bin Abdullah bin Ahmed al-Khalili: Guidance in The Knowledge of Modern Scholars (Al Irshad Fi Ma'rifat 'Ulamaa' Al Hadeeth. Auditing: Mohammed Saeed Omar Idris. Library of Majority. Riyadh. (1st ed.). 1409 AH.

إشكالات الصكوك الاستثمارية
وما يواجه مشروعيّتها من تحديات

Sukūk Investment Difficulties
And the Challenges Facing its Legitimacy

د. محمد علي جبران زريّب
جامعة نجران – المملكة العربية السعودية

Dr. Mohammad Ali Gobran Zurib
Najran University, Saudi Arabia Kingdom

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.03

تاريخ تسلم البحث 2021/3/31 - وصدر خطاب القبول 2021/7/7

ملخص البحث

هناك قَدْر من التكلف الفقهي للتنصل من بعض إشكالات الصكوك الاستثمارية، وهذه النزعة المبالغة في إسلاميّة هذه الصكوك قد حدَت ببعضهم لأن يغتفر فيها ما لا يغتفر في غيرها، بحجة أن الصكوك أداة إسلامية أصيلة ظهرت على أيدي علماء الاقتصاد الإسلامي(وهذا التفريق والتعليل ليس كافياً لتجاوز تحدياتٍ تشريعية وإشكالاتٍ شرعيّة تستدعي إمعان النظر الفقهي فيها، ولذلك سيُعنى هذا البحث -بصفة رئيسة- بالجانب التحليلي للصكوك الاستثمارية من حيث تشخيص العقبات والتحديات والإشكاليات التي تعترض مشروعيتها، إلا أنه يعرّج على تحرير الحكم تبَعاً لتكتمل الصورة، وعليه فسيتناول هذا البحث -بالدراسة والتحليل- بعض إشكالات مشروعية الصكوك محفوفةً بمداخل تصويرية لمفهومها وأهم ما يتعلق بها من عناصر وصفية وأحكام شرعية، بحيث يشتمل على مقدمةٍ وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة متضمنةً -بعد الديباجة- أهميةَ البحث ومنهجه والدارسات السابقة وخطة البحث.

والمبحث الأول في مفهوم الصكوك، وخصائصها، والفرق بينها وبين الأوراق المالية المشابهة، وتاريخها وأهميتها وأنواعها ومراحلها.

وأما المبحث الثاني ففي الإشكالات المتعلقة بالصكوك المالية، بحيث نعرِض في هذا المبحث

Abstract

There is a degree of jurisprudential self-burdening to disavow some of the problems of investment sukuk, this exaggerated tendency to islamicize these sukuk has led some of them to tolerate what might not be tolerated in other matters, on the pretext that the sukuk is an authentic Islamic tool that appeared in the hands of Islamic economists (This differentiation and justification is not sufficient to overcome legislative challenges and legal (Shari'a) dilemmas that require full jurisprudential consideration. This research mainly deals with the analytical aspect of sukuk investment in terms of pinpointing the obstacles and challenges facing their legitimacy. However, it is going to edit the verdict according to the completeness of the picture, and accordingly, this research will address - through study and analysis - some of the problems of the legitimacy of the sukuk with pictorial approaches to their concept and the most important descriptive elements and Sharia rulings related to them. The study comprises of an introduction, three chapters and a conclusion:

The introduction includes the importance of the research, its methodology, previous studies, and the research plan.

The first chapter deals with the con-

للتحديات التي تواجه القول بمشروعية هذه الصكوك، وذلك من خلال مطلبين:

- المطلب الأول: الإشكالات العامة (المتعلقة بجميع أنواع الصكوك)
- المطلب الثاني: الإشكالات الخاصة ببعض الأنواع دون بعض.

بينما المبحث الثالث متعلق بمدى مشروعيتها في ضوء التحديات السابقة وصلاحيتها بديلاً شرعياً للسندات الربوية.

ثم ذيّلت البحث بخاتمة أُجْمِل فيها أهم ما أتوصل إليه من نتائج، وأثبت بعدها قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: الصكوك، إصدار الصكوك، الأوراق الاستثمارية، أدوات السوق المالية.

cept of Sukuk, its characteristics, the difference between sukuk and similar stocks, their history, importance, types and stages.

As for the second topic, it deals with problems related to sukuk. In this topic, the researcher presents the challenges facing declaring the (Islamic) legitimacy of sukuk.

While the third chapter is related to the extent of its legitimacy in light of the previous challenges and its validity as a legitimate alternative to usurious bonds.

Then the research was appended to a conclusion in which the researcher outlined the most important findings with the list of the sources and references.

Keywords: sukuk, issuance of sukuk, sukuk investment, Financial market instruments.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالكِ يوم الدين، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعينَ، أما بعد:

فمن حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن أمر بحفظ الضرورات الخمس التي لا تستقيم الحياة بدونها، والتي أطبق العقلاء على اختلاف أديانهم بأهمية صيانتها، ومن تلك الضروريات التي لها حضور كثيف في جانب المستجدات والنوازل ضرورةُ «المال» الذي حاطَه الله بتشريعات عامة وخاصة تنأى به عن هدر حرمته أو الإضرار بحقوق الآخرين أفراداً وجماعات، ولما أودع الله في الإنسان حب المال ما فتئ يُعنى به ويُبدع في وسائله على مر العصور، حتى جاء النظام التجاري الحديث بطابَعه الرأسمالي المتمركز حول تعظيم الربح ومضاعفة رأس المال بكل الوسائل المتاحة، ولذلك كان توجهه الأكبر نحو تنويع المنتجات والمشتقات في ذلك، بالتجارة في الديون والحقوق والعملات، والتي لا تحقق في حقيقتها أي نمو اقتصادي في الإنتاج في مقابل ما ينشأ عنها من تضخم[1].

وفي ظل هذا الفكر نشأت أنواع كثيرة من المعاملات والوثائق المالية القابلة للتداول، وكان من أهمها وأشهرها (السندات) التي بدأت مع ظهور الأزمة الاقتصادية في الثمانينيات من القرن الماضي، إلا أنها -مع دورها الفعّال في تمويل المشاريع المهمة- لا تنفك عن الفوائد الربوية، من هنا بدأت تظهر فكرة (الصكوك

١- إذ بلغ حجم العقود والاتفاقيات في العالم إلى ما يقرب من ٦٠٠ ترليون دولار في العام، ولكن نسبة العقود الواردة على السلع والخدمات الحقيقية والإنتاج إنما هو في حدود ٥٪ أي أن ٩٥٪ تقريباً يدور حول العقود الشكلية، والصورية، والعقود المركبة التي تدور حول نفسها دون تنمية ولا إنتاج، ولذلك لما جاءت الأزمة المالية كانت مدمرة ولم يوقفها شيء، فانهارت أو اهتزت المؤسسات الكبرى واحدة تلو الأخرى، حيث لم يكن هناك أصول حقيقية من الأعيان والمنافع ...[يُنظر حول هذا الأثر بحث للدكتور علي القرة داغي بعنوان «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة دراسة فقهية اقتصادية تطبيقية». ضمن البحوث المقدمة في الدورة التاسعة لمجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالشارقة]

الإسلامية) كصيغة من صيغ التمويل المشروعة، إذ يعود سبب ظهورها ونشأتها إلى حاجة المجتمع الإسلامي إلى مصادر تمويلية مستمدة من الشريعة الإسلامية بديلاً عن السندات المقترنة بفوائد ثابتة.

وقد حظي هذا الموضوع باهتمام كثير من الفقهاء والاقتصاديين، مما حدا برغبتي إلى تسليط الضوء على عَقَبات الشرعنة أكثرَ من تقرير الحكم؛ إذ الاهتمام بالإشكالات والتحديات يمكن أن يكون زاويةً أخرى تقابل الاهتمام بزاوية التشريع وإن كانت تستلزمه بلا شك، وعليه كان بيت القصيد وحجر الزاوية لهذا البحث هو تثوير الاستشكالات والاعتراضات على القول بمشروعيتها وما يكتنف ذلك من تحديات وعقبات تنزعها للمنع والتحريم، فلا نعترض لتقرير حكمها إلا على سبيل الترجيح في آخر المباحث، وبالله المستعان وعليه التكلان.

(١) أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في صِلته بمعاملة معاصرة ذات حضور كثيف في الشركات الكبرى والمصرفيّة الإسلامية؛ إلا أنه يمكن إجمال عناصر الأهمية في النقاط الآتية:

١- مشاركته في التعريف بأبرز جوانب هذه المسألة المستجدة.

٢- الإسهام في معالجة هذه النازلة وجمع ما يتعلق بها وترتيبه، وبيان أحكامها الشرعية.

٣- ما ينطوي عليه من إثراءٍ لجانب فقه المعاملات المعاصرة والاقتصاد الإسلامي بالبحوث والدراسات المتتبِّعة لما استجد في الباب.

٤- التأصيل الشرعي للتوسّع المستجد في حالة الخصخصة لكثير من المؤسسات الخدمية في عدد من الدول الإسلامية، مما نشأ عنه دخول الصكوك -وسيلةً فيها- إلى مجالات جديدة.

٥- كونه يشكل إسهاماً فيما يتعلق بتجلية القدرة العالية للصناعة الفقهية التي بوسعها أن تعالج القضايا الحديثة كافة وتتصدى لكل نازلة مستجدة.

(٢) فرضيات البحث:

- للعقود الصوريّة دورٌ مؤثّر في ملابسات تكييف المعاملات المتعلقة بصكوك الاستثمار.
- تأثير ضغوط السوق العالمية وهيمنة فكرة السندات التقليدية في تشكيل كثير من أُطُر الصكوك الاستثمارية.

(٣) منهج البحث وطريقته:

١- سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل والاستنباط.

٢- عزو الآيات الواردة في أثناء البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣- ما كان في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما أو أحدهما، وإن لم يكن فيهما فإني أكتفي بتخريجه من بقية الكتب الستة، وإن لم يرد فيها فأخرجه من كتب السنة المعتبرة غيرها، ويكتفى عند العزو إلى المصدر بالكتاب والباب ورقم الحديث، وقد أذكر حكمه فيما لو وقفت على كلام أحد أئمة هذا الشأن من المتقدمين أو المتأخرين.

٤- الإشارة إلى أبرز الأقوال المعتبرة في المسألة، ويكون عرض الخلاف حسب الاتجاهات الفقهية فيها.

٥- ترجمة الأعلام -عدا المشاهير- بترجمة مختصرة قدر الإمكان عند أول ذكر لهم، وذلك بذكر اسمه المتميز به وكنيته ولقبه وأشهر مصنفاته وسنة وفاته مع الإحالة إلى مرجع معتمد فى تراجم العلماء، وأما المشاهير فيُستغنى بشهرتهم

عن ترجمتهم، متجاوزاً من ورد اسمه عرَضاً في إسناد ونحوه.

٦- ترتيب المصادر في الحواشي حسب الوفيات، إلا عند اختلاف مذاهبهم الفقهية -في المسائل الفقهية- فإني أراعي الترتيب الزمني للمذاهب الأربعة: فأذكر مصادر الحنفية فالمالكية فالشافعية فالحنابلة.

(٤) الدراسات السابقة:

بما أن الموضوع يعالج معاملةً مالية منتشرة فلا شك أنه سيكون مظنةً للكتابة والبحث، وقد ظهرت فيه كثير من الدراسات والبحوث، ونوقِشت بعض جوانبه في عدد من المؤتمرات العلمية، وأصدر المجلس الشرعي في هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية معيارا شرعيا عن الصكوك، كما أصدر مجمع الفقه الإسلامي قراراً يتضمن ضوابط صكوك الإجارة، ومن ثم فإن مناقشة الفرق بين بحثي وكل ما كُتب حول أصل الموضوع بصوره تفصيلية لا يمكن أن يستوعبه المحل المتاح، إلا أن مجمل ما وقفت عليه بعد بذل الجهد في تتبع المظان:

١- إما أن يُعنى بجانب المعالجة الشرعية المباشرة للحكم -فحسْب- مستخدماً التخريج والقواعد الشرعية العامة، دون عناية بدراسة الصكوك كظاهرة تستحق الدراسة التحليلية، وكذلك العكس في بحوث أخرى تهتم بمعالجة الجانب التعريفي والجدوى الاقتصادية مع ضحالة في المعالجة الفقهية.

٢- وإما أن تكون قد صدرت في وقت متقدم جداً بصورة لا تواكب الوثبات السريعة لعالم الاقتصاد وقضية الصكوك الاستثمارية تحديداً؛ إذ سيتضح في أثناء البحث سرعة التغيير واستحداث الأنواع الجديدة من الصكوك الاستثمارية؛ وذلك لمعالجة فجوة اقتصادية أو شرعية أحياناً، فضلاً عن توسّع حالة الخصخصة في السنوات الأخيرة مما نشأ عنه دخول الصكوك -وسيلةً فيها- إلى مجالات جديدة.

٣- وإما أن يكون عملاً ينقصه بعض التحرير والاستقراء؛ حيث قد يقتصر العمل على نوع واحد من أنواع الصكوك الاستثمارية مع إغفال ما يتعلق ببقية الأنواع الكثيرة التي سنراها في هذا البحث -إن شاء الله-، فضلاً عن كونها تهتم في تقرير الحكم أكثر من اهتمامها بالإشكالات والتحديات التي هي زاوية أخرى تقابل الاهتمام بزاوية التشريع وتستلزمه بلا شك، إذ إن قطب رحى هذا البحث هو تثوير الاستشكالات والاعتراضات على القول بمشروعيتها وما يكتنف ذلك من تحديات وعقبات تنزعها للمنع والتحريم، فلا نعترض لتقرير حكمها إلا على سبيل الترجيح في آخر المباحث.

٤- كثير مما كتب في هذا الموضوع قام به أساتذة فضلاء وأنعموا النظر وأمعنوه في الجانب الاقتصادي وبخلفية اقتصادية أورثت تكلفاً في استدعاء الأدلة، وعسفاً في تكييف المسائل وربطها بنظائرها، فسيُلاحَظ عليها أمورٌ منها:

أ- المبالغة في ربط (الصكوك الاستثمارية الحديثة) بصور (شهادات الضمان المالي لما في الذمة منذ صدر الإسلام)، سواءً في التنظير للنشأة أو الحكم أو غيرها، ولا يخفى أن تلك الصكوك التراثية كانت أداة توثيق مجرّدة، بينما الصكوك الحديثة أدوات تمويل واستثمار، ولا شك أن هذا مؤثر.

ب- التكلف للتنصل من بعض الإشكالات بتقرير معاملات صورية لا أثر لها في الحقيقة، وقد يكون ذلك من التحايل المذموم، فنجد -مثلاً- من يعالج عدم جواز الوعد بالبيع بسعر محدد سابقاً بالتفريق -عند تحويل ملكية الأصول من المصرف الممول إلى الشركة- بين كون هذا التحويل يأتي بعقد هبة أو هدية أو بيع رمزي وبين كون التحويل يأتي بسعر محدد سلفاً، وفي حقيقة الأمر أنه لا يوجد من الناحية التطبيقية أي فرق بينهما، حيث إن النقل إذا لم يكن بسعر السوق، بل بهبة أو مبلغ رمزي فهو في حقيقته كالمحدد سابقاً، حيث إن المصرف قد استوفى حقه سلفاً في كلا الصورتين.

ج- إرسال بعض الأحكام مع قِلة في الاستدلال وإهمال للتعليل نوعاً ما، ووجود نوع من الحشو والتكرار وعدم الاهتمام بذكر المراجع، فتجد عدداً -ليس بالقليل- لا يحظى بالتوثيق حسب منهج البحث العلمي الفقهي، ولا يُرجع فيه إلى أقوال الفقهاء من كتبهم، بل كثيراً ما تعتمد على الموسوعة الفقهية لوحدها.

د- مثالية الحلول المقترحة لتجاوز التحديات والإشكالات وعدم واقعيتها، فتجد -مثلاً- من يعالج -في سياق الحديث عن التعهد بشراء موجودات الصكوك- عدم جواز تقديم الضمان بالشراء بسعر متفق عليه سلفاً -ليكون مثل هذا التعهد جائزاً- أن يكون صادراً من طرف ثالث مستقل متبرع بلا مقابل، ولا أدري عن مدى وجود طرف ثالث مستقل تماماً محسن بالتبرع بلا أي مقابل، -بهذه المثالية- من الناحية التطبيقية الواقعية!

هـ- استصحاب حال ضعف المصرفية -القديم- على حال نشاطها وانتشارها -الراهن- فتجد من يتساهل -مثلاً- بالترخيص في اعتبار معيار الثلث -عند تداول الصكوك- ويتنازل عن معيار الغلبة بذريعة الحاجة، لكنه وإن قيل بجوازه في مراحل سابقة لضعف المصرفية الإسلامية وشدة الحاجة لتشجيعها ونشرها فإنها في المرحلة الحالية قد بلغت من القوة والانتشار ما يسوّغ الحكم بارتفاع الحاجة المبررة والرجوع إلى المعيار الأحوط [الذي هو الغلبة]... وهكذا.

و- كذلك نزعة المبالغة في إسلاميّة هذه الصكوك وفي التفريق بينها وبين الأسهم [في أحكام تحويل الأعيان إلى ديون أو نقود وفي طريقة التعامل مع الأموال الربوية ووجود الربا وغيرها]؛ بحجة أن الصكوك أداة إسلامية أصيلة ظهرت على أيدي علماء الاقتصاد الإسلامي بخلاف الأسهم فهي أداة

تقليدية مولّدة، وعليه فينبغي -في نظر بعضهم- أن يُغتفر في الصكوك ما لا يُغتفر في غيرها، ولا يُوَافقون على هذا التفريق والتعليل؛ بل كِلتا الأداتين تقوم على عقود شرعية خاضعة لأحكام الشركة في أصول عينية وما يتبعها بحصص مشاعة، فما ينطبق على أحدهما من أحكام الشراكة والتداول ومنع المخالفات الشرعية يجب أن ينطبق على الآخر.

(٥) خطة البحث:

- **المقدمة**: وتشتمل على أهمية البحث ومنهجه والدراسات السابقة وخطّته.
- **المبحث الأول**: مفهوم الصكوك، وخصائصها، والفرق بينها وبين الأوراق المالية المشابهة، وتاريخها وأهميتها وأنواعها ومراحلها، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: مفهوم الصكوك، وخصائصها، والفرق بينها وبين الأوراق المالية المشابهة.

أولاً: مفهومها.

ثانياً: خصائصها.

ثالثاً: الفرق بينها وبين الأوراق المشابهة لها.

- المطلب الثاني: التعريف بتلك الصكوك من حيث تاريخها وأهميتها وأنواعها وطريقتها ومراحلها.

أولاً: تاريخها.

ثانياً: أهميتها.

ثالثاً: أنواعها.

رابعاً: طريقتها ومراحلها.

- **المبحث الثاني**: الإشكالات المتعلقة بالصكوك المالية، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الإشكالات الشرعية العامة:

أولاً: اجتماع القرض مع المعاوضة.

ثانياً: ضمان استرداد رأس المال.

ثالثاً: مقدار التوزيع الدوري على حملة الصكوك.

رابعاً: مدى ملكية حملة الصكوك لموجوداتها بجميع حقوقها والتزاماتها.

خامساً: حتميّة التصنيف الائتماني والتأثر بنظام السوق الدولي.

- المطلب الثاني: الإشكالات الخاصة ببعض أنواع الصكوك دون بعض.

أولاً: إصدار صكوك بملكية الأعيان المؤجرة إجارة منتهية بالتمليك لمن اشتريت منه.

ثانياً: استبدال صكوك الإجارة محل التصكيك.

ثالثاً: ضمان المصدر لشركة التأمين في صكوك الإجارة.

رابعاً: تصكيك الديون.

خامساً: مسْرَد ببعض الإشكالات التي تعرض في بعض الأحوال ولبعض الشركات.

- **المبحث الثالث**: مدى مشروعيتها -في ضوء التحديات السابقة- وصلاحيتها بديلاً شرعياً للسندات الربوية.

- **الخاتمة**: وتشتمل على أهم النتائج.

- **المصادر والمراجع**.

المبحث الأول: مفهوم الصكوك، وخصائصها، والفرق بينها وبين الأوراق المالية المشابهة، وتاريخها وأهميتها وأنواعها ومراحلها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصكوك، وخصائصها، والفرق بينها وبين الأوراق المالية المشابهة.

مفهومهـــا:

تُعرّف هذه الصكوك على أنها «وثائق مالية متساوية القيمة تمثل حصصا شائعة في ملكية أعيان أو منافع أو خدمات أو في ملكية موجودات مشروع معين أو نشاط استثماري خاص، وذلك بعد تحصيل قيمة الصكوك وقفل باب الاكتتاب وبدء استخدامها فيما أصدرت من أجله»[1].

كما عُرفت «بأنها إصدار وثائق وشهادات مالية متساوية القيمة تمثل حصصا شائعة في ملكية الموجودات (أعيان، منافع أو حقوق أو خليط من الأعيان والمنافع والديون) قائمة فعلا، أو سيتم إنشاؤها من حصيلة الاكتتاب، وتصدر وفق عقد شرعي[2].

خصائصهـــا:

من خلال التعريفين السابقين وعلى ضوء المبادئ والقواعد العامة للشريعة الإسلامية يمكن القول إن الصكوك المالية الإسلامية تتميز بالخصائص الآتية[3]:

١- المعايير الشرعية «النص الكامل للمعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية» معيار رقم ١٧، ص ٤٦٧.

٢- ينظر: حمزة بن حسين الشريف. «ضمانات الصكوك الإسلامية». ضمن بحث مقدم لندوة الصكوك الإسلامية: عرض وتقويم، بجامعة الملك عبد العزيز. ص٢.

٣- انظر مع المرجعين السابقين إلى كل من: فتح الرحمان علي محمد صالح. «دور الصكوك الإسلامية في تمويل المشروعات التنموية». في ورقة لمنتدى الصيرفة الإسلامية، (بيروت- لبنان:)، ١٧-١٨؛ ودكتور بو عبد الله علي. «أهمية الصكوك المالية الاسلامية في سوق الأوراق المالية في ماليزيا». مقدمة لمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية ص٢.

١- كونها وثائق متساوية القيمة.

٢- كما أنها قابلة للتداول في إطار الضوابط الشرعية.

٣- وتعطي الصكوك الإسلامية الحق لحاملها في الحصول على الأرباح.

٤- وتمثل الصكوك حصة شائعة في ملكية الموجودات المخصصة للاستثمار.

٥- الصك الإسلامي يلزم صاحبه بتحمل مخاطر الاستثمار بنسبة ما يملكه من صكوك.

٦- تخصص حصيلة الاكتتاب فيها للاستثمار في مشاريع وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

٧- يستحق حملتها نسبة الربح المحددة في نشرة الإصدار، ويتحملون الخسائر بقدر قيمة صكوكهم.

الفرق بينها وبين الأوراق المشابهة لها:

- لكون الصكوك الإسلامية جاءت بديلاً للسندات[١] فإنه يوجد بينهما نوع تشابه يحتاج إلى التمييز بما يأتي:

حامل السند لا يتأثر بنتيجة أعمال الشركة، ولا بمركزها المالي بطريقة مباشرة، بل يستحق القيمة الاسمية لسنده في مواعيد الاستحقاق المدونة فيه، مضافاً إليها الفوائد المحددة سلفاً، بخلاف الصك الذي يتأثر بنتيجة أعمال المشروع؛ بوصفه شريكاً له حصّة من الملكية مدونة في هذا الصك، إذ يشارك في تحمل المخاطر، فله الغنم الذي يحققه المشروع، وعليه الغرم الذي يتعرض له[٢]، فصاحب الصك

١- السَّنَدُ هو جزء من قرض طويل الأجل، تدفع عليه فائدة ثابتة في ميعاد معيَّن، وتردُّ قيمتُه للمقرض في ميعاد يتفق عليه. ينظر: د.عبد الله السدلان. «زكاة الأسهم والسندات والورق النقدي». (الطبعة الثالثة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ) ١٤.

٢- إلا أنه قد يوجد طرف خارجي ثالث يضمن الخسارة، وهذا أحد الإشكالات التي سيأتي الحديث عنها.

يشارك في الأرباح المتحققة، ويتحمل الخسارة التي قد يتعرض لها المشروع[1].

- ولكون الصكوك الإسلامية كالأسهم[2] في كونها تمثل حصةً ماليةً قابلةً للتداول فإنه يوجد بينهما نوع تشابه يحتاج إلى التمييز بما يأتي:

أن مالكي الأسهم يشتركون في إدارة الشركة عن طريق انتخاب مجلس الإدارة من بينهم، أما مالكو الصكوك فإنهم لا يشاركون في إدارة المشاريع بطريق مباشر، فهم لا ينتخبون مجلس إدارة للمشروع، وليس لهم هيئة عامة تشترك في إدارة المشروع، كما تختلف الصكوك عن الأسهم أيضا في أن الأسهم مشاركة دائمة في الشركة، تبقى مدى حياة الشركة، فهي إذن غير قابلة للرد من قبل الشركة، في حين أن صكوك الاستثمار ليست بالضرورة مشاركة دائمة في المشروع، فقد يكون إصدار صكوك الاستثمار لتمويل مشروع بطريق المشاركة المتناقصة أو الإجارة المنتهية بالتمليك، بحيث تؤول ملكية المشروع إلى الطرف الآخر على مراحل زمنية معينة[3].

١- يُنظر: د. فؤاد محيسن. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ورقة عمل مقدمة إلى الدورة التاسعة عشرة ٢٠٠٩، (مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ضمن مطبوعات أعمال الدورة)، ١٧ وما بعدها.

٢- السهم هو صك يمثل حصة من الحصص المتساوية المقسم إليها رأس المال المطلوب للمساهمة، وهذه تخوِّل لصاحبها الحقَّ في الحصول على ما يخصه من أرباح عند اقتسام الممتلكات، أو تحمِّل ما يخصه من الخسارة إن كانت. ينظر: د.عبد الله السدلان. «زكاة الأسهم والسندات والورق النقدي». ١٣]

٣- يُنظر -مع المصدر السابق- إلى: الشيخ عبد الله بن منيع. «الصكوك الإسلامية تجاوزاً وتصحيحاً». (بحث مقدم لندوة الصكوك الإسلامية عرض وتقويم، المقامة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٠-١١ / ٦ / ١٤٣١هـ، ضمن منشور أعمال الندوة) ٣٧٨.

المطلب الثاني: التعريف بتلك الصكوك من حيث تاريخها وأهميتها وأنواعها وطريقتها ومراحلها.

تـاريخهـا:

سبق -في مقدمة البحث- أنه في ظل الفكر الرأسمالي الحديث نشأت أنواع كثيرة من المعاملات والوثائق المالية القابلة للتداول، وقد كان من أهمها وأشهرها (السندات) التي بدأت في الثمانينيات من القرن الماضي، ولما لها من دور فعّال في تمويل المشاريع المهمة مع عدم انفكاكها عن الفوائد الربوية ظهرت فكرة (الصكوك الإسلامية) كصيغة من صيغ التمويل المشروعة، لحاجة المجتمع الإسلامي إلى مصادر تمويلية مستمدة من الشريعة الإسلامية بديلاً عن السندات المقترنة بفوائد ثابتة، فبدأ بعض الباحثين بطرح بدائل كـ«سندات المقارضة» إذ كانت أبرز المحاولات -التي وضعت اللبنة الأولى للصكوك الإسلامية- هي تلك الدراسة التي قدمها الدكتور سامي حمود حول «سندات المقارضة» ضمن إنشاء مشروع قانون البنك الإسلامي الأردني المؤقت في عام ١٩٧٨م، ثم بدأت محاولة تطبيق هذه الفكرة بالتعاون مع وزارة الأوقاف الأردنية، حيث عدّت سندات المقارضة أسلوباً مناسباً وشرعياً لإعمار الممتلكات الوقفية وتحديثها، فأصدروا بذلك قانوناً مؤقتاً -رقم (١٠) لسنة ١٩٨١م- وبذلك تعد الأردن بمثابة المهد الأول لنشوء هذه الفكرة، ثم تبعت هذه المحاولة مساهمة البنك الإسلامي للتنمية بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثانية لعام ١٩٨٨م، التي بموجبها أصدر المجمع قراره -رقم (٥) ٤٥ / ٨ / ١٩٨٨م- بشأن سندات المقارضة وسندات الاستثمار، وبذلك تعد هذه الخطوة الأولى نحو التأصيل الشرعي لسندات المقارضة[١].

١- حول هاتين الخطوتين المتعلقة بالتجربة الأردنية والدراسة الشرعية من المجمع يُنظر: زياد جلال الدماغ. «مقدمة كتاب الصكوك الإسلامية ودورها في التنمية الاقتصادية «. (دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م). ١٩.

كما أنه قد جرت خلال المدة ١٩٧٨م-١٩٨٨م عدد من التجارب في هذا المضمار وأهمها: تجربة الباكستان، والسودان، وتركيا، والبحرين، وكانت أبرزها تجربة تركيا؛ إذ أصدرت في عام ١٩٨٤م سندات المشاركة المخصصة بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار أمريكي لغرض تمويل بناء جسر البسفور الثاني (جسر محمد الفاتح) الذي لاقى إقبالاً جماهيرياً واسعاً، ولاسيما من الأتراك المغتربين خارج البلاد[١].

وفي أواخر تلك المدّة -المشار لها آنفاً- طُرح هذا الموضوع على طاولة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمؤتمر العالم الإسلامي، حتى أصدر المجمع في دورته الرابعة المنعقدة في جدة عام ١٩٨٨م قراراً يتضمن الضوابط الشرعية لسندات المقارضة، وورد في هذا القرار اقتراح تسمية هذه الأداة الاستثمارية بصكوك المقارضة[٢].

ثم توالت التجارب والدراسات والبحوث بعد ذلك إلى أن نضجت فكرة هذه الصكوك نسبياً في سوق التمويل الماليزي؛ فقد تميزت ماليزيا بالتوسع والتنوع في مجال إصدار الصكوك، فهي تكاد تُعد السوق الأولى للصكوك الإسلامية، وكان أول إصدار للصكوك في ماليزيا عام ١٩٩٥م لبناء محطة طاقة كهربائية بقيمة ٣٥٠ مليون دولار، ثم في عام ٢٠٠٢م قامت ماليزيا بإصدار ما يقارب المليار دولار منها، ونما حجم الصكوك المصدرة فيها بمعدلات مرتفعة، حتى تجاوز ٩٤ مليار دولار عام ٢٠٠٧م[٣].

كما بدأت البحرين في إصدار صكوك الإجارة والسلم عام ٢٠٠١م، وبذلك

١- ينظر: دكتور أحمد سالم ملحم. «نشأة الصكوك الإسلامية وأهدافها». بحث منشور على الشبكة http://www.drahmadmelhem.com/p/blog-page_13.html

٢- القرار رقم ٣٠(٣/ ٤).

٣- يُنظر: دكتورة نوال بنت عمارة. «الصكوك الإسلامية ودورها في تطوير السوق المالية الإسلامية». مجلة الباحث، ص٢٥٩-٢٦١، العدد التاسع ٢٠١١م.

تكون أول من أخذ بهذا النوع من الصكوك من الدول الخليجية[١].

وفي ٢٠٠١ م أيضاً تم استحداث أنشطة لم تكن واردة في القانون التجاري المصري ولائحته التنفيذية، منها نشاط تصكيك الحقوق المالية، وذلك بموجب قرار وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية رقم ٦٩٧ لسنة ٢٠٠١م حيث أضيف هذا النشاط إلى أنشطة الشركات العاملة في نطاق الأوراق المالية[٢].

تَبِع تلك البحوث والدراسات والمحاولات صدورُ معيار شرعي خاص للصكوك الإسلامية ضمن كتاب المعايير الشرعية الصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، وكان ذلك في ٢٠٠٣م، يوضح مفهومها، وخصائصها، وأنواعها[٣].

وفي يناير من عام ٢٠٠٦م أعلن بنك دبي الإسلامي عن إغلاق أكبر إصدار للصكوك الإسلامية في العالم، حتى أنه تمت زيادة القيمة الأساسية للإصدار نتيجة للإقبال الكبير من المستثمرين للمشاركة في الإصدار الذي طرح لصالح مؤسسة الموانئ والجمارك والمنطقة الحرة بدبي[٤].

١- حيث اشترى البنك المركزي من الحكومة مطار البحرين بمبلغ تجاوز المليار دولار -بشرطين: أحدهما أن تقوم الجهة المالكة له بعد الشراء بتأجيره على الحكومة مدة معينة تقارب عشر سنوات، وبأجرة سنوية متغيرة يحكمها مؤشر مالي عالمي معين، وكان الشرط الثاني أنه بعد انتهاء مدة العقد يلتزم المالك (إدارة حملة الصكوك) بإعادة المطار إلى الحكومة على سبيل بيعه عليها بالثمن الذي باعته به الدولة- ثم قام البنك المركزي بعد شراء المرفق من الحكومة بتصكيكه، وبيع الصكوك على الراغبين في شرائها برأس مال مُشترى البنك المركزي من الحكومة علاوة على رسم إصدار لصالح البنك على كل صك، وتكون الأجرة الدورية هي عائد الصكوك ويوزع منها على حملة الصكوك وفق المؤشر المالي العالمي المتفق عليه. [يُنظر: الشيخ عبد الله بن منيع . «الصكوك الإسلامية تجاوزاً وتصحيحا» ٣٧٣].

٢- يُنظر: دكتور حسين فتحي عثمان. «التوريق المصرفي للديون، الممارسة والإطار القانوني». وهو بحث منشور على الشبكة ضمن أعمال مؤتمر كلية الشريعة والقانون الخامس عشر، حول أسواق الأوراق المالية والبورصات، آفاق وتحديات، بجامعة الإمارات العربية المتحدة، في ٢٠٠٧م.

٣- انظر: المعايير الشرعية «النص الكامل للمعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية» معيار رقم ١٧، ص ٤٦٧ وما بعدها.

٤- الخبر من صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء ١٠ / ٠٥ / ١٤٢٧ه، العدد١٠٠٥٣.

ثم في المدة ١٠-١١ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ، الموافق ٢٤-٢٥ مايو ٢٠١٠م عُقِدت ندوة الصكوك الإسلامية: عرض وتقويم، في رحاب جامعة الملك عبد العزيز بجدة، بالتعاون بين مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب عضو مجموعة البنك الإسلامي للتنمية، وخرج بأوراقٍ وتوصياتٍ وأبحاثٍ أثرت هذه المعاملة[١].

وما زالت التطبيقات تتجدد والدراسات في هذا الشأن تتوالى إلى وقتنا.

أهميتهـــا:

هناك عِدّة أمور تتجلى فيها أهمية هذا النوع من المعاملات بحيث تدفعُ المؤسسات والحكومات إلى عملية التصكيك، منها[٢]:

- إسهام هذه العملية في إنعاش الاقتصاد وذلك بالاستفادة من رؤوس الأموال التي تعزف عن المشاركة في المشاريع التي تمول ربوياً، ومن ثم فهي تقوم بتنشيط سوق المال من خلال تعبئة مصادر تمويل جديدة وتنويع المعروض فيها من الأوراق المالية وتنشيط سوق تداول الصكوك.
- أتاحت للحكومات والشركات الحصول على تمويلات مشروعة تساعدها في التوسع في نشاطاتها ومشاريعها وتمويل العجز في الموازنة؛ وذلك لأنها تتسم بانخفاض درجة المخاطرة نظراً لكونها مضمونة بضمانات عينية وهي الأصول.

١- تُنظر: أوراق الندوة على https://iei.kau.edu.sa/Pages-Sukok.aspx

٢- تُنظر هذه الفوائد، وللاستزادة حولها،: د. عبد القوي ردمان محمد عثمان. «الصكوك الإسلامية وإدارة السيولة». ورقة مقدمة إلى المؤتمر الرابع للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية بسورية ٢٠٠٩، ص٧ ومابعدها، ضمن أعمال المؤتمر المنشورة؛ وكذلك: د. أختر زيتي عبد العزيز. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ورقة عمل مقدمة إلى الدورة التاسعة عشرة ٢٠٠٩، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ضمن منشورات أعمال الدورة. ٣-٤.

- بديل شرعي لشهادات الاستثمار والسندات.
- التصكيك يساعد على تحويل الأصول غير السائلة إلى أصول تتصف بالسيولة.
- بالإضافة إلى المساعدة في إدارة السيولة على مستوى الاقتصاد الكلي.
- المساعدة في تطوير أسواق المال الإسلامية المحلية والعالمية من خلال إيجاد أوراق مالية إسلامية.
- توفير تمويل مستقر وحقيقي للدولة ومن موارد موجودة أصلاً في الدورة الاقتصادية مما يقلل من الآثار التضخمية.
- تُعد من الحلول المبتكرة لكثير من الإشكالات التمويلية، فهي تقوم بتحسين معدل كفاية رأس المال في ظل معايير بازل، بالإضافة إلى تحسين المواءمة بين آجال الأصول والالتزامات، مع الحصول على التمويل اللازم لمنح قروض جديدة، بالإضافة إلى تنويع أفضل لمخاطر الائتمان، وكذلك خفض تكلفة التمويل وتنويع مصادره، وتوسيع نشاط أسواق المال.

أنـواعـهـا:

لها عدة أنواع وصور بحسب طبيعة نشاطها، ولعل أبرزها[1]:

١- **صكوك المرابحة**: وهي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لتمويل شراء سلعة المرابحة، وتصبح سلعة المرابحة مملوكة لحملة الصكوك، والمصدر لتلك الصكوك هو البائع لبضاعة المرابحة، والمكتتبون فيها هم المشترون لبضاعة

١- تُنظر هذه الأنواع، وللاستزادة حولها،: فتح الرحمان علي محمد صالح. «دور الصكوك الإسلامية في تمويل المشروعات التنموية». في ورقة لمنتدى الصيرفة الإسلامية. (بيروت- لبنان)، ١٦؛ والمعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة «النص الكامل»، ٤٦٨ وما بعدها.

المرابحة، وحصيلة الاكتتاب هي تكلفة شراء البضاعة، وعليه فيملك حملة الصكوك سلعة المرابحة، ويستحقون ثمن بيعها.

٢- **صكوك السلَم**: وهي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لتحصيل رأس مال السلَم، وتصبح سلعة السلم مملوكة لحملة الصكوك، و المصدر لتلك الصكوك هو البائع لسلعة السلم، والمكتتبون فيها هم المشترون للسلعة، وحصيلة الاكتتاب هي ثمن شراء السلعة (رأس مال السلم)، وعليه فيملك حملةُ الصكوك سلعةَ السلم ويستحقون ثمن بيعها.

٣- **صكوك الاستصناع**: وهي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تصنيع سلعة، ويصبح المصنوع مملوكاً لحملة الصكوك، والمصدر لتلك الصكوك هو الصانع (البائع)، والمكتتبون فيها هم المشترون للعين المراد صنعها، وحصيلة الاكتتاب هي تكلفة المصنوع، وعليه فيملك حملةُ الصكوك العينَ المصنوعة، ويستحقون ثمن بيعها.

٤- **صكوك الإجارة**: وهي الأكثر شيوعاً، وتعرف بأنها وثائق متساوية القيمة يصدرها مالك عين مؤجرة أو عين موعود باستئجارها، أو يصدرها وسيط مالي ينوب عن المالك، وذلك بغرض بيعها واستيفاء ثمنها من حصيلة الاكتتاب فيها، وتصبح العين مملوكة لحملة الصكوك، والمصدر لتلك الصكوك بائع عين مؤجرة أو عين موعود باستئجارها، والمكتتبون فيها مشترون لها، وحصيلة الاكتتاب هي ثمن الشراء، وعليه فيملك حملة الصكوك تلك الموجودات على الشيوع بغنمها وغرمها وذلك على أساس المشاركة فيما بينهم.

٥- **صكوك المضاربة**: وهي وثائق مشاركة تمثل مشروعات أو أنشطة تدار على أساس المضاربة بتعيين مضارب من الشركاء أو غيرهم لإدارتها، و المصدر

لتلك الصكوك هو المضارب، والمكتتبون فيها هم أرباب المال، وحصيلة الاكتتاب هي رأس مال المضاربة، وعليه فيملك حملة الصكوك موجودات المضاربة والحصة المتفق عليها من الربح لأرباب المال، ويتحملون الخسارة إن وقعت.

٦- **صكوك المشاركة**: وتُعرَف بأنها وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلتها في إنشاء مشروع -أو تطوير مشروع قائم أو تمويل نشاط- على أساس عقد من عقود المشاركة، ويصبح المشروع أو موجودات النشاط ملكاً لحملة الصكوك في حدود حصصهم، وهي مشابهة لصكوك المضاربة، لكن الاختلاف الأساسي يتمثل في أن المال في صكوك المضاربة يكون كله من طرف (مجموعة أطراف)، بينما في صكوك المشاركة فإن الجهة المصدرة للصكوك تعد شريكاً لحملة الصكوك.

٧- **صكوك الوكالة بالاستثمار**: المُصدِرُ لتلك الصكوك هو الوكيل بالاستثمار، والمكتتبون هم الموكِّلون، وحصيلة الاكتتاب هي المبلغ الموكَّل في استثماره، وعليه فيملك حملة الصكوك ما تمثله الصكوك من موجودات بغنمها وغرمها، ويستحقون ربح المشاركة إن وجد.

٨- **صكوك المزارعة**: هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تمويل مشروع على أساس المزارعة، ويصبح لحملة الصكوك حصة في المحصول وفق ما حدده العقد، المصدر لتلك الصكوك هو صاحب الأرض (مالكها أو مالك منافعها)، والمكتتبون فيها هم المزارعون في عقد المزارعة (أصحاب العمل بأنفسهم أو بغيرهم)، وحصيلة الاكتتاب هي تكاليف الزراعة، وقد يكون المصدر هو المزارع (صاحب العمل) والمكتتبون هم أصحاب الأرض (المستثمرون الذين اشتريت الأرض بحصيلة

اكتتابهم)، ويملك حملة الصكوك الحصة المتفق عليها مما تنتجه الأرض.

٩- **صكوك المساقاة**: هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلتها في سقي أشجار مثمرة والإنفاق عليها ورعايتها على أساس عقد المساقاة، ويصبح لحملة الصكوك حصة من الثمرة وفق ما حدده العقد، والمصدر لتلك الصكوك هو صاحب الأرض (مالكها أو مالك منافعها) التي فيها الشجر، والمكتتبون فيها هم المساقون في عقد المساقاة، وحصيلة الاكتتاب هي تكاليف العناية بالشجر، وقد يكون المصدر هو المساقي (صاحب العمل)، والمكتتبون هم أصحاب الأرض (المستثمرون الذين سقيت الأرض بحصيلة اكتتابهم)، ويستحق حملة الصكوك الحصة المتفق عليها مما تنتجه الأشجار.

١٠- **صكوك المغارسة**: هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلتها في غرس أشجار وفيما يتطلبه هذا الغرس من أعمال ونفقات على أساس عقد المغارسة، ويصبح لحملة الصكوك حصة في الأرض والغرس، والمصدر لتلك الصكوك هو مالك أرض صالحة لغرس الأشجار، والمكتتبون فيها هم المغارسون في عقد المغارسة، وحصيلة الاكتتاب هي تكاليف غرس الشجر، وقد يكون المصدر هو المغارس (صاحب العمل)، والمكتتبون هم أصحاب الأرض (المستثمرون الذين غرست الأرض بحصيلة اكتتابهم)، ويستحق حملة الصكوك الحصة المتفق عليها من الأرض و الشجر.

طريقتها ومراحلها:

وأما طريقتها (إجراءات التصكيك) فتتم حسب الخطوات والمراحل الآتية[1]:

١- مرحلة إصدار الصكوك.

٢- مرحلة إدارة محفظة الصكوك.

٣- مرحلة إطفاء الصكوك.

أولاً– مرحلة إصدار الصكوك، وتتم هذه المرحلة بالخطوتين الآتيتين:

الخطوة الأولى: الشركة المنشئة تعين الأصول التي يراد تصكيكها بحصر وتجميع ما لديها من الأصول المتنوعة في وعاء استثماري واحد يعرف بمحفظة التصكيك.

الخطوة الثانية: تصكيك الأصول ثم بيعها، بعد إعادة تصنيف الأصول وتقسيمها إلى أجزاء أو وحدات تناسب وتلبي حاجات ورغبات المستثمرين، ثم تحويلها إلى صكوك وبيعها إلى المستثمرين.

ثانيا– مرحلة إدارة محفظة الصكوك، فبعد أن يتم بيع الصكوك للمستثمرين تقوم الشركة بإدارة هذه المحفظة نيابة عن المستثمرين طيلة مدة الإصدار، وذلك بتجميع العائدات والدخول الدورية الناتجة من الأصول وتوزيعها للمستثمرين، كما تقوم بتوفير جميع الخدمات التي تحتاجها المحفظة.

١- للمزيد حول هذه الإجراءات ينظر: دكتور علاء الدين زعتري. «الصكوك، تعريفها، أنواعها، أهميتها، دورها في التنمية». ضمن البحث المقدم لورشة العمل التي أقامتها شركة BDO تحت شعار (الصكوك الإسلامية؛ تحديات، تنمية، ممارسات دولية) بعمّان، المملكة الأردنية الهاشمية ١٨-١٩/ ٧/ ٢٠١٠، ص٢٧-٢٩؛ كما يُنظر أيضاً: د. محمد عبد الحليم عمر. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ورقة عمل مقدمة إلى الدورة التاسعة عشرة ٢٠٠٩ لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، ضمن منشورات أعمال الدورة، ١١-١٣.

ثالثا– مرحلة إطفاء الصكوك، وذلك بدفع قيمة الصكوك الاسمية في التواريخ التى تحددها نشرة الإصدار.

ويتم ذلك وفقاً للخطوات الآتية:

- فرز وتجميع (حشد) مكونات هذا الأصل (الذي هو محل التوريق) في حزمة واحدة تتشابه فيها معدلات العائد وأجَل الاستحقاقات.
- ثم تقييم الأصل محل التوريق لتحديد مدى تطابق القيمة الدفترية له مع القيمة التي سيورق بها، وذلك بوساطة أحد مكاتب التثمين.
- إجراء اتفاقات (التعزيز الائتماني) بوساطة الضامنين سواء مؤسسات حكومية أو شركة تأمين أو جهة أخرى.
- الاتفاق مع شركة التوريق على كيفية تحويل الأصل لها حسب أساليب التوريق، وتحديد المبلغ الذي ستدفعه مقابل هذه الأصول.
- سداد شركة التوريق المبلغ المستحق عليها للمؤسسة البادئة؛ إما باقتراضها المبلغ من إحدى المؤسسات المالية بفوائد أو من حصيلة التوريق.
- قيام شركة التوريق بإصدار الأوراق المالية الممثلة للأصل بالقيمة الاسمية زائداً عليها علاوة الإصدار، وطرحها للاكتتاب العام على المستثمرين.
- استلام شركة التوريق لحصيلة الاكتتاب في الأوراق المالية المطروحة من مستشار الطرح، وسداد القرض الذي أخذته من المؤسسة المالية أو دفع مستحقات المؤسسة البادئة.
- قيام الجهة التي تم اختيارها بتحصيل العوائد والأقساط المستحقة لمدين الأصل، وتسليمها لأمين الحفظ لتوزيعها على حملة الأوراق المالية، ثم إطفاء قيمة الأوراق بعد ذلك –تدريجياً– بِرَدِّ جزء من قيمتها لهم.

المبحث الثاني: الإشكالات المتعلقة بالصكوك المالية، والتحديات التي تواجه القول بمشروعيتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإشكالات العامة (المتعلقة بجميع أنواع الصكوك).

أولاً: اجتماع القرض مع المعاوضة:

نص الفقهاء على أنه لا يجوز الجمع بين القرض وأي عقد من عقود المعاوضة لحديث: ((لا يحل سلف وبيع))[١] وسداً لذريعة الربا بالنظَر للمنفعة التي يجرها الإقراض[٢].

ولذلك يثير صدور التعهد بالإقراض إشكالا شرعياً لأن العلاقة التي تحكم مدير الصكوك بحملة الصكوك علاقة معاوضة لا تبرع -فهي إما مضاربة أو مشاركة أو وكالة بأجر- ومعلوم أنه لم يرضَ بتقديم هذا القرض بدون مقابل إلا لأنه يحوز على أكثر من حصته الحقيقية من الربح الفعلي من خلال الحافز الذي اشتُرط له عندما يتجاوز الربح الفعلي النسبة المبنية على سعر الفائدة.

وهذا الاجتماع بين القرض والمعاوضة في الصكوك له صورتان: أ/ الصورة

١- رواه: سليمان بن الأشعث، أبو داود. «سنن أبي داود». تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامل قره بللي. (الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م). كتاب الإجارة، باب في الرجلَ يبيع ما ليس عنده (٣٥٠٤)؛ ومحمد بن عيسى الترمذي. سنن الترمذي». تحقيق: بشار عواد معروف. (الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل ودار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م). أبواب البيوع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك (١٢٣٤)؛ وأحمد بن شعيب النسائي. «المجتبى». تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. (الطبعة الثانية، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦). كتاب البيوع، باب بيع ما ليس عند البائع (٤٦٢٥) وباب شرطان في بيع (٤٦٤٤)؛ ومحمد بن يزيد، ابن ماجه. «سنن ابن ماجه». تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، (الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م). أبواب التجارات، باب النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن (٢١٨٨)، وقال عنه الترمذي في الموضع المشار إليه آنفا: «حديث حسن صحيح».

٢- يُنظر: أبو بكر بن مسعود الكاساني. «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع». (الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). ٧: ٣٩٥؛ وعبد الله بن أحمد، ابن قدامة. «المغني». (مكتبة القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م). ٤: ٤٣.

الأولى: إقراض مدير الصكوك لحملتها عند نقصان الربح، حيث يلتزم مدير الصكوك هنا بتقديم قرض بدون فائدة لحملة الصكوك من أجل ضمان توزيع عائد محدد على حملة الصكوك في تواريخ التوزيع الدوري للعوائد، ويكون ذلك عادةً إذا لم تظهر عوائد أو أرباح في التاريخ، أو إذا ظهر ربح ولكن كان دون المتوقع لحملة الصكوك في مدة من مُدد التوزيع، الحال الأول: أن يكون قرضاً غير مسترد، وهذا في حقيقته التزامٌ بضمان الربح[1]، وأما الحال الثاني: أن يكون قرضاً مستردا، فيلتزم مدير الصكوك بإقراض حملة الصكوك ما يحقق الربح المتوقع في التاريخ المحدد لتوزيع الأرباح ثم يسترد القرض لاحقاً من الأرباح المتحققة في مدة تالية أو من أصول الصكوك إن لم يتحقق أي ربح وهذا الاسترجاع لا يخرجه من حكم اجتماع القرض بالمعاوضة، ناهيك عن المنافع التي سيحصل عليها المقرض من الربح الفعلي اللاحق (ب / وأما الصورة الثانية: فتكون بانتفاع المصدر بالحساب الاحتياطي، إذ قد يشترط مصدر الصكوك عند الإصدار أن له الحق في الانتفاع بالأموال التي في الحساب الاحتياطي لمصلحته مع ضمان هذه الأموال لصالح حملة الصكوك، فهذا الشرط يكيف شرعاً على أنه قرض وهو يؤدي إلى اجتماع القرض مع المعاوضة[2].

ثانياً: ضمان استرداد رأس المال:

المخاطَرة وتردد المعاملة بين الغُنم والغرم هو أحد الخصائص البارزة للشراكة في أي نشاط تجاري، فإذا كان رأس المال مضموناً في هذه الصكوك فهي بالسندات أشبه منها بالشراكة الحقيقية، إذ تُكيّف على أنها قرض، ما يؤول بالأرباح الدورية إلى معنى الفوائد الربوية.

١- ومنافاة ذلك لطبيعة الشراكة والتجارة ظاهرة معلومة، وهي تؤول بالمعاملة للقرض المضمون، وستأتي الإشارة إلى هذا المعنى في الإشكال العام التالي المتعلق بضمان رأس المال.

٢- يُنظر: محيسن. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ٣٤-٣٥؛ ود. محمد عبد الحليم عمر. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ١٦.

حيث إنه يتم في هذه الصكوك استبعاد عنصر المخاطرة بأحد أسلوبين: الأول التزام المصدر بضمان الصكوك أو موجوداتها، بينما الثاني يكون بالتزام طرف ثالث مستقل ضمان الصكوك أو موجوداتها، وغالباً ما يكون التزام هذا الطرف الثالث بمقابل، فيقال هنا ما يقال في التأمين تجاري[١].

ثالثاً: مقدار التوزيع الدوري على حملة الصكوك:

وذلك أن احتساب الأرباح لحملة الصكوك يكون مبنياً على سعر مؤشر عالمي معين يقيس مدى القوة والتأثير[٢].

ومكمن الإشكال هو في كون توزيع أرباح الاستثمار على حاملي الصكوك مبنيًا على تلك المؤشرات، ولم يبنَ على مقدار الربح الفعلي، كما أن تلك الأرباح غير متعلقة بالنشاط الاستثماري، وإنما يكون ارتباط نسبة الربح (المؤشر) بالمبلغ المدفوع مقابل تلك الصكوك بغض النظر عن ماهية النشاط الاستثماري وأرباحه الفعلية، وهذا يؤول بالعقد في حقيقته إلى عقد قرض ربوي يشابه السندات التقليدية باعتبارين: الأول ضمان الربح: ففي تعهد مصدر الصكوك بدفع الربح بناءً على المؤشر مشابهة لالتزام مصدر السند الربوي بدفع فائدة دورية على القيمة الاسمية للسند معتمداً في ذلك على تلك المؤشرات[٣]، بينما الثاني نسبة الربح إلى رأس المال: وذلك بأن يقدر الربح بالنسبة إلى رأس المال، دون النظر إلى

١- يُنظر مع المصادر السابقة إلى: محيسن. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ٢١ وما بعدها.

٢- وتتميز هذه المؤشرات بأنها غير ثابتة، وغير مستقرة، إذ إنها تختلف من وقت لآخر حسب توفر السيولة لدى البنوك، وبحسب مدى قياس النقد في محيط السوق الذي تمثله تلك المؤشرات أيضاً.

٣- ولا يخفى أن ضمان ربح معين على رأس المال -معلوم أو سيؤول إلى العلم- يقود إلى معرفة أن حقيقة العقد هي القرض بربح معين مؤجل، وهو الربا بعينه؛ إذ اشتراط ضمان الربح يقطع الشركة.

الربح الفعلي[١]، وهذا مشابه لسعر الكوبون في السندات التقليدية[٢].

رابعاً: مدى ملكية حملة الصكوك لموجوداتها بجميع حقوقها والتزاماتها:

الأصل أن الصكوك تمثل ملكا مشاعا في أصولٍ (أعيان أو منافع أو خدمات)، وعليه فإن هذا الملك لابد أن يكون سببه -وهو البيع- مستجمعاً لشروط البيع كافة التي تضمن تمام انتقال الملك وضمان استحقاق مالك الصك لكل التصرفات والحقوق والالتزامات التي تترتب على هذا التملك لمحتوى الصك بالاعتبار الشرعي والقانوني، إلا أن هناك أموراً تعرض لأكثر الصكوك فتقدح في تحقق هذه الملكية أو تمامها، منها[٣]:

١- أن تباع أصول الصكوك دون ملكيتها الحقيقية، بأن ينقل لحملة الصكوك حق الحصول على الأجرة فقط دون وضع اليد على العين، أو ينص في نشرة الإصدار أن البيع على الحقوق والمنافع دون الأصول، إذ إن مما يزيد الأمر إشكالاً ويقرِّب ملكية حملة الصكوك للأصول من الصوريّة التصريح بالنص على أنه ليس لحملة الصكوك ولا لوكيلهم -تحت أي ظرف- أيُّ حقٍّ في بيعِ أيٍّ من موجودات الصكوك، أو التصرف بها بأي شكل آخر إلا وفقاً لتعهدَ الشراء[٤].

٢- أن تكون الصكوك لأصولٍ لا يمكن تملكها عادة أو قانونا أو عرفا، وذلك

١- فيقال -مثلاً-: لمالكي الصكوك كذا نقطة فوق نسبة الليبور، والتي يعتمد حسابها على مقدار رأس المال، فإذا حدد الليبور سعر الفائدة ٥٪ مثلاً فإن المقصود هو ٥٪ من رأس المال أو من القيمة الاسمية للصك وليس من الربح الفعلي.

٢- يُنظر: د. محمد عبد الحليم عمر. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ١٦.

٣- للمزيد من التفصيل حول مجمل هذه القوادح يُراجع: فيصل بن صالح الشمري. «مسائل فقهية في الصكوك- عرض وتقويم». وهو ضمن مطبوعات كرسي سابك لدراسة الأسواق المالية الإسلامية -التابع لبرنامج كراسي البحث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ط١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م. ص٥٢، ٨٣، ٩٧، ١١٨.

٤- المقصود بـ»إلا وفقاً لتعهد الشراء» أي: إعادة البيع على المصدر فقط.

كتصكيك الوزارات والمطارات والموانئ، ومايُعرف بـــ»الصكوك السيادية».

٣- أن يتم تقييم الصكوك عند بيعها للمستثمر بأضعاف قيمتها السوقية، مما يحكر تعاملات المالك إلا مع المصدر، كأن يكون الأصل قيمته ألف، فلا يباع من حملة الصكوك لغير المصدر إلا بمئة ألف، بحيث يتعذر على حملة الصكوك تصرفهم فيه إلا من خلال التعامل مع مصدر الصكوك.

٤- بيع المصدر أصوله مع إبقائها في دفاتره وضمن ميزانياته دون تقييدها بأنها ملك لحملة الصكوك، والأصل أن المصدر إذا باع الصكوك فإن الأصول تنتقل لملك غيره ويجب عليه إخراجها من ميزانيته، لأنه قبض ثمنها، فإن لم يخرجها من ميزانيته ودفاتره كان البيع صوريا وأصبحت المعاملة في حقيقتها قرضاً.

٥- أن تتضمن نشرة الإصدار شروطاً[١] تُنقص من حقوق حملة الصكوك بمقتضى ملكيتهم، كأن يكون البيع بلا تمليك اسمي ولا قانوني[٢].

خامساً: حتميّة التصنيف الائتماني والتأثر بنظام السوق الدولي:

لا مندوحة -غالباً- في مثل هذه الصكوك عن التصنيف الائتماني ورقابة المؤسسات المالية الدولية؛ إذ لابد قبل إصدار الصكوك - ولو كانت إسلامية- من عملية تصنيفها ائتمانياً من قِبل وكالات تصنيف ائتمانية دولية، وكذلك مشورة صندوق النقد الدولي وغيره من المؤسسات المالية الدولية، وفي ذلك -كما لا يخفى- تكلفة كبيرة على حملة الصكوك تخفض كثيرا من العوائد المتوقعة، ما يُسهِم في ضعف فرصة نجاح أسلمة هذه المعاملة والعزوف عنها إلى السندات،

١- فصوريّة العقد في هذا الاستشكال جاءت من خلال الشروط أو الإجراءات، بينما الصورية المستشكلة سابقاً (في أول أول نقطة من هذا المسرد) كانت من طبيعة العقد أصالةً وجزءًا من ماهيته.

٢- وتسمى الملكية النفعية أو العدلية، وهي ما يقابل الملكية الاسمية التي تظهر في السجلات الرسمية، حيث يقوم المصدر ببيعها مع الإبقاء على أصل تلك الصكوك وسنداتها بصفته وكيلاً عن حاملي الصكوك.

ومن جهة أخرى فإن حتمية الارتباط الائتماني والرقابة الدولية تفرض تحدياً لصمود هذه الصكوك أما المعاملات التقليدية التي يشوبها كثير مما لا يتوافق مع مبادئ الشريعة[1].

وربما أن نقص الشفافية في بعض الإصدارات -رغبةً في التخفف من إظهار بعض مواطن الضعف أو الاشتباه المسببة لعزوف المستثمرين- هو الأمر الذي يدعو إلى الحصول على تصنيف ائتماني من مؤسسات التصنيف الائتماني التي ذكرناها سابقا، وذلك لتقليل المخاطر ومخاوف الاكتتاب في بعض الإصدارات.

المطلب الثاني: الإشكالات الخاصة ببعض الأنواع دون بعض.

أولاً: إصدار صكوك بملكية الأعيان المؤجرة إجارة منتهية بالتمليك لمن اشتريت منه:

وهو ما يُعرف باسترداد صكوك الإجارة، بإعادتها من مالك الصكوك إلى مصدرها بالقيمة الاسمية أو بما يتفقان عليه، ويكون بعد تمام الاكتتاب والطرح للتداول، وذلك بناء على تعهد سابق[2].

حيث إن المصدِر يبيع أصلاً (أو مجموعة أصول) لحملة الصكوك بثمن حال (الذي هو ثمن الصكوك)، ثم يستأجرها منهم طوال مدة الصك -بالقيمة الاسمية للصك- مع إصداره وعداً ملزماً بإعادة شراء الأصل (الذي باعه لهم) فتتضمن هذه الصورة ضرباً من ضروب العينة(وبيان ذلك أن (صكوك إجارة العين لمن باعها إجارة منتهية بالتمليك) عبارة عن منظومة متكاملة ومترابطة صيغت لتحقيق

١- وللتوسع حول فكرة هذا الاستشكال يُنظر: دكتورة نوال بنت عمارة. «الصكوك الإسلامية ودورها في تطوير السوق المالية الإسلامية». ٢٥٨-٢٥٩.

٢- يُنظر: د. عبد القوي ردمان محمد عثمان. «الصكوك الإسلامية وإدارة السيولة». ٢٤-٢٨ وما بعدها؛ وعبد الله بن محمد العمراني. «صكوك الإجارة الموصوفة في الذمة والمنتهية بالتمليك». بحث مقدم لندوة الصكوك الإسلامية عرض وتقويم، المقامة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٠-١١ / ٦ / ١٤٣١هـ، ضمن منشور أعمال الندوة ص١٥١ وما بعدها.

هدف تمويلي محدد، فالمتموِّل -المصدِر- قد باع أصلاً يملكه للممول -حملة الصكوك- بثمن نقدي حال، ثم استعاد ملكيته ممن باعه منه بثمن مؤجل مقسط يزيد عن الثمن الحال[١].

فنجد أن هذه الصورة تتضمن معنى بيع الوفاء (وهو أن تباع العين بيعَ وفاء على أن يستأجر البائعُ المبيعَ، مع اشتراط أن البائع متى ما دفع الثمن رد المشتري السلعة للبائع)[٢] فكأن مصدر الصكوك أخذ من المكتتبين في الصكوك مبلغاً وأعطاهم عيناً ينتفعون بغلتها، حتى يرد المبلغ في نهاية المدة.

ثانياً: استبدال صكوك الإجارة محل التصكيك:

أثناء سريان مدة الصكوك فإن مُصدِر الصكوك (المستأجِر) له الحق الملزم في بيع أصول الإجارة وإعطاء حملة الصكوك أصولاً أخرى مماثلة، وعليه يتم فسخ عقد الإجارة في العين المستبدلة ويتعهد المصدر باستئجار العين البديلة بمثل شروط العقد السابق وأحكامه وأجرته، وهذا يجعل ملكية حملة الصكوك لأصول الصكوك صورية من جهة أن أصول الإجارة المملوكة لحملة الصكوك لا يتم تقييمها عند الاستبدال بقيمتها السوقية، وإنما يتم تقييمها بالقيمة الاسمية، وبذلك يستحق المصدر ربح أصول الإجارة المستبدلة[٣].

١- يُنظر المصادر السابقة مع تصرف وإضافة.

٢- ينظر في تعريف بيع الوفاء وكلام الفقهاء في منعه والنصوص حوله إلى: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، ابن نجيم. «البحر الرائق شرح كنز الدقائق». (الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي). ٦: ٨؛ ومالك بن أنس الأصبحي المدني. «المدونة». (الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م). ٣: ١٧٤؛ ومنصور بن يونس بن إدريس البهوتي. «كشاف القناع عن متن الإقناع». تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال/ محمد أمين الضنّاوي. (بيروت: دار الفكر/ عالم الكتب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). ٣: ١٤٩.

٣- يُنظر: دكتور عبد الباري مشعل. «صكوك الإجارة وإشكالاتها التطبيقية». ضمن منشورات مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ٦٤ الصادر في سبتمبر٢٠١٧م 5045/kantakji.com/https://.

ثالثًا: ضمان المصدر لشركة التأمين في صكوك الإجارة:

يمكن أن يقال إن الأمر المشروع هو أن الأصول التي هي محل الإجارة يجري التأمين عليها من قبل المالك وهم حملة الصكوك بحيث لو هلكت هلاكاً كاملاً قامت شركة التأمين بدفع التعويض المتفق عليه، إلا أنه يُنص -غالباً في مثل هذه الصكوك- على شرط سداد المصدر للتعويضات المنصوص عليها في بوليصة التأمين خلال مدة معينة (شهر غالبا) وإيداعها في حسابات حملة الصكوك سواء سددت شركة التأمين المبلغ للمصدر أو لم تسدده، وفي ذلك محاذير شرعية لا تخفى، لعل أبرزها:

- أن مثل هذا الشرط هو في حقيقته تعهدٌ من المصدر بتعويض حملة الصكوك في حال هلاك الأصل المؤجر (والحال أنه مجرد مستأجر) ولو بآفة سماوية لا يد له فيها، وهذا يؤول إلى ضمان المصدر للأصل الذي خرج عن ملكه ولا يد له عليه[1].
- كما أنه يؤول إلى ضمان رأس المال، وهذا لا يجوز لأنه يتحول إلى قرض مضمون[2].

رابعاً: تصكيك الديون:

عندما تكون الأصولُ مجموعةً من القروض في الذمم المستندةِ إلى الأدوات التمويلية -ولو كانت إسلامية كالبيع بثمن آجل والمرابحة- فإن تجويز تصكيكها

١- وفي مثل هذا وضع النبي ﷺ الجوائح ونهى عن تضمين الطرف الآخر بنحو قوله ﷺ (فيم يأكل أحدكم مال أخيه)، وقد أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري. «صحيح البخاري». تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ). كتاب الزكاة، باب من باع ثماره أو نخله أو أرضه أو زرعه وقد وجب فيه العشر (١٤٨٨)، وفي كتاب البيوع، باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها (٢١٩٥)، وباب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ثم أصابته عاهة (٢١٩٨)؛ وأخرجه: مسلم بن الحجاج. «صحيح مسلم». تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). كتاب البيوع، باب وضع الجوائح (١٥٥٥).

٢- فتكون الأجرة أو الربح زيادةً ربويّة.

محلّ تردد ونظر؛ وذلك لعدم جواز بيع الدين عند جمهور الفقهاء[١].

ولذلك قررت هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية عدم جواز تصكيك الديون في الذمم لعدم جواز بيع الدين[٢].

خامساً: مسْرَد ببعض الإشكالات التي تعرض في بعض الأحوال ولبعض الشركات:

كانت الإشكالات السابقة ذات ظهورٍ وأهميةٍ ومركزيّةٍ، مما استدعى عرضها بشيء يسير من التفصيل الذي سنتخفف منه فيما يأتي فنسرد بعض الإشكالات[٣] مجرّدةً -بطبيعة حال المسارِد- من الإحالات والتفصيل؛ وذلك اكتفاءً بتعزيز إثبات الاستشكال المتطلب لمعالجة، وأيضاً لتتسنى الإشارة لأكبر قدر من الملحوظات والتساؤلات التي قد ترِد على هذه المعاملة، وفيما يأتي أبرزها:

١- التأقيت المنافي لطبيعة التمليك في البيع، إذ البيع تمليك مستمر، وهذا التأقيت يؤول بالعقد إلى الصوريّة، وغير ذلك من الإجراءات التي تؤول بالعقد إلى الصورية وعدم إرادة تملك العين قصداً.

٢- أن يُنص في نشرات الإصدار على أنه في حال تعثر المصدر عن دفع المستحقات، فليس لحملة الصكوك الرجوع والتصرف في الأصول محل

١- يُنظر: د. أختر زيتي عبد العزيز. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ٨؛ والمنع من بيع الديون قرره أكثر الفقهاء فيُنظر فيه: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي. «المبسوط». (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م). ١٢: ٧٠؛ وإمام مالك. «المدونة». ٢: ٢٥٧؛ ومحمد بن أحمد الشربيني. «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج». (الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م). ٢: ٤٦٦؛ وابن قدامة. «المغني». ٤: ٩١.

٢- يُنظر: المعايير الشرعية معيار رقم ١٧، ص ٤٨٧-٤٨٨.

٣- بل هي للملحوظات أقرب منها للاستشكالات؛ إذ جملتها قد ورد عفوَ التأمل ثمرةَ معايشة الباحث للموضوع مدةً ليست بالقصيرة، مما يشكل مبرراً إضافياً لما ستأتي الإشارة إليه من عدم العزو أو الإحالة، وعليه فهي بحاجة إلى مزيد من التحرير وإنعام النظر، وإنما أثوّرها هنا على سبيل التساؤل والملاحظة وإثبات أن المسألة ما زالت في حيّز الاشتباه والاستشكال.

التصكيك، وإنما لهم حق الرجوع على المصدر لتحصيل ديونهم، ولو تعذر على المصدر رد الديون تحتم على حملة الصكوك الانتظار، أو إعادة هيكلة الديون.

٣- من التحديات التي تواجه الصكوك محدودية تداولها في الأسواق المالية؛ حيث يفضل معظم المستثمرين شراء الصكوك والاحتفاظ بها لحين موعد استحقاقها[١]، وكان لذلك أثرَه من حيث مشابهة السندات الربوية وأن تكون هذه المناشط الحيوية دُولَة بين الأغنياء وأصحاب النفوذ دون سواهم.

٤- عدم اعتراف بعض القوانين بالصكوك، وعدم مراعاة طبيعتها الخاصة في اللوائح والأنظمة، ونتج عن هذه الظاهرة عامل يؤثر على تداول الصكوك وهو عدم كفاية العرض بالمقارنة إلى الطلب، كما أن هذه الظاهرة تؤثر سلباً في سيولة الصكوك (وهي إحدى أهم خصائصها)، ناهيك عن الثغرات الشرعية والقانونية التي قد ينفذ منها من لا يراعي الضوابط الشرعيّة ولا القوانين المرعيّة.

٥- التماهي مع القوالب المستوردة من هذه المعاملة والإصرار على محاكاة التطبيقات التقليدية (وذلك من خلال التعسف في شرعنة المنتجات التقليدية أو أسلمتها.

٦- الشروط المنصوصة في الصكوك ونشرات الإصدار المخالفة لمقتضى العقد، كالمخالفة لمقتضى الملكية المشار إليها سابقاً، أو المخالفة لمقتضى الشركة أو الإجارة أو غيرها من العقود الخاصة، من خلال الخروج بها عن طبيعتها أو مقتضاها إلى ما يتنافى مع حقيقتها أو مشروعيتها.

١- أي إلى ما يسمى: (maturity date).

٧- تعهد المصدر بشراء أصول الصكوك بقيمتها الاسمية لا قيمتها السوقية، فيؤول إلى ضمان رأس المال، ولا يخفى أن هذا لا يجوز؛ لأنه سيتحول حينها إلى قرض مضمون.

٨- الصورة المركبة للتصكيك يجعل التكييف الفقهي القائم لا يعدو -في بعض الحالات- كونه تلفيقاً؛ إذ بعض الصكوك الإسلامية هي في الحقيقة عقود مركبة لا تقبل التجزئة، صيغت لتحقيق عائد مضمون من الربح وضمان لرأس المال فيكون مصدر الصكوك -في واقع الأمر- قد باع عينةً، فمثلاً حين تُباع أرض لإنشاء مطار دولي بثمن حال، ثم يُستعاد تملكها ممن باعها منه بثمن مؤجل مقسط يزيد على الثمن الحال فما المانع أن تكون نوعاً من أنواع بيع العينة المحرمة المستترة بلبوس مجموعة مع العقود الملفقة التي لا تقبل التجزئة.

٩- كثيراً ما تكون رؤوس الأموال ديوناً في الذمة فيُظن كفاية الالتزام الشرعي بأحكام البيع مع غفلةٍ -أو إغفال- للأحكام الخاصة المتعلقة بالديون كتداول ما في الذمة قبل تعيينه وقبضه.

المبحث الثالث: مدى مشروعيتها -في ضوء التحديات السابقة- وصلاحيتها بديلاً شرعياً للسندات الربوية.

المتأمل في الاستشكالات المطروحة بشيء من التفصيل -في مَطْلَبَي المبحث السابق- سيجد أن إطلاق الجواز لمثل هذه المعاملة أمرٌ شائك، وتجاسُرٌ ينأى عنه كل من له معرفةٌ بطبيعة المتلقِّين للأحكام ذات المساس بالجانب الاقتصادي، فالفقه الحيّ لا يُغفل الجانب التطبيقي الذي سيجسّد تحريره النظري، وهذا -مع الأسف- قد يكون أحد أهم مناطات المنع لمثل هذه المسألة[1].

١- ولم أُشِر إليها سابقاً ضمن مطالب الاستشكال لتعلقها بالجانب المنهجي لا التكييف الفقهي.

فعندما نستحضِر الجانب الميداني للتحقق من مدى تطبيق الشركات أو المصارف لمثل هذه الأحكام الشرعية والقرارات الصادرة عن المؤسسات المعنيّة يتجلى له مفارقة بيّنة بين التنظير والواقع ، وأن كثيراً من الأحكام والتقريرات التي تَجْهَدُ لإباحة معاملةٍ من خلال التشبث بتكييف متكَلَّف ثم تذيّل هذا التعسّف بقائمة طويلة من الاستثناءات والشروط والضوابط والمبادئ إنما تكون جِسراً لمن يكفيه استرواح الإباحة فحسْب -عمداً أو جهلاً- دون وقوف عند تلك المحددات من شروطٍ ومبادئ واستثناءات(لذلك نجد -على سبيل المثال- أن مجمع الفقه أفتى بجوازِ التورق، وبعد سنة رأى أن الجانب التطبيقي يخالف ما أباحوه -إذ ظهرت بعض التصرفات والمعاملات التي تباين مقصد القرار وهي في ذات الوقت تستند إليها: كالتورق المنظم والتبايع الصوري- فعادوا في دوراتٍ بعدها للتحريم[1].

كل هذا فضلاً عن التباين الشديد بين أنواع الصكوك وتطبيقاتها وتعلق كل عملية تصكيك بمعاملةٍ مستقلة لها أبعادها الفقهية ومناطاتها الشرعية التي هي -بحد ذاتها قبل إجراءِ التصكيك عليها- محل تردد أو خلاف عريض.

بل وحتى على فرض تجاوز بعض المحظورات من باب وجود الخلاف فيها أو لكونها تبعيّةً في الصورة لا أصيلة إلا أن المتأمِّل سيقف على تساهل في توسيع دائرة الاستثناء إلى ما يؤول لتضييع الأصل المستثنى منه حتى لا تكاد تجد فارقاً بين بعض الصكوك والسندات(فعندما يتقرر جواز أن تكون الموجودات التي تمثلها الصكوك خليطاً من الأعيان والمنافع والديون -بوصف الديون غير مقصودة،

١- فقد صدر قرارٌ من «المجمع الفقهي الإسلامي» المنعقد في المدة من ١٩ - ٢٣ / ١٠ / ١٤٢٤هـ الذي يوافقه ١٣ - ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٣م فيه تحريم هذه المعاملة، وفيه تحذيرٌ وتنبيهٌ للمصارف من استغلال هذه المعاملة على غيرِ وجهها الشرعي، حيث ورد فيه: «بعد الاستماع إلى الأبحاث المقدَمة حول الموضَوع، والمناقشَات التيَ دارت حوله، تبيَّن للمجلس أن التورق الذي تجريه بعض المصارف في الوقت الحاضر هو غير التورق الحقيقي المعروف عند الفقهاء، وقد سبق لـ «المجمع» في دورته الخامسة عشرة أن قال بجوازه بمعاملات حقيقية وشروط محددة بينها قراره؛ وذلك لما بينهما من فروق عديدة فصلت القول فيها البحوث المقدمة..

ويجوز تبعاً ما لا يجوز استقلالاً- ثم تقف على بعض التصرفات أو الاجتهادات التي تتجاوز بالديون حالة التبعيّة المغتفرة بحجة عدم وضوح النص في تحديد مقدار الديون وعدم ظهور دلالة قَصْرها على الثلث -كما رأى غير واحد من الفقهاء- حينها يؤول الأمر إلى بيع الديون وتصكيكها (لهذا جاء التحذير من ذلك في إحدى توصيات الندوة التي عقدتها أمانة مجمع الفقه الإسلامي حول الصكوك، وفيها: «رابعاً: لا يجوز أن يتخذ القول بالجواز ذريعة أو حيلة لتصكيك الديون وتداولها كأن يتحول نشاط الصندوق إلى المتاجرة بالديون التي نشأت عن السلع ، ويجعل شيء من السلع في الصندوق حيلة للتداول»[١].

وقد يزداد الطين بِلّةً والمريض عِلةً عند تضليل الحقيقة وتغليف بعض الصيغ الربوية بصيغ شرعية مزيفة، وذلك عندما تكون أصول هذه الصكوك أصولاً وهمية من حيث حقيقة تملك حاملي الصكوك لهذه الأصول، وأن عائدها الدوري ليس إلا فائدةً ربويةً مظلَلَةً بظِلال الإجارة، فإذا كان الصك الإسلامي وثيقةً لتملّك صوري مجرّد عن أحكام البيع الحقيقي وآثاره فهذا يؤول به إلى معنى السندات التقليدية التي هي وثيقةٌ بإقراض على فائدة[٢].

ولئلا يُفهم تعميم الحكم بهذا النمط الربوي الاحتيالي فتحسن الإشارة إلى وجود جهود صادقة وحثيثة للارتقاء بهذه الصكوك للحقيقة الشرعية القائمة على أدبيات المصرفية الإسلامية، ولعل مما يسرّع عملية تنقيتها ويعجّل عجلة أسلمتها تدابير يمكن أن يُقترح منها:

- العناية بالجانب التوعوي للمستثمرين في هذا الميدان، وتوجيههم للسندات

١- قرار رقم ١٧٨ (٤ / ١٩) بشأن الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها، ضمن الندوة التي عقدها مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته التاسعة عشرة في إمارة الشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة) من ١ إلى ٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٦-٣٠ نيسان (إبريل) ٢٠٠٩م.

٢- يُنظر: الشيخ عبد الله بن منيع . «الصكوك الإسلامية تجاوزاً وتصحيحاً». ٣٧٤-٣٧٥.

الأكثر مواكبةً لأحكام الشريعة، مما يحفّز لدى الشركات العناية بهذا المعيار والنأي عن الشبهات والتعاملات الصوريّة.

- كما أن هذا الجانب التوعوي لابد أن يمتد إلى الفقهاء والباحثين والخبراء التشريعيين للمواءمة بين آرائهم وتقريب وجهات النظر المتعلقة بشأن التصكيك الإسلامي.

- السعي في استصدار تشريعات تدعم سوق الصكوك الإسلامية وتسهّل عملية تحقيق إطار قانوني منسجم مع مبادئ الشريعة، مما سيشكل خطوةً مهمة لتصدير فكرة هذه الصكوك للسوق العالمية.

- هناك قَدْر من التكلف -تمارسه بعض الجهات المهتمة بإطلاق إباحة الصكوك- للتنصل من بعض الإشكالات من خلال تقرير معاملات صورية لا أثر لها في الحقيقة، وقد يكون ذلك من التحايل المذموم، في مقابل أصحاب المثالية في الحلول المقترحة لتجاوز التحديات والإشكالات وعَوَز الواقعيّة في التطبيق (وكِلا طرفي قصْد الأمورِ ذميمُ؛ وهذا لا بد أن يستنهض الباحثين لمزيد معالجةٍ لهذه المسألة بتجرّد وتحرير وواقعيّة.

- ينبغي لكل من يروم معالجة مسألة الصكوك -أو أي معاملة حلّت بديلاً لمعاملةٍ تقليدية- الحذر من نزعة المبالغة في إسلاميّة هذه الصكوك التي تستلزم -في نظر بعضهم- أن يُغتفر فيها ما لا يُغتفر في غيرها، بحجة أن الصكوك أداة إسلامية أصيلة ظهرت على أيدي علماء الاقتصاد الإسلامي (ولا يُوَافقون على هذا التفريق والتعليل؛ بل ما ينطبق على الأسهم -وغيرها من الشركات- من أحكام الشراكة والتداول ومنع المخالفات الشرعية يجب أن ينطبقَ على الصكوك.

الخاتمة

تعدد الأغراض من هذه النازلة وتشعّبها وتنازع الجانبين التنظيري والتطبيقي فيها جعلها جديرة بمزيد من التحقيق والبحث، هذا مع تسارع التطور فيها بفعل التجدد المستمر للمعاملات الاقتصادية وسهولة التأثر بالسوق العالمية، وأجدني هنا ألقي عصى المسير مستخلصاً أهمّ ما توصلت إليه من نتائج[١]:

- مرونة الفقه الإسلامي وقدرته على استيعاب أدوات تمويلية متجددة، وكفاءته في تلبية الاحتياجات الاقتصادية، إلا أن هذه المرونة يجب تأطيرها بما يكفل سلامة المصرفية الإسلامية من لوثات الربا والمعاملات الصورية.

- تختلف الصكوك عن باقي أدوات التمويل التقليدية -لاسيما السندات- في نقاط جوهرية مؤثرة، أهمها ما يتعلق بكون الصكوك تمثل حصةً في ملكية موجودات الشركة، بينما السندات ليست إلا ديوناً عليها، كما أن حامل الصك متأثر بنتائج أعمال الشركة -غنماً أو غرما- بخلاف حامل السند الذي يستحق قيمته الاسمية -بفوائدها- بلا أدنى ارتباط لغنم الشركة أو غرمها.

- ما زالت الصكوك الإسلامية تواجه تحديات كبيرة من الناحية الشرعية (الفقهية) ومن الناحية التشريعية (القانونية) وأن وثباتها المتسارعة في اتجاه تعزيز المصرفية الإسلامية -وإن كانت كبيرةً ومشكورة إلا أنها- بحاجة لمزيد من البحث والدعم العلمي والتسهيل الحكومي.

- استصحاب حال ضعف المصرفية -القديم- على حال نشاطها وانتشارها -الراهن- كثيراً ما يورِث تساهلاً في عدد من المعايير والضوابط بذريعة الحاجة، لكنه وإن قيل بجواز بعض الملابسات في مراحل سابقة لضعف

١- اقتصرتُ في الخاتمة على «النتائج» حيث كنت قد ضمّنت المبحث السابق بعض «المقترحات والتوصيات».

المصرفية الإسلامية وشدة الحاجة لتشجيعها ونشرها فإنها في المرحلة الحالية قد بلغت من القوة والانتشار ما يسوّغ الحكم بارتفاع الحاجة المبررة والرجوع للمعيار الشرعي الصِرف.

وأخيراً فهذا جهد المقل، راجياً أن يبلغ من ربنا الرضا، وبه المرتجى، وسائلاً المولى أن يلهمني الصواب، ويجزل لي وللقارئ الثواب، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المصادر والمراجع[1]

- أحمد سالم ملحم. «نشأة الصكوك الإسلامية وأهدافها». وهو بحث منشور على الشبكة http://www.drahmadmelhem.com/p/blog-page_13.html
- أختر زيتي عبد العزيز. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ورقة عمل مقدمة إلى الدورة التاسعة عشرة ٢٠٠٩، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، قدمها، وهي ضمن مطبوعات أعمال الدورة.
- الأصبحي المدني، مالك بن أنس. «المدونة». (الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل. «صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)». تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. (الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس. «كشاف القناع عن متن الإقناع». تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال/ محمد أمين الضنّاوي. (بيروت: دار الفكر/ عالم الكتب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- بو عبد الله علي. «أهمية الصكوك المالية الاسلامية في سوق الأوراق المالية في ماليزيا». ورقة بحثية مقدمة لمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية.
- الترمذي، محمد بن عيسى. «الجامع الكبير = سنن الترمذي». تحقيق: بشار عواد معروف. (الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل ودار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م).
- حسين فتحي عثمان. «التوريق المصرفي للديون، الممارسة والإطار القانوني». منشور على الشبكة ضمن أعمال مؤتمر كلية الشريعة والقانون الخامس عشر، حول أسواق الأوراق المالية والبورصات، آفاق وتحديات، بجامعة الإمارات العربية المتحدة، عام ٢٠٠٧م.
- حمزة بن حسين الشريف. «ضمانات الصكوك الإسلامية». بحث مقدم لندوة الصكوك الإسلامية عرض وتقويم، المقامة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٠-١١/ ٦/ ١٤٣١هـ، ضمن أعمال الندوة المطبوعة والمنشورة على الشبكة.

١- مرتبة أبجدياً.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث. «سنن أبي داود». تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي. (الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م).
- زياد جلال الدباغ. «الصكوك الاسلامية ودورها في التنمية الاقتصادية». (عمّان، الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م).
- السدلان، صالح بن غانم بن عبد الله بن سليمان بن علي. «زكاة الأسهم والسندات والورق النقدي» (الطبة الثالثة، الرياض: دار بلنسية للنشر والتوزيع ١٤١٧ هـ).
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل. «المبسوط». (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- الشربيني، محمد بن أحمد. «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج». (الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- الشمري، فيصل بن صالح. «مسائل فقهية في الصكوك- عرض وتقويم». ضمن مطبوعات كرسي سابك لدراسة الأسواق المالية الإسلامية -التابع لبرنامج كراسي البحث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- عبد الباري مشعل. «صكوك الإجارة وإشكالاتها التطبيقية». ضمن منشورات مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ٦٤ الصادر في سبتمبر٢٠١٧م وهو متاح على الرابط: https://kantakji.com/5045.
- عبد القوي ردمان محمد عثمان. «الصكوك الإسلامية وإدارة السيولة». ورقة مقدمة للمؤتمر الرابع للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية بسورية ٢٠٠٩، ضمن أعمال المؤتمر المنشورة.
- الشيخ عبد الله بن منيع. «الصكوك الإسلامية تجاوزاً وتصحيحاً». بحث مقدم لندوة الصكوك الإسلامية عرض وتقويم، المقامة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٠-١١/ ٦/ ١٤٣١هـ، ضمن أعمال الندوة المطبوعة والمنشورة على الشبكة.
- علاء الدين زعتري. «الصكوك، تعريفها، أنواعها، أهميتها، دورها في التنمية». ضمن البحث المقدم لورشة العمل التي أقامتها شركة BDO تحت شعار (الصكوك الإسلامية؛ تحديات، تنمية، ممارسات دولية) بعمان، المملكة الأردنية الهاشمية ١٨-١٩/ ٧/ ٢٠١٠.

- علي القرة داغي. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة دراسة فقهية اقتصادية تطبيقية». ضمن البحوث المقدمة في الدورة التاسعة لمجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالشارقة.

- العمراني، عبد الله بن محمد. «صكوك الإجارة الموصوفة في الذمة والمنتهية بالتمليك». بحث مقدم لندوة الصكوك الإسلامية عرض وتقويم، المقامة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٠-١١ / ٦ / ١٤٣١هـ، ضمن أعمال الندوة المطبوعة والمنشورة على الشبكة.

- فؤاد محيسن. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ورقة عمل مقدمة إلى الدورة التاسعة عشرة ٢٠٠٩، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ضمن مطبوعات أعمال الدورة.

- فتح الرحمان علي محمد صالح. «دور الصكوك الإسلامية في تمويل المشروعات التنموية». في ورقة لمنتدى الصيرفة الإسلامية، ببيروت-لبنان.

- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. «المغني». (مكتبة القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).

- قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي بشأن الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها، ضمن الندوة التي عقدها في دورته التاسعة عشرة في إمارة الشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة) من ١ إلى ٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٦-٣٠ نيسان (إبريل) ٢٠٠٩م.

- القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج. «صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)». تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

- الكاساني، أبو بكر بن مسعود. «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع». (الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

- ابن ماجة، محمد بن يزيد. «سنن ابن ماجه». تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، (الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

- محمد عبد الحليم عمر. «الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها». ورقة عمل مقدمة إلى الدورة التاسعة عشرة ٢٠٠٩، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ضمن مطبوعات أعمال الدورة.
- المعايير الشرعية «النص الكامل للمعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية»، توزيع دار الميمان، ١٤٣٧ه.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد. «البحر الرائق شرح كنز الدقائق». (الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي).
- النسائي، أحمد بن شعيب. المجتبى (السنن النسائي الصغرى). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. (الطبعة الثانية، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦).
- نوال بنت عمارة. «الصكوك الإسلامية ودورها في تطوير السوق المالية الإسلامية». الجزائر: مجلة الباحث، ص٢٥٩-٢٦١، العدد التاسع ٢٠١١م.

References:

- Dr. Ahmad Sālim Mulhim. «The Establishment of Islamic Sukuk and its Goals». A published research on the internet - http://www.drahmadmelhem.com/p/blog-page_13.html
- Dr. Akhtarr Zaitī Abd al-Aziz. «Islamic Sukuk (al-Tawrīq) and its contemporary applications and circulation». (in Arabic) A paper submitted to the nineteenth session 2009, the International Islamic Fiqh Academy, and it is included in the session's publications.
- Al-Asbahī al-Madanī, Mālik bin Anas. «al-Mudawwana». (1st ed. Dār al-Kutub al-IIlmiyya, 1415AH - 1994).
- Al-Bukhārī, Muhammad bin Ismāīl. «Sahih al-Bukhārī». Investigated by: Muhammad Zuhair Nāsir al-Nāsir. (Dār Tūq al-Najāt, 1422AH).
- Al-Buhūtī, Mansūr bin Yūnus. «Kashāf al-Qinā an Matn al-Iqnā». Investigated by: Hilāl Musailahī Mustapha Hilāl/Muhammad Amīn al-Dannāwi. (Beirut: Dār al-Fikr/Ālam al-Kutub, 1402AH - 1982).
- Dr. Bū Abdillāh Ali. «The importance of Islamic financial instruments in the stock market in Malaysia». (in Arabic) A research paper presented to the Research Center for Islamic Transactions Jurisprudence.
- Al-Tirmidhī, Muhammad bin Esā. «Sunan al-Tirmidhī». Investigated by: Bashār Awwād Marūf. (2nd ed. Beirut: Dār al-Jīl wa Dār al-Gharb al-Islāmī, 1998).
- Dr. Husain Fathī Outhmān. «Debt Securitization, Practice and Legal Framework». (in Arabic)A publication on the network as part of the work of the fifteenth conference of the College of Sharia and Law on stock markets and exchanges, prospects and challenges, at the United Arab Emirates University, 2007.
- Hamza bin Husain al-Sharīf. «Islamic Sukuk Guarantees». (in Arabic) Research presented to the Symposium of Islamic Instruments, Presentation and Evaluation, held at King Abdul Aziz University in Jeddah 10-11/6/1431 AH, within the works of the symposium printed and published on the network.
- Abū Dāwūd, Sulaimān bin al-Asath. «Sunan Abī Dāwūd». Investigated by: Suaib al-Arnāūt and Muhammad Kāmil Qarh Balalī. (1st ed. Dār al-Risāla al-Ālamiyya, 1430 AH - 2009).
- Dr. Ziyād Jalāl al-Dabbāgh. «Islamic sukuk and their role in economic development». (in Arabic) (Dār al-Thaqāfa, 2012).

- Al-Sarrkhusī, Muhammad bin Ahmad. «al-Mabsūt». (Beirut: Dār al-Marifa, 1414AH - 1993).
- Al-Sharbīnī, Muhammad bin Ahmad. «Mughnī al-Muhtāj ilā Marifat Maānī Alfāz al-Minhāj». (1st ed. Dār al-Kutub al-Ilmiyya, 1415AH - 1994).
- Al-Shammarī, Faisal bin Sāleh. «Jurisprudence Issues in Sukuk - Presentation and Evaluation». (in Arabic) Among the publications of the SABIC Chair for the Study of Islamic Financial Markets - affiliated to the Research Chairs Program at Imam Muhammad bin Saud Islamic University - 1437 AH/2016.
- Dr. Abd al-Bārī Mishal. «Ijarah Sukuk and their Applied Difficulties». (in Arabic) Within the publications of the International Islamic Economy Journal, Issue 64, issued in September 2017, available at: https://kantakji.com/5045/.
- Dr. Abd al-Qawi Radman Muhammad Uthmān. «Islamic Sukuk and Liquidity Management». (in Arabic) A paper presented to the Fourth Conference of Islamic Banks and Financial Institutions in Syria 2009, within the published work of the conference.
- Sheikh Abdullah bin Munī. «Islamic Sukuk transcendence and correction». (in Arabic) Research presented to the Symposium of Islamic Instruments, Presentation and Evaluation, held at King Abdul Aziz University in Jeddah 10-11/6/1431 AH, within the works of the symposium printed and published on the network.
- Dr. Alā al-Dīn Zatarī. «Sukuk, its definition, types, importance, and role in development». (in Arabic) Within the research presented to the workshop held by BDO under the slogan (Islamic instruments; challenges, development, international practices) in Amman, the Hashemite Kingdom of Jordan, 18-19/7/2010.
- Dr. Ali al-Qurra Dāghī. «Islamic Sukuk (securitization) and its contemporary applications, an applied economic jurisprudence study». (in Arabic) Within the research presented at the ninth session of the Fiqh Academy of the Organization of the Islamic Conference in Sharjah.
- Al-Amrānī, Abdullah bin Muhammad. «Ijarah Sukuk described in the liability and ending with ownership». (in Arabic) Research presented to the Symposium of Islamic Sukuk Presentation and Evaluation, held at King Abdulaziz University in Jeddah 10-11/6/1431 AH, within the works of the seminar printed and published on the network.
- Dr. Fuād Muhaisin. «Islamic Sukuk (securitization) and its contemporary applications and circulation». (in Arabic) A working paper submitted to the nineteenth session 2009, the International Islamic Fiqh Academy, as part of the session's work publications.

- Fath al-Rahmān Ali Muhammad Sāleh. «The Role of Islamic Sukuk in Financing Development Projects». (in Arabic) In a paper for the Islamic Banking Forum, Beirut-Lebanon.
- Ibn Qudāma, Abdullah bin Ahmad. «al-Mughnī». (Maktabat al-Qāhira, 1388 AH - 1968).
- Resolutions of the International Islamic Fiqh Council emanating from the Organization of the Islamic Conference regarding Islamic instruments (securitization) and their contemporary applications and circulation, (in Arabic) within the symposium held in its nineteenth session in the Emirate of Sharjah (United Arab Emirates) from 1 to 5 Jumada Al-Ula 1430 AH, corresponding to 26-30 April (April) 2009.
- Al-Qushairī al-Naisābūrī, Muslim bin al-Hajjāj. «Sahīh Muslim». Investigated by: Muhammad Fuād Abd al-Bāqī. (Beirut: Dār Ihyā al-Turāth al-Arabī).
- Al-Kāsānī, Abū Bakr bin Masūd. «Badāi al-Sanāi fī Tarrtīb al-Sharāi». (2nd ed. Dār al-Kutub al-Ilmiyya, 1406 AH - 1986).
- Ibn Māja, Muhammad bin Yazīd. «Sunan ibn Māja». Investigated by: Shuaib al-Arnāūt, Ādil Murshid, Muhammad Kāmil Qara Balalī and Abd al-Latīf Hirz Allah. (1st ed. Dār al-Risāla al-Ālamiyya, 1430 AH - 2009).
- Dr. Muhammad Abd al-Halīm Omar. «Islamic Sukuk (securitization) and its contemporary applications and circulation». (in Arabic) A working paper submitted to the nineteenth session 2009, the International Islamic Fiqh Academy, as part of the session's work publications.
- Sharia Standards, «The full text of the Sharia standards of the Accounting and Auditing Organization for Islamic Financial Institution», (in Arabic) (Dar Al-Mayman, 1437 AH).
- Ibn Najīm, Zain al-Dīn bin Ibrāhīm bin Muhammad. «al-Bahr al-Rāiq Sharh Kanz al-Daqāiq». (2nd ed. Dār al-Kutub al-Islāmī).
- Al-Nasāī, Ahmad bin Shuaib. «al-Mujtabā». Investigated by: Abd al-Fattāh Abū Ghadda. (2nd ed. Allepo: Maktabal-Matbūāt al-Islāmiyya, 1406 AH - 1986).
- Dr. Nawwāl bint Amāra. «Islamic Sukuk and its role in developing the Islamic financial market». (in Arabic) Al-Baheth Journal, pp. 259-261, the ninth issue 2011.

برامج الانغماس اللغوي ودورها في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها

Language immersion programs and their role in enhancing the intellectual security of Non-Arabic speaking learners

د. إدريس محمود ربابعة

دكتوراه مناهج وطرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها

أستاذ مساعد بمعهد اللغة العربية للناطقين بغيرها –جامعة الملك عبد العزيز

Dr. Edrees Mahmoud Abdulrahman Rababah

PhD curricula and methods of teaching Arabic to non-native speakers

Assistant Professor in Arabic Language Institute for Non - Arabic Speakers

King Abdul Aziz University in Jeddah

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.04

تاريخ تسلم البحث 2019/10/9 - وصدر خطاب القبول 2020/2/4

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة برامج الانغماس اللغوي ودورها في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، وأي هذه البرامج أكثر جدوى في ذلك؟ وهل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (α≤٠,٠٥) بين متوسط تقديرات عينة البحث لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها تعزى لمتغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية)؟ وأعد الباحث استبانة أداة لبحثه، واعتمد على المنهج الوصفي، ومثَّل أفراد البحث مجموعة من المعلمين والمعلمات في بعض معاهد ومراكز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعات العربية بلغ عددهم (٦٧) معلماً ومعلمة، توصلت نتائج البحث إلى أن برنامج «الزيارات الميدانية والرحلات» جاء في المرتبة الأولى بين البرامج الأكثر جدوى في تعزيز الأمن الفكري بأعلى متوسط حسابي بلغ (٤,٤٤)، بينما جاء برنامج «التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، واتس أب...)» في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (٣,٦٣)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (٤,٠٢). كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤٠,٠٥) تعزى لأثر المتغيرات السابقة.

الكلمات المفتاحية: (الانغماس اللغوي، الغمر اللغوي، الأمن الفكري، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها).

Abstract

This research aims to know the programs of language immersion and its role in enhancing the intellectual security of non-Arabic speaker's learners from the point of view of the faculty members, and which of these programs more useful in that? Are there any statistically significant differences at the level of (α≤0.05) between the average of the study sample estimates due to variables (gender, experience, educational qualification, and grade)? The researcher prepared a questionnaire a tool for research, and relied on the descriptive method, the research team represented a group of male and female teachers in some Arabic language institutes and centers for non-Arabic speakers in Arab universities. Their number is (67) teachers. The results of the research show that the program «field visits and trips» ranked first among the most feasible programs in promoting intellectual security with the highest arithmetic average of (4.44), while the program «communication via social media «Ranked last with an average Arithmetic was (3.63), and the arithmetic mean of the tool as a whole was (4.02). The results also showed that there were no statistically significant differences at the level of significance (α≤0.05) Attributed to the effect of the previous variables.

Keywords: (linguistic immersion, intellectual security, teaching Arabic for Non - Arabic Speakers).

أولاً–مقدمة البحث:

تعد معاهد تعليم اللغة للناطقين بغيرها ومراكزها من المؤسسات التربوية والتعليمية التي تقوم بدور مهم في إعداد برامج لتعليم الطلبة وإكسابهم المهارات والكفايات اللغوية بالإضافة إلى إكسابهم عادات وسلوكيات محمودة، وتهتم هذه المعاهد بوضع هذه البرامج لتمكين المتعلمين من تعلم اللغة العربية وانغماسهم في اللغة الهدف بما يحقق لهم الفائدة ويوجههم إلى التواصل مع أهلها كما لو كانوا منهم.

ويرى خبراء تعليم اللغات الأجنبية أن الانغماس اللغوي يعد من أفضل الأساليب التربوية التي تساعد الدارسين على تعلم اللغات الأجنبية في أقل وقت ممكن بكفاءة عالية، لذا فهي نوع من الاتجاهات الجديدة في تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها، التي تساعد في تحسين المهارات اللغويّة لدى المتعلمين[1]، والتي يجب الاهتمام بها؛ لأن هذه البرامج قادرة على إتاحة فرص حقيقية للمتعلمين لممارسة اللغة في مواقف طبيعيّة وغير مصطنعة، وقد تطوّرت برامج الانغماس اللغويّ من حيث تطبيقها في المنهج الدراسي[2].

ومن خلال استقراء الممارسات التراثية والنظر في سير الأعلام والتراجم، فإن الانغماس اللغوي موجود لكن بطريقة عفوية تفتقد التنظير الاصطلاحي؛ فالتنشئة الاجتماعية للولد في البادية عند العرب قديما لإكسابه العربية الفصيحة من دون معلمّ أو مدرسة، هو تعليم طبيعي يجري من خلال الاحتكاك المباشر بالناطقين الأصليين لتلك اللغة، إضافة إلى ذلك فهو يأخذ شتى أنواع العلوم

١- ينظر طعيمة، رشدي: تعليم العربيّة لغير الناطقين بها في المجتمع المعاصر: اتجاهات جديدة، وتطبيقات لازمة. اللغة العربيّة... إلى أين؟ أبحاث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، الرباط، في الفترة من ١ إلى ٣ نوفمبر، (٢٠٠٢م)، ص٣٥٠.

2- Lord, G. The Combined Effects of Immersion and Instruction on Second Language. Foreign Language Annals. 43(3), (2010), P. 489.

كمعرفة أصول العلم، وحفظ المسائل التي يحتاج إليها، وتمرين اللسان على الكلام والإنشاء وتنمية ملكته الأدبية، وتمرينها على التمييز بين أنواع الكلام ومقاماته، وتقويم سلوكه وأخلاقه، وتعليمه كيف يعامل الناس، وينزلهم منازلهم بحسب مقاماتهم وتعظيم من يستحق التعظيم منهم[١].

وفي هذا الإطار، تعد برامج الانغماس اللغويّ من أهم البرامج لبناء البيئة اللغوية المناسبة التي يمكن تطبيقها في كل المستويات التعليميّة[٢]، ورأى كثير من الباحثين الأجانب في دراساتهم حول تعلّم اللغة الإنجليزيّة لغة ثانية أو أجنبيّة، أن هذا النوع من البرامج يسهم في تحسين المهارات اللغويّة لدى المتعلمين، إذ من خلال أنشطته المختلفة يتم التفاعل والاحتكاك فيما بينهم وبين أبناء اللغة الهدف، ممّا يؤدي إلى تحقيق الاتصال اللغويّ الحقيقيّ، ويكوّن رغبةً وحماسةً عند المتعلمين في استعمال اللغة نتيجة التفاهم والتفاعل والتعايش مع أبناء اللغة الهدف، ممّا يؤدي إلى سرعة التكيّف والتأقلم مع المجتمع الجديد[٣].

ويقع على عاتق المؤسسات التعليمية مسؤولية كبرى أخرى غير توفير برامج الانغماس اللغوي بهدف الوصول بالمتعلمين إلى مرحلة التمكن اللغوي، بل يتعدى ذلك أيضا إلى الدور في تعزيز الأمن الفكري المتزن لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، ولعل هذا البحث يسهم في توضيح هذا الدور، ويبصر معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى أهمية هذه البرامج في تعزيز مبادئ الأمن الفكري لدى المتعلمين وتبصيرهم بالواقع الحقيقي للعالم العربي والإسلامي،

١- ينظر مناع، آمنة؛ يحيى، بن يحيى: الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات - دراسة لسانية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية -الجزائر، مج٩، ع١، (٢٠١٦م)، ص١٠٥٩.

2- Luan, Yuqin & Guo, Xiuzhen. A Study on the Application of the Immersion Teaching Model to EFL Learners in Institutions of Higher Learning. English Language Teaching, 4, (1), (2011), P.155.

3- Rugasken, K., & Harris, J. English Camp: A Language Immersion Program in Thailand. The Learning Assistance Review (TLAR), 14(2), (2009), PP.44-47.

وحثِّهم على عدم الانسياق مع الفكر المنحرف الذي يدمر البلاد والعباد، وتفنيد كل ما يحاك ضد العرب ولغتهم أو ضد المسلمين الذين يمثلون غالبية العرب من الهجمات المنظمة للنيل منهم وتشويه صورتهم. كما يسهم هذا البحث في تحديد معالم هذه البرامج وصياغتها بأساليب يمكن تطبيقها على أرض الواقع بما يخدم الهدف الذي وضعت من أجله.

ثانياً–مشكلة البحث: تمثلت مشكلة البحث في عدة محاور، هي:

- **المحور الأول**: من خلال عمل الباحث في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لاحظ أن أغلب المؤسسات والمعاهد التي تعنى بهذا المجال تركز في برامج الانغماس اللغوي على الجانب اللغوي الصرف من دون التركيز على جانب الأمن الفكري لدى المتعلمين كدعوتهم إلى الوسطية والاعتدال والتسامح ونبذ أفكار التطرف والغلو والإرهاب، والتي أصبح الإنسان اليوم ضحيتها في كثير من المجتمعات وفي كل مكان.
- **المحور الثاني**: في ظل المتغيرات والفروق الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية لمتعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، فمن الطبيعي وجود بعض الممارسات التي تدل على حمل بعض المتعلمين للأفكار المتطرفة ما بين الغلو والمغالاة أو الإفراط والتفريط التي قدموا بها من بلادهم.
- **المحور الثالث**: في ظل الهجمة الشرسة التي تقودها وسائل الإعلام الغربية العالمية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين بمن فيهم العرب وربطهم دائما بالتطرف والإرهاب العالميين. مما جعل صورتهم مشوهة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

وعليه فالغرض من هذا البحث هو الكشف عن دور برامج الانغماس اللغوي

في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من وجهة نظر العلمين، مستفيداً في ذلك مما تراكم من أدبيات حول هذا الموضوع.

ثالثاً–أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

١- التعرف على برامج الانغماس اللغوي ودورها في تعزيز الأمن الفكري.

٢- معرفة برامج الانغماس اللغوي الأكثر تأثيراً في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

٣- معرفة سبل تفعيل دور برامج الانغماس اللغوي في معاهد اللغة العربية للناطقين بغيرها لتعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين.

رابعاً–تساؤلات البحث: يحاول هذا البحث الإجابة عن السؤالين الآتيين:

١- أي برامج الانغماس اللغوي أكثر جدوى في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسط تقديرات عينة البحث لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها تعزى لمتغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية).

خامساً–فروض البحث: انبثقت من تساؤلات البحث السابقة الفروض الآتية:

١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسط تقديرات عينة البحث لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها تعزى لنوع برنامج الانغماس اللغوي.

٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسط تقديرات عينة البحث لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها تعزى لمتغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية).

سادساً–أهمية البحث: ويلخص الباحث أهمية البحث الحالي في الآتي:

١- التركيز على أهمية الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

٢- التركيز على دور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

٣- حاجة ميدان تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى معرفة أهمية الأمن الفكري لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، وكيفية تعزيزه ببرامج الانغماس اللغوي.

٤- قد يكون البحث الحالي إضافة جديدة للبحوث العلمية والدراسات العربية المتعلقة بموضوعات الانغماس اللغوي والأمن الفكري في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٥- قد تفيد نتائج هذا البحث معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في تعريفه بأهمية برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين.

٦- قد تفيد نتائج هذا البحث معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بما هو جديد عن برامج الانغماس اللغوي ودورها في تعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين.

٧- محاولة لإيجاد الحلول من خلال برامج الانغماس اللغوي في التغلب على مشكلات التطرف الفكري لدى المتعلمين.

سابعاً–حدود البحث ومحدداته: التزم البحث الحالي بالحدود والمحددات الآتية:

١- الحدود الزمانية (Temporal boundaries): أجري البحث في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠١٧م -٢٠١٨م.

٢- الحدود المكانية (Spatial boundaries): معاهد ومراكز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في بعض الجامعات في السعودية والأردن ومصر.

٣- الحدود الموضوعية (Objectivity border): اقتصر البحث على بعض برامج الانغماس اللغوي، وحددها الباحث بالآتي: (الزيارات الميدانية والرحلات، مشاهدة الأفلام العربية، قراءة الصحف والمجلات العربية، اللقاء مع الخبير اللغوي، المقابلات بأنواعها، الألعاب والمسابقات اللغوية، الشريك اللغوي، الكتب المساندة للمواد التعليمة، الحوارات والمناظرات اللغوية، التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، واتس أب...).

٤- الحدود البشرية (Human border): اقتصر البحث على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في بعض معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ومراكزها في بعض الجامعات العربية (ذكوراً، وإناثاً) ممن يحملون مؤهلات علمية متنوعة (دكتوراه، ماجستير وبكالوريوس) ورتب علمية متعددة (أستاذ، أستاذ مشارك، أستاذ مساعد، محاضر).

٥- حدود تعميم النتائج (Limits of generalizing the results): يمكن تعميم النتائج -من وجهة نظر الباحث -بوصف عينة البحث الحالي عينة ممثلة لمجتمع البحث، وكذلك لصدق وثبات أدواته.

ثامناً–تعريف مصطلحات البحث إجرائياً:

١- برامج الانغماس اللغوي (linguistic immersion programs): يعرفها الباحث إجرائياً بأنها: مجموعة الفعاليات والأنشطة اللغوية التعليمية المخطط لها والمطبّقة في البيئة العربيّة الطبيعية أو المصطنعة لمدة زمنية معينة، للتحصيل الجيد للملكة اللغوية في جميع المهارات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

٢- دور (Role): يعرفه الباحث إجرائياً بأنه: مجموعة المهام والأنشطة والأنماط والأطر السلوكية التي تنفذها برامج الانغماس اللغوي لتعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها لتظهر من خلال ممارسات سلوكية واضحة بتصرفاتهم وعلاقاتهم بالآخرين بشكل مستمر وثابت.

٣- تعزيز (Strengthen): يعرفه الباحث إجرائياً بأنه: زيادة مبادئ الأمن الفكري وتقويتها لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من خلال البرامج والخدمات التي تقدمها لهم برامج الانغماس اللغوي.

٤- الأمن الفكري (Intellectual Security): يعرفه الباحث إجرائياً بأنه: سلامة عقل المتعلمين وأفكارهم وفهمهم وسلوكهم من الانحراف والغلو والتطرف والنظرة السلبية عن بعض الثقافات والمجتمعات والديانات الأخرى.

تاسعاً–منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي الذي يهدف إلى دراسة الظواهر والمواقف والعلاقات كما هي موجودة، والحصول على وصف دقيق لها يساعد في التعرف عليها وتفسير المشكلات التي تتضمنها؛ أي يقوم بوصف ما هو كائن

وتفسيره والخروج بالاستنتاجات ذات الدلالة والمغزى بالنسبة إلى المشكلة المطروحة للدراسة. وباستعمال البحث للمنهج الوصفي، فإنه يهدف الى الوقوف على دور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، ومن ثم وضع تصنيف مقترح لهذه البرامج حسب أهميتها وجدواها في تعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين.

عاشراً–الدراســـات الســـابقـــة:

لتحقيق أهداف البحث اطلع الباحث على أكبر عدد من الدراسات التي تتصل ببحثه، وذات العلاقة به، ونظرا لعدم توافر دراسات أجريت على برامج الانغماس اللغوي وعلاقتها بالأمن الفكري -في حدود علم الباحث- لجأ الباحث إلى الاطلاع على دراسات تتعلق ببرامج الانغماس اللغوي، وأخرى تتعلق بتعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين. ويلخص الباحث هذه الدراسات بما يأتي:

١–دراسات تتعلق ببرامج الانغماس اللغوي:

أجرت كوثر شبيلات دراسة عام (٢٠١٨م)، هدفت إلى تعرف واقع الانغماس اللغوي في الأردن وتأثيره على الكفاءة اللغوية العربية للناطقين بغيرها، ولتحقيق أهدافها استخدم المنهج الوصفي التحليلي. حيث تكون مجتمعها من جميع الطلبة الأجانب ضمن المستويين (الثالث والرابع) المنتسبين لقسم اللغة العربية للناطقين بغيرها - مركز اللغات (جامعة اليرموك)، والبالغ عددهم (٣٩) طالبة. ولتحديد عينتها تم اتباع أسلوب المسح الشامل لجميع عناصر المجتمع. وأظهرت نتائجها: أن المتوسط الحسابي للانغماس اللغوي من وجهة نظر أفراد العينة بلغ (٢,١٩٪) بدرجة تقييم متوسطة، كما بلغ المتوسط الحسابي للكفاءة اللغوية (٢,٢٠٪) وبدرجة تقييم متوسطة، ووجود أثر لبرامج الانغماس اللغوي في الكفاءة اللغوية العربية للناطقين بغيرها ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة

(α=٠,٠٥)[١].

وأجرى أبو بكر محمد وآخرون، دراسة عام (٢٠١٨م)، هدفت إلى إلقاء الضوء على برنامج الانغماس اللغوي المستعمل في قرية اللغة العربية أنغالا نيجيريا، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي، واستعملت الاستبيان، والمقابلة، والملاحظة كأدوات لها، كما استعمل الكتب والمجلات والأوراق المقدمة بالمؤتمرات، وتبرز أهميتها في تقديم المعلومات الأساسية للباحثين عن الأنشطة والبرامج اللغوية المقدمة في قرية اللغة العربية أنغالا نيجيريا، كما توفر معلومات عن برنامج الانغماس اللغوي في تعليم اللغة، وأظهرت نتائجها أن القرية تقوي قدرات الطلبة اللغوية من خلال برامجها الثقافية، رغم أنها لم تكن كافية، لإعاقتها بمشكلات تؤخر تلك الجهود اللغوية المتعلقة بهذه المؤسسة[٢].

وأجرى نصر مقابلة، ومحمد إسماعيل دراسة عام (٢٠١٦م)، هدفت إلى اختبار أثر برنامج انغماسي لغوي في تحسين مهارة التحدّث باللّغة العربية لدي الطلاب الماليزيين، ولتحقيق أهدافها استعملا المنهج الكميّ، وقاما بإعداد اختبار التحدّث كأداة لها. وقد طبق هذا البرنامج الذي استغرق خمسة أشهر على (١٧) طالبا ماليزيا من طلاب السنة الأولى الذين التحقوا بتخصص اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة اليرموك، وأظهرت نتائجها وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a=٠,٠٥) على جميع مهارات التحدث باللغة العربية لصالح الاختبار البعدي وبحجم أثر مقداره (٦٤٪) لمهارات التحدث ككل، ووجود فرق الدال إحصائيا بين المتوسطين الحسابين للاختبارين

١- ينظر كوثر جمال شبيلات: واقع برامج الانغماس اللغوي بالأردن وتأثيرها على الكفاءة اللغوية العربية للناطقين بغيرها. المجلة التربوية الدولية المتخصصة-المجموعة الدولية للاستشارات والتدريب - الأردن، مج٧، ع٦، (٢٠١٨م)، ص ٥٤-٦٤.

٢- ينظر أبو بكر محمد؛ وعبد الرحيم إسماعيل؛ وعبد الواسع إسحاق ناصر الدين: الانغماس اللغوي في قرية اللغة العربية أنغالا - نيجيريا. مجلة الراسخون -جامعة المدينة العالمية - ماليزيا، مج٣، ع٢، (٢٠١٨م)، ص ١-١٤.

القبلي والبعدي في مهارات التحدث ككل بلغ (٨,٧٦٪). وفي ضوء نتائجها، أوصيا بتوظيف البرنامج الانغماسي اللغوي في تحسين مهارة التحدث وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها[١].

وأجرت «ميليمان» (Milliman، B. M، ٢٠١٠) دراسة في جامعة تكساس الأمريكيّة بعنوان: المكوّنات الأساسيّة في برنامج الانغماس اللغويّ الفعّال في تعليم اللغة العربيّة لطلبة المرحلة الثانويّة: دراسة حالة، هدفت إلى وصف نجاح مؤسسة تسمى (Middlebury-Monterey Language Academy) في تطبيق برنامج الانغماس اللغويّ في تعليم اللغة العربيّة للأمريكيّين. وقد أوصت بالاعتماد على الميسِّرين حتى يمارس المشاركون اللغة العربية بشكل مستمر، كما أكّدت على ضرورة ممارسة اللغة المتعلّمة بعد الانتهاء من البرنامج، ويكون ذلك بعقد البرامج أو الدورات التي تجدد المعلومات وتزيد من دافعيّتهم لممارسة اللغة[٢].

وفي دراسة أجراها «فوير» (Feuer، A. ٢٠٠٩) هدفت إلى معرفة أثر برنامجَين لغويين نفُذا لمدة ثمانية أسابيع في تمكين مهارة التحدّث باللغتين الصينيّة والعبريّة. وقد طبّقت على طلاب تتراوح أعمارهم بين أربع سنوات واثنتي عشرة سنة. ولتحقيق أهداف البرنامج فقد استعملت العناصر التعليميّة كما هو موجود في البيئة الصفّيّة نحو: «غرفة الصف»، و«الطالب»، و«المعلم»، و«المناهج»، «والكتاب الدراسيّ» و«الاختبارات» و«المهارات اللغويّة الأربعة». وفي نهاية البرنامج، أجريت المقابلات الشخصيّة الموجّهة مع المشاركين، وبيّنت نتائجها أنهم

١- ينظر نصر محمد خليفة مقابلة،؛ ومحمد زيد إسماعيل: أثر برنامج انغماسي لغوي في تحسين مهارة التحدث باللغة العربية لدى الطلاب الماليزيين في الأردن، مؤتة للبحوث والدراسات -العلوم الانسانية والاجتماعية. مج٣١، ع١، (٢٠١٦م)، ص٢٧٩-٣٢٤.

2- Milliman, B. M. Key Components in a Successful Arabic Immersion Program for High School: A Case Study. Unpublished Master Dissertation. University Of Texas, (2010).

استفادوا فائدة كبيرة من الأنشطة المصمّمة نحو: الأنشطة التطوّعيّة، واللقاءات مع الناطق الأصليّ، والبرامج الاجتماعيّة، خاصّة في تعليم اللغتين الصينيّة والعبريّة، واكتساب المهارات الاجتماعيّة نتيجة كثرة التعامل مع الميسِّرين[1].

وقام «بارك» (Park، Eun-Soo، ٢٠٠٩) بدراسة هدفت إلى الكشف عن تصورات الطلبة حول فعاليّة المخيم اللغوي، وطُلب من المشاركين وعددهم (١١٧) شخصًا أن يعبّروا عن وجهة نظرهم عن فعاليّة البرنامج في تحسين مهارة التحدّث بالإنجليزيّة، وقد لاحظ المشاركون أهمّية المخيّم اللغويّ في إيجاد التفاعل المباشر والتواصل باللغة المستهدفة. وأظهرت نتائجها أن هناك ثلاثة عوامل تؤثر في كفاية اللغة ودافعيّتها، أولًا: سياق أو نوع المخيّم اللغويّ، ثانيًا: التفاعل الطبيعيّ بين المشاركين والميسِّرين خلال الأنشطة اللغويّة المصمّمة، ثالثًا: كون الميسِّرين من ناطقي اللغة الإنجليزيّة الأم[2].

وأجرى روغاسكين، وهاريس (Rugasken، K & Harris، J، ٢٠٠٩) دراسة هدفت إلى معرفة أثر برنامج الانغماس اللغويّ في اكتساب مهارة الكتابة، وتكوّنت عينتها من ثلاثة طلاب. ولم يخلُ البرنامج من الزيارات والرحلات التي من خلالها تمت ممارسة اللغة الإنجليزيّة بين الميسِّرين والمشاركين، ممّا أدّى إلى تشجيعهم على استعمال اللغة الثانية. وبعد مرور ثلاثة أيّام، طلبا من الطلاب المشاركين أن يكتبوا مقالًا حول خبراتهم السابقة لمدة عشرين دقيقة، ثم أعادا الطلب نفسه بعد اثني عشر يومًا. وقد أسفرت النتائج عن تحسّن الطلاب المشاركين في كتابة اللغة الإنجليزيّة، وارتفاع عدد الكلمات التي تم استعمالها بنسبة مئويّة مقدارها (١١٦٪)، وزيادة عدد الجمل التي تم تكوينها بنسبة مئويّة

1- Feuer, A. Schools out For the Summer: A Cross-Cultural Comparison of Second Language Learning in Informal Settings. International Journal of Bilingual Education & Bilingualism, 12(6), (2009),PP. 651-665. DOI: 10.1080 / 13670050802549672

2- Park, Eun-Soo. Elementary Students' Perceptions about the Effect of a Summer English Camp. Asian EFL Journal, 10, PP.34-55.

مقدارها (٧٨٪). ولوحظ كذلك أنهم قد تحسّنوا في استعمال الأسماء والأفعال والصفة والموصوف وحروف الجر وأدوات الربط والضمائر والظروف[١].

٢–دراسات تتعلق بتعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين:

أجرى عبد الله الشهري، دراسة عام (٢٠١٩م)، هدفت إلى التعرف على دور المؤسسات المجتمعية في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب السعودي. وتعد هذه الدراسة إحدى الدراسات الوصفية التحليلية، التي ركزت على وصف واقع إسهام المؤسسات المجتمعية في تحقيق الأمن الفكري لدى الشباب السعودي وتحليلها، في محاولة لتحديد المهددات الأساسية للأمن الفكري وإيضاح دور المؤسسات المجتمعية في معالجتها؛ وصياغة مقترحات محددة يمكن أن تعمل على تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب اعتمادا على تفعيل دور المؤسسات المجتمعية من أجل النهوض بمهامها المنوطة في هذا الإطار. وقد أوضحت نتائج الدراسة فيما يخص مهددات الأمن الفكري لدى الشباب السعودي، أن الانحراف الفكري يعد أخطر مهدد للأمن الفكري في الوقت الراهن. وأوضحت الدراسة أن هناك أدواراً محددة لكل من (الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والمساجد والقائمين عليها، والإعلام بوسائله المختلفة) كمؤسسات مجتمعية في تحقيق الأمن الفكري لدى الشباب في المجتمع السعودي. وانتهت الدراسة إلى تحديد دور المؤسسات المجتمعية في المجتمع السعودي وأساليب تفعيلها في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب[٢].

1- Rugasken, K., & Harris, J. English Camp: A Language Immersion Program in Thailand. The Learning Assistance Review (TLAR), 14(2), (2009), PP.43-51.

٢- ينظر عبد الله هادي الشهري: دور المؤسسات المجتمعية في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب السعودي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية – المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، ع١، مج٣، يناير، (٢٠١٩م)، ص ٨٧-١٠٢.

وأجرى محمد الثويني، وعبد الناصر محمد، دراسة عام (٢٠١٤م)، هدفت إلى التعرف على مفهوم الأمن الفكري والعولمة، وبيان أبرز تحديات العولمة التي تواجه المعلم الجامعي في تحقيقه للأمن الفكري لطلاب الجامعة، ومعرفة واقع الممارسات التي يقوم بها في تحقيقه للأمن الفكري، والمعوقات التي تواجهه في تحقيقه. واعتمد الباحثان المنهج الوصفي، وصمما استبانة للتعرف على واقع الأدوار والممارسات التي يستعملها المعلم الجامعي لتحقيق الأمن الفكري لطلاب الجامعة. وتكونت عينتها من (١٠٠٠) طالب من كليات جامعة القصيم شملت كليات (المجتمع -التربية -الآداب- الشريعة) وتوصلت نتائجها إلى: ضعف قدرة المعلم الجامعي على التواصل مع طلابه من خلال التقنيات الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي. وقيام المعلم بتحفيز طلابه على ضرورة التمسك بقيم المجتمع وقوانينه، وتوضيح خطورة السلوكيات الهدامة الموجهة ضد الدولة والممتلكات. وقصور المناهج الدراسية فيما يتعلق باحتوائها على المفاهيم والأفكار المتعلقة بالأمن الفكري. وأوصت بضرورة تضمين المقررات الدراسية مفاهيم الأمن الفكري وقيمه بصورة كافية، والكشف عن أهم المواقع التي تبث أفكارًا وتيارات تزعزع مقومات الأمن الفكري ومناقشة الطلاب في أبرز التهديدات والتحديات التي تواجه الأمن الفكري[١].

وأجرى معراج عبد القادر هواري، وناصر دادي عدون، دراسة ميدانية عام (٢٠١١م)، هدفت إلى الكشف عن دور الجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري للطلاب، وتم إعداد استبانة وزعت على عينة عشوائية بلغت (٤٠٠) من مسؤولي الجامعة من العمداء ورؤساء الأقسام ونواب رؤساء الأقسام والأساتذة، بلغ عدد الاستبانات الصالحة للتحليل (٣٦٨) استبانة، بنسبة

١- ينظر محمد بن عبد العزيز الثويني، وعبد الناصر راضي محمد: دور المعلم الجامعي في تحقيق الأمن الفكري لطلابه في ضوء تداعيات العولمة. مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة القصيم، مج٧، ع٢، (٢٠١٤م)، ص٩٥٧ - ١٠٥٠.

(٩٢٪) من حجم العينة. وبينت نتائجها أن ما نسبته (٥٨,٢٪) من أفراد العينة يرون أن الحاجة إلى تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري للطلاب كبيرة، في حين يرى (٦,٠٪) من أفراد عينة الدراسة أن الحاجة إلى تعزيز الأمن الفكري للطلاب قليلة، وتشير هذه النتيجة إلى إدراك معظم المستجوبين إلى أهمية تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب الجامعة. وأن ما نسبته (٨٢,٦٪) من أفراد العينة لديهم إلمام بالأساليب والإجراءات المتبعة في تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري بدرجات تتراوح ما بين متوسطة وكبيرة جدا. وأن (٤٩,٠٪) من أفراد عينة الدراسة يطبقون الإجراءات المتبعة في تعزيز الأمن الفكري للطلاب في الجامعة إما دائما أو كثيرا، وأن (٣٤,٦٪) أفادوا بأن الإجراءات المتبعة في تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري للطلاب تطبق إلى حد ما. في حين يرى (١٤,٢٪) من أفراد العينة أنه نادرا ما يتم تطبيق إجراءات تعزيز الأمن الفكري، وأفاد (٢,٢٪) من أفراد العينة بأنه لا يتم تطبيق إجراءات تعزيز الأمن الفكري في الجامعة[١].

وأجرى مسلم خير الله الشمري، ومحمود خالد الجردات دراسة عام (٢٠١١م)، هدفت إلى التعرف على دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل، ومعرفة ما إذا كان هناك فروق بين استجابات أفراد العينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة على مجالات تعزيز الأمن الفكري وفقاً لمتغير الرتبة الأكاديمية، والخبرة العملية، والكلية، والقسم الأكاديمي، ومعرفة المعوقات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس، والمقترحات التي تمكنهم في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب. حيث تم بناء استبانة لقياس دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب من (٣٨) فقرة موزعة على المجالات الآتية:

١- ينظر معراج عبد القادر هواري، وناصر دادي عدون: دور الجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري للطلاب، دراسة ميدانية على جامعة الأغواط في الجزائر. أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي، جامعة طيبة- المدينة المنورة في الفترة ٥-٨ مارس، (٢٠١١م). مج٤، ص٢٥٠٩-٢٥٣٣.

(الأهداف التعليمية، المحتوى التعليمي، الوسائل وطرائق التدريس، التقويم) واستبانة لمعرفة المعوقات على عينة تكونت من (١١) فقرة، واستبانة لتحديد المقترحات بلغت (١٠) فقرات. تم تطبيقها على العينة المكونة من (١٧٣) أستاذاً من كليتي الآداب والتربية، كما استعملا المنهج الوصفي المسحي لاستخلاص نتائج البحث. وأظهرت نتائجها أن أعضاء هيئة التدريس لهم دور في تعزيز الأمن الفكري بدرجة عالية، ووجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات استجابات أفراد العينة من أساتذة الجامعة وفقا لمتغير الرتبة، والخبرة العملية، والكلية، والقسم الأكاديمي. ووجود معوقات بدرجة عالية لتعزيز الأمن الفكري، وكذلك وجود مقترحات بدرجة عالية تمكنهم من تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.[١]

التعـقيب على الدراسات السابقة:

لقد بدأ هذا البحث من حيث انتهت تلك البحوث والدراسات السابقة، التي تناولت موضوعي الأمن الفكري والانغماس اللغوي، وتبيّن من استعراض الدراسات السابقة ذات الصلة أنها في القسم الأول تناولت برامج الانغماس اللغوي التي تسهم في تحسين الكفايات والمهارات اللغويّة باللغة الثانية أو الأجنبيّة، وتجدر الإشارة إلى أن طلبة اللغة يحتاجون إلى فرص كافية ومواقف مختلفة ليمارسوا اللغة المستهدفة. وأما من ناحية ضرورة التفاعل بين المتعلمين وأبناء اللغة فلا يُنكر جدواها أبدًا، إذ إن جميع الدراسات السابقة التي تم عرضها، أشارت إلى فاعلية برامج الانغماس اللغوي في رفع كفاءة المتعلمين في الكفايات والمهارات اللغوية في جميع المستويات من المبتدئ وحتى المتقدم. ويشير هذا إلى أن برامج الانغماس اللغويّة مناسبة لأي مستوى من المستويات التعليميّة.

١- ينظر مسلم خير الله الشمري، ومحمود خالد الجردات: دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل. المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، مج ٢٧، ع ٥٤، (٢٠١١م)، ص ١٥٣-٢٠٠.

أما القسم الثاني من الدراسات التي تناولت موضوع الأمن الفكري وأساليب تعزيزه لدى المتعلمين جميعها أجريت على المتعلمين الناطقين بالعربية حيث لم يحصل الباحث على أي دراسة أجريت على تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. وأن كل ما ذكر من الدراسات السابقة هي بعض من الدراسات التي توافرت لدى الباحث والتي قدمت للبحث الحالي وأفاد منها؛ كونها دراسات ذات صلة به سواء بالمتغير المستقل (برامج الانغماس اللغوي) أو بالمتغير التابع (تعزيز الأمن الفكري) في اتباع الأسلوب البحث العلمي الصحيح من حيث المنهجية التي اتبعتها تلك الدراسات سواء أكان في تطبيق الاختبارات أم المعالجات الإحصائية، وفي الإطار النظري.

وما هذا البحث إلا استجابة لتلك الدراسات التي دعت إلى تغطية النقص الحاصل في الدراسات المتعلقة بمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها وتطوير مهاراتهم اللغوية وتعزيز أمنهم الفكري. ويتميز البحث الحالي عن الدراسات السابقة بأنه البحث الوحيد الذي هدف إلى الكشف عن دور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري؛ إذ لم يجرَ بحث مثله في هذا الموضوع -بحدود علم الباحث -.

الحادي عشر–الإطار النظري للبحث:

يتناول الباحث هنا الإطار النظري المتعلق بالبحث، والحديث عن الأمن الفكري وأهميته، والحديث عن الانغماس اللغوي وأشهر برامجه التي يحتاجها متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها.

١–الأمن الفكري:

أ–تعريف الأمن الفكري:

هناك تعريفات كثيرة للأمن الفكري نذكر منها بعض أهم هذه التعريفات المتوافرة التي تتناسب مع تعريفه في هذا البحث، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

يعرف بأنه: «تهيئة المناخ وتوفير الظروف من أجل الإحساس بالطمأنينة والثقة على مجموعة من المفاهيم والتصورات والمبادئ والعقائد التي يؤمن بها الإنسان والتي مصدرها الوحي الإلهي أو التصورات البشرية المنضبطة بالوحي الإلهي»[١].

ويعرف أيضا بأنه: «حماية المجتمع من الفكر المنحرف، ولا يتحقق ذلك إلا بالحفاظ على المكونات الثقافية والأصلية للمجتمع في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة»[٢].

كما يعرف بأنه: «حفظ العقول من المؤثرات الفكرية والثقافية الضارة والمنحرفة عن طريق الاستقامة والاعتدال»[٣]، ويعرف أيضاً بأنه: «حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوان أو أن يترك فيها أذى»[٤].

١- عماد عبد الله الشريفين: التنشئة الأسرية ودورها في الامن الفكري رؤية إسلامية. المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (مفاهيم وتحديات)، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري، جامعة الملك سعود، الرياض من ١٦-١٩ مايو (٢٠٠٩م)، ص٧.

٢- حسن السيد حامد خطاب: تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية، شبكة مشكاة الإسلامية، ص٥، https: / / www.almeshkat.net / book / 6732، تاريخ النشر ١٠ / ٦ / ١٤٣٢هـ.

٣- أحمد بن يوسف الدريويش: حلقات القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الفكري. الملتقى الرابع لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ودورها في تحقيق الأمن، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمنطقة الشرقية،٢٤-٢٦ فبراير، (٢٠٠٩م)، ص٣٧.

٤- علي فايز الجحني: وظيفة الأسرة في تدعيم الأمن الفكري، مجلة الفكر الشاطري، مج١٢، ع ٤، الشارقة، مركز بحوث شرطة الشارقة، (٢٠٠٤م)، ص١٦٩.

ومن خلال التعريفات السابقة يعرف الباحث الأمن الفكري، بأنه: الأمن المتعلق بالفكر ونشاطه وما يتعلق بمخزونه من الثقافات والقيم والمبادئ التي يتغذى بها الإنسان من المجتمع الذي ينشأ فيه ويعيش بين أفراده، وسلامة عقل الناس وأفكارهم وفهمهم من الانحراف والغلو والتطرف والنظرة السلبية لبعض الثقافات والمجتمعات والديانات الأخرى والذي نستطيع أن نستدل عليه من خلال سلوكهم (فعلاً أو قولاً أو وإيحاءً).

ب–أهمية الأمن الفكري لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها:

تكمن أهمية الأمن الفكري لأي مجتمع في الحفاظ على أمنه القومي وهويته الوطنية من الأفكار الضالة والمنحرفة الدخيلة عليه نتيجة تداخل الثقافات والشعوب؛ لذا يعد الأمن الفكري من أهم مكونات الأمن للفرد والمجتمع، والإخلال به مضرة لهما. وما تعيشه الأمة اليوم بسبب الانحراف الفكري لبعض الأفراد أو الجماعات لأكبر دليل على ذلك. ولتأكيد أهمية الأمن للفرد والمجتمع قال تعالى:﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[1]. وعن عبد الله بن محصن عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[2].

ويعد تحقيق الأمن مطلبا أساسيا لأي مجتمع لتحقيق نموه وتطوره، ولا شك أن الأمن الفكري يعد أعلى درجات سلم الأمن الذي بتحقيقه تتحقق درجات الأمن الأخرى[3]، وإن للتّربية والتعليم بمؤسّساتها المختلفة الدور الأكبر في التصدّي

١- سورة قريش آية ٣-٤.

٢- للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ): الجامع الكبير، مج٤، الولاء والهبة- الأمثال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، (١٩٩٦م).ع٤، الشارقة، مركز بحوث شرطة الشارقة، حديث رقم ٢٣٤٦، ص١٦٧.

٣- ينظر نايف بن راشد الرحيلي: دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري. المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مج٣٢، ع٦٧، (٢٠١٦م)، ص٣٩.

لقضايا الفكر ومعالجتها، وإليها يلجأ المجتمع باستمرار لإجراء عمليّات الإصلاح والتّعديل، لإكساب الفرد أقصى درجات المرونة وسرعة التفكير والقدرة على التكيّف الاجتماعيّ والفكريّ. وبما أن معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها جزء من هذه المؤسسات فإنه يقع على عاتقها مسؤولية تعزيز الأمن الفكري للمتعلمين فيها، ويمكن لها ذلك من خلال برامج الانغماس اللغوي التي تعد من الأنشطة اللغوية المهمة والمحببة لدى المتعلمين.

وإن في تحقيق الأمن الفكري حماية لأهم المكتسبات وأعظم الضرورات: دين الأمة وعقيدتها، وحماية الأمن من هذا الجانب ضرورة كبرى، وهو حماية لوجودها وما تتميز به عن غيرها من الأمم. وأن الأمن الفكري يمثل صمام الأمان للحفاظ على الهوية الثقافية، وحماية الأجيال من الأفكار الدخيلة على المجتمع، كما تتمثل تلك الأهمية في تعليم الشباب أساليب اكتساب العلم، وشروط التعبير عن آرائهم وطرائقه. وإن الإخلال بأمن الأمة من الجانب الفكري قد يكون بأيدي الأعداء المباشرين، وقد يكون ذلك الإخلال بأيدي بعض أبناء الأمة، ولا يكون قيامهم بهذا العدوان على الأمة واضحاً وضوح العدوان المادي[1].

وتتبلور أهمية الأمن الفكري لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها لكونهم من متعددي الثقافات واللغات من عالم يموج بالكثير من التيارات الفكرية المتناقضة، فهم نتاج تربية ونشأة متعددة تحمل الغث والسمين من الأفكار؛ فبعضهم يحمل أفكاراً ضالة مضللة قد يؤثر بها في الآخرين من أقرانه المتعلمين أو قد يسبب الاختلاف بينهم في الفكر الكثير من المشاحنات والخلافات قد تتفاقم وتصل إلى أمور لا يحمد عقباها. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن ترسيخ الوعي الفكري

١- ينظر يوسف بن محمد الهويش: تعزيز الأمن الفكري في ضوء النماذج والتجارب العالمية المعاصرة للحوار تطبيق على المرحلة الثانوية في مدينة الرياض، الطبعة الثالثة، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السعودية، (٢٠١٧م)، ص٤٦-٤٧.

السليم لديهم يشكل الركائز الأساسية التي تتكئ عليها رسالة تعليم العربية للناطقين بغيرها.

ومن أجل أن يخرج متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها من دوامات الفكر الضال يترتب على المجتمع الذي يعيش في كنفه أن ينمي لديه وعياً فكرياً ناضجاً للسيطرة على الاندفاعات الفكرية التي لا حدود لها في عالم يموج بالكثير من التيارات الفكرية المختلفة في أهدافها وتوجهاتها المتباينة وفي مواقفها المتعددة في شتى شؤون الحياة[١].

٢–الانغماس اللغوي (immersion Linguistic):

ارتبط هذا المفهوم بتدريس اللغات، ويطلق عليه أحيانا التدريب اللغوي الانغماسي، أو الحِمام اللغوي، أو الغَمْر اللغوي أحياناً أخرى[٢]، ويعد الانغماس اللغوي من أفضل الأساليب التربوية التي تساعد الدارسين في تعلم اللغات الأجنبية في أقل وقت ممكن وبكفاءة عالية، مما أدى إلى اعتماد معاهد تعليم اللغات الأجنبية عليه اعتمادًا كبيرًا.

وأشار ابن خلدون إلى معنى قريب من ذلك في مقدمته، بقوله: «فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم،

١- ينظر علي وطفه، وعبد الله المجيدل: علم الاجتماع التربوي والمدرسي، ط١، دار معد للطباعة والنشر، دمشق، (٢٠٠٨م)، ص٩.

٢- ينظر أبو بكر محمد، وعبد الرحيم إسماعيل، وعبد الواسع إسحاق ناصر الدين: الانغماس اللغوي في قرية اللغة العربية أنغالا – نيجيريا. مجلة الراسخون –جامعة المدينة العالمية – ماليزيا، مج٣، ع٢، (٢٠١٨م)، ص٢.

واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم»[1]. ضاربا المثل في الزمخشري وسيبويه بقوله: «إنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرّر لكلام العرب. فإن عرَض لك ما تسمعه من أن سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا أعجاما مع حصول هذه الملكة لهم، فاعلم أن أولئك القوم الذين نسمع عنهم إنما كانوا عجما في نسبهم فقط، أما المربى والنشأة فكان بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلّمها منهم، فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا شيء وراءها؛ وكأنهم في أول نشأتهم بمنزلة الأصاغر من العرب الذين نشؤوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهليها، فهم وإن كانوا عجماً في النسب، فليسوا بأعجام في اللغة والكلام...»[2] ليؤكد بهذا أن الاحتكاك المباشر بأهل اللغة له الأثر في الرصيد اللغوي للمتعلم. ولقد ركز البحث الحالي على برامج الانغماس اللغوي التي تمارس خارج قاعة الدرس (لا صفية) فقط.

أ–تعريف الانغماس اللغوي:

يعود مصطلح الانغماس إلى المنهج الدراسي في ثنائيّة اللغة الذي طُبّق لأول مرة في سنة ١٩٦٥م في مدرسة «سانت لامبرت» بكندا. وقد اعتمدت المدرسة اللغة الفرنسيّة لغة للتدريس، وكانت اللغة الأم للطلبة هي الإنجليزيّة، وأما المعلّمون فكانوا يتقنون اللغتين معا[3].

وعُرِّفَ الانغماس اللغوي بأنه: «استعمال اللغة الثانية بنسبة ٥٠٪ على الأقل في أثناء التعليم خلال العام الدراسي، بالإضافة إلى تدريس الفنون اللغوية من

١- ابن خلدون: المقدمة، ج٢، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط١، دار يعرب-دمشق -سوريا، ٢٠٠٤م، ص٣٧٨.
٢- المصدر نفسه، ص٣٨٩.
٣- ينظر آمنة مناع، بن يحيى يحيى: الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات - دراسة لسانية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية -الجزائر، مج٩، ع١، (٢٠١٦م)، ص١٠٤٩.

خلال استعمال اللغة الثانية»[١].

وعُرِّفَ بأنه: «مدخل لتعليم اللغة باستخدام اللغة الثانية وسيلة لتدريس محتوى المواد الدراسية؛ بهدف جعل الدارسين يتقنون استخدام اللغة الثانية وظيفياً»[٢].

وعُرِّفَ أيضاً بأنه: «طريقة لتدريس اللغة الثانية؛ باستعمال اللغة المستهدفة في محتوى المناهج والوسائل التعليمية»[٣].

كما عُرِّفَ بأنه: «أسلوب لتعليم اللغة الأجنبية في الأنشطة الصفية المعتادة، وهذا يعني أن اللغة الجديدة وسيلة للتعليم؛ حيث يكتسب المتعلمون المهارات اللغوية اللازمة للفهم والتواصل حول موضوع محدد في البرنامج المدرسي»[٤].

ومن خلال التعريفات السابقة استخلص الباحث تعريفا للانغماس اللغوي بأنه: خلق البيئة المناسبة للممارسة الطبيعية الواقعية أو الاصطناعية المنظمة التي تقتضي استعمال اللغة الهدف كما يستعملها أهلها في التواصل اليومي، وفي جميع الأنشطة اللغوية، سواء أكانت صفية أم لا صفية، وهو إجراء تربوي تعليمي لضمان تمكن المتعلم من المهارات اللغوية الأربع ؛ حتى تتاح للمتعلم فرصة امتلاك النسق الفصيح من اللغة، والقدرة على التعبير والتواصل الوظيفي الصحيحين بسلاسة ويسر بلغة سليمة معبرة.

1- Genesee, F. Learning through Two Languages. (First Ed.). Cambridge, Mass.: Newbury House Publishers. (Harper & Row), (1987), P.1.
2- Fortune, T. W., & Tedick, D. J. One-way, two-way, and indigenous immersion: A call for cross-fertilization. In T. W. Fortune and D. J. Tedick (Eds.), Pathways to multilingualism: Evolving perspectives on immersion education (P.5). Buffalo, NY: Multilingual Matters, Ltd, (2008).
3- Pacific Policy Research Center: «Successful Bilingual and Immersion Education Models/Programs". Honolulu: Kamehameha Schools, Research & Evaluation Division. (2010), P.1.
4- Bostwick, Mike (n.d.). «What is Immersion?" Retrieved January 15, 2014, from: http://www.bilingual.com/school/INFO/WhatIsImmersion.html.P.1.

ب–أهمية الانغماس اللغوي وأشهر برامجه:

إن مبدأ الانغماس اللغوي كما تصفه الدراسات الحديثة هو من أنجع الأساليب في تعليمية اللغات وتحقيق الكفاءة العالية في اللغة الهدف، حيث إن هذه الاستراتيجية لا تقتصر على تحسين المستوى في لغة ما، بل هو أيضا يقوم على تعزيز الثنائية اللغوية[١]، حيث إنها وسيلة فعالة تساعد المتعلمين على إتقان لغة ثانية ضمن مجموعة متنوعة من السياقات[٢].

وإن التعليم وفق برنامج الانغماس المزدوج يكرِّس مفهوم الازدواجية اللغوية بشكل واضح ومباشر، والتدريس استنادا على موضوعات ومواقف تعلمية، بدلا من تعليم اللغة بالشكل الافرادي، إضافة إلى أن المدة الزمنية لا تكون كامل اليوم وعبر البرنامج التعليمي المقرّر كله، بل لمدة لا تتجاوز نصف الوقت التعليمي.

لذا تعد برامج الانغماس اللغوي من الفعاليات اللغوية المهمة التي توفر لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها ممارسة اللغة العربية مع أهلها في مواقف حياتية بهدف إحداث التواصل الحقيقي فيما بينهم والوصول إلى أعلى مستوى من الكفاءة اللغوية في المهارات اللغوية الأربع (الاستماع، التحدث، القراءة، والكتابة) وكذلك اكتساب عادات اللغة الصحيحة بما يمكنهم من استعمالها استعمالاً متقناً عن طريق القراءة الواعية، والكتابة السليمة والاستماع الجيد، والنطق الصحيح، والانغماس اللغوي نوعان[٣]:

١- ينظر كوثر جمال شبيلات: واقع برامج الانغماس اللغوي بالأردن وتأثيرها على الكفاءة اللغوية العربية للناطقين بغيرها. المجلة التربوية الدولية المتخصصة -المجموعة الدولية للاستشارات والتدريب - الأردن، مج٧، ع٦، (٢٠١٨م)، ص٥٦.

2- Roy Lyster , grandes questions et options en pédagogie de l'immersion, Journal de l'immersion, L'Association canadienne des professeurs d'immersion, Ottawa (Ontario) , vol:31, N:3, (2009), p: 8

٣- ينظر رائد مصطفى عبد الرحيم، وخالد حسين أبو عمشة، وهداية هداية الشيخ علي، ومحمد إسماعيلي علوي: الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (النظرية والتطبيق)، الطبعة الأولى، من منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، (٢٠١٩م)، ص١٦.

أ- انغماس داخل قاعة الدرس (صفي)، ويرتبط بالمنهاج والعملية التدريسية.

ب- وانغماس خارج قاعة الدرس (لا صفي) يرتبط بها، وباستراتيجيات أخرى يضعها المعلّم أو المؤسسة التعليمية، ويمكن للطالب أن يشارك في صياغتها.

ولعل أشهر برامج الانغماس اللغوي التي تناولها البحث الحالي ما يأتي:

- **الزيارات الميدانية والرحلات**: ويقصد بذلك الرحلات والزيارات التعليمية إلى أماكن دينية أو جامعات أو مؤسسات أو مصانع أو أماكن تاريخية أو متاحف أو معارض وغيرها.
- **مشاهدة الأفلام العربية**: يقصد بذلك مشاهدة الأفلام العربية أو مقاطع الفيديو باللغة العربية الفصحى.
- **قراءة الصحف والمجلات العربية**: ويقصد بذلك قراءة بعض الصحف والمجلات العربية الورقية والإلكترونية.
- **اللقاء مع الخبير اللغوي**: ويقصد بذلك اللقاء بأصحاب الخبرة في اللغة العربية لإتاحة الفرصة للمناقشة بينه وبين المتعلمين.
- **المقابلات بأنواعها**: ويقصد بذلك المقابلات مع أساتذة أو متعلمين أو أفراد المجتمع بشكل عام وفي أماكن مختلفة وتكون بموضوعات متنوعة (لغوية، دينية، اجتماعية، ثقافة، اقتصادية).
- **الألعاب والمسابقات اللغوية**: ويقصد بذلك الألعاب والمسابقات اللغوية التي تهدف إلى تعزيز اكتساب اللغة والانغماس فيها.
- **الشريك اللغوي**: ويقصد بذلك اختيار صديق تكون لغته الأم هي اللغة العربية بحيث يتم التواصل معه بشكل يومي ولا يشترط أن يكون الشريك اللغوي طالبا في الجامعة.

- **الكتب المساندة للمواد التعليمة**: ويقصد بذلك الكتب والمذكرات المعدة داخل المعهد أو عناوين مقترحة لكتب ذات صلة تعطى للطلبة.
- **الحوارات والمناظرات اللغوية**: ويقصد بذلك الحوارات التي تنظم داخل المعهد أو خارجه.
- **التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي**: ويقصد بذلك مجموعات التواصل الاجتماعي (فيسبوك، واتس أب...) التي يعدها المعهد لهذه الغاية.

الثاني عشر–إجراءات البحث:

يتناول الباحث هنا وصفا لأفراد البحث وعينته، والطريقة التي تم بها تحديد أفراد البحث، وطريقة إعداد أدواته، والخطوات اللازمة للتحقق من صدق الأدوات وثباتها، ووصفاً لإجراءات البحث والمعالجات الإحصائية للإجابة عن أسئلة البحث. ولتحقيق أهداف البحث الحالي قام الباحث بالإجراءات الآتية:

١- مراجعة الأدب التربوي والإطار النظري المتعلق بالأمن الفكري، وببرامج الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٢- إعداد أداة البحث (الاستبانة) وعرضها على لجنة من المختصين والمحكمين للتأكد من صدقها وثباتها ومدى مناسبتها لتحقيق أهداف البحث.

٣- تجريب أداة البحث على عينة استطلاعية من خارج عينة البحث الأصلية.

٤- تحديد مجتمع البحث وعينته.

٥- تصميم الاستبانة على (google drive).

٦- تفريغ استجابات عينة البحث على فقرات الاستبانة.

٧- القيام بالمعالجات الإحصائية اللازمة لاستخراج النتائج.

٨- بعد التوصل إلى النتائج تم مناقشتها وتفسيرها، ومعرفة مدى دور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، وتقديم التوصيات والمقترحات في ضوء هذه النتائج.

الثالث عشر–أفراد البحث:

تمت عملية اختيار أفراد البحث من أعضاء هيئة التدريس العاملين في بعض معاهد ومراكز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في بعض الجامعات العربية في (السعودية، والأردن، ومصر) خلال الفصل الدراسي الثاني للعام ٢٠١٧م / ٢٠١٨م، وقد اختار الباحث قصدياً أفراد البحث البالغ عددهم (٦٧) معلماً ومعلمة. ويمثلهم الجدول الآتي:

جدول (١)

التكرارات والنسب المئوية حسب متغيرات البحث

الفئات		التكرار	النسبة
الجنس	ذكر	٤٣	٦٤,٢
	انثى	٢٤	٣٥,٨
المؤهل العلمي	ماجستير	٢١	٣١,٣
	دكتوراه	٤٦	٦٨,٧
سنوات الخبرة	اقل من ١٠ سنوات	٣٣	٤٩,٣
	١٥ سنة فأكثر	٣٤	٥٠,٧
الرتبة العلمية	أستاذ	٦	٩,٠
	أستاذ مشارك	١٥	٢٢,٤
	أستاذ مساعد	٢٢	٣٢,٨
	محاضر	٢٤	٣٥,٨
المجموع		٦٧	١٠٠,٠

الرابع عشر–أداة البحث:

ولتحقيق أهداف البحث قام الباحث بإعداد استبانة لغايات جمع البيانات والمعلومات الخاصة بالبحث الحالي؛ حيث قام بتصميمها بعد اطِّلاعه على الأدب النظري والدراسات والأبحاث ذات الصلة والعلاقة بالبحث الحالي. واستقرت الاستبانة في صورتها النهائية على (١٠) مجالات، يمثل كل مجال برنامجاً من برامج الانغماس اللغوي التي استهدفها هذا البحث، ويندرج تحت كل مجال (١٠) فقرات، يجيب عنها أفراد البحث. ولاستخراج دلالات صدق البناء للمقياس، استخرجت معاملات ارتباط المجالات مع الدرجة الكلية في عينة استطلاعية من خارج عينة البحث مكونة من (٣٠) معلماً من معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، حيث إن معامل الارتباط هنا يمثل دلالة للصدق وقد تراوحت معاملات ارتباط المجال مع الأداة ككل ما بين (٥٧) و (٨٧)، والجدول (٢) يبين ذلك.

جدول (٢)

معاملات الارتباط بين المجالات والدرجة الكلية

المجالات	الدرجة الكلية
الزيارات الميدانية والرحلات	٠,٨٣××
مشاهدة الأفلام العربية	٠,٧٨××
قراءة الصحف والمجلات العربية	٠,٥٧××
اللقاء مع الخبير اللغوي	٠,٧٨××
المقابلات بأنواعها	٠,٧٦××
الألعاب والمسابقات اللغوية	٠,٧٢××
الشريك اللغوي	٠,٨٧××
الكتب المساندة للمواد التعليمة	٠,٧٧××
الحوارات والمناظرات اللغوية	٠,٧٩××
التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، واتس أب...)	٠,٨١××

× دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (٠,٠٥).

×× دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (٠,٠١).

وتجدر الإشارة إلى أن جميع معاملات الارتباط كانت ذات درجات مقبولة ودالة إحصائيا، ولذلك لم يتم حذف أي من هذه الفقرات.

وللتأكد من ثبات أداة البحث، فقد تم التحقق بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) بتطبيق المقياس، وإعادة تطبيقه بعد أسبوعين على مجموعة من خارج عينة البحث مكوّنة من (٣٠) معلماً من معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، ومن ثم تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين تقديراتهم في المرتين.

وتم أيضاً حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي حسب معادلة (كرونباخ ألفا)، والجدول (٣) يبين معامل الاتساق الداخلي وفق معادلة (كرونباخ ألفا) وثبات الإعادة للمجالات والأداة جميعا وعدَّت هذه القيم ملائمة لغايات هذا البحث.

جدول (٣)

معامل الاتساق الداخلي (كرونباخ ألفا) وثبات الإعادة للمجالات والدرجة الكلية

المجال	ثبات الإعادة	الاتساق الداخلي
الزيارات الميدانية والرحلات	٠,٨٩	٠,٧٩
مشاهدة الأفلام العربية	٠,٩٠	٠,٨٨
قراءة الصحف والمجلات العربية	٠,٩١	٠,٨٤
اللقاء مع الخبير اللغوي	٠,٨٧	٠,٨٦
المقابلات بأنواعها	٠,٨٣	٠,٨٥

الألعاب والمسابقات اللغوية	٠,٨٦	٠,٨١
الشريك اللغوي	٠,٩٠	٠,٨٣
الكتب المساندة للمواد التعليمة	٠,٩٣	٠,٧٧
الحوارات والمناظرات اللغوية	٠,٨٧	٠,٨٠
التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، واتس أب...)	٠,٨٩	٠,٨٢
الدرجة الكلية	٠,٩٤	٠,٩١

الخامس عشر–نتائـــج البحث وتحليلها ومناقشتها:

يتناول الباحث هنا الإجابة عن أسئلة البحث، والمعالجات الإحصائية لإجابات العينة على الاستبانة، بهدف التحقق من مدى دور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، ويعرض نتائج بحثه وفقاً لأسئلة البحث كالآتي:

السؤال الاول: أي برامج الانغماس اللغوي أكثر جدوى في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبرامج الانغماس اللغوي الأكثر جدوى في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبرامج الانغماس اللغوي الأكثر جدوى في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

الرتبة	الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
١	١	الزيارات الميدانية والرحلات	٤,٤٤	٠,٤٥٨	٨٨,٩٠
٩	٢	مشاهدة الأفلام العربية	٣,٧٠	٠,٧١٨	٧٣,٩١
٧	٣	قراءة الصحف والمجلات العربية	٤,٠٣	٠,٤٤٣	٨٠,٦٣
٣	٤	اللقاء مع الخبير اللغوي	٤,١٢	٠,٦٤٥	٨٢,٤٥
٦	٥	المقابلات بأنواعها	٤,٠٤	٠,٥٠٩	٨٠,٧٥
٨	٦	الألعاب والمسابقات اللغوية	٣,٨٠	٠,٦٩٣	٧٥,٩١
٤	٧	الشريك اللغوي	٤,١١	٠,٦١١	٨٢,٢٧
٥	٨	الكتب المساندة للمواد التعليمة	٤,٠٩	٠,٥٨٦	٨١,٧٠
٢	٩	الحوارات والمناظرات اللغوية	٤,٢٧	٠,٥٤٨	٨٥,٣١
١٠	١٠	التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، واتس أب...)	٣,٦٣	٠,٧٢٢	٧٢,٥٤
الدرجة الكلية			٤,٠٢	٠,٣٩٩	٨٠,٤٤

يبين الجدول (٤) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (٣,٦٣ - ٤,٤٤)، حيث جاء برنامج الزيارات الميدانية والرحلات في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (٤,٤٤)، بينما جاء برنامج التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، واتس أب...) في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (٣,٦٣)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة كلها (٤,٠٢).

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسط تقديرات عينة البحث لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها تعزى لمتغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية).

وللإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها حسب متغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية) والجدول (٥) يبين ذلك.

جدول رقم (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها حسب متغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية)

الفئات		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد
الجنس	ذكر	٤,٠٧	٠,٣٠٩	٤٣
	أنثى	٣,٩٣	٠,٥١٩	٢٤
المؤهل العلمي	ماجستير	٤,٠١	٠,٤٩٧	٢١
	دكتوراه	٤,٠٣	٠,٣٥٢	٤٦
سنوات الخبرة	أقل من ١٠ سنوات	٣,٩٦	٠,٤٢١	٣٣
	١٥ سنة فأكثر	٤,٠٩	٠,٣٧٢	٣٤
الرتبة العلمية	أستاذ	٤,٣٥	٠,٣٠١	٦
	أستاذ مشارك	٣,٩٤	٠,٣٠٥	١٥
	أستاذ مساعد	٣,٩٩	٠,٣٨٠	٢٢
	محاضر	٤,٠٢	٠,٤٦٥	٢٤

يبين الجدول (٥) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها بسبب اختلاف فئات متغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية) ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استعمال تحليل التباين الأحادي المصاحب للمتوسطات الحسابية والجدول (٦) يوضح ذلك.

جدول رقم (٦)

تحليل التباين الأحادي المصاحب للمتوسطات الحسابية لدور برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها حسب متغيرات (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الرتبة العلمية)

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
الجنس	٠,٠٨٦	١	٠,٠٨٦	٠,٥٦٠	٠,٤٥٧
المؤهل العلمي	٠,٠٠٨	١	٠,٠٠٨	٠,٠٥١	٠,٨٢٢
سنوات الخبرة	٠,٢٨٧	١	٠,٢٨٧	١,٨٦٨	٠,١٧٧
الرتبة العلمية	٠,٧١٢	٣	٠,٢٣٧	١,٥٤٧	٠,٢١٢
الخطأ	٩,٢٠٠	٦٠	٠,١٥٣		
الكلي	١٠,٥٠٩	٦٦			

يتبين من الجدول (٦) الآتي:

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) تعزى لأثر الجنس، حيث بلغت قيمة ف ٠,٥٦٠ وبدلالة إحصائية بلغت ٠,٤٥٧.

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤٠,٠٥) تعزى لأثر المؤهل العلمي، حيث بلغت قيمة ف ٠,٠٥١ وبدلالة إحصائية بلغت ٠,٨٢٢.

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤٠,٠٥) تعزى لأثر سنوات الخبرة، حيث بلغت قيمة ف ١,٨٦٨ وبدلالة إحصائية بلغت ٠,١٧٧.

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤٠,٠٥) تعزى لأثر الرتبة العلمية، حيث بلغت قيمة ف ١,٥٤٧ وبدلالة إحصائية بلغت ٠,٢١٢.

وفي ختام عرض النتائج يرى الباحث أن النتائج التي توصل إليها بحثه دليل على تعاطي عينة البحث مع أداة البحث (الاستبانة) بشكل جاد وحقيقي، وذلك يعود لعدة أسباب، أهمها:

أ- إن أداة الدراسة اشتملت على برامج انغماس لغوي تعد من أشهر البرامج الدارج استعمالها في معاهد تعليم اللغات للناطقين بغيرها ومراكزها، لذلك تعاطى معها أفراد عينة البحث بشكل جاد من واقع استعمالهم وتطبيقهم لها.

ب- إن أغلب برامج الانغماس اللغوي المدرجة في الاستبانة تلامس الحياة اليومية للمتعلمين وتؤثر في سلوكهم، فبالإضافة إلى كونها برامج انغماس لغوي فهي تعد أيضاً برامج تنمية مهارات حياتية.

ج- إن برامج الانغماس اللغوي المدرجة في الاستبانة تعد من أهم البرامج التي يمكن أن تعكس ثقافة أهل اللغة الهدف وهي المؤثر الأول في السلوك للمتعلمين.

لذلك جاءت النتائج مؤكدة أن لبرامج الانغماس اللغوي دوراً واضحاً وبارزاً في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. فهي الطريق المساند للمحتوى التعليمي في التأثير في المتعلمين بل في تعديل سلوكهم أيضاً.

السادس عشر–التوصيات والمقترحات:

١–التوصيات:

في ضوء نتائج البحث الحالي، يوصي الباحث بما يأتي:

أ- يجب أن نعترف أن المتعلمين ليسوا على درجة واحدة من الوعي الفكري وأن جميع أفكارهم آمنه ولا يحملون في عقولهم أفكاراً منحرفة ومتطرفة. وهذا حال البشر جميعاً؛ لذلك يتطلب مِنَّا الاهتمام بأمنهم الفكري مع اهتمامنا بتنمية مهاراتهم اللغوية. فهم في النهاية يعيشون بيننا وفي مجتمعنا.

ب- يجب التركيز على توظيف برامج الانغماس اللغوي كوسيلة من وسائل التأثير في السلوك لما لها من أهمية بالغة في تنمية الأمن الفكري للمتعلمين والتي أظهرتها نتائج البحث الحالي.

ت- أهمية اختيار برامج الانغماس اللغوي بعناية والتركيز على الأكثر فاعلية في تنمية الأمن الفكري ويجب الاهتمام بإعدادها وتنفيذها لتحقق الأهداف المرجوة في تنمية المهارات اللغوية وتعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين.

ث- على المؤسسات التي تعنى في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الأخذ بنتائج البحث الحالي للإسهام في تعزيز الأمن الفكري لدى المتعلمين.

٢-المقترحات:

في ضوء نتائج البحث الحالي، يقترح الباحث ما يأتي:

أ- إجراء دراسة مشابهة للدراسة الحالية لقياس فاعلية برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها لكن من وجهة نظر المتعلمين أنفسهم.

ب- وإجراء دراسة مشابهة للدراسة الحالية لقياس فاعلية برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها لكن باستخدام المنهج شبه التجريبي.

ت- إجراء دراسة مشابهة للدراسة الحالية لقياس اتجاهات المتعلمين حول برامج الانغماس اللغوي في تعزيز الأمن الفكري لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

ث- إجراء المزيد من الأبحاث المتعلقة ببرامج الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وانعكاس ذلك على المتعلمين.

المصادر والمراجع العربية

الكتب:

- الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، مج٤، الولاء والهبة- الأمثال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (ط١)، ع٤، مركز بحوث شرطة الشارقة-الشارقة، (١٩٩٦م).
- ابن خلدون: المقدمة، ج٢، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط١، دار يعرب-دمشق -سوريا، ٢٠٠٤م.
- عبد الرحيم، رائد مصطفى؛ أبو عمشة، خالد حسين؛ الشيخ علي، هداية هداية؛ علوي، محمد إسماعيلي: الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (النظرية والتطبيق)، الطبعة الأولى، من منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، (٢٠١٩م).
- الهويش، يوسف بن محمد: تعزيز الأمن الفكري في ضوء النماذج والتجارب العالمية المعاصرة للحوار تطبيق على المرحلة الثانوية في مدينة الرياض، الطبعة الثالثة، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، المملكة العربية السعودية، (٢٠١٧م).
- وطفه، علي؛ المجيدل، عبد الله: علم الاجتماع التربوي والمدرسي، ط١، دار معد للطباعة والنشر، دمشق، (٢٠٠٨م).

المجلات:

- الثويني، محمد بن عبد العزيز؛ ومحمد، عبد الناصر راضي: دور المعلم الجامعي في تحقيق الأمن الفكري لطلابه في ضوء تداعيات العولمة. مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة القصيم، مج٧، ع٢، (٢٠١٤م)، ص٩٥٧ -١٠٥٠.
- الجحني، علي فايز: وظيفة الأسرة في تدعيم الأمن الفكري، مجلة الفكر الشاطري، مج١٢، ع٤، (٢٠٠٤م)، مركز بحوث شرطة الشارقة-الشارقة.
- الرحيلي، نايف بن راشد: دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري. المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مج٣٢، ع ٦٧، (٢٠١٦م)، ص٣٥-٦٦.

- شبيلات، كوثر جمال: واقع برامج الانغماس اللغوي بالأردن وتأثيرها على الكفاءة اللغوية العربية للناطقين بغيرها. المجلة التربوية الدولية المتخصصة -المجموعة الدولية للاستشارات والتدريب - الأردن، مج٧، ع٦، (٢٠١٨م)، ص٥٤-٦٤.
- الشمري، مسلم خير الله؛ والجردات، محمود خالد: دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل. المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، مج ٢٧، ع ٥٤، (٢٠١١م)، ص١٥٣-٢٠٠.
- الشهري، عبد الله هادي: دور المؤسسات المجتمعية في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب السعودي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية - المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، ع١، مج٣، يناير، (٢٠١٩م)، ص٨٧-١٠٢.
- محمد، أبو بكر؛ وإسماعيل، عبد الرحيم؛ وناصر الدين، عبد الواسع إسحاق: الانغماس اللغوي في قرية اللغة العربية أنغالا - نيجيريا. مجلة الراسخون -جامعة المدينة العالمية - ماليزيا، مج٣، ع٢، (٢٠١٨م)، ص١-١٤.
- مقابلة، نصر محمد خليفة؛ وإسماعيل، محمد زيد: أثر برنامج انغماسي لغوي في تحسين مهارة التحدث باللغة العربية لدى الطلاب الماليزيين في الأردن، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات -العلوم الانسانية والاجتماعية. مج٣١، ع١، (٢٠١٦م)، ص٢٧٩-٣٢٤.
- مناع، آمنة؛ يحيى، بن يحيى: الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات - دراسة لسانية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية -الجزائر، مج٩، ع١، (٢٠١٦م)، ص١٠٤٨-١٠٦٥.

المؤتمرات والندوات:

- الدريويش، أحمد بن يوسف: حلقات القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الفكري. الملتقى الرابع لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ودورها في تحقيق الأمن، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمنطقة الشرقية،٢٤-٢٦ فبراير، (٢٠٠٩م)، ص ٣٠-٤٨.
- الشريفين، عماد عبد الله: التنشئة الأسرية ودورها في الأمن الفكري رؤية إسلامية. المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (مفاهيم وتحديات)، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري، جامعة الملك سعود، الرياض من ١٦-١٩ مايو (٢٠٠٩م).

- طعيمة، رشدي: تعليم العربيّة لغير الناطقين بها في المجتمع المعاصر: اتجاهات جديدة، وتطبيقات لازمة. اللغة العربيّة... إلى أين؟ أبحاث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، الرباط، في الفترة من ١ إلى ٣ نوفمبر، (٢٠٠٢م)، ص ٣٢٧-٣٥٦.

- هواري، معراج عبد القادر؛ وعدون، ناصر دادي: دور الجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية والأمن الفكري للطلاب، دراسة ميدانية على جامعة الأغواط في الجزائر. أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي، جامعة طيبة- المدينة المنورة في الفترة ٥-٨ مارس، (٢٠١١م)، مج٤، ص٢٥٠٩-٢٥٣٣.

المواقع الإلكترونية:

- خطاب، حسن السيد حامد: تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية، شبكة مشكاة الإسلامية، https://www.almeshkat.net/book/6732، تاريخ النشر ١٠/٦/١٤٣٢هـ.

Arabic References:

Books:

- Al-Imam Al-Hafiz Abu Isa Muhammad ibn Isa -at-Tirmidhi, Al-Jami al-Kabir, vol 4, loyalty and Endowment-Proverbs, Verification of Dr. Bashar Awwad Marouf, Dar al - Gharb, (1st Edition) p4, Sharjah Police Research Center - Sharja(1996).
- Ibn Khaldun: The Introduction, chapter 2, verified: Abd Allah Mohammed Darwish, 1st Edition, Dar Yarob - Damascus - Syria, 2004 A.D.
- Abdul Rahim, Raed Mustafa; Abu Amsha, Khaled Hussein; Sheikh Ali, Hidayat Hidayat; Alawi Mohammed Ismaili: Linguistic Immersion in Teaching None-Arabic Speakers (Theory and Practice), 1st Edition, publications of King Abdullah bin Abdulaziz International Centre, Dar Wojooh for publication and distribution, Riyadh (2019 A.D).
- Al-Huwaish, Yousef bin Mohammed: Strengthening Intellectual Security in the Light of Contemporary Models and International Experiences of Dialogue", 3rd Edition, The King Abdulaziz Center for National Dialogue, Kingdom of Saudi Arabia, (2017 A.D).
- Watfah, Ali; Almjadel, Abdallah: School Educational Sociology and, 1st Edition, Dar Ma3ad for printing and publishing, Damascus, (2008 A.D).

Journals:

- Al-Thuwaini, Muhammad bin Abdulaziz, and Muhammad, Abdel Nasser Rady: The Role of the University Teacher in Achieving the Intellectual Security of his Students in Light of the Implications of Globalization. Journal of Educational and Psychological Sciences 2014 vol. 7 Issue 2, pp. 957-1050.
- Aljhani, Ali Fayez: The role of the family in promoting intellectual security, Al-Shatri Journal, vol 12, p 4, (2004 A.D) , Sharjah Police Research Center - Sharjah.
- Al-Rehaili, Naif bin Rashid: The role of Islamic education in achieving intellectual security. The Arab Journal of Security Studies and Training, Naif Arab University for Security Sciences, Vol. 32, p. 67, (2016 A.D) , pp. 35-66.
- Shabeelat, Kawthar Jamal: The reality of linguistic immersion programs in Jordan and its impact on proficiency in Arabic linguistics for non-native speakers. Specialized International Educational Journal - International Consulting and Training Group - Jordan, Vol 7, No. 6, (2018 A.D), pp.54-64.)

- Al-Shammari, Muslim Khair Allah; and Al-Jaradat, Mahmoud Khaled: Role of teaching faculty in promoting intellectual security among students of the Hail University. The Arab Journal for Security Studies and Training, Naif Arab University for Security Sciences, Saudi Arabia , Vol. 27, No. 54, (2011 AD) , pp. 153-200.
- Al-Shehri, Abdullah Hadi: The role of community institutions in enhancing intellectual security among Saudi youth. The Journal of Human Sciences and Social - Arab Journal of Sciences & Research Publishing, p 1, vol 3, January, (2019 A.D) , pp. 87-102.
- Muhammad، Abu Bakr; Ismail, Abd al-Rahim; Nasir al-Din, Abd al- Wasih Ishaq: Linguistic Immersion in the Arabic Language Village Angala - Nigeria Alrasikhoon Journal - Al-Madinah International University - Malaysia, vol 3, p 2, (2018 m) , pp. 1-14.
- Magableh, Nasr Muhammad Khalifa; and Ismail, Muhammad Zaid: The Impact of a Immersive Linguistic Program on Improving Arabic Language Proficiency among Malaysian Students in Jordan, Muta'ah Journal for Research and Studies - Humanities and Social Sciences. vol 31, p1, (2016 AD) , pp. 279-324.
- Manna, Amna; Yahya and Bin Yahya: Linguistic Immersion and its Impact on Learning Languages - Linguistic Study, Al -Wahat Journal for Research and Studies, University of Ghardaia - Algeria, vol. 9, p. 1, (2016 AD) , pp. 1048-1065.

Conferences and symposia:

- Al-Dariwish, Ahmed bin Yusuf: The sessions of the Noble Qur'an and their effect on achieving intellectual security. The Fourth Forum of Charitable Societies for the Memorization of the Holy Quran in the Kingdom of Saudi Arabia: Societies for the Memorization of the Holy Quran and its role in achieving security, The Holy Quran Memorization Association in the Eastern Province 24-26 February (2009 A.D) , PP 30-48.
- To'eima, Roushdy: Teaching Arabic to non-native speakers in contemporary society: new trends and necessary applications. Arabic... where? Research of the symposium held by the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization in cooperation with the Islamic Development Bank, Rabat, from November 1 to 3, (2002) , pp. 327-356.
- Hawari, Maraj Abd al-Qadir; Adoun, Nasser Daddy: The role of universities in promoting the principle of moderation and intellectual security for students, a field study at the University of Laghouat in Algeria. Researches of the con-

ference on the role of Arab universities in promoting the principle of moderation among Arab youth, Taibah University - Madinah, in the period 5-8 March, ((2011 AD , volume 4, pp. 2509-2533.

Websites:

- Khattab, Hassan Al-Sayed Hamid: Challenges of Intellectual Security in the Light of Islamic Concepts, MishkatAl- Islamiyah Network,https://www.almeshkat.net/book/6732 Posted on 10/6/1432 AH.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Fortune, T. W., & Tedick, D. J. One-way, two-way, and indigenous immersion: A call for cross-fertilization. In T. W. Fortune and D. J. Tedick (Eds.), Pathways to multilingualism: Evolving perspectives on immersion education (pp. 3-21). Buffalo, NY: Multilingual Matters, Ltd, (2008).
- Feuer, A. Schools out For the Summer: A Cross-Cultural Comparison of Second Language Learning in Informal Settings. International Journal of Bilingual Education & Bilingualism, 12(6), (2009). PP. 651-665. DOI: 10.1080 / 13670050802549672
- Genesee, F. Learning through Two Languages. (First Ed.). Cambridge, Mass.: Newbury House Publishers. (Harper & Row). (1987).
- Lord, G. The Combined Effects of Immersion and Instruction on Second Language. Foreign Language Annals. 43(3), (2010), PP.488-503.
- Luan, Yuqin & Guo, Xiuzhen. A Study on the Application of the Immersion Teaching Model to EFL Learners in Institutions of Higher Learning. English Language Teaching, 4, (1), (2011), PP.152-161.
- Milliman, B. M. Key Components in a Successful Arabic Immersion Program for High School: A Case Study. Unpublished Master Dissertation. University Of Texas. (2010).
- Pacific Policy Research Center: «Successful Bilingual and Immersion Education Models/Programs". Honolulu: Kamehameha Schools, Research & Evaluation Division. (2010).
- Park, Eun-Soo. Elementary Students' Perceptions about the Effect of a Summer English Camp. Asian EFL Journal, 10, (2009), PP. 34-55.
- Roy Lyster , grandes questions et options en pédagogie de l'immersion, Journal de l'immersion, L'Association canadienne des professeurs d'immersion, Ottawa (Ontario) , vol:31, N:3, (2009), p: 8

- Rugasken, K., & Harris, J. English Camp: A Language Immersion Program in Thailand. The Learning Assistance Review (TLAR), 14(2), (2009), PP. 43-51.
- Bostwick, Mike (n.d.). «What is Immersion?" Retrieved January 15, 2014, from: http://www.bilingual.com/school/INFO/WhatIsImmersion.html.

حفظ موارد المياه واستدامتها في السنة النبوية
دراسة موضوعية

Conservation and Sustainability of Water Resources in the Prophetic Sunah (Objective Study)

د. نورة بنت عبد الله الغملاس
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج –المملكة العربية السعودية

Dr. Nourah Abdullah Al-Ghimlas
Prince Sattam Bin Abdul Aziz University in
Al-Kharj Saudi Arabia Kingdom

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.05

تاريخ تسلم البحث 2021/6/15 - وصدر خطاب القبول 2021/10/26

ملخص البحث

لقد كانت توجيهات النبي ﷺ في حفظ الماء واستدامته بمثابة وثيقة لتحقيق الأمن المائي الذي ظل على مر العصور يشغل هاجس الشعوب، لا سيما وأنه ﷺ يتحدث من بيئة شحيحة بالموارد المائية، ولعل ذلك يكون الأقدر على رسم سياسة واستراتيجية دقيقة في استدامة موارد المياه.

وتكمن مشكلة البحث المحورية في الحاجة الماسة لوضع استراتيجية لاستدامة الموارد المائية، والإفادة من التوجيهات النبوية، وذلك بجمع الأحاديث النبوية الواردة فيه.

وتتمثل أبرز أهداف البحث في: بيان سياسة الحفاظ على الماء في السنة النبوية، وإبراز استراتيجية تنمية الموارد المائية في السنة النبوية.

واتبعت في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي. وكان من أهم نتائج البحث: إن النبي ﷺ وضع استراتيجيات واضحة واقعية وشاملة وسهلة التطبيق للتعامل مع الأزمة المائية، مما يجعل تطبيقها كفيلا بالقضاء على الأزمة المائية العالمية.

كلمات مفتاحية: (السنة – البيئة – حفظ الماء– السيرة النبوية – الحديث النبوي).

Abstract

The directives of the Prophet, may Allah's prayers and peace be upon him, in the conservation and sustainability of water were a document to maintain water security, which throughout the ages has been a preoccupation of peoples, especially since he speaks from a scarce environment with water resources, and perhaps this is to be the best able to formulate an accurate policy and strategy in the sustainability of water resources.

The central research problem lies in the urgent need to develop a strategy for the sustainability of water resources, and to benefit from the prophetic directives by collecting the hadiths contained therein.

Perhaps the most important objectives of the research are: A statement of the policy of water conservation in the Prophetic Sunnah. As well as highlighting the strategy for the development of water resources in the Sunnah, and followed the inductive and analytical method in the research.

One of the most important results of the research: that the Prophet, may Allah's prayers and peace be upon him, had developed clear, realistic, comprehensive and easy-to-apply strategies to deal with the water crisis, which makes the application of the Prophet's strategy, may Allah's prayers and peace be upon him, in the development of water resources sufficient to eliminate the global water crisis.

Keywords: (Sunnah, environment, water conservation, prophetic Sunnah, prophetic Hadith).

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد..

فإن الله تعالى أرسل نبينا محمدا ﷺ مبشرا وهاديا ونذيرا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقد تمثل حرصه ﷺ على أمته في صور شتى، ومن صور هذا الحرص ما وُجد في أحاديثه من توجيهات دالة على أهمية الحفاظ على البيئة من حولنا، ومن أهم مظاهر البيئة الوثيقة الصلة بالحياة: الماء، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠].

ولقد كانت توجيهاته ﷺ بمنزلة وثيقة لتحقيق استدامة موارد المياه؛ الأمر الذي ظل على مر العصور يشغل هاجس الشعوب، لا سيما وأنه ﷺ يتحدث من بيئة شحيحة بالموارد المائية، ولعل ذلك يكون هو الأقدر على وضع خطة محكمة في ذلك.

ولما كانت هذه الأحاديث قد تضمنت توجيهات عميقة رسمت بوضوح استراتيجية دقيقة في تحقيق استدامة موارد المياه، أحببت أن أسطر في هذا البحث شيئًا من هذه الأحاديث، لعلي أسهم -ولو بالقليل- في توضيح فقه هذه الأحاديث، وما حوته من توجيهات معجزة - لم يسبق - إليها لتكون مصدرا لكل مستفيد في رسم خطة لتحقيق حفظ واستدامة موارد المياه.

موضوع البحث: (حفظ موارد المياه واستدامتها في السنة النبوية، دراسة موضوعية).

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث المحورية في وجود عدد لا بأس به من الأحاديث النبوية الشريفة التي ناقشت موضوع موارد المياه، والحفاظ عليها، واستدامتها، مما يجعل جمعها، وبيانها حاجة ملحة للاستفادة منها، في وضع الاستراتيجيات المهمة لاستدامة هذه الموارد.

ولعل أهم سؤال يجيب عليه البحث هو:

(كيف اعتنت السنة النبوية بحفظ موارد المياه واستدامتها؟)

حدود البحث: سأقتصر في هذا البحث على الأحاديث النبوية المقبولة الواردة في حفظ موارد الماء واستدامتها.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى عدة أمور منها:

١- جمع الأحاديث الواردة في حفظ الماء ودراستها.

٢- بيان سياسة الحفاظ على الماء في السنة النبوية.

٣- إبراز استراتيجية تنمية الموارد المائية في السنة النبوية.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث من خلال توضيح أهم المرتكزات التي قامت عليها سياسة النبي ﷺ في تحقيق حفظ موارد المياه واستدامتها؛ مما يسهم في رسم سياسة واضحة لحفظها واستدامتها في ضوء السنة النبوية.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء الأحاديث الواردة في الماء.

المنهج التحليلي: بتحليل ما دلت عليه هذه الأحاديث من حكم وأحكام مما لها صلة بموضوع البحث.

الدراسات السابقة: من خلال الاطلاع على فهارس المكتبات ومراكز البحث وعلى أهم الرسائل العلمية والأطروحات والدراسات والبحوث المحكمة ذات الصلة بالموضوع؛ وجدت دراسات عدة؛ أهمها:

١- المياه أهميتها، أحكامها، مشكلاتها، كيفية علاجها في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، إبراهيم أبو العدس، رسالة ماجستير، جامعة ال البيت؛٢٠٠٧م.

(وقد تناولت الدراسة الأحكام الفقهية للمياه من حيث: أقسامها، وطهارتها، وكيفية الانتفاع بها، وتحدث عن مصادر التلوث، وأهمية حماية مصادر الماء، وتحدث عن الإسراف في استخدام الماء وضرورة الترشيد في استخدامه. والغالب على الدراسة بحث الأحكام الفقهية في الموضوع).

٢- الهدي النبوي في حماية الماء من التلوث، وأثره في المحافظة على البيئة، علي مصطفى علي القضاة، بحث محكم منشور في مجلة الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد ٤٦، العدد١، ٢٠١٩م.

(وقد تناولت الدراسة بيان توجيهات السنة النبوية في المحافظة على صحة الإنسان، والكائنات الأخرى من خلال البيئة المائية، وحمايتها من التلوث، من خلال دراسة الأحاديث النبوية المبينة لوسائل حماية الماء من التلوث، والداعية للمحافظة عليه).

٣- سلوك التعامل مع نعمة الماء في ضوء السنة المطهرة، الدكتور نادي عبد الله محمد، بحث محكم منشور، مجلة جامعة الأزهر، العدد ٣٠، ١٤٢٧هـ.

(وقد تناولت الدراسة السلوك الإنساني مع الماء من حيث آداب التعامل والاستعمال، حيث شملت مقومات الأمن المائي في السنة، والتحذير من الإسراف في الماء وتلويثه، وكذلك الترغيب في توفيره).

٤- المنهج النبوي في تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة، عادل عبد الرشيد عبد الرزاق، بحث محكم منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد١٤ العدد ١، ١٤٣٨هـ.

(وقد تناولت الدراسة ابراز معالم المنهج النبوي في تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة ومكوناتها، والدعوة إلى إعادة الإفادة من هذا المنهج في الواقع المعاصر).

خطة البحث: وقد رسمت لنفسي خطة أسير عليها في هذا البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

فأما المقدمة فقد جعلتها مفتاحًا للبحث، تشتمل على (موضوع البحث ومشكلته، وأهميته، وحدوده، وأهدافه، وخطته).

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في الحفاظ على الماء وصيانته.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في النهي عن الإسراف في الماء.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في تقنين الماء في العبادات.

المبحث الرابع: الأحاديث الواردة في استحداث موارد مائية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

اسأل الله العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يكتب لهذا العمل القبول.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في الحفاظ على الماء وصيانته

انبثقت سياسة النبي ﷺ في الحفاظ على الماء من الوحي العظيم؛ استشعارا لأهمية الماء، وأنه عصب الحياة الذي لا تقوم إلا به، فمضى ﷺ قُدماً في رسم سياسة لأمَته في الحفاظ على الماء، لا سيما وهو يعيش في بيئة شحيحة بالموارد المائية.

فعن معاذ بن جبل، قال: قال رسولُ الله ﷺ: (اتَّقُوا المَلاعِنَ الثلاثةَ: البَرازَ في المَوَارِدِ، وقارِعَةِ الطَريقِ، والظّلّ)[1].

إن الحفاظ على موارد المياه وحمايتها من مصادر التلوث هو الركيزة الأساسية في التخطيط لحفظ الماء، فهذا الحديث ليس لبيان آداب قضاء الحاجة فقط، بل هو وثيقة أساسية في الحفاظ على موارد المياه وحمايتها من التلوث، فالنبي ﷺ في هذا الحديث يؤسس لقاعدة عظيمة تهدف إلى الحفاظ على الماء وحمايته من مصادر التلوث، فيبين ﷺ أن إيذاء الناس بتلويث مصادر المياه يوجب اللعن، ومعلوم أن اللعن أمره خطير، فلم يكن ﷺ ليستخدم هذه اللهجة الشديدة في الزجر والتحذير إلا لما يترتب على هذا التلوث من خسارة عظمى للثروة المائية، ومشاكل كبرى تؤدي لعدم الانتفاع بالماء، وتأثير ذلك على النظام البيئي.

وقد بين العلماء -رحمهم الله- أسباب تسميتها ب(الملاعن)، فذكر القرطبي -رحمه الله- أن تسميتها بالملاعن لأنها تجلب اللعن على فاعلها، وبين أن في ذلك (أي الملاعن الثلاثة) ضرراً عظيماً بالمسلمين؛ إذ يعرضهم للتنجيس؛ ويمنعهم من

١- رواه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب المواضع التي نهي عن البول فيها (١ / ٢١ / ح٢٦) وابن ماجه في سننه كتاب أبواب الطهارة وسننها باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (١ / ٢١٨ / ح٣٢٨) و الحاكم في المستدرك (١ / ٢٧٣) من طريق أبي سعيد الحميري عن معاذ، والحديث مرسل لأن أبا سعيد لم يدرك معاذا كما ذكره أبو داود وابن حجر في التلخيص (١ / ٢٧٥) قال الحاكم:(وهَذا حَديثٌ صَحيحُ الإِسْنَاد، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) وحسنه الألباني رحمه الله بشواهده، فقال كما في «الإرواء» (١/ ١٠٠): (لكنَ الحدَيث له شواهد يرقى بها إلى درجة الحسن على أقل الأحوال).

حقوقهم في الماء؛ والاستظلال؛ والمرور وغير ذلك. ويُفهم من هذا تحريم التخلي في كل موضع كان للمسلمين إليه حاجة؛ كمجتمعاتهم، وشجرهم المثمر- وإن لم يكن له ظل- وغير ذلك[١].

لقد كان هاجس حفظ الماء من الأمور التي أثارت اهتمام النبي ﷺ، فتوالت تنبيهاته في مناسبات شتى وبطرق مختلفة، لمواجهة التلوث الذي تتعرض له الثروة المائية؛ بحماية موارد الماء -وإن كانت قليلة- من إلقاء النفايات والقاذورات، مع ضرورة إزالة المواد المؤثرة على جودة المياه أو الحفاظ عليها، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: ((لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه))، ولفظ مسلم: ((ثم يغتسل منه))[٢]. ولعل ذكره ﷺ للبول بوصفه أحد مصادر التلوث يقاس عليه غيره مما يسبب أذى وتلوثاً للماء [٣]، وقد جاء عنه ﷺ أيضا: ((لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب)) فقال (أي الراوي عن أبي هريرة): «كيف يفعل يا أبا هريرة؟» قال: (يتناوله تناولاً) [٤].

١- القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب وآخرين، دمشق، بيروت دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. (١ / ٥٢٤).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائم (١ / ٥٧ / ٢٣٩) ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد(، (١ / ٢٣٥ / ٩٥) عن أبي هريرة.

٣- قال القاضي عياض في: إكمال المعلم بفوائد مسلم (القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، ، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط٢، ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م). (٢ / ١٠٥) (النهي على طريق التنزيه والإرشاد إلى مكارم الأخلاق والاحتياط على دين الأمة، وهو في الماء القليل آكد منه في الكثير لإفساده له، بل ذكر بعضُهم أنه على الوجوب فيه، إذ قد يتغيَّرُ منه ويفسد فيظن من مَرَّ به أن فساده لقراره أو مكثه، وكذلك يكثر تكرار البائلين في الكثير حتى يعتريه ذلك، فحمى ﷺ هذا العارض في الماء الذي أصله الطهارة بالنهى عن ذلك، وذكر البول فيه دليلٌ على ما يشابهه من الغائط وغيره).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد(١ / ٢٣٦ / ٩٧) والنسائي في سننه كتاب الطهارة باب النهي عن اغتسال الجنب في الماء الدائم (١ / ١٢٤ / ٢٢٠) وابن ماجه في أبواب الطهارة باب الْجُنُبِ يَنْغَمِسُ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ أَيُجْزِئُهُ (١ / ٣٨٢ / ٦٠٥) كلهم من طريق أبي السائب مولى هشام بن زهرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فالماء الدائم والراكد[1] الذي لا يجري؛ كمياه الآبار والبرك والمستنقعات؛ يمثل ثروة مائية في البيئة الشحيحة بموارد المياه، ومن ثم فتعريض هذا الماء للتلوث بالفضلات كالبول ونحوه يعد هدرا لها، لذا جاء التوجيه الكريم بالمحافظة عليها، من هذا التلوث؛ ليس فقط لضمان طهوريته، فقد حسم النبي ﷺ هذا الأمر بقوله (الماء طهور لا ينجسه شيء)[2]، بل إنما أيضا لئلا تستقذره النفوس، وحماية للبيئة بشكل عام من ضرره، يقول الشيخ ابن بسام -رحمه الله-: (نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الدائم، الذي لا يجرى كالخزانات والصهاريج والغدران في الفلوات والموارد التي يستسقي منها الناس؛ لئلا يلوثها عليهم ويكرهها؛ لأن هذه الفضلات القذرة سبب في انتشار الأمراض الفتاكة)[3].

ومن منطلق ترسيخ منهجه ﷺ في تقليل الهدر المائي، فإنه بين أن الماء إذا كان كثيراً وخالطته النجاسة لا تتأثر صلاحيته للاستخدام إلا إذا تغيرت خواصه[4]، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عن أبيه، قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الماءِ وما يَنُوبُهُ مِنَ الدَّوابِّ

١- ذكر ابن حجر في فتح الباري (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، - فتح الباري، ، تعليق: عبد العزيز بن باز، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٧هـ)(١ / ٣٤٧) أن الدائم والراكد مقابلان للجاري لكن الدائم الذي له نبع والراكد الذي لا نبع له، و فرق بينهما الشيخ ابن عثيمين في شرح بلوغ المرام (محمد بن صالح العثيمين، شرح بلوغ المرام، المكتبة الإسلامية للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) فقال: (الماء الدائم: هو الماء الباقي الذي له ما يُغذّيه ولكنه لا يجري على وجه الأرض مثل: مياه الآبار. والماء الراكد: هو الماء الذي ليس له ما يُغذّيه ولا يجري على وَجْه الأرض مثل: مياه البرك والمستنقعات. وقد ذُكِر غير ذلك في الفرق بينهما).

٢- أخرجه أبوداود في سننه كتاب الطهارة باب في بئر بضاعة (١ / ٤٨ / ح٦٦) والترمذي في سننه أبواب الطهارة باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء، (١ / ١٢٢ / ح٦٦) والنسائي في سننه كتاب المياه باب ذكر بئر بضاعة (١ / ١٧٤ / ح٣٢٦) بطرق عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن الوليد بن كثير، عن محمد بن كعب، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن رافع بن خَديج، عن أبي سعيد الخدري، والحديث حسنه الترمذي وصحّحه أحمد وابن معين وابن حزم كما ذكر ابن حجر في التلخيص الحبير (١ / ١٢٦).

٣- عبد الله بن عبد الرحمن البسام، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الصحابة، القاهرة، ط١٠، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م) (ص: ٢٢).

٤- قال ابن المنذر رحمه الله تعالى في الأوسط (محمد بن إبراهيم بن المنذر، الأوسط، تحقيق: ياسر كمال، دار الفلاح، ط ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).(١ / ٢٦٠):(أجمع أهل العلم على أن الماء القليل أو الكثير إذا وقعت فيه نجاسة، فغيّرت النجاسة الماء؛ طعما، أو لونا، أو ريحا، أنه نجس ما دام كذلك، ولا يجزي الوضوء والاغتسال به).

والسِّباع، فقال: (إذا كانَ الماءُ قُلَّتَينِ لم يَحمِلِ الخَبَثَ)[1].

فالماء الذي ربما تعرض للتلوث باق على صلاحيته للاستخدام، ما لم تؤثر هذه الملوثات في خواصه، ولقد كان هذا حافزا للعلماء على التخطيط للإفادة من الماء الكثير الذي تلوث بالملوثات البيئية المتعددة، إذ يمكن التخلص منها بطرق عدة، لا سيما مع تنوع، طرق التعقيم، والتطهير الحديثة وتقدمها، فقد قرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي، في دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩م، إلى يوم الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩هـ بعد مراجعة المختصين بالطرق الكيماوية، وما قرروه من أن التنقية تتم بإزالة النجاسة منه على مراحل أربع وهي: الترسيب، والتهوية، وقتل الجراثيم، وتعقيمه بالكلور، بحيث لا يبقى للنجاسة أثر في طعمه ولونه وريحه، وهم مسلمون عدول، موثوق بصدقهم وأمانتهم،- قرر

١- أخرجه أحمد في المسند (٨ / ٢١١ / ح٤٦٠٥) قال: حدثنا عبدة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق. وفي (٨ / ٤٢٢ / ح٤٨٠٤) قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق. وأبو داود في سننه كتاب الطهارة باب ما ينجس الماء (١ / ٤٧ / ح٦٤) قال: حدثنا موسى بن إسماعيل. قال: حدثنا حماد (ح) وحدثنا أبو كامل. قال: حدثنا يزيد بن زريع -حماد، يزيد - عن محمد ابن إسحاق. وابن ماجة في سننه الطهارة باب مقدار الماء الذي لا ينجس (١ / ٣٢٥ / ٥١٧) قال: حدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي، قال حدثنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا محمد بن إسحاق (ح) وحدثنا عمرو بن رافع، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن محمد بن إسحاق.
والترمذي في جامعه أبواب الطهارة باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء (١ / ١٢٣ / ٦٧) قال: حدثنا هناد، قال: حدثنا عبدة، عن محمد بن إسحاق. وابن خزيمة في صحيحه (١ / ٤٩ / ٩٢) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي، وموسى بن عبد الرحمن المسروقي، وأبو الأزهر، حوثرة بن محمد البصري قالوا: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا الوليد بن كثير.
كلاهما - ابن إسحاق، والوليد - عن محمد بن جعفر بن الزبير.
وأخرجه أحمد (٨ / ٣٧٤ / ٤٧٥٣) قال: حدثنا وكيع. وفي (١٠ / ١٠٠ / ٥٨٥٥) قال: حدثنا عفان. وأبو داود في سننه كتاب الطهارة باب ما ينجس الماء (١ / ٤٧ / ٦٥) قال: حدثنا موسى بن إسماعيل. وابن ماجة في سننه الطهارة باب مقدار الماء الذي لا ينجس (١ / ٣٢٥ / ٥١٨) قال: حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا وكيع.
كلهم وكيع، وعفان، وموسى - قالوا: حدثنا حماد - هو ابن سلمة -، قال: أخبرنا عاصم بن المنذر.
كلاهما - ابن جعفر وعاصم - عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر. فذكره.
والحديث حسَّنهُ النوويُّ في «المجموع» (١ / ١١٢)، وابنُ تيمية في «الفتاوى» (٢١ / ٤١) وقال: (وأمَّا حديثُ القلتين فأكثرُ أهل العلم بالحديث على أنه حديثٌ حسنٌ يُحتجُّ به).

المجمع - (أن ماء المجاري إذا نُقي بالطرق المذكورة وما يماثلها، ولم يبق أثر في طعمه ولا في لونه ولا في ريحه؛ صار طهوراً، يجوز رفع الحدث وإزالة النجاسة به، بناء على القاعدة الفقهية التي تقول: إن الماء الكثير الذي وقعت فيه نجاسة يطهر بزوال هذه النجاسة منه، إذا لم يبق لها أثره فيه).

وهذا مما يفتح المجال اليوم للمختصين في علوم الموارد الحيوية وتقنياتها وإدارتها؛ للبحث عن وسائل وطرق لاستغلال هذه المياه بشكل فعال وإدارتها بشكل أمثل. كما يجب تحديد تقنيات مناسبة، وتقييمها، ونقلها، وتطويعها لتحقيق الإفادة المثلى من هذه المياه في أغراض مقبولة تخفف العبء على كاهل الدول، وبخاصة الشحيحة بالماء، واقتصار توفير الموارد المائية العذبة على الشرب ونحوه.

واستكمالا لمراحل التخطيط في الحفاظ على الماء، فقد تجاوز النبي ﷺ حدود زمانه ومكانه في التخطيط للإفادة من الماء؛ ففي حديث أَنَس بْن مَالك -رضي الله عنه-: (أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا) قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظِّرَابِ[1]

١- الآكام: الموضع الذي هو أشد ارتفاعا مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا، والآكام أَصْغَر من الظِّرابِ، والظرابِ: جمع ظرب، وهو من الحجارة النابت الأصل الحديد الطرف. وقال في النهاية: (الظِّرَاب: الجِبَال الصِّغار، واحدُها: ظَرِب بوزْن كَتِف).
النهاية في غريب الحَديث والأثر (٣/ ١٥٦) غَرِيب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٣٣٣) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٦٠٤) لسان العرب (١٢/ ٢١).

وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ)، قَالَ: فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ، قَالَ شَرِيكٌ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ؟ فَقَالَ: (مَا أَدْرِي)[1].

ربما اقتضى الحال في هذا الموقف أن يدعو ﷺ بوقف المطر[2]، ولكنه ﷺ لبعد نظره وحسن تخطيطه دعا بما يقتضي رفع الضرر وبقاء النفع، وتدعيم المخزون الاستراتيجي للماء، والذي ربما يكفي للاستهلاك المستمر مدة طويلة، سواء كان هذا المخزون مكامن آبار جوفية أو سدود أو بحيرات من المياه العذبة.

لقد أدرك النبي ﷺ حاجة البلاد والعباد للمطر فاستسقى لهم، فلما ارتووا وتحقق ما يهدف إليه، جعل يفكر في نفع البيئة من حوله بهذا الخير العميم، فدعا بتحويله عن المدينة، وأن يسقي ما حولها (الآكام وبطون الأودية) ليُحفظ الماءُ ويستمر نفعه.

إن البعد الاستراتيجي لحفظ الماء في هذا الحديث يعد من أهم قواعد التخطيط الناجح لحفظه، فهو لا يقتصر على الحاجات الآنيَّة بل يتعداها لتلبية الحاجات الآتية. وربما كان استشرافُه لمستقبل بيئة صحراوية تمثل قطرة الماء فيها ثروة، دافعًا لهذا التخطيط الاستراتيجي الحكيم.

ومن المرتكزات الاستراتيجية المهمة في هذا الشأن، أن النبي ﷺ قد جعل

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة أبواب الاستسقاء باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (٢ / ٢٨ / ح١٠١٤) و اخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء (٢ / ٦١٢ / ح٨٩٧) كلاهما من طريق إسماعيل بن جعفر، عن شريك، عن أنس بن مالك.

٢- استنبط منه ابن العربي المالكي في المسالك في شرح موطأ مالك(محمد بن عبد الله بن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) (٣ / ٣١٣) من فقه الحديث استعمال أدبه، الكريم وخُلقه العظيم؛ لأنّه لم يدع الله تعالى في أنّ يرفع الغَيْثَ جُملَةً، لئلّا يردَّ على الله بَرَكَتَهُ وما رَغبَ إليه فيه وسَأله إيّاه، فقال: «اللَّهُمَّ على رؤوس الجِبَال والآكام، وبُطُون الأَوْدِيَة ومَنَابت الشَّجَر» وإنّمَا قال ذلك؛ لأنَّ المطرَ لا يضرّ نزوله في هذه الأماكن، وقال: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَينَا». فيجبَ امتثال ذلك في نِعَمِ الله تعالى إذا كَثُرَت، لا يسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- قطعها ولا صَرْفَها عن العباد.

الموارد المائية ملكًا مشاعًا بين المسلمين؛[1] فعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: الْمَاءِ، والكلأ، وَالنَّارِ)[2]. وعن جابرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ:(نَهَى عن بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ)[3]. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:(ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ)[4].

ولقد شملت استراتيجيته في حفظ الماء تفاصيل دقيقة لطرق الحفظ، فقد أرشد ﷺ إلى وجوب تغطية أواني الماء، ومنع التنفس في الإناء والنفخ فيه.

١- قال في (عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ). (٩/ ٢٦٨): « الْمُرَاد الْمِيَاه الَّتِي لَمْ تُحْرَز بِاسْتِنْبَاط أَحَد وَسَعْيه كَمَاءِ الْآبَار وَلَمْ يُحْرَز فِي إِنَاء أَوْ بِرْكَة أَوْ جَدْوَل مَأْخُوذ مِنْ النَّهَر وَقَالَ السِّنْدِيُّ فِي حَاشِيته على سنن ابن ماجه (أبو الحسن الحنفي السندي، شرح سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، ط٢، (د.ت)(٢/ ٩١): (الْمَاء مَاء السَّمَاء وَالْعُيُون وَالْأَنْهَار الَّتِي لَا تُمْلَك، فَالْمَاء إِذَا أَحْرَزَهُ الْإِنْسَان فِي إِنَائِهِ وَمِلْكه يَجُوز بَيْعه وَكَذَا غَيْره» قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «الشرح الممتع» (محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، خرج أحاديثه: عمر الحفيان، ط١، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤٢٢هـ). (٨/ ١٤٠): « أما إذا ملكه وحازه وأخرجه ووضعه في البركة، فإنه يجوز بيعه؛ لأنه صار ملكاً له بالحيازة»

٢- أخرجه أبو داود في سننه كتاب البيوع باب من منع الماء (٥/ ٣٤٤/ ٣٤٧٧) وأحمد في المسند (٥/ ٣٦٤) والبيهقي في سننه كتاب إحياء الموات: باب ما لا يجوز إقطاعه من المعادن الظاهرة (٦/ ١٥٠)كلهم من طريق حريز بن عثمان ثنا أبو خداش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن ماجه في سننه كتاب الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (٣/ ٥٢٨/ ٢٤٧٣) ولفظه:(: «ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ وَالْكَلَأُ وَالنَّارُ) وعن ابن عباس عند ابن ماجه في سننه كتاب الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (٣/ ٥٢٨/ ٢٤٧٢) والطبراني في «الكبير» (١١/ / ١١١٠٥)، وابن عدي في «الكامل»(٤/ ١٥٢٥) والمزي في ترجمة عبد الله بن خراش (١٤/ ٤٥٥)ولفظه:(الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلَأِ وَالنَّارِ، وَثَمَنُهُ حَرَامٌ) والحديث صحيح قال الألباني في الإرواء(٦/ ٨):(السنَد صحيحٌ، ولا يضره أن صاحبيه لم يسم، لأن الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب تحريم بيع فضل الماء الذي يكون بالفلاة (٣/ ١١٩٧/ ١٥٦٥) من طريق ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
وفي حاشية السندي على سنن النسائي (٧/ ٣٠٧) (غالب العلماء على أن الماء إذا أحرزه انسان في انائه وملكه يجوز بيعه، وحملوا الحديث على ماء السماء، والعيون، والأنهار التي لا مالك لها)

٤- (أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المساقاة باب إثم من منع ابن السبيل الماء (٣/ ١١٠/ ٢٣٥٨) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم(١/ ١٠٣/ ١٠٨) كلاهما من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن هنا نستخلص أن النبي ﷺ -من خلال مجموع الأحاديث الشريفة- قد رسم خطوطًا عريضة وأساسية في المحافظة على الماء، وكأنها تفتح الآفاق أمام أهل الاختصاص للبحث والدراسة عن الطرق القويمة في حفظ الماء.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في النهي عن الإسراف في الماء

أدرك النبي ﷺ أن من أكبر المخاطر التي تهدد البيئة هو الاستهلاك الزائد عن الحاجة، ولأن الوسطية قيمة من القيم العظيمة التي تميز بها ديننا الإسلامي الحنيف فقد طبقها ﷺ حتى في التعامل مع مكتسبات البيئة، فنادى بالاعتدال في ذلك، بل وأدرك ﷺ الخطر المحدق المترتب على استنزاف الموارد البيئية التي من أهمها الماء، الذي به قوام الحياة، فاتخذ ﷺ منهجًا فريدًا في التخطيط للقضاء على ظاهرة السرف.

كان منهج النبي ﷺ قائمًا على القاعدة الربانية العظيمة ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] وكان هدفه الأسمى الحد من الآثار السلبية للهدر المائي؛ لذلك أوجد ﷺ سياسات استراتيجية جديدة تنبع من الإيمان بأن الإنسان كما أنه مُسْتَعْمِر للأرض فهو مستأمن عليها بكل ما فيها من مقومات الحياة، وأن التوازن قيمة إسلامية عالية لا بد من تطبيقها في مناحي الحياة كافة.

إن خفض هدر المياه وتجنب الإسراف فيها يعدان من أهم مقومات التخطيط الاستراتيجي لإدارة الموارد المائية، وقد سعى ﷺ لتوعية أصحابه بضرورة تغيير الممارسات السيئة في استخدام الماء بعدة طرق، فعَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن الْعَاص -رضي الله عنهما- (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِسَعْد وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: (مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟) قَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ)[1].

١- أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب أبواب الطهارة وسننها باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (١ / ٢٧٢ / ٤٢٥) وكذلك أحمد في المسند (١١ / ٦٣٧ / ٧٠٦٦) كلاهما من طريق قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن حيي بن عبد الله المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو.=

فالنبي ﷺ من خلال الإرشاد الموجه لسعد -رضي الله عنه- وبأسلوب تعجبي، أراد أن يسن تشريعًا تنظيميًا يهدف لحماية الموارد المائية، بل إن في قوله (وإن كنت على نهر جارٍ) إشارة إلى أن تقليل الهدر مأمور به حتى لو تحقق الاكتفاء الذاتي من الموارد المائية، فهو ليس مقتصرا على الأماكن ذات الموارد المائية الشحيحة.

ولعل أخطر ما تعاني منه البيئة اليوم هو ظاهرة الإسراف في الماء؛ مما يؤثر سلبًا على كافة الخطط الاستراتيجية، وربما أدى إلى عدم ضمان توفير الماء للأجيال القادمة.

فالنبي ﷺ يؤسس لإجراء وقائي من شح الموارد المائية، لذلك حرص ﷺ في مناسبات شتى على التوعية بعدم الإسراف في الماء، ووضع استراتيجيات دقيقة تضمن عدم التجاوز في استهلاك الماء، ويجعل الفرد مسؤولا عن تنظيم استهلاك الماء، فقد قال ﷺ:(إنَّه سيكونُ في هذه الأمَّةِ قومٌ يَعتَدونَ في الطُّهور والدُّعاء)[1] بيانًا وتوعيةً بخطورة هذا الأمر، بل إنه ﷺ قرنه بالاعتداء في الدعاء؛ هو قول له شأن عظيم في تنفير النفوس منه، لا سيما إذا علمنا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

= والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٢) وقال: رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح) وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦ / ٤٨١): (إسناده صحيح)، وكان الشيخ الألباني رحمه الله قد ضعفه في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١ / ١٧١) ثم حسنه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٨٦١)

١- أخرجه أبوداود في سننه كتاب الطهارة باب الإسراف في الماء (١ / ٧١/ ٩٦) وابن ماجه في سننه كتاب أبواب الدعاء باب كراهية الاعتداء في الدعاء (٥ / ٣٢/ ٣٨٦٤) وأحمد في المسند (٢٧ / ٣٥٦/ ١٦٨٠١)، وابن حبان في صحيحه (١٥ / ١٦٦ / ٦٧٦٤) عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نعامة، عن ابن مغفل. وأبو نعامة -واسمه قيس بن عباية الحنفي- لم يسمع من ابن مغفل. ورواه أيضاً ابن حبان (١٥ / ١٦٦ / ٦٧٦٣) عن الجريري، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن ابن مغفل، قَالَ أَبُو حَاتِم رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ الْجَرِيْرِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، وَأَبِي نَعَامَةَ، فَالطَّرِيقَانِ جَمِيعًا مَحْفُوظَانِ) والحديث صححه النووي في المجموع (٢/ ١٩٠) وابن حجر في التلخيص (٢ / ١٩١) وكذلك الألباني في صحيح سنن أبي داود (١ / ١٦٣ / ٨٦)

ومن أبعاد خطة الرسول ﷺ في النهي عن الإسراف في الماء أن رسم -بدقة- حدود استهلاك الفرد للشرب، فعَنْ مقْدَام بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِه وَثُلُثٌ لِشَرَابِه وَثُلُثٌ لِنَفَسِه)[1]. وروي عنه أيضًا أنه ﷺ قال:(كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ)[2].

فالضابط الرئيسي الذي جعله النبي ﷺ لاستهلاك الفرد؛ ألا يتجاوز الحدود المعتدلة في الاستهلاك، ويقاس على ذلك الاستهلاك في جميع مجالات الحياة؛ كالزراعة، والصناعة، والاستخدامات المنزلية وغيرها.

إن من أهم التحديات التي تواجهنا اليوم سوء الاستخدام للموارد المائية، لا سيما مع غياب التخطيط السليم لإدارة استخدامها وفق أطر اقتصادية دقيقة تضمن عدم تجاوز الاستهلاك، وهو الذي نبّه إليه النبي الكريم قبل عدة قرون؛ حيث كان ﷺ يعدل السلوكيات الخاطئة في التعامل مع الماء التي تؤثر على المدى القريب والبعيد بكل تفاصيلها؛ مما يحتم الإفادة من هذه التنبهات في استشراف مستقبل استدامة الموارد المائية. وربما أدّى غياب التخطيط الدقيق للاقتصاد في استهلاك الماء في بعض الأنظمة إلى أزمة كبيرة في الموارد المائية.

١- أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (١ / ١٨٩٠ / ٢٣٨٠)و النسائي في سننه الكبير كتاب الوليمة آداب الأكل باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل (٦ / ٢٦٨ / ٦٧٣٧) و أخرجه أحمد في المسند (٢٨ / ٤٢٢ / ١٧١٨٦) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٢٧٢ / ٦٤٤) والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٣١ / ٧٩٤٥) بطرق عن يحيى بن جابر الطائي عن المقدام، و الحديث صححه الترمذي وابن حبان (٢ / ٤٤٩ / ٦٧٤) والحاكم، وقال البغوي:(هذا حديث حسن) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٣٣٦).

٢- أخرجه النسائي في سننه كتاب الزكاة باب الاختيال في الصدقة (٥ / ٧٩ / ٢٥٥٩) وابن ماجه في سننه كتاب أبواب اللباس باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (٤ / ٦٠٠ / ٣٦٠٥) وأخرجه أحمد في المسند (١١ / ٢٩٤ / ٦٦٩٥) من طريق همّام بن يحيى عن قتادة به. وإسناده حسنٌ، وقال المنذري في «الترغيب»(عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ) (٣ / ١٤٢): «ورواته إلى عمرو محتجٌّ بهم في الصحيح».

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في تقنين الماء في العبادات[1]

لقد كانت نظرة النبي ﷺ للأزمة المائية نظرة شاملة ثاقبة؛ لذلك حينما رسم ﷺ خطة المحافظة على الموارد المائية لم يغفل معالجة العقبات التي ربما تكون عائقًا في تطبيق خطته. ومن تلك العقبات السلوكيات غير المقننة التي ربما أدت إلى الهدر الزائد للماء، ومن ثم تولى ﷺ تطبيق مبدأ قانون حفظ الماء في كافة أموره، حتى ولو كان في مجال العبادات، حتى لا تتخذ حجة لكسر قواعده في النهي عن الإسراف في الماء، بحجة (أفي العبادة سرف)؛ لذلك نقل لنا الصحابة -رضي الله عنهم- جوانب من سلوكياته ﷺ في العبادة تبين حرصه على تحديد مقدار الماء المستخدم في الوضوء كمًا وكيفًا.

فعثمان بنَ عفَّان-رضي الله عنه- توضَّأ فأفرَغَ على يَدَيه ثلاثاً فَغَسَلَهما، ثمَّ تَمضمَضَ واستَنثرَ، وغسلَ وجهَهُ ثلاثاً، وغسلَ يَدَهُ اليُمنى إلى المِرفَقِ ثلاثاً، ثمَّ اليُسرى مثلَ ذلك، ثمَّ مسحَ رأسَه، ثمَّ غسلَ قَدمَه اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى مِثل ذلك، ثم قال: (رأيت رسولَ الله - ﷺ - توضَّأ مثلَ وضوئي هذا، ثم قال: (مَن تَوضَّأ مِثلَ وضوئي هذا ثمَّ صلَّى رَكعتَين لا يُحدِّثُ فيهما نفسَه، غفرَ الله ما تَقَدَّمَ من ذَنبِه))[2] لقد استطاع عثمان -رضي الله عنه- في هذا الحديث رسم صورة نموذجية لصفة وضوء النبي ﷺ، برز من خلالها ما يدعوا إليه ﷺ من عدم الإسراف في الماء من غير إخلال بالعبادة. ولعل في التركيز على الثلاث غسلات بيان الحد الأعلى الذي لا يجب تجاوزه في الطهارة؛ ولذا ذكر بعض العلماء أن إسباغ الوضوء قد يكون فرضًا، وهو استيعاب المحل مرة، وسنة وهو الغسل ثلاثًا، ومستحب وهو الإطالة مع التثليث.[3]، ولقد حرص عثمان -رضي الله عنه

١- ربما كان هذا المبحث استكمالا للمبحث السابق ولكن لأهميته أردت أن أفرده في مبحث خاص.
٢- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب الوضوء ثلاثا ثلاثا (١ / ٤٣ / ١٥٩) ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب صفة الوضوء وكماله (١ / ٢٠٤ / ٢٢٦) بطرق عن عثمان.
٣- العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (١ / ١٧١).

-على الدقة في تمثيل الوضوء النموذجي له ﷺ؛ رغبة منه رضي الله عنه في توعية كافة أفراد المجتمع بأهمية قطرات الماء، وضرورة المحافظة عليها.

وحتى نتصور الدقة في تقنين استعمال الماء في هذه العبادة العظيمة، نراه لا يكتفي ﷺ بتقنين عدد مرات الغسل لكل عضو، بل قنن كمية الماء المستعملة في الطهارة، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ)[1] وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنْ جَنَابَةٍ صَبَّ عَلَى رَأْسِه ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مِنْ مَاءٍ «فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ: إِنَّ شَعْرِي كَثِيرٌ. قَالَ جَابِرٌ فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي «كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِكَ وَأَطْيَبَ»[2].

إن براعة النبي ﷺ في تقنين كمية الماء المستعملة في الطهارة ساهمت في الحد من التجاوزات التي قد تقع في استعمال الماء للعبادة؛ وربّما ارتبطت بقناعات فكرية، وأن هذا ما يقتضيه إسباغ الطهارة.

إن وضع معايير دقيقة في استخدام الماء وتقنينه في مجال العبادات، يعد حافزًا عظيمًا لتقنين استعمال الماء في جميع المجالات. كما أن التقنين الدقيق كفيل بسد العجز المائي في مختلف البيئات، لا سيما مع وجود بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي لاستنزاف الموارد المائية التي غالبًا ما يسودها الفهم الخاطئ وتدني مستوى الثقافة، مما يتطلب تدخلاً من الجهات العليا بوضع معايير صارمة، وسن قوانين وتشريعات تحدد كميات المياه، وفق خطة محكمة مستمدة من سنته ﷺ، فمثلًا جرت بين يدي النبي ﷺ واقعة حكم فيها بنفسه، وقد رواها عروة ابن

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب الوضوء بالمد (١ / ٥١ / ٢٠١) و مسلم في صحيحه كتاب الحيض باب قدر ماء الوضوء والغسل (١ / ٢٥٨ / ٣٢٥) و(الصاع): كيل يسع أربعة أمداد، و (المد) إناء مكعب طوله ٩. ٢ سم تقريبا.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحيض باب استحباب إفاضة الماء على الرأس وغيره ثلاثا (١ / ٢٥٩ / ٣٢٩).

الزبير، هي: (أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير في شراج من الحرة يسقي بها النخل، فقال رسول الله ﷺ: «اسق يا زبير، فأمره بالمعروف، ثم أرسل إلى جارك» فقال الأنصاري: أإن كان ابن عمتك. فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسق، ثم احبس، يرجع الماء إلى الجدر»، واستوعى له حقه)[1].

وقد فهم الصحابة -رضي الله عنهم- ومن بعدهم فحوى خطابه ﷺ، وبناء عليها قننوا صفة إرسال الماء من الأعلى إلى الأسفل، قال العلماء:(إذا انتهى الماء في الحائط إلى مقدار الكعبين أرسله كله إلى من تحته، ولم يحبس منه شيئًا في حائطه)[2].

قال ابن حجر:(إنهم لما رأوا أن الجدر يختلف بالطول والقصر قاسوا ما وقعت فيه القصة فوجدوه يبلغ الكعبين، فجعلوا ذلك معيارا لاستحقاق الأول)[3].

المبحث الرابع: الأحاديث الواردة في استحداث موارد مائية

إن المنظور الاستراتيجي للأزمة المائية يتطلب مشاركة كافة الجهات المعنية والأفراد للإحساس بالمسؤولية تجاه الموارد المائية، لذلك سعى رسول الله ﷺ لاستدامة موارد المياه من خلال العمل على استحداث موارد مائية بسبل شتى، ونشر الوعي بين الأفراد بأهمية ذلك.

فعَنْ سَعْد بْنِ عُبَادَةَ، أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ فَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَقْيُ الْمَاءِ» قَالَ: (فَتِلْكَ سِقَايَةُ

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المساقاة باب سكر الأنهار (٣/ ١١١ / ٢٣٥٩) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب وجوب اتباعه ﷺ (٤ / ١٨٢٩ / ٢٣٥٧) من طريق الليث، عن ابن شهاب، عن عروة ابن الزبير.

٢- علي بن خلف بن بطال، شرح صحيح البخارى تحقيق: ياسربن إبراهيم، إبراهيم الصبيحي، ط٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م (٦/ ٥٠١).

٣- ابن حجر، فتح الباري (٥ / ٣٩).

آلِ سَعْدٍ بِالْمَدِينَةِ).[١]

لقد أدرك ﷺ أن الموارد المائية من المرتكزات الأساسية للحياة، والاهتمام بها واستحداثها يعد أمرًا حيويًا لاستمرار الحياة، وتطورها في شتى النواحي؛ لذلك جعلها من أفضل ما يتصدق به الإنسان في حياته ويدخره لمماته.

فمن خلال سؤال سعد (أي الصدقة أفضل) يتبين أنه كان متطلعًا ليتصدق بما يعود بالحد الأعلى من النفع العميم على لمجتمع، فأشار عليه النبي ﷺ بما يحقق مراده وهو (الصدقة بالماء)، فكان من نواتج ذلك استحداث مورد مائي عظيم (سقاية آل سعد).

لقد استطاع ﷺ أن يجعل الجميع يدرك قيمة الثروة المائية، ومن ثم المساهمة الإيجابية في تخفيف الأزمة المائية، فقد اشتدت حاجة المسلمين للماء، فأشعل ﷺ في نفوسهم الحماس لشراء بئر رومة، فاستجاب عثمان -رضي الله عنه- كما في الرواية عنه ﷺ أنه قال: (من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين)[٢].

١- أخرجه أبو داود في سننه كتاب الزكاة باب في فضل سقي الماء (٣ / ١٠٨ / ١٦٧٩) والنسائي في سننه كتاب الوصايا فضل الصدقة عن الميت (٦ / ٢٥٤ / ٣٦٦٤) وابن ماجه في سننه كتاب الأدب باب فضل صدقة الماء (٤ / ٦٤٣ / ٣٦٨٤) بطرق عن قتادةَ، عن سعيد بن المسيب، وأخرجه أبو داود برقم (١٦٨٠) من طريق عن شُعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب والحَسن عن سعد بن عبادة. وأخرجه النسائي في سننه كتاب الوصايا باب فضل الصدقة عن الميت (٦ / ٢٥٥ / ٣٦٦٦) من طريق شعبة، عن قتادة، عن الحسن وحده، عن سعد بن عبادة. وهو في «مسند أحمد» (٣٧ / ١٢٤ / ٢٢٤٥٩) والحديث حسن والله أعلم، وقد قبل العلماء مراسيل سعيد بن المسيب.

٢- أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب باب في مناقب عثمان بن عفان (٦ / ٦٨ / ٣٧٠٣) من طريق يحيى ابن أبي الحجاج المنقري، عن أبي مسعود الجريري، عن ثمامة بن حزن القشيري، وفي سنده يحيى وهو لين الحديث إلا أنه لم ينفرد به فقد تابعه هلال بن أبي الحق كما عند أحمد في المسند (١ / ٥٥٨ / ٥٥٥) قال الترمذي:(هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن عثمان.)
والحديث علقه البخاري بصيغة الجزم في صحيحه كتاب المساقاة باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم.

فاشتراها عثمان رضي الله عنه[1] استشعارا للمسؤولية المجتمعية حين يشتري البئر ويجعله موردًا للمسلمين في وقت شدة حاجتهم للماء[2].

لقد كانت استراتيجية النبي ﷺ في تنمية الموارد المائية قائمة على اقتراح الحلول المناسبة، التي من شأنها تخفيف الآثار السلبية للأزمة المائية، وكان من ضمن هذه الحلول المساهمة في استحداث موارد مائية جديدة من خلال قنوات شتى؛ كحفر الآبار، أو إعادة إعمارها، أو وقف الموارد المائية.

لقد أدرك ﷺ أن استدامة الموارد المائية لم تكن لتحدث إلا بتكاتف الجهود المبذولة على كافة المستويات، بل لقد استوعبت استراتيجيته ﷺ حتى المسائل البسيطة في الشعور بالمسؤولية في بذل الماء، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (تَبَسُّمكَ في وَجْه أخيكَ صَدَقَةٌ لَكَ، وَأَمْرُكَ بالْمَعْرُوف وَنَهْيُكَ عَن الْمُنْكَر صَدَقَة، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ في أَرْض الضَّلالَة لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَة)[3] وعن أبي

١- أخرجه البخاري تعليقا في صحيحه كتاب المساقاة باب الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم صحيح البخاري (٣/ ١٠٩) بلفظه وأخرجه في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين (٤/ ١٣/ ٢٧٧٨).

٢- مما يستحسن التنبيه له هنا ما ورد في المفصل في تاريخ العرب (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)(٩/ ٧٦) و(١٣/ ١٨٢):(تذكر بعض المصادر أن البئر كمصدر للماء قد تكون بئرًا عادية، وهي البئر القديمة التي لا يعلم لها حافر ولا مالك، وقد تكون بئرًا يعرف صاحبها وحافرها ومالكها. وقد كان الجاهليون يحفرون الآبار لأنفسهم للاستقاء منها وللزرع بمائها، كما كانوا يبيعون ماءها لغيرهم. وقد كانت لليهود آبار بالحجاز حصلوا منها على أموال بسبب بيع مائها للمحتاج إليه... وقد وصلت إلينا نصوص عديدة في حفر آبار أو في شرائها وبيعها، وفي تعميرها، وإصلاحها. وهي ثروة ورأس مال كبير في جزيرة العرب، تحيي الأرض وتميتها، وتفني الناس وتميتهم، ولذلك كانوا إذا حفروا بئرًا أو إذا ظهرت لهم مياه عذبة غزيرة، يقدمون إلى آلهتهم الشكر والحمد والنذور. وقد أقامت الآبار الكبيرة العميقة العذبة مدنًا. وأماتت مدنًا بسبب نضوب مياهها وجفافها، وهي على هذه الأهمية الخطيرة إلى الآن).

٣- أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في صنائع المعروف (٤/ ٣٣٩/ ١٩٥٦) و ابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٨٦/ ٥٢٩) والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ١١٦) من طريق عكرمة بن عمار. قال: حدثنا أبو زميل، عن مالك بن مرثد، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأبو زميل اسمه سماك بن الوليد الحنفي، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٥٦) والذي يظهر من دراسة إسناده أنه حديث حسن.

تميمة الهجيمي -رحمه الله- عن رجل أنه سأل النبي ﷺ عن المعروف فقال:(لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي..).[١]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-أن النبي ﷺ قال: (بينما رجل في طريق فاشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: (في كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجرٌ)[٢].

إن الشعور بأهمية بذل الماء بين الأفراد، والحرص على بذله من أهم العوامل المؤثرة في تحقيق استدامة موارد المياه، ومن يقلب صفحات التاريخ يجد أثر هذا الوعي في وجود كثير من المبادرات التي أسهمت في معالجة الأزمات المائية ابتداء ببئر رومة،[٣] وعين زبيدة، والأوقاف والمشاريع الخيرية التي لا تنتهي في سقيا الماء.

لقد عزز النبي ﷺ أهمية بذل الماء، والتبرع به، ليس باعتباره أساس حياة الكائن الحي فحسب، بل أيضا باعتباره قوة أساسية للأمن السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، ولو نظرنا إلى استراتيجيات اختياره للموقع في غزواته لأدركنا عمق تأثير امتلاك الموارد المائية في قوة الأمم والشعوب.

١- أخرجه النسائي في سننه الكبير كتاب الزينة باب موضع الإزار (٨/ ٤٣١/ ٩٦١١) و أحمد في مسنده (٢٥/ ٣٠٩/ ١٥٩٥٥) يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ عُبَيْدَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ الْهُجَيْمِيِّ بهذا اللفظ. وله طرق وألفاظ مختصرة ومطولة غيره، وإسناده صحيح. والصحابي الذي أبهم اسمه: هو أبو جُرَي جابر بن سليم، ويقال: سليم بن جابر. وذكر أبو حاتم الرازي في «العلل» ٢/ ٣٢٥ أن عبد الوارث سمى صحابيه جابر بن سليم.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المساقاة باب فضل سقي الماء (٣/ ١١١/ ٢٣٦٣) ومسلم في صحيحه كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (٤/ ١٧٦١/ ٢٢٤٤) كلاهما عن مالك بن أنس عن سمي، مولى أبي بكر، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣- التي اشتراها عثمان رضي الله عنه كما سبق بينا ذلك.

المبحث الخامس: أثر تطبيق استراتيجية النبي ﷺ في تحقيق استدامة موارد المياه.

إن القراءات الدقيقة في التقارير التي تصدرها المنظمات الدولية المعنية بالبيئة تؤكد أن من أخطر التهديدات التي تواجه العالم اليوم هو فقدان الأمن المائي والغذائي، بل أصبحت أزمة المياه من أشد الأزمات تعقيدًا، ومن أهم الأمور التي باتت تهدد الأمن والاستقرار لكل إقليم جغرافي.

مما يحتم علينا النظر في أحدث السبل والاستراتيجيات والإفادة منها في تقييم الواقع، ومعالجة مشاكل الندرة، بل وإعادة استقراء التاريخ واتخاذ أفضل ما يمكن أن يحقق استدامة موارد المياه؛ للوصول إلى الأمن المائي.

إن الواقع المعاصر للأزمة المائية يحتم علينا أن نفيد من حكمته ﷺ في مواجهة الأزمات المائية التي واجهت المسلمين في صدر الإسلام لنستلهم منها الخطط والدروس التي تعجز عنها كبرى المنظمات البيئية وهيئاتها.

إن السياسة النبوية في إدارة الموارد المائية استطاعت أن تتغلب على أزمات مائية شكلت خطرًا هدد حياة المسلمين في بيئة شحيحة بالموارد المائية، لذلك فهي جديرة بالتطبيق على نطاق واسع، لا سيما مع توفر الإمكانات المتاحة واستخدام التقنيات والتكنولوجيا الحديثة.

لم تعتمد سياسة النبي ﷺ على مجرد توفير المياه، بل كانت منظومة متكاملة في إدارة المياه، وشملت جوانب اقتصادية، واجتماعية، وصناعية وغيرها.

فمن الناحية الاقتصادية نجد أن النبي ﷺ قد نهى عن الإسراف في الماء، أو تلويثه، وهنا تبرز القيمة الاقتصادية التي تخوّل للمنظمات المعنية بالمياه فرض الغرامات المالية على من يسرف فيها أو يلوثها، والتعامل مع المياه على أنها سلعة

اقتصادية يجب المحافظة عليها، ويجري عليها ما يجري على السلع الأخرى.

وأما من الناحية الاجتماعية، فقد كانت استراتيجية النبي ﷺ -كما أسلفنا- قائمة على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية في توفير الماء، والحفاظ عليه، واستحداث موارد للمياه، وهي فرصة كبيرة لتبني زيادة الوعي للشعور بالمسؤولية المائية في مختلف المجتمعات، والحث على الصدقة بالماء، وتبني الأوقاف التي تدعم هذه المسؤولية.

أما من الناحية السياسية فلا شك أن الموارد المائية تؤثر بشكل كبير في استقرار الدول، وقد كانت سياسات النبي ﷺ تركز على أحقية الجميع للماء، فالناس شركاء فيه؛ مما يحتم إدارة هذه الموارد إدارة دقيقة تضمن مراعاة هذه الشراكة، وتوظيفها فيما يخدم الصالح العام.

أما من الناحية الصناعية، فعندما نجد أن الرسول ﷺ قد قنن استخدام الماء في أفضل وأعظم ما يتقرب به إليه من العبادات، فحري بالمنظمات والهيئات أن تقنن استخدام الماء في الميدان الصناعي، وأن تستفاد من التكنولوجيا الحديثة في إعادة استخدام المياه، وتدويرها، والإفادة منها.

إن الكنوز النبوية التي أودعت في كتب الحديث والتي تتعلق بالماء جديرة بالبحث والاهتمام، والتطبيق على أرض الواقع، وجعلها أصولا لإدارة الموارد المائية، وبإذن الله سوف يسهم الرجوع الحقيقي للسنة النبوية الصحيحة في معالجة الأزمات المائية المحلية والعالمية.

الخاتمة

الحمد لله حمدًا حمدًا، والشكر له شكرا شكرا، الحمد لله على أن يسر وأعان على كتابة هذا البحث وأسأله القبول والسداد.

وفي خاتمة هذا البحث الذي تناول استراتيجية النبي ﷺ في استدامة موارد المياه، والذي استعرضنا فيه الأحاديث النبوية التي بينت سياسته ﷺ في التعامل مع الماء كعنصر مهم من عناصر البيئة.

ومن أهم النتائج التي توصلنا لها في هذا البحث:

- أن النبي ﷺ قد وضع استراتيجيات واضحة للتعامل مع الأزمة المائية.
- أن سياسات النبي ﷺ في حفظ الماء واقعية وشاملة وسهلة التطبيق.
- أن تطبيق استراتيجية النبي ﷺ في تنمية الموارد المائية والمحافظة عليها كفيل بالقضاء على الأزمة المائية العالمية.

وأما التوصيات، فنوصي في ختام هذا البحث بما يلي:

- الإفادة من الأحاديث النبوية في الدراسات الحديثة لمعالجة الأزمة المائية.
- ضرورة زيادة الوعي بأهمية التعامل مع الماء على أنه من أهم عناصر البيئة، وأنه معرض للفقد.
- أن يتبنى المختصون وضع استراتيجية متكاملة في التعامل مع الأزمة المائية معتمدة على الكتاب والسنة.

هذا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبير، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ه / ٢٠٠٣م.
- أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، بيروت، دار الفكر، ط١١٤٠، ٤هـ / ١٩٨٤م.
- أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف د. عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي (الصغير)، تعليق: محمد الألباني، اعتنى به: مشهور ال سلمان، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ.
- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي (الكبير)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١ه / ٢٠٠١م.
- أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٩٨م.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، تعليق: عبد العزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة ط١، ، ١٣٩٧هـ.
- أحمد عمر القرطبي، المفهمة لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ، ١٤١٧ه / ١٩٩٧م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر معجم اللغة العربية المعاصر، بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- جلال الدين السيوطي شرح سنن النسائي، وحاشية الإمام السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ومعه معالم السنن للخطابي، تعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: سهيل زكرا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ط٣، ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله الدرويش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- علي بن خلف بن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، إبراهيم الصبيحي، الرياض، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- علي بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- مجد الدين المبارك بن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، إشراف: علي ابن الحسين الأثري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ط١، ١٤٢١هـ.
- محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، (د.ت).

- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة – مصر (د: ت).
- محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دمشق، دار الرسالة العالمية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- محمد ناصرالدين الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.
- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ.
- ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض (د.ت).
- يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب، تحقيق: محمد نجيب المطيعين، جدة، مكتبة الإرشاد، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠ / ١٩٨٠م.

References:

- Ahmed bin Al-Hussein Al-Beihai, Al-Sunan Al-Kabeer, verified by: Abdel Qader Atta, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 3rd edition, 1424 AH/2003 AD.
- Ahmed bin Al-Hussein Al-Bayhaqi, People of Faith, verified by: Abdul-Ali Abdul-Hamid Hamid, Al-Rushd Library for Publishing and Distribution in Riyadh in cooperation with the Salafi House in Bombay, India, 1st edition, 1423 AH/2003 AD.
- Ahmed bin Hajar Al-Asqalani, Tahdheeb Al-Tahdheeb, Beirut, Dar Al-Fikr, 4th edition-1140 AH/1984 AD.
- Ahmed bin Hanbal Al-Shaibani, Musnad Al-Imam Ahmed, verified by: Shuaib Al-Arnaout and others, supervised by Dr. Abdullah Al-Turki, Beirut, Al-Resala Foundation, 1st edition, 1421 AH _ 2001 AD.
- Ahmed bin Shuaib Al-Nasa'i, Sunan Al-Nasa'i (Al-Saghir), commented by: Muhammad Al-Albani, putted in consideration by: Mashhour Al Salman, Riyadh, Al-Maaref Library for Publishing and Distribution, 1st edition, 1417 AH.
- Ahmed bin Shuaib Al-Nasa'i, Sunan Al-Nasa'i (The Great), verified by: Hassan Abdel Moneim Shalabi, Supervision: Shuaib Al-Arnaout, Beirut, Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, 1st edition, 1421 AH/2001 AD.
- Ahmed bin Abdullah Abu Naim Al-Asbahani, The Ornament of the Guardians and the Classes of the Righteous, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1409 AH/1998 AD.
- Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani, Fath Al-Bari, commented by: Abdul Aziz bin Baz, Beirut, Dar Al-Maarifa, 1st edition, 1397 AH.
- Ahmed Omar Al-Qurtubi, the Understanding of what is confused from summarizing the book of Muslim, Verified by: Muhyi Al-Din Deeb and others, Dar Ibn Katheer, Dar Al-Kalim Al-Tayyib, Damascus, Beirut, 1st edition, 1417AH/1997AD.
- Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar, Contemporary Arabic Dictionary, Beirut, World of Books, 1429 AH/2008 AD.
- Jalal al-Din Al-Suyuti, Sharh Sunan al-Nasa'i, and the footnote of Imam Al-Sindi, verified by: The Office of Islamic Heritage Investigation, Dar Al-Maarifa, Beirut, (D.T).
- Jawad Ali, Detailed in the History of the Arabs Before Islam, Dar Al-Saqi for Publishing and Distribution, 4th edition, 1422 AH/2001 AD.

- Suleiman bin Al-Ash'ath Al-Sijistani, Sunan Abi Dawood, and the parameters of the Sunan by Al-Khattabi, commented by: Izzat Obaid Al-Daas and Adel Al-Sayed, Ibn Hazm House for Printing, Publishing and Distribution, 1st edition, 1418 AH/1997 AD.
- Abd al-Azim ibn Abd Al-Qawi al-Mundhiri, «Targheeb wa'l-Tarheeb», Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1417 AH.
- Abdullah bin Uday, Al-Kamel in weak men, verified by: Suhail Zakkar, Dar al-Fikr for printing and publishing, Beirut, 3rd edition, 1409 AH/1988 AD.
- Ali bin Abi Bakr Al-Haythami, Majma' Al-Zawa'id and the Source of Benefits, verified by: Abdullah Al-Darwish, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1414 AH/1994 AD.
- Ali bin Khalaf bin Battal, Explanation of Sahih Al-Bukhari, verified by: Yasirbin Ibrahim, Ibrahim Al-Subaihi, Riyadh, Al-Rushd Library, 2nd edition, 1423 AH/2003 AD.
- Ali bin Omar Al-Daraqutni, Sunan Al-Daraqutni, verified by: Shuaib Al-Arnaout and others, Beirut, Al-Resala Foundation for Publishing and Distribution, 1st edition, 1424 AH/2004 AD.
- Iyad bin Musa al-Yahsabi, Ikmal of the teacher with the benefits of a Muslim, verified by: Yahya Ismail, Mansoura, Dar al-Wafaa for Printing and Publishing, 2nd edition, 1425 AH/2004 AD.
- Majd Al-Din Al-Mubarak Bin Al-Atheer Al-Jazari, The End in Gharib Al-Hadith and Al-Athar, supervised by: Ali Bin Al-Hussein Al-Athari, Dar Ibn Al-Jawzi for Publishing and Distribution, Dammam, 1st edition, 1421 AH.
- Muhammad bin Ahmed Al-Dhahabi, The Life of the Nobles' Flags, Al-Dhahabi, verified by: Bashar Awad, Beirut, Al-Resala Foundation, 1st edition, 1417 AH/1996 AD.
- Muhammad bin Ahmed Al-Harawi, Language Refinement, verified by: Muhammad Awad Mereb, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1st edition, 2001 AD.
- Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Morocco in the arrangement of the Arabized, Dar Al-Kitab Al-Arabi, (T.D).
- Muhammad bin Issa bin Surat Al-Tirmidhi, Sunan Al-Tirmidhi, verified and explained by: Ahmed Shaker, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press, 2nd Edition, 1388 AH/1968 AD.

- Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur, Lisan al-Arab, verified by: Abdullah Ali al-Kabir + Muhammad Ahmad Hasb Allah + Hashem Muhammad al-Shazly, Dar al-Maaref, Cairo - Egypt (T:D)
- Muhammad bin Yazid bin Majah Al-Qazwini, Sunan Ibn Majah, verified by: Shuaib Al-Arnaout and others, Damascus, Dar Al-Resala Al-Alameya for Publishing and Distribution, 1st edition, 1430 AH/2009 AD.
- Muhammad Shams al-Haqq al-Azeem Abadi, Awn al-Mabood, Sharh Sunan Abi Dawood, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2nd edition, 1415 AH.
- Muhammad Nasir Al-Din al-Albani, Sahih and Dae›f Sunan Abi Dawood, Ghirass Publishing and Distribution Establishment, Kuwait, 1st edition, 1423 AH/2002 AD.
- Complex of the Arabic Language, Al Mujam Al Waseet, 4th edition, Al Shorouk International Library, 1425 A.H./2004 A.D.
- Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri, Sahih Muslim, verified by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Beirut, Arab Heritage Revival House, 1st edition, 1417 AH.
- Nasir Al-Din al-Albani, Irwa Al-Ghalil in the explanation of the hadiths of Manar Al-Sabil, supervised by: Muhammad Zuhair al-Shawish, The Islamic Bureau, Beirut, 1st edition, 139AH/1979AD.
- Nasser Al-Din Al-Albani, Al-Silsilah Al-Sahihah and some of its jurisprudence and benefits, Knowledge Library for Publishing and Distribution, Riyadh (T.D.).
- Yahya bin Sharaf Al-Nawawi, Al-Majmoo' explanation of Al-Muhadhab, verified by: Muhammad Najib Al-Mutai'i, Jeddah, Al-Irshad Library, Al-Resala Foundation for Publishing and Distribution, 1421 AH - 2001 AD.
- Youssef bin Al-Zaki Abdul Rahman Abu Al-Hajjaj Al-Mazi, Tahdheeb Al-Kamal, verified by: Dr. Bashar Awwad Maarouf, Al-Resala Foundation, Beirut, 1st edition, 1400/1980 AD.

الدمية الصناعية الجنسية
ومخاطرها المحتملة
(دراسة فقهية مقارنة)

The Sex Prosthetic Doll and its Potential Risks
(A comparative jurisprudence study)

د. فاطمة جابر السيد يوسف

مدرس الفقه المقارن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف

Dr. Fatma gaber el sayed yosief

Comparative Jurisprudence Teacher at the Faculty
of Islamic and Arab Studies - Beni Sweif Girls

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.06

تاريخ تسلم البحث 2021/2/7 - وصدر خطاب القبول 2021/11/16

ملخص البحث

قامت الدراسة حول «الدمية الصناعية الجنسية ومخاطرها المحتملة» على دراسة فقهية مقارنة. وهي تهدف إلى إيضاح المخاطر المحتملة التي تسببها هذه التكنولوجيا، وبيان التبعات النفسية والاجتماعية لها، وإظهار سعة الفقه الإسلامي وقدرته على معالجة جميع القضايا، وتوضيح هذه الظاهرة وبيان موقف الشرع منها، ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وما بدا لي من قيمة علمية له، وما بدا لي من أنّ هذه الآلة أصبحت تتنافس مع البشر في حياتهم الزوجية، فقد سلكت في كتابة هذا البحث جملة من المناج منها المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي، والاستنباطي، وتناولت هذه الدراسة تعريف الدمية الصناعية الجنسية، ونشأتها، وتطور صناعتها، والغرض منها، وأسباب انتشارها، ومخاطر استخدامها، وحكم استيرادها وبيعها وممارسة الجنس معها، وانتهت الدراسة بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث ومن أهمها حرمة استيراد الدمى والتجارة بها ومعاشرتها، وأن أي استمتاع جنسي بغير الاتصال المشروع بين الزوجين محرم شرعاً. ومن أهم التوصيات وجوب حرص التجار على استيراد النافع والمفيد، وقد ختمت البحث بفهرس لإحصاء أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها، وفهرس لجميع الموضوعات التي تناولها البحث.

الكلمات المفتاحية (دمية- صناعية - جنسية - مخاطر) والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

Abstract

The study on (the sex prosthetic doll and its potential risks) carried out a comparative jurisprudential study.

Which aims to clarify the potential risks caused by this technology, to explain the psychological and social consequences of it, to show the breadth of Islamic jurisprudence and its ability to address all issues, to clarify this phenomenon and to clarify the position of Sharia regarding it, given the importance of this topic, and what seemed to me of the scientific value of it, because this The machine has become competing with humans in their marital life. In writing this research, I followed the inductive, descriptive, analytical, and deductive approach. This study dealt with the definition of the artificial sex doll, its origin, the development of its manufacture, its purpose, the reasons for its spread, the risks of its use, the ruling on importing and selling it and practicing sex. The study ended with a conclusion that included the most important results reached during the research, the most important of which is the prohibition of importing dolls, trading with them and having sexual relations with them, and that any sexual enjoyment without legitimate contact between the spouses is forbidden according to Sharia, and the most important recommendations, the most important of which is the necessity of merchants 'keenness to import the beneficial and useful, and an index of the most important The sources and references that were sought, and an index of all the topics covered by the research.

Keywords (puppet - industrial - sexual - risk) The God of the intent behind it is the intention of giving way.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

ففي السنوات الأخيرة، خُلقت موجة جنسية جديدة في أوروبا تتمثل في إقبال أشخاص على اقتناء الدمى الجنسية للمتعة والتسلية، ويجد عدد من الرجال في هذه الدمى بديلاً عن المرأة الحقيقية ويعاملونها كما لو كانت من بني البشر ويقيمون معها علاقات حميمة، حتى أننا بتنا نجد في بعض الدول بيوت دعارة خاصة بالدمى الجنسية، وبعد سنوات من طرح الدمى الجنسية النسائية والتي اشتهرت باسم (العروسة الصينية) طرحت شركة أمريكية دمى صناعية جنسية ذكورية مخصصة للسيدات، تأتي في حجم الرجل العادي، وتظل الدمى الجنسية محل جدل كبير سواء للمدافعين عنها أو المعارضين لاستخدامها، لكنها تظل ظاهرة متوغلة بشكل كبير في مجتمعنا الحالي، خاصة بعد ما أكد العديد من الخبراء قدرتها على التفوق على العلاقات الجنسية البشرية لسهولة التحكم بها.

أهمية الموضوع

يعيش عالمنا اليوم ثورة جنسية طاغية، تجاوزت كل الحدود والقيود والقيم مما جعل القضية تطرح على أنها أبرز إحدى القضايا وأشدها أثراً وخطراً على الكيان البشري، ولا شك أن هذه الثورة التي بدأت طلائعها منذ سنوات كانت حصاد أوضاع وقيم عقائدية وفكرية وأخلاقية معينة، ولم تكن هذه الظاهرة وليدة الصدفة أبداً، وإنما كانت نتيجة واقع، وثمرة شجرة نمت وتغذت من هذا الواقع، وتصحيح هذا الواقع الاجتماعي والأخلاقي لا يتحقق بمجرد استهجان القبيح واستنكاره، وإنما بتقويم المجتمع وبنائه في كافة مرافقه وشؤونه، لذلك رأيت من الأهمية بمكان أن الحاجة داعية لمعرفة الأحكام الفقهية التي تتعلق بهذا الموضوع

والتي تهم كل مسلم يريد أن يوافق شرع الله وما سنه لعباده.

أسباب اختيار الموضوع

- أثار انتباهي عنوان رافق خبراً على أحد المواقع الإلكترونية بسبب العنوسة، وأن النساء يتهافتن على شراء دمى جنسية ذكية لتلبية رغباتهن بدون شريك. وبعد البحث والاطلاع علمت أن هناك دمى بلاستيكية نسائية ورجالية تباع في الأسواق ويستعملها الأفراد لأغراض جنسية فأردت أن أوضح رأي الشرع في هذا العالم الجنسي الجديد.
- مع كل تقنية جديدة تتمثل قائمة طويلة من الإيجابيات والسلبيات ينبغي تفحصها وغير ذلك من التساؤلات التي أردت توضيحها بكتابة هذا البحث.
- إضافة إلى ما سبق بيانه في الأهمية فإن الموضوع لم يفرد - حسب علمي- برسالة علمية أو كتاب أو بحث يعالجه من جميع جوانبه.

تساؤلات البحث

تكمن تساؤلات البحث في حقيقة عرض هذا المنتج فما هي الدمية الصناعية الجنسية ؟ ومتى نشأت ؟ وما المواد التي تصنع منها ؟ وما الغرض من صناعتها ؟ وما أسباب انتشارها ؟ وما مخاطر استخدامها ؟ وما التبعات النفسية والاجتماعية التي سترافق هذا العالم الجنسي الجديد؟ وما حكم استيراد وبيع الدمية الصناعية الجنسية ؟ وما حكم معاشرتها ؟ وهل يجوز أن يشترك اثنان أو ثلاثة في شراء دمية واحدة ؟ وهل يصبح استخدام الدمى الجنسية بديلاً موفقاً عن الزواج ؟

أهداف البحث

- إظهار سعة الفقه الإسلامي وقدرته على معالجة جميع القضايا دقيقها وجليلها.
- إيضاح المخاطر المحتملة التي تسببها هذه التكنولوجيا.
- بيان التبعات النفسية والاجتماعية التي سترافق التعامل مع هذه الدمى.
- إظهار حكم الشرع في استيراد وبيع ومعاشرة هذه الدمى.
- إثراء المكتبة الفقهية بضم سفر مهم إليها يعالج قضايا تمس حياة المسلمين وعباداتهم.

منهج البحث

لقد سلكت في كتابة هذا البحث المنهج العلمي في كتابة البحوث العلمية فقمت باتباع الآتي:

أولاً المنهج الاستقرائي: الذي يقوم على استقراء مذاهب الفقهاء في المسائل الفقهية التي تتعلق بالموضوع من الكتب القديمة، والحديثة وعرض أقوال الفقهاء ونقلها من مصادرها الأصيلة، ونسبتها إلى أصحابها.

ثانياً المنهج الوصفي: الذي يقوم على دراسة الواقع وتصوره، لعرض ظاهرة من ظواهر المجتمع وتقديم وصف دقيق لها، وتوضيح ماهيتها، وأسبابها، والغرض منها، ومخاطرها، وعلاجها.

ثالثاً المنهج الاستنباطي: الذي يقوم على استنباط وجوه الدلالة من أدلتها التفصيلية، للاستدلال بها على المسائل محل البحث، ومناقشتها وصولاً إلى القول المختار الذي تعضده الأدلة.

رابعاً المنهج التحليلي: الذي يقوم على المقارنة بين أقوال الفقهاء لمعرفة مواطن الاتفاق، والاختلاف في المسائل الواردة في البحث، مع بيان مذاهبهم في مواطن الاختلاف، وعرض أدلتهم: النقلية، والعقلية وتوجيهها على ضوء آرائهم، كما قمت بترقيم الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، وآثار الصحابة رضي الله عنهم.

الدراسات السابقة

بعد التصفح لقوائم الرسائل العلمية الموجودة بالمكتبات، ومراكز الأبحاث، وسؤال أهل الخبرة لم أقف فيما وصلت إليه يدي على طرح علمي أفرد الموضوع ببحث أو تأليف مستقل فلم أجد سوى بعض المقالات والفتاوى المتناثرة، مما زرع في نفسي الرغبة في الكتابة فيه، وإثراء المكتبة الفقهية ببحث علمي مختص يناقش هذا الموضوع، بمنهج علمي مقارن.

خطة البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة.

- المقدمة: وقد اشتملت على أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطة البحث.
- المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.
- المبحث الثاني: نشأة الدمية الصناعية الجنسية وتطور صناعتها.
- المبحث الثالث: الغرض من صناعة الدمية الجنسية.
- المبحث الرابع: أسباب انتشار الدمية الصناعية الجنسية.
- المبحث الخامس: مخاطر استخدام الدمية الصناعية الجنسية.

- المبحث السادس: حكم استيراد وبيع الدمى الصناعية الجنسية.
- المبحث السابع: ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية الجنسية.
- ختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات.
- ثم عمل الفهارس اللازمة للبحث.

هذا والله تعالي هو خير مسئول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول، وأن يجعله زلفى تقربني إليه، وزاداً يوم العرض عليه، وأن يعلمني بما ينفعني، وينفعني بما علمني، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول
التعريف بمفردات عنوان البحث

أولاً: تعريف الدمية

الدمية لغة: دُمْيَة مفرد: جمع دُمُيات ودُمْيات ودُمًى، وهي: تمثالٌ صغيرٌ يُضْربُ به المثلُ في الحسن، يقال «نساءٌ كالدُّمَى»، ولُعْبةٌ مُزَيّنة على شكل إنسان أو حيوان يلعب بها الأطفال، و امرأة جميلة، ويقال: «لقد تزوّج دُمية»[1]، والدُّمْيَةُ: الصُّورة المُصوَّرةُ، وَجَمْعُهَا دُمًى؛ لأَنَّهَا يُتَنوّقُ في صنْعتها ويُبالَغ في تَحسينها[2]. والدُّمْيَةُ، بالضَّمِّ: الصُّورةُ المُنْقشةُ من الرُّخام)؛ والصُّورةُ من العَاج ونحْوه، وسُمِّيَت ﴿دُمْيَةٌ لأَنَّها كانتْ أَوَّلاً تُصَوّرُ بالحُمْرَةِ فكأَنَّها أُخِذَتْ مِن﴾ الدَّمِ تُشَبَّه

١- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٧٧٣، ت١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط / الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت / ٦٠٦هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر٢ / ١٣٥، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق / طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

بهَا المَليحةُ لأنَّها مُزَيَّنَةٌ. تُسَمَّى الأصْنامُ ﴿دُمىً لأنَّ﴾ الدِّماءَ تُراقُ عنْدَها تقرُّباً[١]، وَعند ابْن وضاح الدمى بِالضَّمِّ جمع دمية أَي الصُّور يَعْنِي الْأَصْنَام[٢].

الدمية اصطلاحاً: الصُّورَة المنقشة من رخام أو عاج، وقيل هي الصورة عامة، ويكنى عن المرأة بها ولا يخرج معناها الاصطلاحي عن المعنى اللغوي[٣].

ثانياً: تعريف الصناعية

الصناعة لغة: مأخوذة من الصناعة: يقال صَنَعَه يصْنَعُه صُنْعا، فَهُوَ مَصْنُوع،

وصَنيع :عمله، واصْطَنَعَه: اتَّخذه. وَقَوله تَعَالَى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[٤]: تَأْويله: اخْتَرْتُك لإِقَامَة حجتي، وجعلتك بيني وَبَين خلقي، حَتَّى صرت في الْخطاب عني والتبليغ، بالمنزلة الَّتِي أكون أَنا بهَا لَو خاطبتهم، واحتججت عَلَيْهِم، واسْتَصْنَعَ الشَّيْء: دَعَا إِلَى صُنْعه، والصّناعة: مَا تستصنع من أَمر وهي حِرْفَة الصَّانِع وكل علم أَو فن مَارسه الْإِنْسَان حَتَّى يمهر فِيهِ وَيُصْبِح حِرْفَة لَهُ[٥].

الصناعة اصطلاحاً: كل الإجراءات المتخذة من قبل الوحدات الاقتصادية في المجتمع من أجل تحويل مادة خام أو سلع وسيطة إلى سلع أخرى تعتبر من وجهة نظرها سلعاً نهائية، وبموجب هذا التعريف نميز الصناعة عن بقية النشاطات

١- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ت / ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس ٣٨ / ٦٥، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، ت / ٥٤٤هـ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١ / ٢٥٨، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣- جواد علي، ت / ١٤٠٨هـ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ / ٢٠٩، دار الساقي، ط / الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٤- سورة طه آية رقم ٤١.

٥- أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت / ٤٥٨هـ، المحكم والمحيط الأعظم ١ / ٤٤٢، المحقق: عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية - بيروت، ط / الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت / ٥٣٨هـ، أساس البلاغة ١ / ٥٦٠، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط / الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

الاقتصادية في المجتمع كالزراعة والخدمات....[1].

ثانياً: تعريف الجنسية

هي اسم مؤنث منسوب إلى جِنس وتجمع إلى جنسيات، وهي روابط مشتركة تجمع بين أفراد الشعب، كالاشتراك في الأصل أو اللغة أو العقيدة، وتطلق على العلاقة الجنسية وهي الاتصال الشهواني بين الذكر والأنثى، ويقال أيضاً: شَهْوة جنسيَّة: إحساس عضويّ كالجوع

والعطش يدلّ على حاجة الفرد ذكرًا كان أو أنثى إلى عملية الجماع[2]، وتهدف هذه الرغبة الجنسيّة إلى الإبقاء على النوع[3].

تعريف الدمية الصناعية الجنسية كمركب إضافي

الدمية الصناعية الجنسية هي: نوع من الألعاب الجنسية تكون متشابهه في حجم وشكل الشريك من أجل الحصول على مساعدة في الاستمناء، وقد تكون الدمية جسم كامل مع الوجه، أو مجرد الحوض مع الأعضاء كالمهبل والشرج والفم من أجل التحفيز الجنسي، وقد تكون بعض أجزائها قابلة للاهتزاز، وربما تكون قابلة للنقل أو التبادل[4].

رابعاً: تعريف المخاطر

الخَطَر: الإشراف على الهَلاك. يقال: خاطر بنفسه. والخطر: السبق الذي يُتَراهَن عليه. وقد أَخْطَرَ المالَ، أي جعلَه خَطَراً بين المُتَراهِنين. وخاطَرَهُ على كذا.

١- أحمد سعيد، اقتصاديات الصناعة صـ٣، دار الزهران للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية ١٩٩٤م.

٢- وهذا المعنى هو المراد هنا في البحث.

٣- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ٤٠٦.

٤- موقع ويكيبيديا https:\\ www.m.wikipedia.org، موقع العربية https:\\ www.arabic.com

وخَطَرُ الرَجُل أيضاً: قَدْرُهُ ومَنْزِلَتُهُ. وهذا خَطَرٌ لهذا وخَطيرٌ، أي مثلهُ في القَدْرِ[١].

والخطر شعور أو حالة تصيب الشخص عندما يواجه شيئاً ما يهدده، وقد يحدث له عند سماعه، أو رؤيته، أوشمه، وترتبط فكرة الخطر، مع العديد من المفاهيم الأخرى ومن أهمها: الخوف، والشك، وعدم القدرة على التأكد، وغيرها، وتختلف درجة تأثير الخطر حسب طبيعته، وكيفية تعامل الشخص معه، والأسباب التي أدت إليه[٢].

المبحث الثاني
نشأة الدمية الصناعية الجنسية وبه مطلبان

المطلب الأول – نشأة الدمية الصناعية الجنسية وتطور صناعتها

تعود نشأة الدمية الجنسية إلى القرن السابع عشر الميلادي وكانت تصنع من القماش أو بقايا الملابس البالية؛ حيث كان أول من استخدمها الإسبان، وكانت قد وضعت بين ذراع السجناء الذين يقضون فترة طويلة وراء القضبان، والبحارة الذين يقضون رحلات طويلة بين أمواج البحر، وقد عرفت صناعتها مراحل طويلة كي تصل إلى صورة وملمس شبيهين بالمرأة، وقد تم تطويرها من القماش إلى مواد أخرى أكثر إثارة في أواخر القرن العشرين؛ حيث أصبح لها أنواع كثيرة، فهناك نوع يصنع من مادة (ALFAINAL) والتي تكون في قوالب جاهزة، يقوم الصانع بإضافة التفاصيل الصغيرة عليها وتركيبها لتصبح جاهزة،

١- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت / ٣٧٠هـ، تهذيب اللغة ٧ / ١٠٢، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط / الأولى، ٢٠٠١م، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت / ٣٩٣هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢ / ٦٤٨، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط / الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبي الحسين، ت / ٣٩٥هـ، مجمل اللغة ١ / ٢٩٦، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ن / مؤسسة الرسالة – بيروت، ط / الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٢- موقع موضوع، كتابة مجد خضر www.mawdoo3.com، بتاريخ ٩:٥١، ٢٤ يناير ٢٠١٦م، مقال بعنوان «تعريف الخطر».

ونوع آخر من (ALSELECON) حيث يقوم الصانع بنحت الدمية ويصنع قالب ويصب فيه مادة السليكون فيحصل على دمية غير ملونة، ومن ثم يقوم بتلوينها ووضع التفاصيل بالإضافة إلى زراعة الشعر، ونوع من المواد المطاطية الأكثر ليونة من السليكون..... وغير ذلك من الأنواع الأخرى[٣].

ويتطلب صنع الدمية الواحدة حوالي ثمانون ساعة عمل، بدءاً من النموذج في القالب الأول، ومن ثم الأظافر والأثداء ليتم طلاؤها، ويضاف الشعر ومن ثم يتم إضافة المكياج وفقاً لأهواء الزبائن، ومن ثم يتم اختيار الأزياء المناسبة لها وتغليفها للشحن، والنمط المعتاد للدمية يتضمن ثماني عشر تركيبة جسد للدمى الأناث ونمطين للدمى الذكور، بخمس درجات للون وتسعة وثلاثين وجهاً، فضلاً عن اختيار لون العينين والشعر وحجم الثدي.

وتُبرمج الدمى المتقدمه بطريقه تجعلها تتذكر تفاصيل عن حياة شريكها الشخصية، كطعامه المفضل والأفلام والموسيقى التي يحب الاستماع إليها، وأيضاً عيد ميلاده، كذلك يمكنها أن تروي قصصاً ونكتاً وأن تتلوا شعراً، تعتمد كل هذه التفاصيل على ما يفضله الزبون. وعملية التصنيع هذه تغيرت عبر السنوات مع تعديل التكنولوجيا، ويقول القائمون على تصنيعها إن أنواع الدمى ستتغير على الدوام ولن يكون هناك حد لها طالما هناك تنوع كبير في أذواق الزبائن[٤].

٣- موقع أنفاس بريس anfaspress.com\\:https، voir، news، مقال بعنوان «حُمِّى الدمى الجنسية تعود للمغرب على بُعد أيام قليلة من الانتخابات التشريعية» ٢٨ / ٩ / ٢٠١٦م، الكاتب عادل الإدريسي، الأربعاء ٢٨سبتمبر ٢٠١٦م، ١١:٠٣، موقع عربي arabic.sputniknews.com\\:https، آخر تحديث. gmt ١٣:٢٨ ٢٠١٩,١٢:٠٧، مقال بعنوان «غدير الشيرازي أول فتاة عربية تهوى صناعة دمى الريبون» بوابة الأهرام ١٥ / ٧ / ٢٠١٩م.

٤- موقع النهار annahar.com\\:https، www.algamal.net، مقال بعنوان «صور من داخل مصنع الدمى الجنسية...بإمكانها التحدث ومحاكاة النشوة الجنسية» المصدر: موقع الإندبندت، ١٥ / ٩ / ٢٠١٧م، ١٣:٤٢.

المطلب الثاني – الغرض من صناعة الدمية الجنسية

انطلاقاً من التسمية «الدمى الجنسية» يتضح أن فكرة صناعتها، كانت بغرض تحقيق الرغبة الجنسية للذكور عموماً، مع شريك عبارة عن «أنثى اصطناعية»، لا تغادر فراش النوم لقضاء أغراض أخرى، فهي سهلة المنال ولا تتكلم ولا تعارض وليست لها طلبات كما العديد من النساء، (الخليلة أوالزوجة) ولا تتطلب خطوبة ومراسم وتكاليف الزواج ويمكن أن تحد من ظاهرة التحرش الجنسي، الذي غالباً ما يجعل مقترفه أمام مواقف حرجة أو وراء القضبان، كما يرى الداعمون لفكرة وغرض «الدمى الجنسية» أنها تعفي من البحث عن شريكه جنسية في شوارع و«بارات» المومسات، اللواتي يمكن أن ينقلن الأمراض الجنسية الخطيرة[١].

المبحث الثالث

أسباب انتشار الدمية الصناعية الجنسية

في ظل ارتفاع معدلات العنوسة في العالم العربي، نتيجة الأزمة الاقتصادية العالمية، وفي ظل أزمة البطالة التي يعاني منها قطاع واسع من الشباب، لجأ البعض من هؤلاء إلى اتباع أساليب مغايرة وصادمة لإشباع رغباتهم الجنسية.

والتحليل النفسي المتعارف عليه في العالم أن الرجل عندما يستشعر أنه عاجز عن استمالة امرأة نحوه، أو عندما يكون يعاني من نقص في قدراته التفاعلية، أو ضعف في ذكائه التفاعلي أو ضعف في قدراته الإدراكية أو حتى في شكله الخارجي وتحديداً ضعف في الماديات، فيلجأ إلى الوسائل الأسهل لتنفيس الكبت؛ لأنه في مرحلة من المراحل يعتبر بأنه إذا استمر بالعادة السرية لفترة زمنية طويلة فإنه فاشل، وإذا قام بإقامة علاقات مع نساء أو فتيات يعرفهن فهذا مكلف بالنسبة

١- موقع أنفاس بريس https:\\ anfaspress.com، voir، news، مقال بعنوان «حُمَّى الدمى الجنسية تعود للمغرب على بُعد أيام قليلة من الانتخابات التشريعية» ٢٨ / ٩ / ٢٠١٦م، الكاتب عادل الإدريسي، الأربعاء ٢٨سبتمبر ٢٠١٦م، ١١:٠٣.

إليه، إلى جانب مقومات العجز الأخرى ومنها عدم تمكنه من نيل حظوة في عين امرأة، أي لا يعجب ولا يكتسب ثقة امرأة، وأنه يخاف أو يخشى العاهرات، أو حتى يعجز عن دفع تكاليف الخروج معهن، هذا هو الإنسان الذي يلجأ إلى الدمى الجنسية[1].

أصحاب الآراء التي دافعت عن الدمية الجنسية تشير أنها الحل الأنسب لشباب لم يتمكنوا من الزواج بفضل غلاء تكاليف تأسيس أسرة خصوصاً بمصر، والمغرب، وتونس، والجزائر، ومنهم من يرى بأن الدمى الجنسية ستعفي الشباب من تبعات التحرش والتأزم وكثرة الحبوب في الوجه بسبب عدم الإفراغ وتحقيق الرغبة الجنسية، كما يرون أن الدمى الجنسية هي في صالح الفتيات والمرأة عموماً، إذ إن انتشارها حسب رأيهم يحميهن من الاغتصاب على يد أشخاص لا يفكرون إلا في ممارسة الجنس بأي طريقة.

معارضو «الدمى الجنسية» يرون أنها لا تتماشى مع القيم والأخلاق، وتشيع الفاحشة بين الشباب، وفي صفوف الكبار أيضاً وحتى بين المتزوجين، كما يشيرون أنها جسد مطاطي بدون روح، وبدون إحساس ويلفتون الانتباه إلى مسألة أن الجنس بين المرأة والرجل، ليس دائماً مبنياً على الملامسة والقبل والإيلاج فقط، بل يحتاج إلى جرعة من الأحاسيس المعنوية والانسجام الروحي قبل «مقدمات الجماع» والإحساس بروح تغازل روحاً، قبل أن يلامس جسد الذكر المناطق الحساسة من جسد المرأة، كما يشيرون إلى أن تمنع المرأة أو عدم رغبتها في الجنس، يزيد من إثارة الرجل أكثر من مضاجعتها له، في أي وقت وبأي طريقة، موضحين أن كون الدمية الجنسية متاحة لطالبي اللذة الجنسية دائما، سيسرب الملل للحياة الجنسية للرجل، وسيجعله في بحث دائم عن الجنس

١- موقع عرب https:\\arabic.sputniknews.com، مقال بعنوان «السبب وراء انتشار الدمى الجنسية في الأسواق العربية» ٢٤\١\٢٠١٧، بتاريخ: ٢٤,٠١,٢٠١٧ ١٥:٠٦GMT

اللطيف روحاً وجسداً [١].

المبحث الرابع
مخاطر استخدام الدمية الصناعية الجنسية

أولاً: الضرر الصحي:

أكدت الكثير من الدراسات الطبية عالمياً، أن ممارسة الجنس مع الدمى الجنسية تسبب مضاعفات خطيرة للمقبلين عليها من كلا الجنسين، ولقد حذر الأطباء وعلماء الاجتماع وعلماء الشريعة من هذه الدمية الجنسية لما لها من أخطار صحية.

فلقد حذر الدكتور نبيل أمين[٢] من أضرار الدمية الجنسية التي تصيب الرجال بالضعف الجنسي بالإضافة إلى الهزال وضعف السائل المنوي وإلحاق الضرر بالخصيتين، والإفراط في استخدام تلك الدمية يسبب سرعة القذف واحتقان البروستاتا، لأنها أشبه بالعادة السرية في أضرارها.

وأضاف الدكتور أمين أن أضرار تلك الدمية الجنسية لن تقتصر على الصحة الجنسية للرجال فقط، ولكنها تؤدي إلى كارثة اجتماعية تؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج، واختيار الطرق الأسهل بعيداً عن تكاليف الزواج العالية مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة العنوسة بين الإناث.

١- موقع أنفاس بريس https:\\ anfaspress.com، voir، news، مقال بعنوان «حُمِّى الدمى الجنسية تعود للمغرب على بُعد أيام قليلة من الانتخابات التشريعية» ٢٨ / ٩ / ٢٠١٦م، الكاتب عادل الإدريسي، الأربعاء ٢٨سبتمبر ٢٠١٦م، ١١:٠٣.

٢- مقالة طبية بعنوان «ممارسة الجنس مع الدمى تصيبكم بأمر أخطر مما تتوقعون «للدكتور نبيل أمين استشاري أول المسالك البولية وطب وجراحة الجهاز التناسلي للذكور، وعضو الجمعية العالمية لأبحاث الضعف الجنسي، موقع صوت البلد للأنباء https:\\sawt-albalad.com، التاريخ:١٦-٠٢:٠٢:٤٩-٠٦-٢٠١٨.

وأكدت الدكتورة ألفت السباعي[1]، أن الدمية الجنسية التي طرحتها إحدى الشركات الصينية وتم تسويقها إلى عدد من الدول العربية «كارثة» تهدد الصحة الجنسية للرجال.

وأوضحت الدكتورة ألفت أن الإفراط في استخدام تلك الدمية يسبب سرعة القذف واحتقان البروستاتا؛ وأنها تؤدي إلى فشل العلاقة الحميمة بعد الزواج، لاعتماد الشباب عليها في تفريغ شحنته الجنسية المختزنة، وعند الزواج يفاجأ بفشله في إقامة علاقة حميمة بالشكل الطبيعي مع زوجته.

كما قال الدكتور طه عبد الناصر والدكتور أيمن السكندري[2] أن هذه العملية لا تعطي إشباعاً كاملاً للرغبة الجنسية كالعلاقة الحميمة بين الزوجين، وحذر الأطباء من خطورة انتقال عدوى الأمراض التناسلية إذا استعمل أكثر من شخص هذه الدمية.

ثانيًا: الأضرار الدينية:

لعل أخطر الآثار المترتبة على انتشار هذه الدمى كسر الحواجز الدينية التي تحرم العلاقات الجنسية خارج الإطار الشرعي المقصود به الزواج، وتحويل الأمر من مجرد حرام إلى علاقة سرية خصوصاً في ظل الأحوال الاجتماعية القاسية التي يعيشها الشباب من الجنسين من ارتفاع معدلات العنوسة وعزوف الشباب عن الزواج لعدة أسباب في مقدمتها تلك المتعلقة بتراجع الظروف الاقتصادية

١- مقالة طبية بعنوان " الدمية الصينية تهدد الصحة الجنسية للرجال " للدكتورة ألفت السباعي أستاذ ورئيس قسم الجراحة بطب المنوفية، وعضو الأكاديمية الدولية للعقم بنيويورك، رئيس جمعية البحر المتوسط لأمراض الحوض، موقع فيتو رئيس التحرير عصام كامل https:\\wonews.net، القاهرة «وكالة أخبار المرأة» التاريخ: ٧-١١-٢٠١٣

٢- مقالة طبية بعنوان «الدمية الجنسية ما بين الرفض والقبول» للدكتور طه عبد الناصر أستاذ طب وجراحة أمراض الذكورة بجامعة القاهرة، والدكتور أيمن السكندري، استشاري الصحة الإنجابية وخبير التدريب بالمجلس القومي للسكان https:\\www.alfajertv.com https:\\www.masress.com

وبالتالي توفر هذه الدمى الجنسية عالماً افتراضياً يزيد الأزمة ويعزل الشباب عن الإقبال على غريزة الحياة التي هي أساس إعمار الكون.

ويرى علماء الدين أن الزواج هو طريق الوصول للقضاء على الرغبة الجسدية بين الذكر والأنثى وقد حرم الإسلام كل طريق إلى قضاء هذه العلاقة بغير الزواج وهي مقدمة الزنا ويدخل في ذلك الاستمناء ومباشرة من لا تحل له، ويعتبر العلماء هذه الظاهرة الجديدة بمثابة حرب تدميرية على الشباب لهدم الأمة الإسلامية؛ لأن الشباب هو عماد هذه الأمة ومستقبلها[١].

ثالثاً الأضرار النفسية:

يرى علماء النفس أن هذه الدمية ستؤدي إلى تدمير الحياة الزوجية؛ حيث سيعتاد الرجل عليها، وعلى التعامل معها الأمر الذي سيؤدي إلى ترك الزوجة نهائياً، فهي عبارة عن دمية مصنوعة من السيلكون المرن الذي سيساعد على شعور الرجل وكأنه يتعامل مع امرأة حية، لها ملامح الأنثى وهيكلها.

كما تؤدي هذه الدمى لتوحد الكبار وأن الذي يمارس هذا الفعل ليس بإنسان سوي، هذا بالإضافة إلى ما يؤدي إليه انتشار هذه الظاهرة من انحلال أخلاقي وعزوف الشباب عن الزواج والكارثة الأكبر تفكك الأسرة بالطلاق.

فهذه الدمى تجعل الشباب ينغلق على نفسه ويعيش في أوهام كاذبة، وتصرفه عن الزواج، ويؤدي ذلك إلى زيادة نسبة العنوسة، وقد يستخدمها المتزوج فتزيد من حالات الكره والنفور والطلاق، وهناك دمى على شكل رجل للنساء وبهذا تكتمل خطة انهيار المجتمع وضياع الأخلاق وزيادة معدلات الانحراف والانحلال والخيانة[٢].

١- موقع فيتو رئيس التحرير عصام كامل https www.vetogate.com:\\

٢- www.lawnvayatek.blogspot.com

وبعد كل هذه المخاطر التي تتسبب فيها الدمية الجنسية يبقى الحل الوحيد التصدي بكل الطرق لمنعها من دخول البلاد العربية وتوعية الشباب خاصة لما قد تسببه لهم من أمراض فيجب الحذر واليقظة لكي لا تضرب أخلاق أمتنا.

رابعاً الأضرار الاجتماعية:

من الأضرار الاجتماعية التي تسببها الدمية الصناعية الجنسية أنها لا تتماشى مع القيم والأخلاق، وتشيع الفاحشة بين الشباب، واستمرار تداول مثل هذه الدمى وانتشار تصنيعها بين الدول يؤكد على الإقبال العالمي عليها وهذا بالطبع يعكس ما وصلنا إليه كبشر بشكل عام؛ حيث تقطعت أواصر العلاقات الإنسانية، وأصبحت المادة والتكنولوجيا هي المسيطرة على العقول، والعلاقة الجنسية على الرغم من أنها تعتمد على الرغبة إلا أنها من المفترض أنها بين البشر تعتمد على التوافق والحب والتجاذب بين رجل وامرأة؛ لكن مسألة استخدام الدمية يجعلها رغبة مجردة يريد الرجل تفريغها فقط في دمية بلا روح.

وبالنسة لمجتمعنا العربي فالخطر يتمثل بهوس شبابنا في التقليد الأعمى للغرب، الأمر الذي يجعل كثيراً من شبابنا شغوفين على تجربة الدمية ولا شك هذه التجربة تمثل خطراً كبيراً على الشباب؛ لأنها قد تجعلهم يعتادونها وتقف حجر عثرة في إقبالهم على الزواج والذي يمثل في الأساس مشكلة كبيرة نتيجة الظروف المادية القاسية التي يعاني منها معظم شبابنا.

وممارسة العلاقة الحميمة مع هذه الدمية التي من المؤكد أنها ستحقق مستويات من المتعة تفوق المرأة الطبيعية لتحقيق المزيد من الإقبال عليها والارتباط بها، الأمر الذي يخلف مشكلة جنسية في المستقبل بين الأزواج، لعدم قدرة النساء على تحقيق هذه المستويات من المتعة التي اعتادها الرجال مع الدمية، وهذه الدمى لا تأتي بالإشباع بل بمزيد من المشاكل، وأضرارها كثيرة على الفرد وعلى

المجتمع ؛لأنها طرق غير قويمة، والطريقة الصحيحة هي الزواج[١].

المبحث الخامس

حكم استيراد وبيع الدمى الصناعية الجنسية

التجارة في الإسلام تحكمها ضوابط وقيم أخلاقية ينبغي على التجار الالتزام بها، وهذه الضوابط والقيم مستمدة من كتاب الله تعالى، ومن سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ومن سير الصحابة والسلف في تعاملهم التجاري[٢]، والتاجر المسلم له أخلاقه التي تضبط تعامله في التجارة وغيرها، فمن الضوابط والقيم الأخلاقية التي تحكم التجارة في الإسلام، تحريم الاتجار والعمل بالمحرمات، سواء كان ذلك بانتهاك محرم، أو ترك واجب يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٣]، وصور الاتجار في المحرمات كثيرة، كالتجارة في الخمر بمختلف أسمائها وكذا العمل في صناعتها، والاتجار بالمخدرات، والسموم القاتلة كالهيروين[٤]، والمتاجرة في الأفلام الساقطة الخليعة، والصحف والمجلات التي تنشر الفحشاء والمنكر وكل مادة تحارب الله ورسوله ودينه وكذلك الاتجار في كل ما ينشرالفساد في المجتمع حتى ولو كان فيه أرباح ومنافع[٥].

١- https www.amrkhaled.net\\:، مقال بعنوان «الدمية الجنسية تدمير للفطرة البشرية» بقلم/ fathy، التاريخ:١٢:٢٠ ٩-٣-٢٠١٩ م

٢- حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، فقه التاجر المسلم ١ / ٢١١، ط / الأولى، بيت المقدس ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، المكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر.

٣- سورة المنافقون آية رقم ٩.

٤- هُروين، هروين؛ مِخدِّر قويّ مُشتقّ من المورفين المستخرج من نبات الأفيون، يتعاطاه الفردُ عن طريق الاستنشاقَ أو الحَقْن تحت الجلد أو الحقن في الوريد، ونظرًا لتأثيره وصعوبة السَّيطرة عليه زادت الوفيات بسبب تعاطيه، وزادت كذلك نسبة الإجرام، ويحظر استعماله في كثير من الدُّول. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ٣ / ٣٣٨٣.

٥- حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، فقه التاجر المسلم ١ / ٤٣، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية ١ / ٢٦٦، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط / الرابعة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، محمد مصطفى الزحيلي، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ١ / ٢٤٥، دار الفكر =

والدمية الجنسية هي نوع من الألعاب الجنسية تكون مشابهة في حجم وشكل الشريك الطبيعي - الرجل أو المرأة - من أجل الحصول على مساعدة في الاستمناء، وقد تكون الدمية جسماً كاملاً مع الوجه، أو مجرد الحوض مع الأعضاء كالمهبل والشرج والفم والقضيب من أجل التحفيز الجنسي، وقد تكون بعض أجزائها قابلة للاهتزاز وأصبح (ALFAINAL and ALSELECON) المواد الأكثر استخداماً في تصنيع دمى الجنس[1]، والهدف الأساسي من استعمال الدمى الجنسية هو إفراغ الطاقة الجنسية[2]، ويجب أن يُعلم أن أي استمتاع جنسي بغير الاتصال المشروع بالزوجة محرم شرعاً بأي وسيلة كان سواء كان استمناء باليد (العادة السرية) أو باستعمال الدمى الجنسية، أو غير ذلك من الوسائل، فالطريق الوحيد المشروع للاستمتاع الجنسي هو مع الزوجة فقط وما عدا ذلك يعتبر تعدياً لما أحل الله تعالى قال عزوجل

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[3].

لذلك كله اتفق جمهور الفقهاء المعاصرون على إن استيراد الدمى الجنسية والتجارة بها بأي شكل من الأشكال حرام شرعاً والمال الذي يحصل عليه من ذلك سحت وحرام لا يحل لصاحبه؛ لأن المال المكتسب بطريق محظور شرعاً يَحرم على المسلم تملكه ولا تجوز معاملته فيما عنده من مال متحصل عليه بهذا

= دمشق، ط / الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، موسوعة الفقه الإسلامي ٣/ ٤٤٤، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط / الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى ١٤ / ٦٠، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.

١- الموسوعة الحرة ويكيديا https:\\www.wikipedia.org

٢- موقع أنفاس بريس https:\\ anfaspress.com، voir، news، مقال بعنوان «حُمَّى الدمى الجنسية تعود للمغرب على بُعد أيام قليلة من الانتخابات التشريعية» ٢٨ / ٩ / ٢٠١٦م، الكاتب عادل الإدريسي، الأربعاء ٢٨سبتمبر ٢٠١٦م، ١١:٠٣.

٣- سورة المؤمنون الآيات ٥-٧.

الطريق؛ لأنه مال خبيث جاء عن طريق كسب محرم[١].

الأدلة:

استدل جمهور الفقهاء على إن استيراد الدمى الجنسية والتجارة بها بأي شكل من الأشكال حرام شرعاً بأدلة من الكتاب والسنة والمعقول كما يلي:

من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[٢]

وجه الدلالة:

أي ليعن بعضكم أيها المؤمنون بعضًا على البر، وهو العمل بما أمر الله العمل به، و اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه، ولا يعن بعضكم بعضًا على الإثم أي على ترك ما أمركم الله بفعله، ولا على أن تتجاوزوا ما حدَّ الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم.[٣]

١- وممن أفتى بذلك الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء رحمه الله، وفضيلة الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة، والعالم الأزهري الشيخ عبد الحميد الأطرش، رئيس لجنة الفتوى الأسبق، والشيخ سامح عبد الحميد الداعي الإسلامي، والدكتور خالد عمران أمين الفتوى بدار الإفتاء، وفضيلة الشيخ أبي عبد المعز محمد علي، وفضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر، يراجع المواقع الإلكترونية الآتية: شبكة يسألونك الإسلامية www.yasaloonak.net \\:https، فتوى شرعية لفضيلة الشيخ أ.د حسام الدين عفانة عن حكم استيراد وبيع واستعمال الدمى الجنسية، التاريخ ٢٨-١١-٢٠١٤، موقع الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام الشيخ محمد صالح المنجد، www.islamqa.info \\:https، فتوى شرعية عن= = حكم شراء واستعمال الدمى الجنسية، رقم الفتوى ٣٣٣٦٩٩، موقع إسلام ويب- مركز الفتوى \\:https www.islamweb.net، فتوى شرعية عن حكم اتخاذ دمى جنسية للاستمتاع، رقم الفتوى:٦٤٣٤٢، تاريخ النشر: الأربعاء ٣٠ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - ٦-٧-٢٠٠٥ موقع المبتدا www.mobtada.com \\:https، موقع الشروق www.echoroukonline.com \\:https، موقع فركوس www.ferkous.com/ /:\\:https، موقع المسلم www.almoslim.net \\:https، فتوى شرعية عن التخلص من المال الحرام، التاريخ: الثامن عشر من شهر صفر١٤٣١ - ٢-٢-٢٠١٠.

٢- سورة المائدة آية رقم ٢.

٣- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت / ٣١٠هـ، جامع البيان في تأويل

ثانياً من السنة:

١- عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[١].

وجه الدلالة:

مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) التاجر المشتغل بنحو بيع وتجارة على أي وجه كان الصادق قولاً وفعلاً، الموصوف بالأمانة المحفوظ من الخيانة، يستحق أن يكون في الجنة مع النبيين لإطاعتهم، والصديقين لموافقتهم في صفتهم، والشهداء لشهادتهم على صدقه وأمانته[٢].

٢- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ»! فَاسْتَجَابُوا لَهُ،

= القرآن ٩ / ٤٩٠، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط / الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ت / ٤٦٥هـ، لطائف الإشارات = تفسير القشيري ١ / ٣٩٨، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط / الثالثة.

١- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، ت / ٢٥٥هـ، سنن الدارمي ٣ / ١٦٥٣، باب في التاجر الصدوق، حديث رقم ٢٥٨١، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط / الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت / ٢٧٩هـ، سنن الترمذي ٣ / ٥٠٧، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ، حديث رقم ١٢٠٩، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط / الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن= = مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، ت / ٣٨٥هـ، سنن الدار قطني ٣ / ٣٨٧، كتاب البيوع، حديث رقم ٢٨١٣، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط / الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، قال الترمذي هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ» وَأَبُو حَمْزَةَ: اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَابِر وَهُوَ شَيْخٌ بَصْرِيٌّ. يراجع المسندَ الجامعَ ٦ / ٣٣٤، حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، ط / الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢- علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت / ١٠١٤هـ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥ / ١٩٠٩، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط / الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، علي علي صبح، التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ١ / ١٦٨، المكتبة الأزهرية للتراث، ط / الأولى: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.

وَرَفَعُوا إِلَيْهِ أَبْصارَهُمْ. فقَالَ: «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّاراً، إِلا مَنِ اتَّقَى اللهَ وَبَرَّ وصدق»[١].

وجه الدلالة:

قَالَ الْبَيْضَاوِيّ لما كَانَ من عادات التُّجَّار التَّدْلِيس فِي الْمُعَامَلَات والأيمان الكاذبة وَنَحْوهَا حكم عَلَيْهِم بِالْفُجُورِ وَاسْتثنى من اتَّقى الْمَحَارِم، وَيُوَفِّي يَمِينَهُ، وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ[٢].

ثانياً من المعقول:

١ـ أن الدمى الجنسية من وسائل الفساد والإفساد، وهي من العوامل التي تزيد انتشار المنكرات والفواحش في المجتمع، ويترتب عليها أضرار كثيرة، [٣] ومن المقرر عند الفقهاء أن للوسائل أحكام المقاصد، قال العز بن عبد السلام: «للوسائل أحكام المقاصد، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل»[٤].

١- ابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، ت / ٢٧٣هـ، سنن ابن ماجة ٢ / ٧٢٦، باب التوقي في التجارة، حديث رقم ٢١٤٦، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب= العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت / ٤٥٨هـ، السنن الكبرى ٥ / ٤٣٦، باب كراهية اليمين في البيع، حديث رقم ١٠٤١٤، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط / الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، قال الترمذي حديث حسن صحيح، وقال الألباني حديث ضعيف، يراجع: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي، جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ٢ / ١٩٨.

٢- محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، ت / ١١٣٨هـ، حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ٢ / ٥، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة، شرح سنن ابن ماجه ١ / ١٥٥، هذا الكتاب مجموع من ٣ شروح ١- «مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، ٢- «إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت١٢٩٦هـ)، ٣- «ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (١٣١٥ هـ)، قديمي كتب خانة - كراتشي.

٣- حسام الدين بن موسى عفانة، يسألونك عن المعاملات المالية المعاصرة ٤ / ٤٤، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة القدس، www \\ https:\\ books.google.com.eg..

٤- محمَّد بْن حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ١ / ٣٠٥، دار ابن =

٢- أن استيراد واستعمال الدمى الجنسية وسيلة من وسائل انتشار الفساد الخلقي والانحلال وانتشار الموبقات وقد تؤدي إلى الزنا واللواط واستعمال العادة السرية فما أدى إلى الحرام فهو حرام، وكذلك فإن استيرادها والتجارة بها يدخل تحت قوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [١] [٢].

٣- أن شراء هذه الدمى محرم إذا كانت الدمية كاملة، لتحريم بيع وشراء التماثيل، سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: هل يجوز للمسلم أن يبيع التماثيل، ويجعلها بضاعة له، ويعيش من ذلك ؟ فأجاب: «لا يجوز للمسلم أن يبيع أو يتجر فيها، لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من تحريم تصوير ذوات الأرواح، وإقامة التماثيل لها مطلقا، والإبقاء عليها. ولاشك أن في الاتجار فيها ترويجا لها، وإعانة على تصويرها وإقامتها بالبيوت والأندية ونحوها، وإذا كان ذلك محرمٌ، فالكسب من إنشائها وبيعها حرام، لا يجوز للمسلم أن يعيش منه بأكل أو كسوة أو نحو ذلك، وعليه إن وقع في ذلك أن يتخلص منه، ويتوب إلى الله تعالى، عسى الله أن يتوب عليه، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [٣] [٤].

= الجوزي، ط / الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ، علي بن نايف الشحود، الأحكام الشرعية للثورات العربية ١ / ٥٧، ط / الأولى، ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، فقه التاجر المسلم ١ / ٢٠٢.

١- سورة المائدة آية رقم ٢.

٢- شبكة يسألونك الإسلامية https:\\ www.yasaloonak.net، فتوى شرعية عن حكم استيراد وبيع واستعمال الدمى الجنسية لفضيلة الشيخ أ.د / حسام الدين عفانة، التاريخ:٢٨-١١-٢٠١٤

٣- سورة طه آية رقم ٨٢.

٤- فتاوى إسلامية ٢ / ٣٦٩، أصحاب الفضيلة العلماء سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ت١٤٢٠هـ) فضيلة الشيخ: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، فضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين(ت١٤٣٠هـ)، إضافة إلى اللجنة الدائمة، وقرارات المجمع الفقهي (جمع وترتيب): محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، دار الوطن للنشر، الرياض، ط / جـ ١: ط / الثانية، ١٤١٣ هـ، جـ ٢: ط / الأولى، ١٤١٣ هـ، جـ ٣: ط / الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، جـ ٤:ط / الأولى، ١٤١٥ هـ، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى ١ / ٧٠٩.

٤- قد يقع تبادلها بين الشباب فيؤدي إلى نشر الأمراض الجنسية الخطيرة.

المبحث السادس

ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية الجنسية

عند النظر في مسألة ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية الجنسية يلاحظ أن الغرض من معاشرة الدمية الصناعية الجنسية استخراج المني لذلك فقد ألحقها أهل العلم بمسألة الاستمناء وجعلوها وسيلة من وسائله فهي تأخذ حكمه، لذلك سوف أعرض هذا المبحث في مطلبين المطلب الأول في حكم الاستمناء، والمطلب الثاني في حكم معاشرة الدمية الصناعية الجنسية:

المطلب الأول – حكم الاستمناء

الاستمناء[١] وسيلة معروفة في أكثر الأمم قديماً وحديثاً[٢] وقد اختلف الفقهاء رحمهم الله في حكم الاستمناء على ثلاثة أقوال:

١- الاستمناء لغة: مَصْدَرُ اسْتَمْنَى، أَيْ طَلَبَ خُرُوجَ الْمَنِيِّ، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين، ت/ ٧٠٩هـ، المطلع على ألفاظ المقنع ١/ ١٨٥، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط/ الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢١٣٠،
وَاصْطِلاَحًا: إِخْرَاجُ الْمَنِيِّ بِغَيْرِ جِمَاعٍ، مُحَرَّمًا كَانَ، كَإِخْرَاجِهِ بِيَدِهِ اسْتِدْعَاءً لِلشَّهْوَةِ، أَوْ غَيْرَ مُحَرَّمٍ كَإِخْرَاجِهِ بِيَدِ زَوْجَتِهِ. مَحَمَد بن صَالح بن محمد العَثيمينَ، تَ/ ١٤٢١هـ، اَلشرحَ الممتع على زادَ المَستقنعَ ٦/ ٣٧٣، دَار ابن الجوزي، ط/ الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٣/ ٤٠٩، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ط/ بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م، (ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ).

٢- موريس شربل، مشكلاتنا الجنسية (الأسباب والعلاج) صـ١٠٨-١٠٩، مؤسسة المعارف، بيروت، ط/ الأولى ١٤١٩ه.

القول الأول: أن الاستمناء محرم إلا إذا دعت الضرورة إلى فعله مثل أن يخاف من الوقوع في الزنا وهو قول في مذهب الأحناف[١] وهو المشهور في مذهب الحنابلة[٢]، ونقل عن جماعة من السلف كابن عباس ومجاهد[٣] واختاره الشوكاني[٤].

القول الثاني: أن الاستمناء محرم مطلقاً وهو مذهب الأحناف[٥] والمالكية

١- زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، ت / ٩٧٠هـ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢ / ٢٩٣، دار الكتاب الإسلامي، ط / الثانية - بدون تاريخ، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، ت / ١٢٥٢هـ، رد المحتار على الدر المختار ٢ / ٣٩٩، ، دار الفكر-بيروت، ط / الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، ت / ٦٢٠هـ، الكافي في فقه الإمام أحمد ٤ / ٩٣، دار الكتب العلمية، ط / الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبي إسحاق، برهان الدين، ت / ٨٨٤هـ، المبدع في شرح المقنع ٧ / ٤٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط / الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوي " أما الاستمناء باليد فهو حرام عند جمهور العلماء وهو أصح القولين في مذهب أحمد ولذلك يعزر من فعله وفي القول لآخر هو مكروه غير محرم وأكثرهم لا يبيحونه لخوف العنت ولا غيره ". يراجع مجموع الفتاوى ٣٤/ ٢٢٩، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣- أبوبكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت / ٢١١هـ، المصنف ٧/ ٣٩٠، ، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، ط / الثانية، ١٤٠٣، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، ت / ٢٣٥هـ، المصنف في الأحاديث والآثار ٤ / ٣٣، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط / الأولى، ١٤٠٩، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي، ت / ٧٦٣هـ، الفروع ومعه تصحيح الفروع ١٠ / ١٢٦، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط / الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت / ١٢٥٠هـ، فتح القدير ٣/ ٥٦١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط / الأولى - ١٤١٤ هـ، محمد بن علي الشوكاني، ت / ١٢٥٠، بلوغ المنى في حكم الاستمنى صـ٨٥-٨٦، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار الصميعي، الرياض، ط / الأولى ١٤١٤هـ.

٥- أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبيديّ اليمني الحنفي، ت / ٨٠٠هـ، الجوهرة النيرة ٢ / ١٥٥، المطبعة الخيرية، ط / الأولى، ١٣٢٢هـ، كمَالَ الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، ت / ٨٦١هـ، فتح القدير ٢ / ٣٣٠، دار الفكر، ط / بدون طبعة وبدون تاريخ، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، ت / ١٢٣١ هـ، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ١ / ٩٦، المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط / الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

[١] والشافعية[٢] ورواية في مذهب الحنابلة[٣] وروي عن بعض السلف كابن عمر وغيره[٤].

القول الثالث: أن الاستمناء مكروه كراهة تنزيه وهي رواية في مذهب الحنابلة[٥] وهو مذهب الظاهرية[٦]، وبه قال القاضي حسين[٧].

الأدلة:

أولا أدلة القول القائل: أن الاستمناء محرم إلا إذا دعت الضرورة إلى فعله مثل أن يخاف من الوقوع في الزنا بأدلة من الكتاب

١- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، ت / ٩٥٤هـ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ٣ / ١٦٦، دار الفكر، ط / الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الحاجّة كوكب عبيد، فقه العبادات على المذهب المالكي ١ / ٣٤٨، ، مطبعة الإنشاء، دمشق - سوريا، ط / الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢- الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، ت / ٢٠٤هـ، الأم ٥ / ١٠١-١٠٢، دار المعرفة - بيروت، ط / بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت / ٤٥٠هـ، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ٩ / ٣٢٠، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط / الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

٣- ابن قدامة المقدسي، الكافي في فقه الإمام أحمد ٤ / ٩٣، ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع ٧ / ٤٢٧.

٤- أبو بكر عبدالرازق اليماني الصنعاني، مصنف عبد الرازق ٧ / ٣٩٠، أبو بكر بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة ٤ / ٣٣.

٥- تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى ٣٤ / ٢٢٩، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت / ٧٥١هـ، بدائع الفوائد ٤ / ١٤٧١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت / ٤٥٦هـ، المحلى بالآثار١٢ / ٤٠٧، دار الفكر - بيروت، ط / بدون طبعة وبدون تاريخ.

٧- شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، ت / ٩٥٦هـ، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (ﷺ) من صحيح الإمام البخاري ٢ / ١٦٠، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط / الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء، ت / ١١٢٧هـ، روح البيان٦ / ٦٩، دار الفكر -بيروت.

من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[1]

وجه الدلالة:

أن الله سبحانه وتعالى أباح الاستمتاع بالزوجة والأمة ولم يبح ما سوى ذلك بل اعتبر من استمتع بما سوى الزوجة والأمة من الظالمين المتجاوزين من الحلال إلى الحرام فيدخل في ذلك سائر أنواع الاستمتاع - بغير الزوجة والأمة - بما في ذلك الاستمناء[2].

نوقش:

أن الآية ليست عامة إذ لو كانت كذلك للزم فيها تحريم كل ما يبتغيه الإنسان من المنافع التي لا تتعلق بالنكاح فلا بد من تقييد الآية بكونها في فرج من قبل أو دبر فيكون التقدير فمن ابتغى نكاح فرج غير فرج زوجته أو مملوكته فأولئك هم العادون[3] فيقتضي تحريم الزنا دون الاستمناء؛ لأن الزنا هو المعتاد عند العرب، وأما الاستمناء فلم يكن معهوداً فيهم

فليس بمندرج في قوله: ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[4].

١- سورة المؤمنون الآيات ٥-٧.

٢- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت / ٥١٠هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي ٥ / ٤١٠، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط / الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٣- بلوغ المنى في حكم الاستمنى ٣٨.

٤- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت / ٧٤٥هـ، البحر المحيط في التفسير ٦ / ٣٦٧، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط / ١٤٢٠ هـ.

أجيب:

أ- بأن الاستمناء داخل في أفراد العموم وإذا كان كذلك لم يتوقف اندراجه تحت العام على شيوعه وانتشاره بينهم كسائر أفراد العام فإنه لا يشترط فيها ذلك وهذا مذهب جمهور العلماء؛ لأن الحجة هي في اللفظ العام لا في العادات أو المعهودات[١].

ب- أن دعوى كون الاستمناء غير معهود عند العرب دعوى غير صحيحة، وذلك للأسباب الآتية:

- أنه ورد فيه آثار عن جماعة من الصحابة[٢]؛ فدل ذلك على كونه معروفاً لديهم في الإسلام وقبله.

- ورود أشعار ذكر فيها الاستمناء، وورود أسماء كثيرة له مما يدل على أنه كان معروفاً لديهم[٣].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٤].

وجه الدلالة:

أن الله عزوجل أمر بالاستعفاف، والاستعفاف هو صون النفس وكفها عن كل ما لم يبح[٥] كالزنا واللواط والاستمناء، كما دلت الآية على أن الإنسان إما أن

١- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت/ ١٢٧٠هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٨ / ١٠-١١، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط / الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢- أبو بكر عبدالرازق اليماني الصنعاني، مصنف عبد الرازق ٧/ ٣٩٠، أبو بكر بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة ٤ / ٣٣.

٣- أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، ت/ ٦١٩ه، شرح مقامات الحريري ٣/ ٣٠٠-٣٠٣، تحقيق:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / الأولى ١٤١٩هـ.

٤- سورة النور آية رقم ٣٣.

٥- أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، تفسير البحر المحيط ٦ / ٤١٥.

يتزوج أو يستعفف ولم تجعل بين الأمرين خياراً ثالثاً بالاستمناء فدل ذلك على أنه ليس بمباح إذ لو كان مباحاً لبينه سبحانه وتعالى في هذا الموضع ؛ لأن هذا مقام بيانه إذ أحوج ما يكون الإنسان إلى الاستمناء إذا لم يجد سبيلاً إلى النكاح[1].

من السنة:

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ مَعَ الْعَالَمِينَ، يَدْخُلُونَ النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا مِمَّنْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ: النَّاكِحُ يَدَهُ، وَالْفَاعِلُ ، وَالْمَفْعُولُ بِهِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالضَّارِبُ أَبَوَيْهِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا، وَالْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ، وَالنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ»[2].

١- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت / ٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ١٢ / ٢٢٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط / الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢- أخرجه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، ت / ٤٥٨هـ، في كتابه شعب الإيمان ٧ / ٣٢٩، باب تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها، حديث رقم ٥٠٨٧، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط / الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣، وأخرجه محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الكعبي، أبو بكر، المعروف بقاضي المارِسْتان، ت / ٥٣٥هـ، في كتابه أحاديث الشيوخ الثقات (المشيخة الكبرى) ٣ / ١٠٩٨، حديث رقم ٥٠٧، المحقق: الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط / الأولى ١٤٢٢ هـ، قال الذهبي: "يجهل هو وشيخه"، وقال الأزدي: "ضعيف"، يراجع محمد ناصر الدين الألباني، ت / ١٤٢٠هـ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٨ / ٥٨، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط / الثانية ١٤٠٥ه - ١٩٨٥م، أبوعبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ١٤٢٠هـ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ١٤ / ٥٠٢، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط / الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.

وجه الدلالة:

أن الحديث فيه وعيد شديد على من استمنى فدل ذلك على تحريم الاستمناء[١].

نوقش:

بأن الحديث ضعيف[٢].

٢- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم) «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[٣].

وجه الدلالة:

بما أن التحصن والتعفف واجب، والشباب أشد شهوة، خاطبهم النبى (صلى الله عليه وسلم) مرشدا لهم إلى طريق العفاف، وذلك أن من يجد منهم مؤنة النكاح من المهر والنفقة والسكن، فليتزوج؛لأن الزواج وسيلة لغض البصر عن النظر المحرم ويحصن الفرج عن الفواحش وأغرى من لم يستطع منهم مؤنة النكاح وهو تائق إليه- بالصوم، ففيه الأجر، وقمع شهوة الجماع وإضعافها بترك الطعام والشراب، فتضعف النفس وتنسد مجارى الدم التي ينفذ معها الشيطان،

١- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ت/ ٨٠٤هـ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ٧/ ٦٦٢، المحقق:مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، ط/ الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢- ضعفه ابن الملقن في البدر المنير ٧/ ٦٢٢، والألباني في إرواء الغليل ٨/ ٥٨.

٣- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري ٣/ ٢٦، بَابٌ: الصَّوْمُ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ العُزْبَةَ، حديث رقم ١٩٠٥، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط/ الأولى، ١٤٢٢هـ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت/ ٢٦١هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) ٢/ ١٠١٨، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤْنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ، حديث رقم ١٤٠٠، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

فالصوم يكسر الشهوة كالوجاء للبيضتين اللتين تصلحان المنى فتهيج الشهوة [1] فلو كان الاستمناء مباحاً لأرشد إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه أسهل.

من المعقول:

١- قاعدة الضرورات تبيح المحظورات[2] فضرورة ترك الحرام أو المحافظة على الصحة تبيح ارتكاب هذا المحظور.

٢- قاعدة إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما[3]، فحينما تجتمع مفسدة الاستمناء ومفسدة الزنا ونحوه بحيث لا يمكن دفعهما جميعاً فالواجب ارتكاب الأخف منهما ولا شك أن الاستمناء أخف من الزنا.

نوقش:

أن في الصوم صيانة لنفس من زين الله في قلبه حب الشهوات[4] كما ورد

١- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ت / ٨٥٥هـ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠ / ٦٨، دار إحياء التراث العربي - بيروت، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام، ت / ١٤٢٣هـ، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ١ / ٥٦، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة، ط / العاشرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي، ت / ١٣٤٩هـ، الأدب النبوي ١ / ٢٤٢-٢٤٣، دار المعرفة - بيروت، ط / الرابعة، ١٤٢٣هـ.

٢- أبوعبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت / ٧٩٤هـ، المنثور في القواعد الفقهية ٢ / ٣١٧، وزارة الأوقاف الكويتية، ط / الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، ت / ٩٧٢هـ، شرح الكوكب المنير ٤ / ٤٤٤، المحقق:محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط / الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا ت / ١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ، شرح القواعد الفقهية ١ / ١٨٥، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣- محمد مصطفى الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ١ / ٢٣٠، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت / ٩١١هـ، الأشباه والنظائر١ / ٨٧، دار الكتب العلمية، ط / الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤- ابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت / ٤٤٩هـ، شرح صحيح البخارى ٤ / ٢٥، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط / الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م،

في الحديث[١].

ويجاب:

بأن بعض الناس قد لا يستطيع الصوم وقد يشق عليه مشقة شديدة، كما أن الإنسان قد يضطر إلى الاستمناء اضطراراً؛ وذلك حينما تكون الفواحش متاحة بين يديه في وقت من الأوقات فلا يكون هناك خيار غير الاستمناء أو الوقوع في الفاحشة والعياذ بالله فيضطر إلى الاستمناء[٢].

أدلة القول الثاني القائل: بأن الاستمناء محرم مطلقاً استدلوا على ذلك بأدلة القول الأول[٣] وزادوا على ذلك ما يأتي:

١- أنه ثبت في الطب أن الاستمناء يورث أمراضاً كثيرة منها ضعف البصر، وضعف الأعضاء التناسلية، واضطراب الهضم، والتهاب الخصيتين، وسرعة الإنزال، وآلام الظهر، وضعف الفهم والإدراك، والهم والغم، فإذا كان الاستمناء بهذه المثابة فهو محرم؛ لأن الشريعة جاءت بدفع الضرر، وجعلت الأصل في المضار التحريم على كل حال[٤].

نوقش:

١- إن كثيراً من الأطباء المتخصصين ينفون هذه الدعوى ويرون أنها غير صحيحة من الناحية الطبية بل يعتبرون ذلك من الأوهام والخرافات[٥].

١- الحديث المشار إليه هو حديث " يا معشر الشباب" وقد سبق تخريجه صـ٢٧.

٢- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، شرح عمدة الأحكام، الدرس الستون، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net/

٣- ما عدا دليل المعقول الدال على إباحة الاستمناء عند الضرورة.

٤- جمال بن عبد الرحمن إسماعيل، ولا تقربوا الفواحش ٢ / ١٦٥، ١٧٧، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عبد الله بن الصديق الإدريسي، الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء صـ٤٠-٤٣، مكتبة القاهرة، مصر.

٥- بكر كمال، الجنس والحياة صـ١٥٦-١٥٧، مكتبة التوبة، الرياض، ط/ الأولى ١٤٢٠ه، فتاوى واستشارات موقع الإسلام اليوم، لعلماء وطلبة علم، http://www.islamtoday.net/

٢- إنه لو كان كل ما يؤدي إلى فتور الذكر موجباً للتحريم للزم من ذلك تحريم الأغذية المؤدية إلى فتور الذكر واللازم باطل بالإجماع فبطل الملزوم[١].

٣- إن عامة العلماء على جواز الاستمناء بكف الزوجة فما الفرق بين يد الزوجة ويد الرجل نفسه[٢].

٢- إن الفرج مع كونه يباح بالعقد لم يبح عند الضرورة فالاستمناء من باب أولى؛ لأنه لا يباح بالعقد[٣].

نوقش:

أ- أنه قياس مع الفارق؛ لأن وطء الفرج يترتب عليه مفاسد كثيرة كالتعدي على الآخرين، واختلاط الأنساب وغير ذلك بخلاف الاستمناء الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فالقياس غير صحيح[٤].

ب- إن الاستمناء يباح بالعقد فللرجل أن يستمني بيد زوجته بخلاف غيرها[٥].

أدلة القول الثالث: القائل بكراهة الاستمناء استدلوا على ذلك بالكتاب

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم

١- بلوغ المنى صـ٨٠.

٢- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت / ١٢٥٠هـ، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ٧ / ٣٣٨٣، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن.

٣- محمد بن مفلح، الفروع ومعه تصحيح الفروع ١٠ / ١٢٦.

٤- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ٦٧٦هـ، المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي ٧ / ٢٩٣، دار الفكر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج ١ / ٣٨٩، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ط / بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م، ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٥- أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي، ت / ٨٢٩هـ، كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار ١ / ٢٠٠، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دار الخير - دمشق، ط / الأولى، ١٩٩٤م، ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار٢ / ٣٩٩.

بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾[١].

وجه الدلالة:

١- إن الاستمناء ليس مما فصل لنا تحريمه فهو باقٍ على الأصل العام وهو الإباحة[٢].

نوقش:

إن الاستمناء مما فصل لنا تحريمه[٣] كما سبق بيان ذلك في أدلة القولين الأولين.

٢- أن مس الرجل ذكره بشماله مباح ومس المرأة فرجها كذلك مباح بإجماع الأمة كلها فإذا كان مباحاً فليس هنالك زيادة على المباح إلا التعمد لنزول المني [٤].

نوقش:

بأن علة النهي ليست لأن في ذلك مساً للذكر وإنما العلة هي سفح الماء في غير محله المشروع بدليل أنه لو استمنى بغير يده لكان واقعاً في المحظور[٥].

٣- قياس المني على الدم فكما أن الدم فضلة يجوز إخراجه عند الحاجة بالفصد أو الحجامة فكذلك المني يجوز إخراجه عند الحاجة بالاستمناء[٦].

١- سورة الأنعام آية رقم ١١٩.
٢- ابن حزم الظاهري المحلى ١٢ / ٤٠٧.
٣- عبد الله بن الصديق الإدريسي، الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء صـ ٥١.
٤- ابن حزم الظاهري، المحلى ١٢ / ٤٠٧.
٥- حاشية ابن عابدين ٣ / ٤٢٧.
٦- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، ت / ٥٤٣هـ، أحكام القرآن ٣ / ٢٣٧، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط / الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، روح المعاني ١٨ / ١٠، عبد الله بن الصديق الإدريسي، الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء ٥١.

نوقش:

أ- أنه قياس مخالف للأدلة التي سبقت في القولين الأولين فيكون فاسد الاعتبار لمخالفته النصوص[1].

ب- أنه قياس مع الفارق؛ لأن المني ليس بفضلة كالدم؛ لأن الله عزوجل امتن به على عباده فقال ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾[2] ولا يمتن سبحانه على عباده بالأمور الحقيرة كالفضلات[3].

القول الراجح:

بعد عرض آراء الفقهاء وأدلتهم ومناقشة هذه الأدلة يتضح والله أعلم أن القول الراجح القول الأول القائل أن الاستمناء محرم على الرجال والنساء إلا عند الضرورة كخشية الزنا ونحوه للأسباب الآتية:

١- أن عامة العلماء حتى الذين لا يرون التحريم يقرون أن الاستمناء ليس من مكارم الأخلاق ولا من الفضائل بل هو من الأمور المرذولة المستكرهة[4].

٢- أنه لم يقل أحد من العلماء - حسب علمي- بإباحة الاستمناء مطلقاً بل كلامهم دائر بين التحريم والكراهة، فهذا الاتفاق على النهي يقوي جانب التحريم.

٣- أن الاستمناء تنتج عنه مفاسد كثيرة كالإعراض عن النكاح وقلة النسل وقد يكون سبباً في عدم حصول اللذة بعد الزواج بحيث يعرض عن زوجته وينصرف إلى الاستمناء.

١- عبد الله بن الصديق الإدريسي، الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء صـ٥٢.
٢- سورة الواقعة آية رقم ٥٨.
٣- عبد الله بن الصديق الإدريسي، الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء صـ٥٢.
٤- ابن حزم الظاهري، المحلى ١٢ / ٤٠٧، سيد سابق، ت / ١٤٢٠هـ، فقه السنة ٢ / ٤٣٥، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط / الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٤- أن القول بتحريم الاستمناء فيه إغلاق لباب الشر وسد لذريعة الوقوع في أمور أعظم من ذلك كالزنا ونحوه، وذلك أن الشخص إذا تعود على هذه العادة فقد لا تكفيه فيتجرأ على ما هو أعظم وأخطر.

٥- أن في هذا القول تحصيلاً للمصالح ودرءاً للمفاسد، وذلك لأن في هذا القول منعاً للاستمناء في الأحوال العادية وترخيصاً فيه عند خوف الفتنة ولا شك أن هذا من الفقه المتين الذي يراعي المصالح والمفاسد ويسعى لدرء أعظم المفسدتين وجلب أعظم المصلحتين لا سيما وأن بعض الناس عند حصول الفتنة وسهولة الحصول على المحرم لا يطيق الصبر لكنه يستطيع تخفيف الشهوة بالاستمناء فيتعين عليه فعل ذلك لتجنب المحرم.

المطلب الثاني – حكم معاشرة الدمى الصناعية الجنسية

اختلف الفقهاء في هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: يرى أكثر الفقهاء المعاصرون[1] أن أي استمتاع جنسي بغير الاتصال المشروع بين الزوجين محرم شرعاً بأي وسيلة كانت وهو تعد لما أحل

١- أجابت لجنة الفتوى بدار الإفتاء المصرية عبر صفحتها الرسمية على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" عن حكم الشرع في معاشرة الدمى الصناعية الجنسية فقالت " لا يجوز الاستعانة بهذه الروبوتات الجنسية، وهي من قبيل الاستمناء المحرم شرعاً، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ سورة المؤمنون الآيات ٥-٧، وممن أفتى بذلك أيضا: سماحة الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق، العالم الأزهري الأستاذ الدكتور محمد أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، العالم الأزهري الأستاذ الدكتور حامد أبو طالب، عضو مجمع البحوث الإسلامي، العالم الأزهري الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية، العالم الأزهري الدكتور خالد عمران، أمين الفتوى بدار الإفتاء، العالم الأزهري الشيخ عبد الحميد الأطرش، رئيس لجنة الفتوى الأسبق، النائب طارق أبو زيد عضو اللجنة الدينية بمجلس النواب، النائب محمد إسماعيل عضو اللجنة الدينية والأوقاف، الشيخ سامح عبد الحميد، الداعية السلفي، يراجع المراجع و المواقع الإلكترونية الآتية: مجلة الأزهر المجلد الثالث صفحة رقم ٩١، عدد شهر محرم ١٣٩١هـ، تسجيل صوتي ومرئي على قناة يوتيوب youtbe.com.LTC، موقع مبتدا، www.mobtada.com، اليوم السابع رئيس التحرير خالد صلاح https:\\www.m.youmv .com.، كتب لؤي علي بتاريخ: ٢٧ أبريل ٢٠١٨م ٩:٠٠ ص، موقع سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني www.sistani.org \\:https.

الله وعليه فإن معاشرة الدمى الجنسية من الرجل أو المرأة يعتبر من قبيل الاستمناء باليد (العادة السرية) التي حرمها الفقهاء[1].

القول الثاني: يرى بعض الفقهاء المعاصرون[2] أنه لا مانع من معاشرة الرجل أو المرأة للدمية الجنسية إذ لا يوجد نص شرعي صحيح يحرم ذلك أو يعتبره زنا.

الأدلة:

أولاً أدلة القول الأول القائل: بأن أي استمتاع جنسي بغير الاتصال المشروع بين الزوجين محرم شرعاً بأي وسيلة كانت وهو تعد لما أحل الله استدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والمعقول كما يلي:

من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[3].

١- سبق ذكر آراء الفقهاء وأدلتهم في حكم الاستمناء بالتفصيل في هذا البحث من صـ٢١ إلى صـ٣٢.

٢- ممن أفتى بذلك الشيخ مصطفى راشد عالم أزهري وأستاذ للشريعة الإسلامية، مفتي استراليا ونيوزيلاندا، ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء الإسلام من أجل السلام، ورئيس منظمة الضمير العالمي = = لحقوق الإنسان، وعضو اتحاد الكتاب الإفريقي الأسيوي، وعضو الإتحاد الدولي للمحامين، والداعية المصري حذيفة المسير، والداعية المغربي عبد الباري الزمزمي، رئيس الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في فقه النوازل، والباحث المغربي رشيد إيلال، والباحث المصري أسامة الجنزوري، يراجع المواقع الآتية: موقع صوت الأمة www.soutalomma.com \\:htpps، مقال بعنوان «ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية حلال وليس زنا» رئيس التحرير: يوسف أيوب، مدير التحرير: هشام السروجي - أيمن عبد التواب، التاريخ: ٣٠-٤-٢٠١٨ موقع الحوار المتمدن، www.m.ahewar.org \\:https، موقع صدى مصر www.syiasteps.com \\:https، www.sadamisr.com \\:https، موقع أصوات مغاربيه، www.maghrebvoices.com \\:htpps، مقال بعنوان «باحث مغربي القرآن لم يحرم الجنس خارج إطار الزواج» بقلم: حليمة أبروك، التاريخ: ٢٢ نوفمبر ٢٠١٧م، موقع هسبريس www.hespress.com \\:https، حوار للزمزمي مع جريدة الأيام بقلم: عبد المغيث جبران، التاريخ: ٢٣-٣-٢٠١٢ موقع تلفزيون سوريا، www.syria.tv \\:https

٣- سورة المؤمنون الآيات ٥-٧.

وجه الدلالة:

أن الله سبحانه وتعالى أباح الاستمتاع بالزوجة والأمة ولم يبح ما سوى ذلك بل اعتبر من استمتع بما سوى الزوجة والأمة من الظالمين المتجاوزين من الحلال إلى الحرام فيدخل في ذلك سائر أنواع الاستمتاع بغير الزوجة والأمة بما في ذلك الاستمناء[١].

المناقشة:

ناقش أصحاب القول الثاني الاستدلال بهذه الآيات قائلين:

إنه قياس غير صحيح؛ لأن الآيات تتكلم عن حفظ فروج الأزواج من الممارسة مع إنسان آخر، وليس دمية أو عضو صناعي، ويعتبر كلامهم تشريع هم واضعوه ولا صلة له بشرع الله، وعليهم أن يتذكروا ماروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٢] عافانا الله من الكذب عليه أو الإفتاء بالتحريم دون نص لمجرد أنهم لا يستسيغوا الرأي أو قيامهم بليّ النصوص ليصلوا لقياس هو في الحقيقة غير متطابق تماماً هداهم الله لصحيح شرعه[٣].

من السنة:

١- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم) «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ

١- محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي ٥ / ٤١٠.

٢- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ١ / ٣٣، باب إثم من كذب على النبي (ﷺ)، حديث رقم ١١٠، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ١ / ١٠، باب التحذير من الكذب على رسول الله (ﷺ)، حديث رقم ٣.

٣- مصطفى راشد، موقع صوت الأمة htpps:\\www.soutalomma.com، مقال بعنوان «ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية حلال وليس زنا» رئيس التحرير: يوسف أيوب، مدير التحرير: هشام السروجي - أيمن عبد التواب، التاريخ: ٣٠-٤-٢٠١٨

بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[1].

وجه الدلالة:

قال الحافظ بن حجر رحمه الله أَرْشَد النبي (صلى الله عليه وسلم) الشباب عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ التَّزْوِيجِ إِلَى الصَّوْمِ الَّذِي يَقْطَعُ الشَّهْوَةَ فَلَوْ كَانَ الِاسْتِمْنَاءُ مُبَاحًا لَكَانَ الْإِرْشَادُ إِلَيْهِ أَسْهَلَ[2].

من المعقول:

١- معاشرة الدمى الصناعية الجنسية فعل محرم؛ لأن الله تعالى أمر المؤمنين بحفظ فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وعدَّ من تجاوز ذلك معتدياً[3].

٢- الدمية الصناعية الجنسية مجسمة على شكل امرأة «تمثال» لا يجوز بقاؤه في البيت بل لابد من إتلافه، وهو مانع من دخول الملائكة هذ البيت لقوله (صلى الله عليه وسلم) «إِن الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ صُورَةٌ»[4]،

١- سبق تخريجه صـ٢٧.

٢- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ١١٢، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت / ١٢٥٠هـ، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ٧ / ٣٣٧٧، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق، مكتبة الجيل=الجديد، صنعاء - اليمن، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ت / ١٣٥٣هـ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٤ / ١٦٩، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣- موقع إسلام ويب، الفتوى رقم ٩٧١٨٦، https:\\ www.islamweb.net.

٤- الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، ت / ١٧٩هـ، موطأ الإمام مالك ٢ / ١٤٣، باب ما جاء في الصور، حديث رقم ٢٠٣٣، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢ هـ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت / ٢٧٩هـ، سنن الترمذي ٥ / ١١٥، باب بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ، حديث رقم ٢٨٠٥، قال الشيخ الألباني هذا حديث حسن صحيح، يراجع: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ت / ٣٥٤هـ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه ٨ / ٢٩٧، ترتيب: الأمير أبو الحسن =

ولم يرخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في اتخاذ دمى صغيرة على صورة بنات إلا للأطفال الصغار ليلعبن بها لما روي عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم) مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»[1]، واستدل بالحديث على جواز اتخاذ اللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم القاضي عياض، ونقله عن الجمهور وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن[2].

= علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي، ت / ٧٣٩هـ، مؤلف التعليقات الحسان: أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ت / ١٤٢٠هـ، دار با وزير للنشر والتوزيع جدة - المملكة العربية السعودية، ط / الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت / ٢٧٥هـ، سنن أبي داود ٤ / ٢٨٣، باب في اللعب بالبنات، حديث رقم ٤٩٣٢، المحقق: محمد محيي الدين عبد= =الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت / ٤٥٨هـ، السنن الكبرى ١٠ / ٣٧١، باب ما جاء في اللعب بالبَنات، حديث رقم ٢٠٩٨٢، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط / الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م، وقال الألباني هذا حديث صحيح، يراجع : محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الرداوي المغربي المالكي، ت / ١٠٩٤هـ، جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائد ٣ / ٣٥٠، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع ، مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت، ط / الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٢- أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، ت / ٩٢٣هـ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩ / ٧٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط / السابعة، ١٣٢٣ هـ، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، ت / ١٣٢٩هـ، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ١٣ / ١٩١، دار الكتب العلمية - بيروت، ط / الثانية، ١٤١٥ هـ.

٣- قد أرشد النبي (صلى الله عليه وسلم) من لم يقدر على الزواج إلى أحد طريقين هما العفة أو الصوم، ولم يذكر طريقاً غيرهما فدل على تحريم الاستمناء وعليه فيحرم الاستمتاع بالدمى الصناعية الجنسية، سواء حصل إنزال أم لا[١].

٤- إن استعمال الدمية الصناعية الجنسية لقضاء الشهوة حرام شرعاً؛ لأنه قضاء للشهوة بغير الطريق الشرعي؛ حيث حصر الإسلام ذلك عن طريق الزواج وحرم كل وسيلة أخرى تؤدي إلى قضاء الشهوة مع غير الزوجة كالاستمناء ونحوه، فمن طلب قضاء شهوته بغير طريق الزواج فهو معتد وظالم[٢].

٥- إن الدمية الصناعية الجنسية التي تداولت أخبار أنها يمكن أن تكون بديلاً جيداً للنساء في المستقبل، هي تصرفات ستدفع بالسلوك الإنساني نحو اتجاه لا ديني يحاول أن يهدم فكرة أن الأسرة السليمة هي أساس بناء المجتمع، وممارسة الإنسان السوي للجنس لا ينبغي أن يكون في فراغ، بل ينبغي أن ترتبط بمقصد راق يصب في نهايته في سبيل تزكية النفس البشرية أو عمارة الأرض بالاستبقاء على النوع البشري[٣].

٦- إن الدمية الصناعية الجنسية من المبتكرات التي ستفتح باباً للعزوبية وتعطيل مقاصد الشريعة في الزواج الذي أساسه المودة والرحمة، والدمية تفتقد إلى المودة[٤].

١- فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الأولى ٢٢ / ٥٥-٦١.

٢- العالم الأزهري الأستاذ الدكتور حامد أبو طالب عضو مجمع البحوث الإسلامي عبر تصريحات لـ " اليوم السابع، رئيس التحرير: خالد صلاح www.m.youmv \\:https .com.، بقلم: لؤي علي بتاريخ: ٢٧ أبريل ٢٠١٨م ٠٠:٩ ص.

٣- العالم الأزهري الدكتور خالد عمران، أمين الفتوى بدار الإفتاء، عبر تصريحات لـ " اليوم السابع " رئيس التحرير: خالد صلاح www.m.youmv \\:https .com.، بقلم لؤي علي بتاريخ: ٢٤-٨-٢٠١٦، ٠٦:٠٥ م.

٤- العالم الأزهري الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية عبر تصريحات لـ " اليوم السابع رئيس التحرير: خالد صلاح www.m.youmv \\:https .com.، بقلم: لؤي علي بتاريخ: ٢٧-٤-٢٠١٨، ٠٠:٩ ص.

٧- إن من يقدم هذه الحلول للاستمتاع الجنسي يحاول أن يهدم هذه القيم والمقاصد، وفي هذا المسلك خطورة شديدة على الإنسان ستؤدي في النهاية إلى العزلة الاجتماعية وفقدان

قدرات التواصل، وغير ذلك من آثار اجتماعية ونفسية سيئة[١].

٨- كما أنها ستؤدي إلى استغناء الأعزب أو البكر عن دفء المشاعر مع قرينه وستؤدي إلى مشاكل بين المتزوجين، وتفسد علاقات المصاهرة، وهو يتعارض مع الرابطة الحميمة التي أحكم القرآن تصويرها بقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [٢] [٣].

ثانياً أدلة القول الثاني القائل بجواز معاشرة الدمى الصناعية الجنسية استدلوا بالقياس والمعقول كما يلي:

من القياس: قياس شراء الدمى على شراء الإماء في عصور الإسلام الأولى أو أي عصر آخر[٤].

المناقشة:

ناقش أصحاب القول الأول القائل بتحريم معاشرة الدمى الجنسية هذا القياس بأنه قياس مع وجود الفارق؛لأن الأمة إنسان كامل له جسمه ودمه وروحه وعقله وعواطفه وسائر أوصاف الإنسانية، وهذه الدمى هي أجسام مطاطية، ومعلوم ما

١- العالم الأزهري الدكتور خالد عمران، أمين الفتوى بدار الإفتاء، عبر تصريحات لـ "اليوم السابع رئيس التحرير: خالد صلاح www.m.youmv \\:https .com.، بقلم لؤي علي بتاريخ: ٢٤-٨-٢٠١٦، ٠٦:٠٥ م.

٢- سورة البقرة آية رقم ١٨٧.

٣- العالم الأزهري الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية عبر تصريحات لـ«اليوم السابع رئيس التحرير: خالد صلاح www.m.youmv \\:https .com.، بقلم: لؤي علي بتاريخ: ٢٧-٤-٢٠١٨، ٩:٠٠ ص.

٤- موقع إسلام ويب الفتوى رقم ٦٤٣٤٢، ٩٧١٨٦، https:\\ www.islamweb.net

بينها وبين الإنسان الحقيقي من المنافاة[١].

من المعقول:

١- التحريم لا يكون إلا بنص قرآني، أو حديث صحيح، أو قياس متطابق مع أمر محرم، وفي حالة الممارسة الجنسية مع الدمية أو استعمال العضو الذكري الصناعي الذي تستخدمه المرأة، لا يوجد نص قرآني أو حديث صحيح يحرم ذلك [٢].

٢- يمكن للروبوتات الجنسية تلبية الرغبات الجنسية بكفاءة والتحرر من القيود والتعقيدات والخوف من عدم النجاح الجنسي [٣].

٣- أن هذه الدمى لن تحتاج إلى تزييف العلاقة الجنسية كما يحدث في بيوت الدعارة [٤].

القول الراجح:

بعد عرض آراء الفقهاء وأدلتهم ومناقشة هذه الأدلة يتضح والله أعلم أن القول الأول القائل بأن أي استمتاع جنسي بغير الاتصال المشروع بين الزوجين محرم شرعاً بأي وسيلة كانت وهو تعد لما أحل الله، ويؤيدهم فى ذلك ما في معاشرة الدمى الصناعية الجنسية كما أثبت الأطباء من ضرر بالغ بالأعصاب

١- موقع إسلام ويب الفتوى رقم ٦٤٣٤٢، ٩٧١٨٦، https:\\ www.islamweb.net

٢- مصطفى راشد، موقع صوت الأمة htpps:\\www.soutalomma.com، مقال بعنوان «ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية حلال وليس زنا» رئيس التحرير: يوسف أيوب، مدير التحرير: هشام السروجي - أيمن عبد التواب، التاريخ: ٣٠-٤-٢٠١٨

٣- مصطفى راشد، موقع صوت الأمة htpps:\\www.soutalomma.com، مقال بعنوان «ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية حلال وليس زنا» رئيس التحرير: يوسف أيوب، مدير التحرير: هشام السروجي - أيمن عبد التواب، التاريخ: ٣٠-٤-٢٠١٨

٤- مصطفى راشد، موقع صوت الأمة htpps:\\www.soutalomma.com، مقال بعنوان «ممارسة الجنس مع الدمية الصناعية حلال وليس زنا» رئيس التحرير: يوسف أيوب، مدير التحرير: هشام السروجي - أيمن عبد التواب، التاريخ: ٣٠-٤-٢٠١٨

والقوى والعقول، وذلك يوجب التحريم، ومما يساعد على التخلص منها أمور، على رأسها [١]:

١- المبادرة بالزواج عند الإمكان ولو كان بصورة مبسطة لا إسراف فيها ولا تعقيد.

٢- الاعتدال فى الأكل والشرب حتى لا تثور الشهوة، والرسول فى هذا المقام أوصى بالصيام فى الحديث الصحيح «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ [٢]».

٣- البعد عن كل ما يهيج الشهوة كالاستماع إلى الأغانى الماجنة والنظر إلى الصور الخليعة، مما يوجد بكثرة فى الأفلام بالذات.

٤- توجيه الإحساس بالجمال إلى المجالات المباحة، كالرسم للزهور والمناظر الطبيعية غير المثيرة.

٥- تخير الأصدقاء المستقيمين والانشغال بالعبادة عامة، وعدم الاستسلام للأفكار.

٦- الاندماج في المجتمع بالأعمال التى تشغله عن التفكير فى الجنس.

٧- عدم الرفاهية بالملابس الناعمة والروائح الخاصة التى تفنن فيها من يهمهم إرضاء الغرائز وإثارتها.

٨- عدم النوم فى فراش مثير يذكر باللقاء الجنسى.

٩- البعد عن الاجتماعات المختلطة التى تظهر فيها المفاتن ولا تراعى الحدود.

١- مجلة الأزهر المجلد الثالث صفحة رقم ٩١، عدد شهر محرم ١٣٩١ه.
٢- سبق تخريجه صـ٢٧.

وبهذا وأمثاله تعتدل الناحية الجنسية ولا تلجئ إلى هذه العادة التى تضر الجسم والعقل وتغرى بالسوء.

الخاتمة

الحمد لله له الشكر وله الحمد وله الثناء الحسن، على ما أكرمني به من نعمة وفضل بإتمام هذا البحث بعد هذه الرحلة العلمية، الممتعة في هذا الموضوع وهو «الدمية الصناعية الجنسية» فذلل ليّ الصعاب وبارك لي في وقتي لإنجاز هذا العمل، وأدعوه سبحانه أن يكون قلمي قد وفق في تقديم ما يدور بخلدي، فاالعلم من الله والسهو من الإنسان، وقبل أن أضع القلم، وإتماماً للفائدة سجلت أهم النتائج التي توصلت إليها في البنود الآتية:

١- الدمية الصناعية الجنسية هي نوع من الألعاب الجنسية تكون مشابه في حجم وشكل الشريك من أجل الحصول على مساعدة في الاستمناء.

٢- تعود نشأة الدمية الجنسية إلى القرن السابع عشر الميلادي وكانت تصنع من القماش أو بقايا الملابس البالية، وقد تم تطويرها من القماش إلى مواد أخرى أكثر إثارة في أواخر القرن العشرين.

٣- الغرض من صناعة الدمية الجنسية هو تحقيق الرغبة الجنسية.

٤- من أسباب انتشار الدمية الصناعية الجنسية أنها الحل الأنسب لشباب لم يتمكنوا من الزواج بفضل غلاء تكاليف تأسيس أسرة كما قال المؤيدون لها، والمعارضون يقولون أنها من باب الانحراف الجنسي ولا تتماشى مع القيم والأخلاق، وتشيع الفاحشة بين الشباب.

٥- استخدام الدمية الجنسية يسبب مخاطر عديدة بعضها صحي كالالتهابات الجلدية، وسرعة القذف واحتقان البروستاتا، وفشل العلاقة الحميمة بعد

الزواج، وبعضها ديني ككسر الحواجز الدينية التي تحرم العلاقات الجنسية خارج الإطار الشرعي المقصود به الزواج، وبعضها نفسي كتدمير الحياة الزوجية، توحد الكبار، زيادة نسبة العنوسة، الانحراف الأخلاقي، وبعضها اجتماعي كتقطع أواصر العلاقات الإنسانية.

٦- استيراد الدمى الجنسية والتجارة بها بأي شكل من الأشكال حرام شرعاً والمال الذي يحصل عليه من ذلك سحت وحرام لا يحل لصاحبه لأنه مال خبيث جاء عن طريق كسب محرم.

٧- الاستمناء محرم على الرجال والنساء إلا عند الضرورة كخشية الزنا ونحوه.

٨- أي استمتاع جنسي بغير الاتصال المشروع بين الزوجين محرم شرعاً بأي وسيلة كانت وهو تعد لما أحل الله.

أهم التوصيات

١- تقوية الجانب الإيماني للأبناء منذ الصغر.

٢- أوصي الشباب غير القادرين على الزواج أن يتقوا الله، وليسألوا ربهم العون، وليحذروا من نزغات الشيطان، في قضاء الوطر فيما حرم الله عز وجل، وليستعينوا بالصوم، فإن الصوم يعين، كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام، فيصوموا ويجتهدوا في أسباب العفة والعافية، من غض البصر عن النظر إلى النساء، والعناية بأسباب حفظ الفرج، والله يعينهم ويوفقهم، إذا صدقوا وأخلصوا، يسر الله أمرهم ويسر لهم النكاح.

٣- أوصي الشباب القادرين على الزواج بالمبادرة إليه وأن يبادر أباؤهم وإخوانهم إلى معاونتهم والحرص على الزوجة الصالحة لقوله (صلى الله عليه وسلم):«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[1]، حتى يتجنب الشباب الوقوع في الموبقات تحت وطأة مغريات هذا العصر ويتجه الوجهة الصحيحة.

٤- الشباب عليه أن يتعب ويجتهد من أجل أن يقوم بتجهيز نفسه للزواج، ولا يلجأ لتلك الممارسات السيئة التي تضر بصحته ونفسيته وتأخذ من تفكيره وطاقته.

٥- يجب على التجار أن يتقوا الله عزوجل في البضائع المستوردة وأن يحرصوا على استيراد النافع والمفيد وألا يستوردوا المحرمات والبضائع الضارة أو سريعة التلف والعطب.

١- سبق تخريجه صـ٢٧.

٦- فمع بيان ضرورة الامتناع عن ممارسة الجنس عبر هذه الوسائل شرعاً، فإنه على المعنيين بالحفاظ على المجتمعات وخصوصاً المجتمع المصري والمعنيين بالحفاظ على النوع البشري من آثار هذه الإجراءات غير الرشيدة، أن يبادروا لتيسير أمر الزواج ويساعدوا فيه، وأن يبادروا إلى عمل برامج تدريبية وتعليمية للمقبلين على الزواج لتعليمهم العيش في حياة زوجية سعيدة تتوازن فيها مطالب الجسد والنفس والروح.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثبت المصادر

كتب التفسير

- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المتوفى عام٧٤٥هـ، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى عام٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).
- أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى، المتوفى عام١١٢٧هـ، روح البيان، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، المتوفى عام٥٤٣هـ، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء:٤.
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المتوفى عام١٢٧٠هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).
- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المتوفى عام٤٦٥هـ، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى عام ٣١٠هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى عام١٢٥٠هـ، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى عام٥١٠هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

كتب الحديث

- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المتوفى عام٨٠٤هـ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المحقق:مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٩.
- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، المتوفى عام٢٧٣هـ، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.
- ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، المتوفى عام٤٤٩هـ، شرح صحيح البخارى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.
- أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، المتوفى عام ٣٨٥هـ، سنن الدار قطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.
- أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، المتوفى عام ١٣٥٣هـ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.
- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المتوفى عام٢٣٥هـ، المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.
- أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المتوفى عام٢١١هـ،

المصنف، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.

- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المتوفى عام ٢٧٥هـ، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

- أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام، المتوفى عام١٤٢٣هـ، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١.

- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المتوفى عام١٤٢٠هـ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٤.

- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، المتوفى عام ٢٥٥هـ، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، المتوفى عام٨٥٥هـ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢.

- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المتوفى عام ٤٥٨هـ، السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المتوفى عام٤٥٨هـ، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار

السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).

- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

- أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المتوفى عام ٩٢٣هـ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

- شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، المتوفى عام ٩٥٦هـ، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٣.

- علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، المتوفى عام ١٠١٤هـ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

- علي علي صبح، التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.

- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، المتوفى عام ١٧٩هـ، موطأ الإمام مالك، المحقق: بشار عواد معروف – محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

- محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، المتوفى عام ١٣٢٩هـ، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٤.

- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي المتوفى عام ٣٥٤هـ، مؤلف الأصل، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي، المتوفى عام ٧٣٩هـ، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المتوفى عام ١٤٢٠هـ، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٢ (١٠ أجزاء ومجلدان فهارس).

- محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الكعبي، أبو بكر، المعروف بقاضي المارِسْتان، المتوفى عام٥٣٥هـ، أحاديث الشيوخ الثقات (المشيخة الكبرى)، المحقق: الشريف حاتم بن عارف العوني، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

- محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، المتوفى عام: ١١٣٨هـ، حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، الناشر: دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى عام ١٢٥٠هـ، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، عدد الأجزاء: ١٢.

- محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي، المتوفى عام ١٠٩٤هـ، جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.

- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المتوفى عام

٢٧٩هـ، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

- محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي، المتوفى عام١٣٤٩هـ، الأدب النبوي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الرابع ، ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- محمد ناصر الدين الألباني، المتوفى عام١٤٢٠هـ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ه، - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٩، ٨ومجلد للفهارس.
- محمود محمد خليل، المسند الجامع ، حققه ورتبه وضبط نصه: الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢٢ (٢٠ جزء ومجلدان فهارس).
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المتوفى عام٢٦١هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥.
- شرح سنن ابن ماجه، هذا الكتاب مجموع من ٣ شروح ١- «مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، ٢- «إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت١٢٩٦ه)، ٣- «ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (١٣١٥ هـ)، الناشر: قديمي كتب خانة - كراتشي، عدد الأجزاء: ١.

كتب الفقه الحنفي

- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، المتوفى عام١٢٥٢هـ، رد المحتار على الدر المختار، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦.
- أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيديّ اليمني الحنفي، المتوفى عام ٨٠٠هـ، الجوهرة النيرة، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٢.

- أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي - توفي ١٢٣١ هـ، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.
- زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، المتوفى عام٩٧٠هـ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ، عدد الأجزاء:٨.
- كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، المتوفى عام ٨٦١هـ، فتح القدير، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٠.

كتب الفقه المالكي

- الحاجّة كوكب عبيد، فقه العبادات على المذهب المالكي، الناشر: مطبعة الإنشاء، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، المتوفى، ٩٥٤هـ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦.

كتب الفقه الشافعي

- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المتوفى عام٤٥٠هـ، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١٩.
- أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي، المتوفى عام٨٢٩هـ، كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، الناشر: دار الخير - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ١.
- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى عام٦٧٦هـ، المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، الناشر: دار الفكر.

- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م، (ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ)، عدد الأجزاء: ١٠.

- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، المتوفى عام ٢٠٤هـ، الأم، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨.

كتب الفقه الحنبلي:

- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين، المتوفى عام ٨٨٤هـ، المبدع في شرح المقنع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء:٨.

- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، المتوفى عام٦٢٠هـ، الكافي في فقه الإمام أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى عام ٧٥١هـ، بدائع الفوائد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

- محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المتوفى عام١٤٢١هـ، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ، عدد الأجزاء:١٥.

- محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي، المتوفى عام ٧٦٣هـ، الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ مـ، عدد الأجزاء: ١١.

كتب الفقه الظاهري:

- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المتوفى عام٤٥٦هـ، المحلى بالآثار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٢.

كتب أصول الفقه:

- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المتوفى عام٧٩٤هـ، المنثور في القواعد الفقهية، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء:٣.

- أحمد بن الشيخ محمد الزرقا (١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ)، شرح القواعد الفقهية صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، الناشر: دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.

- الشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة:الرابعة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ١.

- تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، المتوفى عام٩٧٢هـ، شرح الكوكب المنير، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ، عدد الأجزاء:٤.

- د. محمد مصطفى الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء:٢.

- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى عام٩١١هـ، الأشباه والنظائر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

- محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ، عدد الأجزاء: ١.

كتب الفتاوى:

- أصحاب الفضيلة العلماء سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المتوفى عام ١٤٢٠هـ، فضيلة الشيخ: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، فضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، المتوفى عام١٤٣٠هـ، فتاوى إسلامية، إضافة إلى اللجنة الدائمة، وقرارات المجمع الفقهي، المؤلف (جمع وترتيب): محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، الناشر: دار الوطن.

- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، عدد الأجزاء: ٢٦ جزءا، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض للنشر، الرياض، الطبعة: جـ ١: الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ، جـ ٢: الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، جـ ٣: الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ج٤:الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المتوفى عام٧٢٨هـ، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى عام١٢٥٠هـ، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، عدد الأجزاء: ١٢.

كتب اللغة:

- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المتوفى عام ٤٥٨هـ، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).

- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المتوفى عام ٥٣٨هـ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٢.

- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المتوفى عام ٣٩٣هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء:٦.

- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى عام٣٩٥هـ، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

- د أحمد مختار عبد الحميد عمر، المتوفى عام١٤٢٤هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (٣ ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد.

- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المتوفى عام٥٤٤هـ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.

- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى عام ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

- محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين، المتوفى عام ٧٠٩هـ، المطلع على ألفاظ المقنع، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المتوفى عام٣٧٠هـ، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المتوفى عام ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

كتب أخرى:

- أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي المتوفى عام ٦١٩ه، شرح مقامات الحريري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ ه.
- الدكتور / بكر كمال، الجنس والحياة، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه.
- الدكتور جواد علي، المتوفى عام ١٤٠٨هـ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢٠.
- الدكتور موريس شربل، مشكلاتنا الجنسية (الأسباب والعلاج)، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ه.
- الشيخ عبد الله بن الصديق الإدريسي، الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء، مكتبة القاهرة، مصر.
- العلامة محمد بن علي الشوكاني المتوفي عام ١٢٥٠، بلوغ المنى في حكم الاستمنى، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤ه.
- بامخرمة أحمد سعيد، اقتصاديات الصناعة، الناشر: دار الزهران للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية ١٩٩٤م.
- جمال بن عبد الرحمن إسماعيل، ولا تقربوا الفواحش، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عدد الأجزاء:١.
- حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، فقه التاجر المسلم، الطبعة: الأولى، بيت المقدس ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، توزيع: المكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر، عدد الأجزاء: ١
- سيد سابق، المتوفى عام١٤٢٠هـ، فقه السنة، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين شرح عمدة الأحكام، الدرس الستون، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

- علي بن نايف الشحود، الأحكام الشرعية للثورات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م، عدد الأجزاء: ١.
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

المقالات:

- مقالة طبية للدكتورة ألفت السباعي أستاذ ورئيس قسم الجراحة بطب المنوفية، وعضو الأكاديمية الدولية للعقم بنيويورك، رئيس جمعية البحر المتوسط لأمراض الحوض، موقع فيتو رئيس التحرير عصام كامل www.vetogate.com
- مقالة طبية للدكتور طه عبد الناصر أستاذ طب وجراحة أمراض الذكورة بجامعة القاهرة، والدكتور أيمن السكندري، استشاري الصحة الإنجابية وخبير التدريب بالمجلس القومي للسكان، www.alfajertv.com ،www.egy press.com

المجلات:

- مجلة الأزهر المجلد الثالث صفحة رقم ٩١، عدد شهر محرم ١٣٩١ه.

المواقع الإلكترونية:

- www.m.wikipedia.org www.arabic.com
- www.mawdoo3.com
- www.anfaspress.com
- www.arabic.sputniknews.com
- www.algamal.net
- www.annahar.com
- www.anfaspress.com
- www.arabic.sputniknews.com
- www.anfaspress.com
- www.arabic.sputniknews.com

- www.anfaspress.com
- www.washwasha.org
- www.lawn7ayatek.blogspot.com
- www.anfaspress.com
- www.yasaloonak.net
- www.islamqa.inf
- www.islamweb.net
- www.mobtada.com www.echoroukonline.com
- www.ferkous.com
- www.almoslim.net
- books.google.com.eg
- www.yasaloonak.net
- http://www.islamtoday.net
- youtbe.com.LTC
- m.youm7.com.
- www.sistani.org
- www.soutalomma.com
- www.m.ahewar.org
- www.sadamisr.com
- www.syiasteps.com
- www.maghrebvoices.com
- www.hespress.com
- www.syria.tv
- www.amrkhaled.net
- www.sawt-albalad.com

Establish sources:

Tafsir books:

- Ismail Haqqi ibn Mustafa al-Istanbuli al-Hanafi al-Khaluti, Mawla Abu al-Fida, who died in 1127 AH, Ruh al-Bayan, publisher: Dar al-Fikr - Beirut.
- Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer al-Din al-Andalusi, who died in 745 AH, The Sea of the Ocean in Tafsir, the investigator: Sidqi Muhammad Jamil, publisher: Dar al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.
- Shihab al-Din Mahmud bin Abdullah al-Husayni al-Alusi, who died in 1270 AH, The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Mutanic Seven, Investigator: Ali Abd al-Bari Attiyah,

Hadith Books

- Ahmad bin al-Hussein bin Ali bin Musa al-Khusrawjirdi al-Khurasani, Abu Bakr al-Bayhaqi, who died in 458 AH, as-Sunan al-Kubra, investigator: Muhammad Abdul Qadir Atta, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 1424 AH - 2003 CE.
- Ahmad bin al-Hussein bin Ali bin Musa al-Khusrawjirdi al-Khorasani, Abu Bakr al-Bayhaqi, who died in the year 458 AH, People of Faith, investigated it, reviewed its texts and produced his hadiths: Dr. Abd al-Ali Abd al-Hamid Hamid, supervised its investigation and the production of his hadiths: Mukhtar Ahmad Al-Nadwi, owner of the Salafist House in Bombay - India, Publisher: Al-Rashed Library for Publishing and Distribution in Riyadh, in cooperation with the Salafist House in Bombay, India, Edition: First, 1423 AH - 2003 CE, Number of Parts: 14 (13, one volume for indexes).
- Ahmed bin Ali bin Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani al-Shafi'i, Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari, publisher: Dar al-Maarifa - Beirut, 1379, the number of his books, chapters and hadiths: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, directed and corrected and supervised by: Moheb al-Din al-Khatib, comments Mark: Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz, number of parts: 13
- Ahmed bin Muhammad bin Abi Bakr bin Abd al-Malik al-Qastalani al-Qutaybi al-Masri, Abu al-Abbas, Shihab al-Din, who died in 923 AH, Irshad al-Sari to explain Sahih al-Bukhari, Publisher: The Great Amiri Press, Egypt, Edition: seventh, 1323 AH, number of parts: 10.
- Ibn Battal Abu Al-Hassan Ali bin Khalaf bin Abdul Malik, who died in the year 449 AH, Explanation of Sahih Al-Bukhari, edited by: Abu Tamim Yasser bin Ibrahim, Publishing House: Al-Rushd Library - Saudi Arabia, Riyadh, 2nd Edition, 1423 AH - 2003 AD, Number of Parts: 10.

- Abu Bakr bin Abi Shaybah, Abdullah bin Muhammad bin Ibrahim bin Othman bin Khwasti al-Absi, who died in 235 AH, compiled on hadiths and archeology, investigator: Kamal Yusef al-Hout, publisher: Al-Rashed Library - Riyadh, Edition: First, 1409, Number of Parts: 7.
- Abu Bakr Abdul Razzaq bin Hammam bin Nafi Al-Hamiri Al-Yamani Al-Sanaani, who died in 211 AH, compiler, investigator: Habib Al-Rahman Al-Azhami, publisher:
- The Scientific Council - India, asks from: The Islamic Office - Beirut, Edition: Second, 1403, Number of Parts: 11.
- Abu al-Hasan Ali bin Omar bin Ahmed bin Mahdi bin Masoud bin Nu›man bin Dinar al-Baghdadi al-Daraqutni, who died in 385 AH, Sunan al-Dar Qatni, he verified and set its text and commented on it: Shuaib Al-Arnaout, Hassan Abdel Moneim Shalabi, Abd Al-Latif Harz Allah, Ahmed Barhoum, Publisher: The Resala Foundation, Beirut - Lebanon, Edition: First, 1424 AH - 2004 CE, Number of Parts: 5.
- Abu Dawud Suleiman bin Al-Ash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr Al-Azdi Al-Sijjastani, who died in the year 275 AH, Sunan Abi Dawood, investigator: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, Publisher: The Modern Library, Sidon - Beirut, Number of Parts: 4.
- Shams al-Din Muhammad ibn Umar bin Ahmad al-Sufiri al-Shafi'i, who died in 956 AH, preaching councils in explaining the hadiths of the best of the wilderness, may God bless him and grant him peace, from the Sahih of Imam al-Bukhari. Edition: First Edition, 1425 AH - 2004 CE, number of parts: 3.
- Explanation of Sunan Ibn Majah, this book is a collection of 3 commentaries 1-»The Bottle Lamp" by al-Suyuti (d. 911 AH), 2-»The Success of the Need" by Muhammad Abd al-Ghani al-Majdidi al-Hanafi (d. 1296 AH), 3-»What is befitting of language solution and explanation Problems»by Fakhr Al-Hasan Bin Abdul Rahman Al-Hanafi Al-Kankohi (1315 AH), Publisher: Qadami Books Khan - Karachi, Number of Parts: 1.
- Abu Abd al-Rahman Abdullah bin Abdul Rahman bin Salih bin Hamad bin Muhammad bin Hamad al-Bassam, who died in 1423 AH, Tayseer al-Alam explained the mayor of al-Ahkam, investigated and commented on it and produced his hadiths and compiled its indexes: Muhammad Subhi bin Hassan Hallaq, publisher: Library of the Companions, Emirates - Al-Tabi'een Library, Cairo, Edition: The Tenth, 1426 AH - 2006 AD, Number of Parts: 1.
- Abu Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din, Ibn al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, al-Ashqudari al-Albani, who died in 1420 AH, a series of weak and fab-

ricated hadiths and their bad impact on the nation, Publishing House: Dar Al Ma'arif, Riyadh - Saudi Arabia, Edition: First, 1412 AH/1992 CE, number of parts: 14.

- Abu Al-Ela Muhammad Abd al-Rahman bin Abd al-Rahim al-Mubarakfoury, who died in 1353 AH, Tuhfat al-Ahwadhi, explained by Jami al-Tirmidhi, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, the number of parts: 10
- Ali bin (Sultan) Muhammad, Abu al-Hasan Nur al-Din al-Mulla al-Harawi al-Qari, who died in 1014 AH, Marqat al-Muftah, Sharh Mishkat al-Masabah, Publisher: Dar al-Fikr, Beirut - Lebanon, First Edition, 1422 AH - 2002 CE, Number of Parts: 9
- Ali Ali Subuh, The Prophetic Depiction of Moral and Legislative Values in the Noble Hadith, Publisher: Al-Azhar Library for Heritage, Edition: First: 1423 AH - 2002 AD, Number of Parts: 1.
- Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad bin Yazid al-Qazwini, and Majah, the name of his father Yazid, who died in 273 AH, Sunan Ibn Majah, investigation by: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, publisher: House of Revival of Arabic Books - Faisal Issa al-Babi al-Halabi, the number of parts: 2.
- Malik bin Anas bin Malik bin Amer Al-Asbahi Al-Madani, who died in 179 AH, Muwatta of Imam Malik, Investigator: Bashar Awad Maarouf - Mahmoud Khalil, Publisher: Institution Al-Risala, Year of Publication: 1412 AH, Number of Parts: 2.
- Muhammad Ashraf bin Amir bin Ali bin Haider, Abu Abd al-Rahman, Sharaf al-Haq, al-Siddiqi, al-Azim Abadi, who died in 1329 AH, Awn al-Ma'bood Sharh Sunan Abi Dawood, and with him Ibn al-Qayyim's retinue: Refining Sunan Abi Dawood and clarifying his causes and problems, publisher: Dar Scientific Books - Beirut, edition: the second, 1415 AH, number of parts: 14.
- Muhammad bin Ismael Abu Abdullah al-Bukhari al-Ja'afi, al-Jami al-Musnad al-Sahih al-Muqtisn from the affairs of the Messenger of God and his Sunnah and days = Sahih al-Bukhari, the investigator: Muhammad Zuhair bin Nasser al-Nasir, publisher: Dar Tawq al-Najat (illustrated on the Sultanate by adding the numbering numbering Muhammad Fuad Abd Al-Baqi), Edition: First, 1422 AH, Number of Parts: 9.
- Muhammad bin Hibban bin Ahmed bin Habban bin Muadh bin Mu'adh, al-Tamimi, Abu Hatim, al-Darami, al-Basti, who died in 354 AH, author of the original, al-Hasan commentaries on Sahih Ibn Hibban and Tamayaz Suqeim from his Sahih, and anomaly from Mahfouz, arranged by: Prince Abu al-Hassan Ali Bin Belban Bin Abdullah, Ala Al-Din Al-Farsi Al-Hanafi, who died in 739

AH, author of Al-Hassan Comments: Abu Abdul-Rahman Muhammad Nasir Al-Din, Bin Al-Hajj Noah Bin Najati Bin Adam, Al-Ashqoudari Al-Albani, who died in 1420 AH, Publisher: Dar Ba Wazir for Publishing and Distribution Jeddah - The Kingdom of Saudi Arabia, Edition: The First, 1424 AH - 2003 CE, Number of Parts: 12 (10 volumes and two volumes of indexes).

- Muhammad bin Abd al-Baqi bin Muhammad al-Ansari al-Kaabi, Abu Bakr, known as the judge of the two practices, who died in 535 AH, the hadiths of the trustworthy sheikhs (the great sheikhdom), the investigator: Al-Sharif Hatim bin Aref al-Awni, publisher: Dar Alam al-Benefits for publication and distribution, first edition: 1422 AH Number of parts: 3.

- Muhammad ibn Abd al-Hadi al-Tawi, Abu al-Hasan, Nur al-Din al-Sindi, who died in 1138 AH, Sindhi's footnote to Sunan Ibn Majah = Sufficiency of Need in Explanation of Sunan Ibn Majah, Publisher: Dar Al-Jeel - Beirut, without edition.

- Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani of Yemen, who died in 1250 AH, Al-Fath al-Rabbani from the fatwas of Imam al-Shawkani, achieved and ranked: Abu Musab»Muhammad Subhi" bin Hassan Hallaq, publisher: New Generation Library, Sana'a - Yemen, the number of parts: 12.

- Muhammad bin Muhammad bin Suleiman bin al-Fassi bin Tahir al-Sousi al-Radwani al-Maghribi al-Maliki, who died in 1094 AH, Collected the benefits from the Collector of Usul and the Collector of Al-Zawaid, investigation and production: Abu Ali Suleiman bin Dari'a, publisher: Ibn Katheer Library, Kuwait - Dar Ibn Hazm, Beirut Edition: First Edition, 1418 AH - 1998 CE, number of parts: 4.

- Muhammad bin Issa bin Surah bin Musa bin al-Dhahak, al-Tirmidhi, Abu Issa, who died in 279 AH, Sunan al-Tirmidhi, investigation and commentary: Ahmad Muhammad Shakir (part 1, 2), Muhammad Fuad Abd al-Baqi (part 3), and Ibrahim Atwa Awad al-Mudaris In Al-Azhar Al-Sharif (Part 4, 5), Publisher: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company - Egypt, 2nd Edition, 1395 AH - 1975 CE, Number of Parts: 5 Volumes.

- Muhammad Abdul Aziz bin Ali Al-Shazli Al-Khouli, who died in 1349 AH, The Prophetic Literature, Publisher: Dar Al Maarifa - Beirut, Edition: Fourth, 1423 AH, Number of Parts: 1.

- Muhammad Nasir al-Din al-Albani, who died in 1420 AH, Irwa al-Ghaleel in the graduation of Hadiths of Manar Al-Sabeel, supervised by: Zuhair Al-Shawish, Publisher: The Islamic Office - Beirut, Edition: The Second 1405 AH, 1985 CE, the number of parts: 9, 8 and volumes for indexes.

- Abu Muhammad Abdullah bin Abdul Rahman bin al-Fadl bin Bahram bin Abd al-Samad al-Darami, al-Tamimi al-Samarqandi, who died in the year 255 AH, Sunan al-Darami, edited by: Hussein Salim Asad al-Darani, Publisher: Dar al-Mughni for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia, Edition: First, 1412 AH - 2000 AD, number of parts: 4.
- Abu Muhammed Mahmoud bin Ahmed bin Musa bin Ahmed bin Hussein Al-Ghaytabi Al-Hanafi Badr Al-Din Al-Aini, who died in 855 AH, Mayor of Al-Qari Sharh Sahih Al-Bukhari, Publisher: House of Revival of Arab Heritage - Beirut, Number of parts: 25 x 12.
- Mahmoud Muhammad Khalil, Al-Musnad Al-Jami, which it has achieved, its rank and its text: the publisher: Dar Al-Jeel for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, United Company for the Distribution of Newspapers and Publications, Kuwait, Edition: First, 1413 AH - 1993 AD, Number of Parts: 22 (20 volumes and volumes) Indexes).
- Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hassan Al-Qushayri Al-Nisaburi, who died in 261 AH, the authentic Musnad summarized by the transmission of justice from justice to the Messenger of God (2), the investigator: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, publisher: House of Revival of Arab Heritage - Beirut, the number of parts: 5.
- Ibn al-Malqin, Siraj al-Din Abu Hafs Umar bin Ali bin Ahmad al-Shafi'i al-Masri, who died in 804 AH, al-Badr al-Mounir in the production of hadiths and monuments in the great commentary, the investigator: Mustafa Abul Gheit, Abdullah bin Suleiman and Yasser bin Kamal, publisher: Dar Al-Hijrah for Publishing and Distribution - Riyadh-Saudi Arabia, Edition: First, 1425 AH-2004AD, Number of Parts: 9.
- Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First, 1415 AH, Number of Parts: 16 (15 and Indexes folder).
- Abd al-Karim bin Hawazen bin Abd al-Malik al-Qushayri, who died in 465 AH, by Latif al-Isharat = Tafsir al-Qushayri, investigator: Ibrahim al-Basyouni, publisher: The General Egyptian Book Authority - Egypt, 3rd edition.
- Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi, who died in 671 AH, Al-Jami 'to the provisions of the Qur'an = Tafsir al-Qurtubi, edited by: Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh, publisher: Dar al-Kutub al-Masriya - Cairo, 2nd edition, 1384 AH - 1964 AD, number of parts: 20 volumes (in 10 volumes).
- Judge Muhammad bin Abdullah Abu Bakr bin al-Arabi al-Ma'afari al-Ishbili al-Maliki, who died in 543 AH, Rulings of the Qur'an, reviewed its origins and

produced his hadiths and commented on it: Muhammad Abd al-Qadir Atta, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 1424 AH - 2003 AD, number of parts: 4.

- Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb al-Amili, Abu Jaafar al-Tabari, who died in the year 310 AH, Jami al-Bayan in the interpretation of the Qur'an, the investigator: Ahmed Muhammad Shaker, publisher: Foundation for the Resalah, First Edition, 1420 AH - 2000 AD, number of parts: 24.
- Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani al-Yamani, who died in 1250 AH, Fatah al-Qadeer, publisher: Dar Ibn Katheer, Dar al-Khatim al-Tayyib - Damascus, Beirut, Edition: First - 1414 AH.
- Muhiyyat al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Masoud al-Baghawi, who died in 510 AH, Milestones of revelation in Tafsir of the Qur'an = Tafsir al-Baghawi, The Investigator: It was investigated and produced by Muhammad Abdullah al-Nimr - Othman Jumah Dumayriyah - Suleiman Muslim Al-Harsh, Publisher: Dar Taibah for Publishing and Distribution, Edition Fourth: 1417 AH - 1997 AD, the number of parts: 8.

Hanafi books of jurisprudence

- Ahmad bin Muhammad bin Ismail al-Tahtawi al-Hanafi - died 1231 AH, Attachment of Al-Tahtawi to Maraqi Al-Falah Sharh Noor Al-Ihidah, Investigator: Muhammad Abdul Aziz Al-Khaldi, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Beirut - Lebanon, Edition: First Edition 1418 AH - 1997 AD, Number of Parts: 1.
- Abu Bakr bin Ali bin Muhammad Al-Haddadi Al-Abadi Al-Zubaidi Al-Yamani Al-Hanafi, who died in the year 800 AH, Al-Jawhara Al-Naira, Publisher: Charity Press, First Edition, 1322 AH, Number of Parts: 2.
- Zain al-Din bin Ibrahim bin Muhammad, known as Ibn Nujaym al-Masri, who died in 970 AH, the fragrant sea, explaining the treasure of minutes, and at the end: The complement of the fragrant sea by Muhammad bin Husayn bin Ali al-Turi al-Hanafi al-Qadri (d. After 1138 AH), and with the footnote: Grant by the Creator to Ibn Abdin Publisher: Dar Al-Kitab Al-Islami, Edition: the second - without date, number of parts: 8.
- Ibn Abdin, Muhammad Amin bin Omar bin Abdul Aziz Abdin al-Dimashqi al-Hanafi, who died in 1252 AH, al-Muhtar's response to al-Durr al-Mukhtar, publisher: Dar al-Fikr - Beirut, second edition, 1412 AH - 1992 CE, the number of parts: 6.
- Kamal al-Din Muhammad bin Abd al-Wahid al-Siywasi, known as Ibn al-Hamam, who died in 861 AH, Fatah al-Qadeer, publisher: Dar al-Fikr, edition: without edition and without date, number of parts: 10.

Books of Maliki Fiqh:

- Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abd al-Rahman al-Trabelsi al-Maghribi, known as al-Hattab al-Ra'aini al-Maliki, deceased, 954 AH, Talents of al-Jalil in Khalil's brief explanation, Publisher: Dar al-Fikr, Third Edition, 1412 AH - 1992 CE, Number of Parts: 6.
- Hajjah Kawkab Ubayd, The Jurisprudence of Worship on the Maliki School, Publisher: Al-Insha'a Press, Damascus - Syria, Edition: First 1406 AH - 1986 AD.

Shafi'i books of jurisprudence:

- Ahmed bin Muhammad bin Ali bin Hajar al-Haytami, The masterpiece of al-Muhtaj in Sharh al-Minhaj, revised and corrected: on several copies with the knowledge of a committee of scholars, publisher: The Great Commercial Library in Egypt for its owner Mustafa Muhammad, Edition: without edition, year of publication: 1357 AH - 1983 M., (then photographed by the House of Revival of Arab Heritage - Beirut, without edition and without date), number of parts: 10.
- Abu Bakr bin Muhammed bin Abd al-Mu'min bin Hariz bin Mu'li al-Husayni al-Husni, Taqi al-Din al-Shafi'i, who died in 829 AH, the sufficiency of the good guys in solving the purpose of shortening, the investigator: Ali Abdul Hamid Bultji and Muhammad Wahbi Suleiman, publisher: Dar al-Khair - Damascus, Edition: First , 1994, number of parts: 1.
- Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Habib al-Basri al-Baghdadi, known as al-Mawardi, who died in 450 AH, the great author of the jurisprudence of the Imam al-Shafi'i doctrine, which is a brief explanation of al-Muzni, the investigator: Sheikh Ali Muhammad Muawad - Sheikh Adel Ahmad Abdul-Muawjid, publisher: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya , Beirut - Lebanon, Edition: First, 1419 AH -1999 AD, Number of Parts: 19.
- Abu Zakaria Muhyiddin Yahya bin Sharaf Al-Nawawi, who died in 676 AH, Al-Majmoo 'Sharh Al-Muhadhdhab with Takamul Al-Subki and Al-Mutaiee, publisher: Dar Al-Fikr.
- Al-Shafei Abu Abdullah Muhammad bin Idris bin al-Abbas bin Othman bin Shafa bin Abdul-Muttalib bin Abdul Manaf al-Muttalibi al-Qurashi al-Makki, who died in the year 204 AH, mother, publisher: Dar al-Maarifa - Beirut, edition: without edition, year of publication: 1410 AH/1990AD, Number of parts: 8.

Hanbali books of jurisprudence:

- Ibrahim bin Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Muflih, Abu Ishaq, Burhan al-Din, who died in 884 AH, the creator of Sharh al-Muqni ', publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, first edition, 1418 AH - 1997 CE, the number of parts: 8.
- Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziya, who died in 751 AH, Badaa'i al-Fawaeed, Publisher: Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, the number of parts: 4.
- Muhammad bin Saleh bin Muhammad Al-Uthaimin, who died in 1421 AH, Al-Sharh Al-Mumti 'by Zad Al-Mustaqni', Publishing House: Dar Ibn Al-Jawzi, Edition: First, 1422-1428 AH, Number of parts: 15.
- Muhammad bin Muflih bin Muhammed bin Mufarj, Abu Abdullah, Shams al-Din al-Maqdisi al-Ramini, then al-Salhi al-Hanbali, who died in 763 AH, the branches and with him correcting the branches to Alaa al-Din Ali bin Suleiman al-Mardawi, the investigator: Abdullah bin Abdul-Mohsen al-Turki, publisher: Foundation for the message, Edition: First Edition 1424 AH - 2003 AD, number of parts: 11.
- Abu Muhammad Muwaffaq al-Din Abdullah bin Ahmed bin Muhammad bin Qudamah al-Jamili al-Maqdisi, then al-Dimashqi al-Hanbali, known as Ibn Qudamah al-Maqdisi, who died in 620 AH, al-Kafi in the jurisprudence of Imam Ahmad, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, first edition, 1414 AH - 1994 CE, Number of parts: 4.
- Books of virtual jurisprudence:
- Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed bin Hazm Al-Andalusi Al-Qurtubi Al-Dhahiri, who died in the year 456 AH, Al-Mahli in Al-Athar, Publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: without edition and without date, number of parts: 12.
- Books of Usul al-Fiqh:
- Ahmed bin Sheikh Muhammad al-Zarqa (1285 AH - 1357 AH), Explanation of Fiqh Rules, Corrected and Commented on it: Mustafa Ahmad Al-Zarqa, Publisher: Dar Al-Qalam - Damascus/Syria, Second Edition, 1409 AH - 1989 CE, Number of Parts: 1.
- Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur al-Zarkashi, who died in 794 AH, published in the jurisprudential rules, publisher: the Kuwaiti Ministry of Endowments, Edition: Second, 1405 AH - 1985 CE, the number of parts: 3.

- Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti, who died in 911 AH, Al-Ashabat and Al-Nazeerat, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, First Edition, 1411 AH - 1990AD, Number of Parts: 1.
- Taqi al-Din Abu al-Baqqa Muhammad bin Ahmad bin Abdulaziz bin Ali al-Fotuhi, known as Ibn al-Najjar al-Hanbali, who died in 972 AH, Explanation of the Enlightening Planet, the investigator: Muhammad al-Zuhaili and Nazih Hammad, Publisher: Obeikan Library, Edition: Second Edition 1418 AH - 1997 AD, Number of Parts: 4.
- Muhammad ibn Husayn ibn Hassan al-Jizani, Milestones of Usul al-Fiqh among Ahl al-Sunnah wal Jama'ah, Publisher: Dar Ibn al-Jawzi, Edition: Fifth Edition, 1427 AH, Number of Parts: 1.
- Sheikh Dr. Muhammad Sidqi bin Ahmed bin Muhammad Al Borno Abu Al-Harith Al-Ghazzi, Al-Wajeez in Clarifying the Rules of Total Jurisprudence, Publisher: Al-Risalah Foundation, Beirut - Lebanon, Edition: Fourth, 1416 AH - 1996 AD, Number of Parts: 1.
- Dr. Muhammad Mustafa Al-Zuhaili, Jurisprudence rules and their applications in the four schools of thought, Dean of the College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah, Publisher: Dar Al-Fikr - Damascus, Edition: First Edition, 1427 AH - 2006 AD, number of parts: 2.

He wrote the fatwas:

- Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Abd al-Halim bin Taymiyyah al-Harrani, who died in 728 AH, Majmoo 'al-Fatwas, the investigator: Abd al-Rahman bin Muhammad bin Qasim, publisher: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Madinah, the Kingdom of Saudi Arabia, year of publication: 1416 AH/1995 CE.
- The Standing Committee for Academic Research and Issuing Fatwas, Fatwas of the Permanent Committee - First Group, Collection and Arrangement: Ahmed bin Abdul Razzaq Al-Duwaish, Number of Parts: 26 Parts, Publisher: Presidency of the Academic Research and Issuing Fatwa Department - General Administration for Printing - Riyadh Publishing, Riyadh, Edition: C 1: Second Edition, 1413 AH, Part 2: First Edition, 1413 AH, Part 3: First Edition, 1414 AH - 1994 CE, Part 4: First Edition, 1415 AH, number of parts: 4.
- Honorable Scholars, His Eminence Sheikh: Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz, who died in 1420 AH, His Eminence Sheikh: Muhammad bin Salih bin Muhammad Al-Uthaimin (deceased: 1421 AH), His Eminence Sheikh: Abdullah bin Abdul Rahman Al-Jibreen, who died in 1430 AH, Islamic fatwas , In addi-

tion to the permanent committee, and the decisions of the Fiqh Academy, the author (collection and arrangement): Muhammad bin Abdulaziz bin Abdullah Al-Misnad, publisher: Dar Al-Watan.

- Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani of Yemen, who died in 1250 AH, Al-Fath al-Rabbani from the fatwas of Imam al-Shawkani, achieved and ranked: Abu Musab»Muhammad Subhi" bin Hassan Hallaq, Publisher: New Generation Library, Sana'a - Yemen, the number of parts: 12.

Language books:

- Ahmed bin Faris bin Zakaria al-Qazwini al-Razi, Abu al-Hussein, who died in 395 AH, the whole of the language, study and investigation: Zuhair Abdul Mohsen Sultan, Publishing House: The Resala Foundation - Beirut, second edition - 1406 AH - 1986 CE, the number of parts: 2.

- Dr. Ahmed Mukhtar Abdul Hamid Omar, who died in 1424 AH, Dictionary of Contemporary Arabic Language, with the help of a working group, Publisher: The World of Books, Edition: First, 1429 AH - 2008 CE, Number of Parts: 4 (3 volumes for indexes) in one serial numbering.

- Abu Al-Hasan Ali bin Ismail bin Sidah Al-Morsi, who died in 458 AH, the greatest arbitrator and oceanographer, investigator: Abd al-Hamid Hindawi, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First Edition, 1421 AH - 2000 AD, Number of Parts: 11 (10 volumes For indexes).

- Majd al-Din Abu al-Sa'adat al-Mubarak bin Muhammad bin Muhammad bin Muhammad ibn Abd al-Karim al-Shaybani al-Jazari Ibn al-Atheer (died in 606 AH), the end in Gharib al-Hadith and Impact, Publisher: The Scientific Library - Beirut, 1399 AH - 1979 CE, edited by: Taher Ahmad al-Zawy - Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, number of parts: 5.

- Ayyad bin Musa bin Ayyad bin Imron al-Hasbi al-Sabti, Abu al-Fadl, who died in 544 AH, Mashareq al-Anwar on the Sahih of Antiquities, Publishing House: The Antique Library and Dar Al-Turath, the number of parts: 2.

- Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, Al-Zamakhshari, Jarallah, who died in 538 AH, The Basis of Rhetoric, Edited by: Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, First Edition, 1419 AH - 1998 AD, number of parts: 2.

- Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour, who died in 370 AH, Tahdheeb Al-Lugha, the investigator: Muhammad Awad Mireb, publisher: House of Revival of Arab Heritage - Beirut, Edition: First, 2001 AD, the number of parts: 8.

- Muhammad bin Abi Al-Fath bin Abi Al-Fadl Al-Baali, Abu Abdullah, Shams Al-Din, who died in 709 AH, who is familiar with the words of Al-Muqni, the investigator: Mahmoud Al-Arnaout and Yassin Mahmoud Al-Khatib, publisher: Al-Sawadi Library for Distribution, Edition: First Edition 1423 AH - 2003 AD, Number of parts: 1.
- Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Razzaq al-Husayni, Abu al-Fayd, nicknamed Murtada, al-Zubaidi, who died in 1205 AH, Crown of the Bride from the dictionary jewels, the investigator: a group of investigators, publisher: Dar al-Hidaya.
- Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari Al-Farabi, who died in 393 AH, the Sahih Taj Al-Language and Sahih Al-Arabiya, edited by: Ahmed Abdel-Ghafour Attar, publisher: Dar Al-Alam for the Millions - Beirut, Edition: Fourth Edition 1407 AH - 1987 AD, the number of parts: 6.

Other books:

- Bamakhrama Ahmed Saeed, Industry Economics, Publisher: Zahran House for Publishing and Distribution, First Edition, Kingdom of Saudi Arabia 1994 AD.
- Dr. Bakr Kamal, Sex and Life, The Repentance Library, Riyadh, First Edition, 1420 AH.
- Jamal bin Abdul Rahman Ismail, do not come close to the shameful, the publisher: The book is published on the Saudi Ministry of Endowments website without data, the number of parts: 1.
- Dr. Jawad Ali, who died in 1408 AH, in detail in the history of the Arabs before Islam, publisher: Dar Al-Saqi, Edition: Fourth 1422 AH/2001 CE, number of parts: 20.
- Husam al-Din bin Musa Muhammad bin Affana, the jurisprudence of the Muslim merchant, first edition, Bayt al-Maqdis 1426 AH - 2005 CE, distribution: The Scientific Library and Dar al-Tayyib for printing and publishing, number of parts: 1
- Sayed Sabek, who died in 1420 AH, Fiqh al-Sunnah, Publisher: Arab Book House, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 1397 AH - 1977 CE.
- Abu al-Abbas Ahmad bin Abd al-Mu'min al-Qaisi al-Shurishi, who died in 619 AH, Explanation of Maqamat al-Hariri, edited by: Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, First Edition, 1419 AH.
- Sheikh Abdullah bin Al-Siddiq Al-Idrisi, Investigation of the Evidence for Prohibition of Masturbation, Cairo Library, Egypt.

- Abdullah bin Abd al-Rahman bin Abdullah bin Jibreen, Sharh Umdat al-Ahkam, the Sixtieth Lesson, Source of the
- Ali bin Nayef Al-Shuhoud, The Sharia Laws of the Arab Revolutions, Edition: First, 1432 AH 2011 CE, Number of Parts: 1.
- Muhammad bin Ibrahim bin Abdullah Al-Tuwaijri, Encyclopedia of Islamic Jurisprudence, Publisher: House of International Ideas, Edition: First, 1430 AH - 2009 CE, Number of Parts: 5.
- The scholar Muhammad bin Ali al-Shawkani, who died in 1250, attaining one's dreams in the rule of masturbation, edited by: Mashhur Hasan Salman, Dar Al-Sumai'i, Riyadh, First Edition, 1414 AH.
- Dr. Maurice Charbel, Our Sexual Problems (Causes and Treatment), Ma'arif Foundation, Beirut, First Edition, 1419 AH.

Articles:

- Medical article by Dr. Olfat El Sebaei, Professor and Head of the Department of Surgery at Menoufia Medicine, and a member of the International Academy of Infertility in New York, President of the Mediterranean Society for Pelvic Diseases, Vito Editor Essam Kamel website www.vetogate.com
- Medical article by Dr. Taha Abdel Nasser, Professor of Andrology Medicine and Surgery at Cairo University, and Dr. Ayman Alexandari, Consultant in Reproductive Health and Training Expert at the National Population Council, www.egy press.com, www.alfajertv.com

Magazines:

- Al-Azhar Magazine, Volume Three, Page No. 91, the month of Muharram 1391 AH.

Websites:

- Book: Audio Lessons, emptied by the Islamic Network website.

المشروع والممنوع في دعوة الإنس للجن إلى الله تعالى
«دراسة تحليلية نقدية»

Permitted and prohibited of calling the jinn to Allah Almighty by people
(Critical Analytical Study)

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغامدي
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – جامعة أم القرى

Dr. Abdulrahman bin Abdullah Alghamdi
Assistant Professor Department of Da›wa and Islamic Culture
Umm Al-Qura University

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.07

تاريخ تسلم البحث 2021/1/30 - وصدر خطاب القبول 2021/6/14

ملخص البحث

هذا بحث بعنوان: (المشروع والممنوع في دعوة الإنس للجن إلى الله تعالى- دراسة تحليلية نقدية)، وقد قسم الباحثُ البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وتكلم في المبحث الأول عن وجود الجن، والأدلة الشرعية والعقلية على ذلك، ثم تكلم عن تكليف الجن، وعن مشروعية دعوة الإنس للجن، وفي المبحث الثاني عن الطرق الصحيحة والمشروعة لدعوة الإنس للجن، ثم تكلم عن الطرق الخاطئة والممنوعة لدعوة الإنس للجن، ثم خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج والتوصيات، وكان من أبرز النتائج المذكورة: أنه يشرع للإنسي أن يدعو الجني إلى الله تعالى، وأن طرق دعوة الجن على قسمين؛ قسم مشروع وهو ما كان موافقًا لهدي النبي(صلى الله عليه وسلم) وقسم ممنوع؛ وهو محرم، وقد يصل إلى الشرك، ثم ذكر التوصيات، وكان أبرز ما أوصى به الباحث: كتابة المزيد من البحوث لمعرفة الأساليب الشرعية الصحيحة لدعوة الجن، وكتابة البحوث التي تبين آثار السلف لدعوة الجن، وآثار ذلك على الدعوة والدعاة، ثم في آخر البحث قائمة بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: المشروع، الممنوع، دعوة، الإنس، الجن.

Abstract

This is a research entitled: «Permitted and prohibited of calling the jinn to Allah Almighty by people - an analytical study», The researcher has divided the research into an introduction, two topics and a conclusion. In the first topic, he talked about the existence of the jinn and the sharia and mental evidence for that, then he talked about the commandment of the jinn, and the legitimacy of calling the jinn to Allah by people. In the second topic, he talked about the correct and permitted ways of calling the jinn to Allah by people, then he talked about the wrong and prohibited ways of calling the jinn to Allah by people. Then he concluded the research including the most important results and recommendations. Among the most prominent results mentioned: It is permitted for the man to call the jinn to Allah Almighty. The ways of calling the jinn to Allah are divided into two parts. A permitted part which was in accordance with the guidance of the Prophet, may Allah's prayers and peace be upon him, and a prohibited part which is forbidden, and it may reach polytheism. Then he mentioned the recommendations. The most prominent of what the researcher recommended was: Making more researches to find out the correct sharia methods of calling the jinn to Allah, and making researches that show the traditions of the predecessors of calling the jinn to Allah, and the effects of that on Da'wa and preachers. Then at the end of the research there is a list of the most important sources and references.

Keywords: project, the forbidden, the Call, the human beings, the jinn.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، والقيام بها شرف كبير يناله كل من انتسب إليها، واقتدى بأنبياء الله ورسله (عليهم الصلاة والسلام) ولا سيما خاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة إلى الله عز وجل؛ فدعا عباد الله تعالى من الإنس والجن إلى توحيد الله تعالى، والتمسك بشريعة الإسلام قولا وعملا.

ولمَّا كان الجن مكلفين كالإنس[1]؛ وجب علينا معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بدعوتهم إلى الله تعالى.

وبما أن عالم الجن من العوالم الغيبية المخفية عن المشاهدة؛ وما يكتنف هذا الباب من إشكالات وانحرافات؛ رأيت أن أقدم هذا البحث بعنوان: (المشروع والممنوع من دعوة الجن إلى الله تعالى - دراسة تحليلية نقدية)، أبين فيه ما استطعت من الأحكام الدعوية في هذا الباب، وأجيب فيه عما أشكل من أسئلة، مستعينًا بالله تعالى أولا، ثم معتمدًا على المصادر والمراجع العلمية المتوفرة، وفق منهج البحث العلمي المعتمد.

أهداف البحث:

١- معرفة الطرق الصحيحة المشروعة لدعوة الجن إلى الله تعالى والعمل بها.

٢- بيان الطرق الخاطئة الممنوعة لدعوة الجن لاجتنابها والتحذير منها.

٣- سد باب الخرافة والضلال في هذا الجانب قدر المستطاع.

١- وسيأتي التفصيل في ثنايا هذا البحث - إن شاء الله تعالى -.

أسئلة البحث:

١- هل يمكن للإنس دعوة الجن، وهل يشرع لهم ذلك؟

٢- ما الطرق المشروعة والممنوعة لدعوة الجن؟

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان مدى مشروعية دعوة الإنس للجن، وكيفية ذلك.

حدود البحث:

سيكون هذا البحث خاصًّا بما يتعلق بدعوة الجن من حيث ذكر الأدلة وأقوال العلماء في هذا الجانب.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي.

منهج الباحث:

أراعي في بحثي هذا ما يلي:

١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع كتابة رقم الآية.

٢- عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بعزوه إليهما مع ذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث.

٣- إذا كان الحديث في أحد الكتب الأربعة، ولم يوجد في الصحيحين؛ فإني أعزوه إليها مع ذكر اسم الكتاب والباب وأذكر حكم الحديث معتمدا في ذلك على حكم الإمام الألباني (رحمه الله).

٤- أوثق النقول والنصوص التي أعتمد عليها بذكر اسم الكتاب، والمؤلف، وسنة الطبع، ودار النشر، والمحقق إن وجد ذلك.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتتبع؛ وجدت عددًا من الرسائل والكتابات التي تبحث عن عالم الجن، ولكن كل هذه الكتب والدراسات تتكلم عن الجن من ناحية عقدية بحتة؛ من حيث حقيقتهم، وتكليفهم... إلخ، ولم أجد رسالة علمية أو بحثًا محكمًا عن الجن من الناحية الدعوية؛ من حيث مشروعية دعوتهم، وطريقتها، والمحاذير الشرعية المتعلقة بها، فكان من الأهمية بمكان أن أخصص هذا البحث عن هذا الموضوع.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: حقيقة وجود الجن ومدى مشروعية دعوتهم.

المطلب الأول: وجود الجن.

المسألة الأولى: أدلة القرآن والسنة على وجودهم.

المسألة الثانية: دليل الإجماع والعقل على وجودهم.

المطلب الثاني: مشروعية دعوة الإنس للجن.

المسألة الأولى: تكليف الجن.

المسألة الثانية: دعوة الإنس للجن.

المبحث الثاني: كيفية دعوة الجن.

المطلب الأول: الكيفية المشروعة لدعوة الجن.

المسألة الأولى: الدعوة المباشرة.

المسألة الثانية: دعوتهم من خلال الرقية الشرعية لمرضى الإنس.

المطلب الثاني: الكيفية الممنوعة لدعوة الجن.

المسألة الأولى: التعامل بالسحر وإتيان السحرة.

المسألة الثانية: تعمد الذهاب إلى الخراب والأماكن المهجورة.

أهم النتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: وجود الجن ومشروعية دعوتهم.

المطلب الأول: وجود الجن.

المسألة الأولى: أدلة القرآن والسنة على وجودهم:

إن مسألة وجود الجن من المسائل التي دلت عليها نصوص القرآن والسنة دلالة صريحة، والنصوص في ذلك مستفيضة، ومتنوعة في دلالاتها؛ فدلت على أنهم موجودون، وعلى أصل خلقتهم، ومكلفون، ومحاسبون، وأنهم سينالون الجزاء الأخروي إما إلى الجنة وإما إلى النار، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ الحجر: ٢٧، وقال سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ الرحمن: ١٥، فدلت هاتان الآيتان على أمرين؛ الأول: أن الجن موجودون مخلوقون، والثاني: أن أصل خلقتهم من نار.

وكما دلّ القرآن الكريم على وجود الجن؛ فقد دلت السنة كذلك على وجودهم، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم

مما وصف لكم»[1]، فهذا الحديث كذلك دل على الأمرين؛ وجودهم، وأصل خلقتهم.

وقد يسأل سائل: إذا كان الجن موجودين فلماذا لا نراهم؟، فالجواب: أنهم موجودون ولكنهم متوارون عن أعين الإنس، ولذلك سُمّوا بالجن، قال القرطبي رحمه الله: (وسمي جانا لتواريه عن الأعين)[2]، والله سبحانه وتعالى أخبر أن الجن يرون الإنس من حيث لا يرونهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾الأعراف: ٢٧، قال القرطبي رحمه الله تعالى: (قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يُرون، لقوله «من حيث لا ترونهم»)[3].

والجن خلق من خلق الله تعالى، يأكلون، ويشربون، ويتناكحون، ويتناسلون، ويموتون، ويُبعثون، وقد دل على ذلك مجموعة من الآيات والأحاديث الصحيحة، فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»[4]؛ ففي الحديث دلالة على أنهم يأكلون.

١- رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة، رقم: ٢٩٩٦.
٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت:٦٧١ه)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (١٠ / ٢٣).
٣- المرجع نفسه، (٧/ ١٨٦).
٤- رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: ٤٥٠.

ومما يدل على تناكحهم وتناسلهم؛ قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٠، قال الألوسي رحمه الله تعالى: (والظاهر أن المراد من الذرية الأولاد فتكون الآية دالة على أن له أولادًا؛ وبذلك قال جماعة، وقد روي عن ابن زيد أن الله تعالى قال لإبليس: إني لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها فليس يولد لآدم ولد إلا ولد معه شيطان يقرن به، وعن قتادة أنه قال: إنه ينكح وينسل كما ينسل بنو آدم)[١].

وقد دلت النصوص على أنهم يموتون ويبعثون، فعن ابن عباس(رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقول: «أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ هود: ١١٩، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة بعد البعث.

المسألة الثانية: دليل الإجماع والعقل على وجودهم.

إن مسألة وجود الجن من المسائل التي يعد العلم بها أمرًا ضروريًّا، وذلك لما دلت عليه النصوص الشرعية، وكذلك الحس والمشاهدة، قال الإمام ابن حزم (رحمه الله تعالى): (لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم؛ وجب ضرورة العلم بخلقهم، وقد جاء النص بذلك، وبأنهم أمة عاقلة

١- شهاب الدين، محمود بن عبدالله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٥هـ، (٨/ ٢٧٨).

٢- رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: باب قول الله تعالى: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ [الصافات: ١٨٠]، ﴿ولله العزة ولرسوله﴾ [المنافقون: ٨]، ومن حلف بعزة الله وصفاته، حديث رقم: ٧٣٨٣، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: باب التعوذ من شر ما عُمل ومن شر ما لم يُعمل، رقم: ٢٧١٧.

مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون)[1].

إن مسألة وجود الجن من المسائل التي أجمع عليها المسلمون، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، قال الإمام ابن حزم (رحمه الله): (أجمع المسلمون كلهم على ذلك -يعني وجود الجن)[2]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم إليهم)[3]، وقال الهيتمي (رحمه الله): (وأما الجان؛ فأهل السنة والجماعة يؤمنون بوجودهم، وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه إنكار للكتاب والسنة والإجماع)[4].

وقد دل العقل - كما دل النقل - على وجود الجن، وصورة ذلك؛ أن نصوص الوحي المعصومة قد أخبرت ودلت على وجودهم، ولا يوجد في العقل ما يمنع ذلك، وعدم مشاهدتهم بالعين لا يعني عدم وجودهم؛ فإن العقل يؤمن بوجود كثير من الأشياء في الكون وهي غير مشاهدة بالعين؛ فإن عدم المشاهدة ليس نفيًا للوجود، قال الإمام الجويني (رحمه الله): (وليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد نصت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم، وحق اللبيب والمعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه، ونص الشرع على ثبوته)[5]، وما يفعله السحرة والمتعاملون به من أمور لا يمكن للبشر أن يفعلوها بطبيعتهم؛

١- أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، (د.ت) (٥ / ٩).

٢- المرجع نفسه.

٣- أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، ط١ - ١٤١٦ه، (١٩ / ١٠).

٤- أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت:٩٤٧هـ)، الفتاوى الحديثية، الناشر: دار الفكر، (د.ت)، ص: ٨٩ - ٩٠.

٥- إمام الحرمين، عبدالملك بن محمد الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أحمد السايح وتوفيق وهبة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١ - ١٤٣٠هـ، ص: ٢٥٦ - ٢٥٧.

كالطيران في الهواء، وغرز الأدوات الحادة في أجسادهم دون تأثير، وغير ذلك من الأفعال؛ دليل على الاستعانة بالجن، مما يدل على وجود هذا العالم.

المطلب الثاني: مشروعية دعوة الإنس للجن.

المسألة الأولى: تكليف الجن.

لما خلق الله (عزَّ وجلَّ) الخلق جعل منهم مكلفين، ورتب على ذلك التكليف الثواب والعقاب، والمكلفون من خلق الله تعالى هم الجن والإنس، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[١]، قال السبكي (رحمه الله): (قوله: «وأرسلت إلى الخلق كافة» فإنه يشمل الجن والإنس، وحمله على الإنس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام في قوله تعالى: ﴿للعالمين﴾)[٢].

والجن محاسبون على تكليفهم، وينالون الجزاء على أعمالهم في الآخرة، إما الثواب[٣] وإما العقاب، قال الله تعالى عن الحور العين: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ الرحمن: ٥٦؛ فدلت هذه الآية بالالتزام على أنهم يدخلون الجنة وأنهم يطمثون الحور العين، قال القرطبي (رحمه الله): (في هذه

١- رواه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ٥٢٣.

٢- أبو الحسن، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٥٦هـ)، فتاوى السبكي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، (د.ت)، (٢ / ٥٩٧).

٣- ينبغي أن يُعلم أن هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم على أقوال، وما أثبته أعلاه هو ما ترجح عندي؛ والله أعلم، وللمزيد من الفائدة يُرجع إلى المصادر التي بسطت القول في هذه المسألة، ومن ذلك: كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية - القاهرة - مصر، ط٢ - ١٣٩٤هـ، ص: ٤١٧ وما بعدها.

الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات، قال ضمرة: للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين، فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن)[1]، وقال الشوكاني (رحمه الله): (وفي هذه الآية بل في كثير من آيات هذه السورة دليل أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه وانتهوا عن مناهيه)[2]، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ السجدة: ١٣، قال ابن القيم (رحمه الله): (وقد اتفق المسلمون على أن كفار الجن في النار، وقد دلَّ على ذلك القرآن في غير موضع؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ السجدة: ١٣، وقوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ص:٨٥؛ الآية، فملؤها منه به وبكفار ذريته، وقال تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ﴾ الأعراف: ٣٨)[3]، فعلم بما تقدم من نصوص، ومن أقوال العلماء؛ أن الجن مكلفون وسيحاسبون، وسيجازون على أعمالهم يوم القيامة.

المسألة الثانية: دعوة الإنس للجن.

لقد دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) الجنَّ إلى الله، وعلمهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم فعن ابن مسعود (رضي الله عنه)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم قال): «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم»، فقال

١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٧ / ١٨١).
٢- محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير - بيروت، ط١ - ١٤١٣هـ، (٥ / ١٧٠).
٣- ابن القيم، طريق الهجرتين، ص: ٤١٧.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم»[١]، فدل الحديث على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قصد الذهاب إليهم لدعوتهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، قال الحافظ ابن كثير(رحمه الله): (فهذه الطرق كلها تدل على أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الجن قصدا فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله عز وجل، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت)[٢]؛ فإذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) قد دعا الجن إلى الله تعالى؛ فإنه يُشرع لأمته من الإنس من بعده أن يدعوا الجن إلى الله، ويعلموهم العلم الشرعي الذي يحتاج إليه كل مسلم ليقربه إلى الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) - بعد أن ذكر أحوال تعامل الإنس مع الجن -: (والنوع الثالث: أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الإنس في مثل ذلك؛ فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله، وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الإنس وينهاهم، وهذه حال نبينا صلى الله عليه وسلم، وحال من اتبعه واقتدى به من أمته، وهم أفضل الخلق؛ فإنهم يأمرون الإنس والجن بما أمرهم الله به ورسوله، وينهون الإنس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله؛ إذ كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا بذلك إلى الثقلين الإنس والجن)[٣]، وقال (رحمه الله): (والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال: فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك؛ فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه...)[٤]، وقال العلامة ابن عثيمين (رحمه الله): (... إذا كان له صاحب من الجن مؤمن يأخذ عنه العلم؛ فيستخدمه في تبليغ الشرع لنظرائه من الجن، أو في المعونة على أمور

١- تقدم تخريجه.

٢- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٤٤ه)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٩هـ، (٧/ ٢٧٣).

٣- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، دقائق التفسير، تحقيق: د: محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق، ط٢ - ١٤٠٤هـ، (٢/ ١٤٠).

٤- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١/ ٣٠٧).

مطلوبة شرعًا، فإنه يكون أمرًا محمودًا أو مطلوبًا، وهو من الدعوة إلى الله (عزَّ وجلَّ) والجن حضروا النبي (صلى الله عليه وسلم) وقرأ عليهم القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، والجن فيهم الصلحاء، والعباد والزهاد، والعلماء؛ لأن المنذر لا بد أن يكون عالمًا بما ينذر عابدًا)[1]، ولذلك شُرع للإنس أن يدعوا إخوانهم من الجن إلى الله عز وجل، ويفقهوهم في دينهم، وهذا من الدعوة إلى الله عز وجل.

المبحث الثاني: كيفية دعوة الجن

المطلب الأول: الكيفية المشروعة لدعوة الجن.

المسألة الأولى: الدعوة المباشرة.

من المتقرر عند أهل العلم أن الإنس لا يرون الجن[2]، ولكن يمكن للإنسي أن يتعامل مع الجني، وهذا التعامل منه المشروع ومنه الممنوع، قال شيخ الإسلام (رحمه الله): (والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال: فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده، وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك؛ فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه، ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له؛ فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم، وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحات له؛ فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى؛ فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول: كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه

١- محمد بن صالح العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الوطن - المملكة العربية السعودية، ط الأخيرة - ١٤١٣هـ، (١ / ٢٩١).

٢- تقدم الكلام عن هذه المسألة الأولى في المبحث الأول من هذا البحث عند الحديث عن مسألة وجود الجن.

ورسوله إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليهم بغير القتل؛ كتمريضه، وإنسائه العلم، وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة؛ فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص؛ إما فاسق وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات؛ مثل أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي[1]، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ونحو ذلك؛ فهذا مغرور قد مكروا به)[2]، فإذا استطاع المسلم التعامل مع الجن تعاملا صحيحًا؛ فإنه يُشرع له دعوتهم، وتعليمهم العلم الشرعي، ويأمرهم بالمعروف الذي أمر الله به، وأمر به رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وينهاهم عن المنكر الذي نهى الله عنه، ونهى عنه رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ويأمرهم أن يُنذروا قومهم، ويبلغوهم دين الله عز وجل.

ومن صور الدعوة المباشرة للجن؛ عند نزول الإنسي منزلا فيصادف ذلك المنزل وجود جن، فيشعر بوجودهم؛ فإنه يدعوهم إلى الله تعالى، وذلك برفع صوته بما يدعوهم إليه، كأن يقرأ القرآن ليسمعهم، أو يقرأ عليهم حديث النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويعظهم، وينذرهم، ويذكرهم الله تعالى والدار الآخرة.

المسألة الثانية: دعوتهم من خلال الرقية الشرعية لمرضى الإنس.

لقد دلت النصوص الشرعية من الكتاب وصحيح السنة على أن الجن قد يتلبس بالإنس، وقد يصرعه، ويمرضه، بل قد يقتله، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ البقرة: ٢٧٥، قال

١- والمقصود به: تزيين الأصوات وتلحينها من باب العبادة واتخاذ ذلك دينا، ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٣/ ٤٢٧).

٢- المصدر السابق، (١١/ ٣٠٧-٣٠٨).

القرطبي (رحمه الله تعالى): «في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس»[1]، وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[2]، قال ابن تيمية: «دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ وفي الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»، وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت لأبي: إن أقواما يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون هذا يتكلم على لسانه)، وهذا الذي قاله أمر مشهور؛ فإنه يصرع الرجل؛ فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضربًا عظيما لو ضرب به جمل لأثر به أثرا عظيمًا، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجر المصروع وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه، ويحول آلات، وينقل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علما ضروريًّا بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان، وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره»[3]، وعلاج هذه الحالات: بالرقية الشرعية من كتاب الله تعالى، وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، والأدعية النافعة؛ وهنا يُشرع لممارس الرقية أن يخاطب الجن المتلبس بالإنس، ويدعوه إلى الله؛ فإن كان مسلمًا؛ وعظه وذكره بالله، وأمره بالخروج من جسد الإنسي، وإن تبين أنه غير مسلم؛ فإنه يدعوه للإسلام، ويبين له وجوب اتباع شريعة النبي (صلى الله

١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣/ ٣٥٥).

٢- رواه البخاري، كتاب: الاعتكاف، باب: زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، حديث رقم: ٢٠٣٨، ومسلم، كتاب: السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، حديث رقم: ٢١٧٥.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٢٤ / ٢٧٦ - ٢٧٧).

عليه وسلم) على من بلغته من جن وإنس، فإن العلماء من السلف (رحمهم الله تعالى) كانوا يفعلون ذلك، قال ابن القيم (رحمه الله): («وشاهدت شيخنا – ابن تيمية – يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك»[١]، وقال: «وكان كثيرا ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون:١١٥، وحدثني أنه قرأها مرة في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته، ...، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قال: قلت: لا؛ ولكن طاعة لله ولرسوله»[٢].

إن على الرقاة أن يغتنموا الرقية الشرعية في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك بدعوة الجن المتلبسين بالإنس قبل إحراقهم وقتلهم أو إخراجهم من أجساد المرضى، وأن يبلغوهم دين الله تعالى، وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك دعوة المرضى من الإنس، فيجمعوا بين خيرين عظيمين؛ الرقية الشرعية، والدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: الكيفية الممنوعة لدعوة الجن.

المسألة الأولى: التعامل بالسحر وإتيان السحرة.

إن من الموبقات المهلكات التي تهلك صاحبها؛ السحر، ولذلك أمر الإسلام باجتنابه، وحذر منه تحذيرًا شديدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[٣]،

١- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، الناشر: دار الرسالة – بيروت، ط٢٧ – ١٤١٥هـ، (٤ / ٦٢).

٢- ينظر: المرجع نفسه، (٤ / ٦٢ – ٦٣).

٣- رواه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)، حديث رقم: ٢٧٦٦، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم: ٨٩.

وقد نقل الإمام ابن قدامة(رحمه الله) الاتفاق على تحريمه؛ فقال: (تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم)[1]، وقد ذهب جمهور العلماء إلى تكفير الساحر ومتعاطيه، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): «اختلف العلماء فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال بعضهم: إنه يكفر بذلك، وهو قول جمهور العلماء منهم مالك، وأبو حنيفة وأصحاب أحمد، وغيرهم»[2].

إن أخف الأقوال في التعامل بالسحر وإتيان السحرة هو التحريم؛ وعليه؛ فإن استعمال السحر لتحضير الجن بحجة دعوتهم، وتعليمهم دينهم يعد أمرًا ممنوعًا شرعًا، وقد يؤدي بفاعله إلى الهلاك، لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث السابق: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وجعل دعوة الجن حجة لاستعمال السحر أمر غير مقبول؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى إذا لم تكن وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم فهي دعوة باطلة، والدعوة إلى الله عبادة يُتقرب بها إلى الله، فيلزم أن تكون موافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته، لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨، ومن المقرر عند أهل العلم أن للعمل الصالح شرطين لابد من تحققهما لقبوله، وهما: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن القيم (رحمه الله): «جعل الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الأعمال فإذا فقد لم تقبل الأعمال»[3]، وقال الحافظ ابن رجب (رحمه الله): «فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون

١- موفق الدين، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، المغني، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبدالفتاح الحلو، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض، ط٣ - ١٤١٧، (١٢ / ٣٠٠).

٢- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط١ - ١٤١٥هـ، (٤ / ٥٠).

٣- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تحقيق: محمد اسكندر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤٠٢هـ، ص: ١٨٢.

عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله»[١]، ولم يكن من هدي النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولا من بعده من الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم يأتون السحرة أو يتعاملون بالسحر، لا في الدعوة إلى الله ولا في غيرها، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما روته عن عائشة (رضي الله عنها): «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[٢].

المسألة الثانية: تعمد الذهاب إلى الخرب والأماكن المهجورة.

الأصل في مساكن الجن أنها في الخرب، والمزابل، والحشوش، والأماكن المهجورة، ويشهد لذلك ما رواه زيد بن أرقم (رضي الله عنه)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن هذه الحشوش محتضرة؛ فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث»[٣]، قال السيوطي - نقلا عن الخطابي - رحمهما الله: «معناه أن الشيطان يحضر تلك الأمكنة ويرصدها بالأذى والفساد، لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله ويكشف فيها العورات»[٤]، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن البول في الجحور خشية أن تكون مسكونة من الجن، فعن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى أن يبال في الجحر» قال: قالوا لقتادة - أحد رواة الحديث -: ما يكره من البول في الجحر؟ قال: كان يقال: إنها مساكن الجن»[٥]، قال ابن قدامة (رحمه الله): «ولأنه

١- زين الدين، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٧ - ١٤٢٢هـ، (١ / ١٧٦).

٢- رواه البخاري، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم: ٢٦٩٧، ومسلم، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، حديث رقم: ١٧١٨.

٣- رواه أبو داود، كتاب: الطهارة، باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، حديث رقم: ٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم: ٤.

٤- أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، تحقيق: محمد شايب شريف، الناشر: دار ابن حزم - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، (١ / ٦٢).

٥- رواه أبو داود، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الجحر، حديث رقم: ٢٩، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم: ٧، وقد بين أن الجمهور على تصحيحه؛ ينظر: المرجع نفسه.

لا يأمن أن يكون فيه حيوان يلسعه، أو يكون مسكنا للجن فيتأذى بهم»[1]، وقال الطيبي: «إن الذي يبول في الجحر يخشى عليه عادية الجن، وقد نقل أن سعد بن عبادة الخزرجي قتلته الجن، لأنه بال في جحر بأرض حوران»[2]، فإذا كانت هذه الأماكن مظنة لوجود الجن؛ فإنه ينبغي اجتنابها، وعدم الذهاب إليها لا للدعوة ولا لغيرها؛ لأن ذلك مخالف لهدي النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ لم يكن من هديه - عليه الصلاة والسلام - ولا من هدي صحابته من بعده أن يذهبوا إلى هذه الأماكن بحجة دعوة الجن.

وقد يسأل سائل فيقول: لماذا تمنعون من الذهاب إلى هذه الأماكن لدعوة الجن وقد ثبت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ذهب إلى بعض الأودية والشعاب لدعوة الجن؟

فالجواب: أن ذلك حصل له (صلى الله عليه وسلم) في مواقف متعددة؛ منها ما كان مصادفة ودون قصد كما حصل مع الجن المذكورين في القرآن الكريم، فإنهم استمعوا له دون أن يعلم عنهم (صلى الله عليه وسلم)؛ وإنما أخبره الله تعالى فيما بعد، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «رواية ابن عباس رضي الله عنهما تقتضي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم»[3]، والسبب الثاني لذهابه إلى تلك الأماكن بسبب الميعاد الذي ضربه لهم، فذهابه لتلك الأماكن لعلمه اليقين أن الجن سيستمعون إليه، وهم الذين قد دعوه ليعلمهم دينهم، ويدل على ذلك قوله ع صلى الله عليه وسلم: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»[4].

١- ابن قدامة، المغني، (١ / ٢٢٥).

٢- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (٣ / ٧٧٧).

٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧ / ٢٦٨).

٤- تقدم تخريجه.

وبناء على ما تقدم؛ فإن من الطرق الممنوعة أن يتعمد الداعية الذهاب إلى تلك الأماكن ابتداءً لدعوة الجن؛ ولكن إن صادف وجوده في تلك الأماكن شعوره بوجود الجن؛ فإنه يشرع له رفع صوته بالقرآن ليسمعهم ويدعوهم إلى الله تعالى.

النتائج

١- الجن خلق من خلق الله تعالى، وهم موجودون على الحقيقة بنص القرآن والسنة وإجماع الأمة.

٢- أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد بعثه الله إلى الثقلين جميعًا؛ الجن والإنس، فالجن والإنس سواء في التكليف بالعبادات الشرعية، وهذا قول جماهير الأمة.

٣- أن الجن الكافر يعذب يوم القيامة على كفره بإجماع العلماء، وأما المؤمن فقول جمهور العلماء - وهو الصحيح - أنهم يثابون على أعمالهم يوم القيامة.

٤- يُشرع للمؤمنين من الإنس دعوة الجن الكافر للإسلام، وتعليم الجن المؤمن أمور دينهم.

٥- أن دعوة الإنس للجن على قسمين؛ قسم مشروع، وقسم ممنوع.

٦- يحرم استعمال الطرق الممنوعة لدعوة الجن، وقد يصل بعضها إلى الكفر بالله تعالى.

التوصيات:

١- أوصي الدعاة إلى الله أن يقتدوا بهدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة إلى الله، ويحذروا من الابتداع ومخالفة منهجه عليه الصلاة والسلام.

٢- أوصي الدعاة إلى الله تعالى أن يغتنموا كل فرصة للدعوة إلى الله، وأن يبلغوا دين الله تعالى لكل من يستطيعون من الثقلين، بكل طريقة مشروعة.

٣- أوصي الباحثين بكتابة المزيد من البحوث العلمية؛ والتي تبين المزيد من الأساليب المشروعة لدعوة الجن.

٤- أوصي الباحثين بالبحث عن آثار ومواقف العلماء والدعاة من هذه الأمة عن دعوة الجن، وآثار ذلك على الدعوة والدعاة إلى الله.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، دقائق التفسير، تحقيق: د: محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط٢ – ١٤٠٤هـ، (٢ / ١٤٠).
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة، ط١– ١٤١٦هـ، (١٩ / ١٠).
- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت:٩٤٧هـ)، الفتاوى الحديثية، الناشر: دار الفكر، (د.ت).
- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٤٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٩هـ، (٧/ ٢٧٣).
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، تحقيق: محمد شايب شريف، الناشر: دار ابن حزم – بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
- سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره، الناشر: دار الرسالة العلمية، ط١ – ١٤٣٠هـ.
- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
- شهاب الدين، محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: على عبدالباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٥هـ، (٨ / ٢٧٨).
- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧ – ١٤٢٢هـ، (١ / ١٧٦).

- عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، المغني، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح الحلو، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض، ط٣ - ١٤١٧.
- عبد الملك بن محمد الجويني (ت: ٤٨٧هـ)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أحمد السايح وتوفيق وهبة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١ - ١٤٣٠هـ، ص: ٢٥٦ - ٢٥٧.
- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، (د.ت).
- علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٥٦هـ)، فتاوى السبكي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، (د.ت).
- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط١ - ١٤١٥هـ، (٤ / ٥٠).
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تحقيق: محمد اسكندر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤٠٢هـ، ص: ١٨٢.
- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، الناشر: دار الرسالة - بيروت، ط٢٧ - ١٤١٥هـ، (٤ / ٦٢).
- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الناشر: دار السلفية - القاهرة - مصر، ط٢ - ١٣٩٤هـ.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت:٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢ - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (١٠ / ٢٣).
- محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار طوق النجاة، ط١ - ١٤٢٢هـ.

- محمد بن صالح العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الوطن - المملكة العربية السعودية، ط الأخيرة - ١٤١٣هـ.
- محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير - بيروت، ط١ - ١٤١٣هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢١هـ)، صحيح سنن أبي داود، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، ط١ - ١٤٢٣هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢١هـ)، ضعيف سنن أبي داود، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، ط١ - ١٤٢٣هـ.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار التراث العربي - بيروت، (د.ت).

Sources and References:

- The Holy Quran.
- Ahmad bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al Harrani (d.: 728H), «Preciseness of Tafsir», investigated by: Dr. Muhammad Al Sayed Al Jlind, publisher: Uloom al Qur'an Foundation - Damascus, Ed. 2 - 1404H, (2/140).
- Ahmad bin Abdul Halim bin Taymiyyah al Harrani (d.: 728H), «Majmoo' al Fatawa», investigated by: Abd al Rahman bin Muhammad bin Qasim, publisher: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an - Medina, 1st Ed. --1416H, (19/10).
- Ahmad bin Muhammad bin Ali bin Hajar al Haytami (d. 947H), «Modern Fatwas», publisher: Dar al Fikr, (n. d.).
- Ismail bin Omar bin Kathir al Dimashqi (d.: 744H), «Interpretation of the Great Qur'an», investigated by: Muhammad Husayn Shams al Din, publisher: Dar al Kutub al 'Ilmiyya - Beirut, 1st Ed. - 1419H, (7/273).
- Jalal al Din Abd al Rahman al Suyuti (d.: 911 H), «Ascension Ladder to Sunan Abi Dawood», Investigated by: Muhammad Shayeb Sharif, Publisher: Dar Ibn Hazm - Beirut - Lebanon, 1st Ed., 1433H - 2012G.
- Suleiman bin Al Ash'ath Al Sijistani (d.: 275H), «Sunan Abi Dawood», investigated by: Shuaib Al Arna`ut - Muhammad Kamel Qurra, publisher: Dar Al Risalah Al Ilmiyya, 1st Ed. - 1430H.
- Sharaf al Din al Husayn bin Abdullah al Tibi (T.: 743H), «Revealing the facts of the Sunnah», investigated by: Dr. Abdul Hamid Hindawi, Publisher: Nizar Mustafa Al Baz Library (Makkah Al Mukarramah - Riyadh), 1st Ed., 1417H - 1999G.
- Shihab Al Din, Mahmoud bin Abdullah Al Alousi (d.: 1270H), «The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Qur'an and the Oft-Repeated Seven Verses», investigated by: Ali Abdul Bari Attia, Publisher: Dar Al Kutub Al Ilmiyya - Beirut, 1st Ed. - 1415H, (8/278).
- Abd al Rahman bin Ahmad bin Rajab al Hanbali (d.: 795H), «Collector of Sciences and Aphorisms», investigated by: Shuaib al Arna'ut - Ibrahim Bagis, publisher: Al Resala Foundation - Beirut, 7th Ed. - 1422H, (1/176).
- Abdullah bin Ahmad bin Qudamah Al Maqdisi (d.: 620H), «Al Mughni», investigated by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al Turki, dr. Abdel Fattah Al Helw, Publisher: Dar Alam Al Kutub for Printing and Publishing - Riyadh, 3rd Ed. - 1417.

- Abd al Malik bin Muhammad al Juwayni (d.: 487 AH), «Guidance to Conclusive Evidence in the Fundamentals of Belief», investigated by: Ahmad Al Sayeh and Tawfiq Wahba, Publisher: Religious Culture Library - Cairo, 1st Ed. - 1430H, pp: 256-257.
- Ali bin Ahmad bin Saeed bin Hazm Al Andalusi (d.: 456H), «Separation between sects, desires, and creeds», publisher: Al Khanji Library - Cairo, (n. d.).
- Ali bin Abd al Kafi al Sobky (d. 756H), «Fatwas of al Sobky», publisher: Dar al Maarifah - Beirut, (n. d.).
- Muhammad Al Amin bin Muhammad Al Mukhtar Al Jokni Al Shanqeeti (d.: 1393H), «Declaration Lights in Clarifying the Qur'an by the Qur'an», Publisher: Dar Al Fikr for Printing, Publishing and Distribution - Beirut, 1st Ed. - 1415H, (4/50).
- Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad Shams Al din ibn Qayym al Jawziyyah, (d. 751)» The soul in speaking about the souls of the dead and the living with evidence from the Qur'an and the Sunnah», investigated by: Muhammad Iskandar, Publisher: Dar Al Kutub Al Ilmiyya - Beirut, 1st Ed. - 1402H, p.: 182.
- Muhammad ibn Abi Bakr bin Qayyim al Jawziyyah (d.: 751H), «Zad al Ma'ad fi Hadi Khair al Ibad», Publisher: Dar al Risalah - Beirut, 27th ed. -1415H, (4/62).
- Muhammad ibn Abi Bakr bin Qayyim al Jawziyyah (d.: 751H), by «Tariq Al Hijratayn wa Bab al Saadatayn», Publisher: Dar Al Salafiya - Cairo - Egypt, 2nd Ed. 1394.
- Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr al Qurtubi (d.: 671H), «Collector of Provisions of the Qur'an», investigated by: Ahmad al Bardouni and Ibrahim Atfeesh, publisher: Dar al Kutub al Masriya - Cairo, 2nd Ed. - 1384H - 1964G, (10/23).
- Muhammad bin Ismail al Bukhari (d.: 256H), «Sahih al Bukhari», investigated by: Muhammad Zuhair al Nasser, numbered by: Muhammad Fuad Abd al Baqi, publisher: Dar Touq al Najat, ed. 1 - 1422H.
- Muhammad bin Salih Al Uthaimin (d.: 1421H), «Collection of fatwas and letters of Ibn Uthaymeen», collected and arranged by: Fahd bin Nasser al Suleiman, publisher: Dar Al Watan - Kingdom of Saudi Arabia, the last Ed. - 1413H.
- Muhammad bin Ali Al Shawkani (d.: 1250H), «Fath Al Qadeer», publisher: Dar Ibn Kathir - Beirut, 1st Ed. - 1413H.
- Muhammad Nasir al Din al Albani (d.: 1421H), «Sahih Sunan Abi Dawood», publisher: Gheras Corporation for Publishing and Distribution - Kuwait, 1st Ed. - 1423H.

- Muhammad Nasir al Din al Albani (d.: 1421H), «Weak Hadith of Abi Dawood», publisher: Gheras Corporation for Publishing and Distribution - Kuwait, 1st Ed. - 1423H.
- Muslim bin Al Hajjaj Al Nisabouri (d.: 261H), «Sahih Muslim», investigated by: Muhammad Fuad Abdul Baqi, publisher: Dar Al Turath Al Arabi - Beirut, (n. d.).

المكانُ في مجموعةِ (الحفلة)
للقاصِّ السعودي عبدَ الله با خشوين

The Place in the Group (The Party)
of the Saudi Storyteller Abdullah Ba Khashwan

د. سهام صالح العبودي

أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد بقسم اللغة العربية

كليَّة الآداب – جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن – المملكة العربية السعودية

Dr. Siham Saleh Al-Aboudi

Assistant Professor in Literature and Criticism, Department of Arabic Language

College of Arts, Princess Nourah bint Abdulrahman University - Kingdom of Saudi Arabia

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.08

تاريخ تسلم البحث 2019/9/19 - وصدر خطاب القبول 2020/9/16

ملخص البحث

يتناولُ موضوع هذا البحث عنصرَ المكان في المجموعةِ القصصيَّةِ (الحفلة) للكاتب السعودي عبد الله با خشوين، ويهدفُ البحثُ إلى الكشفِ عن أشكال من حضور المكان في هذه المجموعةِ باستخدام آليات البحث السيميائي عبر التركيز على ظواهر مكانية يمكن من خلالها استكشاف البعدين: (المعنوي، والجمالي) لحضور المكان الذي يعدُّ من أهم عناصر البنية القصصيَّة، ومن ثمَّ قراءة الإحالات النفسية، والاجتماعيَّة التي تصدرُ عن تشكُّلات هذا المكان، ومظاهره، وأبعاده.

الكلمات الدالَّة: (المكان، المدينة، القصة القصيرة، السرد).

Abstract

The subject of this research deals with the place element in the short story collection (The Party) by the Saudi writer Abdullah Ba Khashwin to attend the place, which is one of the most important elements of the narrative structure, and then read the psychological and social references that come from the formations of this place, its manifestations, and its dimensions.

Keywords: (Place, City, Short Story, Narration).

مدخل:

لا يمكن أنَّ يجري السردُ دون الفكرة المُسبقة عن تموضع الحدث - في صورته الذهنيَّة - داخل مكان؛ إنَّ المكانَ موجودٌ بحتميَّة افتراضيَّة حتى وإنْ لم يجرِ تحديده، أو تصويره، أو حتى مجرَّد الإشارة المبهمة إليه، فليس اختيار عدم الإشارة إليه يعني عدمه؛ بل إلى عدم حضوره النصِّي: محدَّدًا، أو موصوفًا، أمَّا أن يجري تحديد هذا المكان ونقله من الحضور الذهني المفترض مبهم المعالم إلى الحضور المحدَّد عبر الوصف فذلك مفضٍ إلى تحميل النصِّ دلالات قد تكون ظاهرة، أو خفيَّة؛ وبخاصَّة حين يتصل بمصائر الشخصيَّات المتحرِّكة في حدوده، المنفعلة بسماته، وتشكيلاته، وبالحوادث الجارية في السرد تاركًا أثره فيها: فاعلاً، ومفعولاً به.

وعليه فإنَّ الإشارة إلى المكان إشارة مفصحة صريحة تحدِّده، وتصفه، وتدمجه في الحوادث ينطوي على مغزى؛ فمبلغ أهميَّته يحمل السارد على أن يفصح عنه أوَّلاً، ثمَّ يفصح عمَّا يجري فعله بهذا المكان: أي خروجه من وظيفة الإطار إلى الوظيفة الفاعلة، فيغدو - حينئذٍ - معاونًا على التصوُّر، والإدراك، فيخرج - بهذا الإفصاح، والاستعمال - من منطقة الحتميَّة العامَّة - حضور المكان اللازم لحدوث السرد - إلى منطقة الفاعليَّة الجماليَّة لحضور المكان نصيًّا؛ فزيادة المبنى - المتوفِّر ضرورة من عمليَّة الوصف - يحيل إلى زيادة مردُّها هذه الصورة المحدِّدة للمكان، الجاعلة إيَّاه قسيمًا ظاهرًا لعناصر السرد الأخرى.

إنَّ قصديَّة الإشارة إلى المكان هي قصديَّة الأفكار المضمرة في تلك الحدود الموصوفة، والمكوِّنات الحالَّة في المكان، بل إنَّ الفراغ ذاته: وصف الفراغ، والإلماح إلى وجوده يؤشِّر إلى معنى «فلا يوجدُ مكانٌ فارغٌ، أو سلبي»[1]، وعلى هذا

١- سيزا قاسم ويوري لوتمان وآخرون: جماليَّات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء،ط٢، ١٩٨٨م، ص٦٣.

الأساس من حضور المكان: الحضور المخصوص الموصوف على نحوٍ يبعث بتصوُّراته الجماليَّة، ويحقِّق وظائفه السرديَّة الفاعلة لإدراك المغزى أتت الدراسات المتعلِّقة بالمكان، الكاشفة عن جماليَّاته عبر أدوات أتاحتها مناهج النقد الحديثة.

تعريف المكان:

إنَّ إحاطة المكان بالإنسان إحاطة لازمة لا يمكن الاستقلال عنها هي التي دفعت إلى قراءة هذا المكان، وبحثه بحثًا مستفيضًا؛ فالمدوَّنات اللغويَّة، والفلسفيَّة، والنقديَّة تمتلئ بتصوُّرات كبار روَّادها حول ماهيَّة المكان.

يرتبط معنى المكان في المعاجم العربيَّة بفكرة الوجود، والحدوث؛ فاشتقاقه من الأصل (كون)، وهو «أصل يدلُّ على الإخبار عن حدوث شيء... كان الشيء يكون كونًا، إذا وَقَعَ وحضر... وقال قوم: المكان اشتقاقه من كان يكون»[١]؛ فالمكان كائنٌ يجري إيجاده على نحوٍ ما، إنَّه عمليَّة إحداث، وإنشاء، ويرتبط وجود الكون بقدرة الله على إحداث ما لم يكن: «وكوَّن الشيء: أحدثه. والله مكوِّن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود... والمكان: الموضع، والجمع أَمْكِنة وأَماكِنُ»[٢].

لقد كان اتصال الإنسان بالمكان اتصالاً مع موجود؛ فآدم - عليه السلام - سكن الجنة وهي مكان أوجد - بقدرة الله - من العدم، ثمَّ هبط إلى الأرض وقد تكوَّنت متهيَّأة لوجوده، فلم يكن وجود الإنسان إلاَّ حادثًا بعد حدوث المكان، وهكذا صار عليه أنْ يألف هذا الموجود، وأنْ يتعلَّم التكيُّف معه، وأنْ يفسِّر هذا المكوِّن المحيط به، المتصل بحياته اتصالاً لازمًا، وهكذا غَدَا المكان حاويًا للحادث من البشر، ومتصلاً بإقامتهم فيه: بكلِّ ما تنطوي عليه هذه الإقامة من علاقة انتفاع،

١- أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق، وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، مادة (كون).

٢- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مادة (كون).

وانتماء، واستكانة روح، بل صار في جوانب منه مطواعًا للإنسان الذي صار يمتلك القدرة على تكوينه: إعداده وفق التصوُّر، ووفق ما هو كامن من الأفكار في العقل عنه، وهكذا صار الإنسان مرتبطًا بمكانه، وغدا هذا المكان مكوِّنًا حضاريًّا، عاكسًا لوجود الإنسان، ودالاًّ على ما أنجزه، بل إنَّ خصيصة عمارة الأرض التي مُيِّز بها الإنسان تتجلَّى - في قسم كبير منها - من خلال المكان، وفيه أيضًا تبدو آثاره، وعلامات وجوده بعد أن يفنى.

ويُدركُ المكان بالحواسِّ، فيُبصر، ويُلمس، ويشمُّ، والإدراك الذي تحقِّقه الحواسُّ عند الاتصال بالمكان يخصُّ المتصل وحده، لكنَّه قادرٌ على نقل ما استقبلته الحواسُّ عبر توصيفه؛ فاللغة تمنح المكان وجودًا لغويًّا من خلال الأوصاف التي تعرِّف بسماته، وحدوده، ويكفي أن تصلنا سمة العلوِّ التي تخصُّ الجنة من خلال الفعل (اهبطوا) في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]، ففعل (الهبوط) نفسه يعلمنا بالموقع السفلي للأرض بالنسبة إلى السماء، لأنَّ «الجَنَّةَ التي أُسكنها آدم أوَّلاً كانت عالية؛ لقوله تعالى: (اهْبِطُوا)؛ والهبوط لا يكون إلاَّ من أعلى»[1]، وذلك وجه من وجوه قدرة اللغة على تقديم المكان على نحوٍ يجعله متصوَّرًا، ومعلوم الحدود، والجهات، والصفات.

ويعرَّف المكان بأنَّه «الموضع الحاوي للشيء»[2]، وهو في مفهومه العامِّ عند الفلاسفة «وسط غير محدود يشتمل على الأشياء، وذو أبعاد ثلاثة هي الطول، والعرض، والارتفاع، وهو بهذا تصور عقلي محيط بجميع الأجسام»[3].

١- محمد بن صالح بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، مج١، ص١٣٨.
٢- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، مادة (مكن).
٣- مجمع اللغة العربيَّة، المعجم الفلسفي، القاهرة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص١٩١.

المكان والسرد:

وكما قلنا فإنَّ السردَ يشتملُ على عنصر المكان اشتمالاً لازمًا، والمكان حين يغدو جزءًا من بنية العمل الأدبي فإنَّه لا يعني فقط المكان الحاوي؛ بل يشتمل على كلِّ ما في هذا المكان من مكوِّنات، وسمات، كما أنَّه يأتي متصلاً بمجمل إدراكات الشخصيَّة لوعيها الخاصِّ به، ولحدود علاقتها بالعالم من حولها، واشتباكها معه، إذ «إنَّ أيَّ وصف لا يشتمل على نظرة شخصيَّات العمل الأدبي إلى العالم لا يمكن أن يكون تامًّا، فالنظرة إلى العالم هي الشكل الأرقى للوعي. والكاتب يطمس العنصر الأهم من الشخص القائم في ذهنه حين يهمل النظر إلى العالم»[١].

وإذا كان المكان على هذا القدر من الأهميَّة فإنَّ الاشتغال على كشف أهميَّة المكوِّن المكاني، واستنطاق صفاته، وتشكُّلاته المختلفة في السرد تصبح ضروريَّة لإدراك مغزى العمل الأدبي برمَّته؛ فالأصلُ أنَّ المكانَ عنصرٌ من العناصر التي تشكِّل بنية العمل السردي، والأصل هو أنْ تندمج هذه العناصر بكاملها لإنتاج المعنى، ولتحقيق الدلالة التي هي جوهر العمل الأدبي.

يمثِّلُ المكانُ عاملاً رئيسًا في أيِّ أثر سردي، وهو شريك - لبقيَّة العناصر - في وظيفة الإفصاح عن دلالاته شرط اندماجها في البنية الكليَّة للنصِّ.

والمكان في العمل الأدبي بعامَّة، وفي السرد بخاصَّة مكانٌ فريد تصنعه اللغة؛ «لأنَّه مكان قد حُدِّد جماليًّا، وأُسر في قبضة مجموعة من الكلمات، وانتقيت مكوناته بعد أن استبعدت منها مكونات أخرى، وأضاف له القارئ تصوُّره الخاصَّ»[٢]، وعلى قارئ النصِّ - أيِّ نصٍّ - أن يستكشف الطاقات الدلاليَّة

١- جورج لوكاتش، دراسات في الواقعيَّة، ت: نايف بلُّوز، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٢٥.

٢- صبري حافظ، (الخصائص البنائية للأقصوصة)، فصول (مجلة النقد الأدبي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج٢، ع٤، ١٩٨٢م، ص٢٩.

الفيَّاضة لهذه الألفاظ المتكوِّن منها هذا المكان الفنِّي المخصوص.

والتوصُّل إلى هذه الدلالة، واستكشافها من خلال تلك العناصر المندمجة - المكان منها على نحو خاصٍّ - فيتطلَّب الاستعانة بمنهج يمكن من خلال أدواته الاسترشاد إلى المعاني الكامنة في حدود المكان، وأوصافه، ويظهر لي أنَّ المنهج السيميائي قادرٌ على التوصُّل - من خلال عناصر المكان، وسماته، وطبيعة علاقة الشخصيَّات معه - إلى هذه المعاني الكامنة.

يقوم المنهج السيميائي على دراسة العلامات، و«تستخدم العلامة من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما»[1]، وحين يتسلَّط هذا المنهج على قراءة عمل أدبي فإنَّه يتوصَّل إلى أعماق هذا العمل، وشبكة دلالاته الداخليَّة من خلال العلامات المتناثرة على سطحه؛ ذلك أنَّ المنهج السيميائي يركِّز على بيان العلاقات التي تقوم بين بنيتي النصِّ: الظاهرة، والعميقة.[2]

وتظهر إضافة السيميائية - بوصفها منهجًا نقديًّا - في تحقيق شكل أكثر عمقًا لعلاقة القارئ بالنصِّ الأدبي؛ فهو يمنح القارئ سلطة الاستكشاف، وإطلاق يده في القراءة، واستنطاق الدلالات؛ إذ «يصير للنصِّ فعالية قرائيَّة إبداعيَّة تعتمد على الطاقة التخييليَّة للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، ويصير القارئ المدرَّب هو صانع النص»[3].

١- أمبرتو إيكو، العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط٢، ٢٠١٠م، ص٤٧.

٢- انظر تفصيلات حول مفهومي: البنية (السطحيَّة)، و(العميقة) في كتابي: ترويض النص: دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر إجراءات ومنهجيات، حاتم الصكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م. ص١١٠ وما بعدها، و الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، د. عصام خلف كمال، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، ٢٠٠٣م، ص٤٦ وما بعدها.

٣- د. عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير: (من البنيوية إلى التشريحية) نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٦، ٢٠٠٦م، ص٤٧.

تبدو الإشارة إلى المكان في السرد – إذن – إشارة واعية، ومؤهِّلة إلى مزيد من الإدراك للمغزى الذي تتساند عناصر السرد في إيصاله، وعبورًا من هذه الأهميَّة التي تنطوي عليها الإشارات المكانيَّة، والآثار التي تخلِّفها في وعي القارئ حين يلامس النصَّ مستنطقًا هويَّة المكان فيه تذهب هذه الدراسة إلى استكشاف طاقات المكان في مجموعة (الحفلة)[١] للقاصِّ السعودي عبد الله با خشوين[٢].

وتعدُّ مجموعة (الحفلة) لعبد الله با خشوين واحدةً من المجموعاتِ التي أحدثتْ – إبَّان صدورها في طبعتها الأولى عام (١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م) – أثرًا ملاحظًا في تاريخ القصة القصيرة بالمملكة العربيَّة السعوديَّة؛ حيث لامست هموم الإنسان المعاصر، وصراعاته مع الذات، والوجود مستلهمةً عوالم الأحلام، والكوابيس، ومتوغِّلة في الذات عبر لغة الأبطال الكاشفة عن أغوار الروح، وعوالمها الباطنة البعيدة.

١- عبد الله باخشوين، الحفلة، النادي الأدبي بالرياض، ط٢، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م).

٢- عبد الله بن حكم با خشوين (١٩٥٢م –...).
قاص وكاتب سعودي، نشر العديد من القصص، والمقالات الأدبيَّة، ولد بمدينة الطائف، وفيها نشأ، حاصل على الثانويَّة العامة.
عاش الكاتب حياة صعبة في طفولته انعكست آثارها القاتمة على مجمل قصصه تاليًا.
عُيِّن مسؤولاً عن القسم الثقافي بمجلَّة (اقرأ)، حين نشر مجموعته الأولى (الحفلة) عام ١٩٨٥م، لفت الأنظار؛ فقصصه تنزع إلى الاستثمار الماهر للأحلام والكوابيس والهلاوس التي تطغى على شخصيَّاته المركزيَّة.
تتميَّز لغته بنفورها الشديد من البلاغيَّات التقليديَّة، ومن الصيغ التركيبيَّة المعقَّدة؛ فتبدو منقولة مباشرة من لغة الحياة اليوميَّة.
صدر له بعد الحفلة:
– النغري – سيرة عصفور وقصص أخرى عام ١٩٩٩م.
انظر:
- خالد اليوسف، أنطولوجيا القصَّة القصيرة في المملكة العربيَّة السعوديَّة (نصوص وسير)، منشورات مؤتمر الأدباء السعوديين الثالث – وزارة الثقافة والإعلام. الرياض. ط١. ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م. ص٤٢٣.
- دارة الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربيَّة السعوديَّة، الرياض، ١٤٣٥هـ. ١ / ٤٥٦-٤٥٧.
وصدرت للكاتب بعد ذلك مجموعة جديدة من الأعمال الجديدة مع أعماله السابقة في أضمومة بعنوان: (لا شأن لي بي) عن نادي جازان الأدبي عام١٤٣٣هـ، وفاز عنها الكاتب بجائزة وزارة الثقافة والإعلام للكتاب للعام ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

ويحضرُ المكانُ في المجموعة بوصفه عنصرًا محيطًا تقع في حدوده الحوادث، فيؤطِّرها، ويُحدث - بما يملكه من سمات - تأثيرًا واعيًا في مجرى الحوادث، وسلوك الشخصيَّات؛ فهو عاملٌ مؤثِّر، ومتأثِّرٌ مطاوعٌ لأفكار الشخصيَّات، ومقاصدها؛ فالمكان ليس مجرَّد تكوين جامد؛ إذ «يظهر المكان في الأدب عن طريق مسارين متوازيين: كفكرة مكانية، وكبناء مكاني. والفكرة تنشأ تبعًا للمشاعر التي يكنها الكاتب تجاه الأماكن، ودرجاته بناءً على ما اقتنع به من خلال بيئته الاجتماعية، والفكرية، بالإضافة إلى تجاربه الشخصية»[1].

إنَّ عمليَّة اختيار المكان، ثم تشكيله، وإدماجه في مجرى الحوادث عمليَّة فنيَّة معقَّدة، تكمن في ثناياها الرؤيَّة الفنيَّة، وما يريد السارد أن يقوله، وعلى القارئ - حينئذٍ - أنْ يتتبَّع الإشارات التي يبعثها هذا المكوِّن المكاني، أو ذاك، والمعاني الدقيقة التي يخلِّفها تشكيلٌ بعينه لمكانٍ، أو لعنصر مكاني؛ إذ «إنَّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أنْ يبقى مكانًا لا مباليًا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه البشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكلِّ ما في الخيال من تحيُّز»[2].

وإذا كان المكانُ على هذا المبلغ من الأهمية فإنَّ الدرسَ والنقدَ قد خصَّه بقراءاتٍ لا حصرَ لها، ومن هذه الدراسات التي قاربت المكان في المنجز السردي القصصي في المملكة العربية السعودي على وجه الخصوص:

- المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية، راوية الجحدلي، النادي الأدبي بالرياض، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، وهي دراسة تختص بدراسة المكان، ونماذج الدراسة محصورة في الإبداعات القصصية

1- The role of literature, Leonard Lutwack, Syracuse uni press, New York 1984. p12

٢- غاستون باشلار، جماليات المكان، ت: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م. ص٣١.

السعودية بعد حرب الخليج الثانية.

- الجدار والإنسان: قراءات في ثقافات القصة القصيرة وجمالياتها، د. حسين المناصرة، مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، (١٤٣٦هـ): دراسة للمكان في مباحثه: (السردية الكابوسية والمكان في القصة القصيرة السعودية البيت والشارع نموذجًا)، و(المكان بين واقعيَّة التصوير، وغرائبيَّة التوظيف: قراءة في: عفوًا... لا زلت أحلم لنورة الغامدي)، و(المكان في القصة القصيرة السعوديَّة).

- آفاق الرؤية وجماليات التشكيل (مداخل نظرية ومقاربات تطبيقية في القصة السعودية القصيرة)، د. محمد صالح الشنطي، النادي الأدبي بحائل، (١٤١٨هـ)، عبقرية اللغة وعبقرية المكان: ليوسف المحيميد، وأحمد يوسف، ومحمود تراوري.

ومن هنا تتجلَّى أهميَّة النظر في مجموعة (الحفلة)؛ فهي لم تحظ بدراسة مستقلَّة تقف عند موضوع المكان فيها.

وبالنظر إلى المجموعة - محلِّ الدراسة - تتبدَّى أربع ظواهر مكانيَّة يمكن - عبر قراءتها سيميائيًّا - الوصول إلى فهم العلائق العميقة التي تصل المكان بالشخصيَّة، وبمجرى الحوادث فتجعله فاعلاً، ومنفعَلاً به، وتوصل في النهاية إلى استكشاف الدلالات الكامنة خلف تلك العلاقة، وهذه الظواهر هي:

أوَّلاً – موفِّرات الانعكاس: المرايا، والواجهات:

تتيح المرآة للإنسان الحصول على انعكاس لصورته الماديَّة، وهي صورة كاشفة، وحقيقيَّة، ونقلت المدونـَّات الفلسفيَّة، والأسطوريَّة بعضًا من وجوه علاقة الإنسان بالانعكاس، والوقوف عند هويَّة الصورة المرآتية للإنسان، وتتبدى فكرة

الانعكاس، وآثارها في وعي الإنسان بشكلٍ جليٍّ في أسطورة (ناركيسوس)[1] المشهورة.

إنَّ الانعكاس - بوصفه فكرة بصريَّة حسيَّة - لا يمكن أن يحدث إلاَّ عبر مكوِّن ماديٍّ عاكس، وهذا يعني أن السارد يؤسِّس لوجود تشكيل مكاني بعينه داخل السرد، وعلى هذا التشكيل أن ينهض بعبء تقديم تصوُّر ما حين يظهر مندغمًا في مجرى الحوادث، ومتصلاً بالشخصيَّات محقِّقًا بوجوده في محيطها، وتفاعلها معه هدف اختياره، وتشكيله.

وأظهر أدوار الانعكاس في المجموعة يتجلَّى بطاقة فنيَّة عالية في قصة (يقظة مبكِّرة)[2].

في هذه القصَّة ثمَّة انعكاسان: أحدهما جزئي، يعكس قسمًا من جسد الشخصيَّة في بداية القصَّة: حيث يستيقظ البطل يخالطه شعور غريب بالانتشاء بعد قسط نوم لم يحصل عليه من زمن بعيد: «سنين طويلة مضت لم ينعم خلالها بمثل ذلك النوم الهنيء، أو يستيقظ بمثل هذه الحال التي أصبح عليها»[3]، ويسترسل البطل في حوار داخلي متذكِّرًا أوضاعه المضطربة في المدينة التي لم يألفها، التصوُّرات الداخليَّة عن الذات - التي يقدِّمها الحوار الباطني - تخالطها أفعال يُفهم منها تحرُّك البطل في محيطه المكاني: (غرفة النوم، الحمَّام) عاريًا: «نهض دون تردُّد. خلع بجامته بخفة واتجه نحو الحمَّام عاريًا كما ولدته أمه»[4]،

١- هو ابن آلهة النهر، كان فتى جميل الطلعة يرفض حبَّ معجباته، وحين رفض حبَّ الحوريَّة (إخو) اختفت في الغابة وهزل جسمها، فطلبت المحبَّات من الآلهة معاقبته، فذات يوم انحنى ليشرب من حوض وهو متعب ظمآن، فرأى خياله في الماء الصافي، فأحبَّ خياله، لكنَّه لما لم يتمكن من إشباع رغبته هزل، ونبتت في المكان الذي مات فيه الزهرة التي تحمل اسمه.
انظر: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، أمين سلامة، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والإعلان، ط٢، ١٩٨٨م. ص٣٠٠.

٢- الحفلة: ص٩.

٣- نفسه: ص١٣.

٤- نفسه: ص١٢.

ويُفهم أيضًا سكن البطل وحيدًا، هذه الوحدة تبدو معلِّلة لهذا السلوك غير المألوف – العري، غير أنَّ التحوُّل يحدث حين يتجه السرد إلى إحداث انتقال مكاني: من البيت – الذي تغدو وحدة البطل فيه مبرِّرة لسلوك البطل (التعرِّي) – إلى الشارع – وهو فضاء مغاير تنتفي فيه وحدة الشخصيَّة، وخصوصيتها –، وهنا يظهر أوَّل دورٍ للمكوِّن العاكس في القصَّة، لكنَّ الانعكاس لا يفضي إلى إثارة تنبُّه البطل نحو الخطأ الجسيم المتمثِّل في خروجه عاريًا؛ فالمرآة الصغيرة تقدِّم صورة جزئيَّة ناقصة «سار بخطى وئيدة متجهًا نحو المرآة الصغيرة المثبتة بجوار الباب»[١]، هذا الانعكاس الجزئي، وغير المكتمل الذي تقدِّمه (المرآة الصغيرة) ويظهر فيه الرأس فقط يعكس صورة مُرضيَّة كافية يبدو فيها رداء الرأس: الشماغ، والعقال اللذين ارتداهما البطل: «قفز من فراشه برشاقة وأخذ يتمطَّى دون كسل. ارتدى جوربه، وانتعل حذاءه. وضع على رأسه الغترة، والعقال»[٢]، وهذه الصورة لا تثير شعور النقص الكامن في القسم غير المنعكس من الجسد.

الكمال الجزئي الذي تقدِّمه المرآة وجهٌ من وجوه التصرُّف التي تمنحها حريَّة المبدع في تشكيل صورة المكان، واختيار مكوِّناته وفق ما تقتضيه الرؤية الكاملة للحكاية، وهي الرؤية الكامنة في وعي المبدع؛ فالأمكنة في شكلها العامِّ مثل الحجارة في المقلع و«الفنان يلتقط من مَقْلع الحجارة دائمًا ما يفيده في بناء معماره الفنِّي. ولا يستطيع أن يأتي لنا بكلِّ حجارة هذا المقلع»[٣]، ولكي تتحقَّق هذه الرؤيا يخرج البطل – بستره الناقص – ليواجه صورته مرَّة أخرى في انعكاسين، أحدهما رؤية بصريَّة من جانب (الآخر) تتمثَّل في عابري الطريق، ورؤية من جانب الذات نفسها بمعاونة مكوِّن مكاني عاكس آخر هو واجهات المحلاَّت، التي

١- الحفلة: ص٢٥.
٢- نفسه.
٣- شاكر النابلسي، جماليَّات المكان في الرواية العربيَّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م. ص٣٢.

تغدو بدورها مرآة تقوم بدور الكشف اللازم لكن في وقت متأخِّر.

وإذا كان قصورُ الرؤيةِ البصريَّةِ الذاتيَّةِ ناشئًا من شعور طارئ ببهجة نادرة تقلِّص الإدراك الحسِّي لحال الجسد، ومن قصور في المكوِّن المكاني (المرآة الصغيرة)، فإنَّ السرد يوجِّه القارئ إلى قصور المسؤولية الجماعيَّة: أي مسؤولية الآخر بوصفه مرآةً تتبدَّى فيها صورة الإنسان الفرد؛ فالآخر الذي يجابهه البطل أوان خروجه يتخذ موقفًا سلبيًّا؛ حيث تكتفي الشخصيَّات العابرة في الشارع التي قُدِّر لها رؤية البطل - في هيئته الخارجة عن المألوف - بالارتياع، والحوقلة، بل والشتم، والإيذاء اللفظي دون أنْ تمتلكَ الحسَّ الإنساني لإدراك أنَّ في الأمر خطأ، أو لبسًا يقتضي منها القيام بدور اجتماعي يتضمَّن في أضعف أحواله تنبيه الشخصيَّة إلى شذوذ مظهرها، وتفتقد شخصيَّات أخرى القدرة على الرؤية بسبب موقعها في المكان على النحو الذي نجده في موقع الرجل الجالس لتناول إفطاره في مطعم الفوَّال؛ إذ ينتج غياب الرؤية لأنَّ الرجل «كان منهمكًا في تناول إفطاره وظهره إليه»[1].

غير أنَّ الشخصيَّات الأخرى التي تقابل البطل، ويتيح موقعها المكاني رؤية واضحة كاشفة عن هيئته غير المناسبة للخروج لا تُظهر الانفعال الصحيح، وتتخلَّى عن دورها الاجتماعي المفترض.

وعلى البطل - حينئذٍ - أن يكمل الصورة الناقصة بنفسه عبر مكوِّن مكاني عاكس آخر هو واجهات المحلاَّت الزجاجيَّة، لكنَّ هذا الانعكاس يحدث بعد فوات الأوان؛ فهذا (الوضوح المتأخِّر) لم يحصل إلا بعد مسافة من المنزل: «تجاوز الشارع الفرعي الذي يقع فيه مسكنه وأصبح في الشارع العريض ذي الواجهات التجاريَّة الفارهة»[2].

١- الحفلة: ص٢٦.
٢- نفسه: ص٢٧.

يسيرُ السردُ إلى النقطة التي يلتقي فيها البطل بالمكوِّن المكاني الكاشف (الواجهة الزجاجيَّة)، لكنَّ موقع البطل المكاني من هذا المكوِّن يجعله غير ذي فاعليَّة إذ يواجهه البطل بظهره «توقف على الرصيف وظهره لواجهة أحد المحلاَّت التجارية في انتظار سيارة أجرة»[١]، ثمَّة قصور في أداء المكان لوظيفته حتى الآن؛ فلا يكفي أن يكون عنصرٌ ما موجودًا في الفضاء المكاني، بل لا بدَّ أن ينطوي وجوده على نوع من الاتصال الإيجابي.

إنَّ تأخُّرَ أداء العاكس لدوره يوفِّر فسحة زمنيَّة تعمِّق إشكال الجماعة المتخليَّة عن دورها الاجتماعي، ويأتي هذا الضرب من التخلِّي من قبل سائق سيَّارة الأجرة، ورفض إقلال البطل: «في وقفته تلك مرَّت أمامه أكثر من سيارة أجرة، وفي كلِّ مرة كانت تقف استجابة لإشارته، ثم لا تلبث أن تنطلق مسرعة بعد أن يحدِّق فيه سائقها بدهشة، وذهول»[٢].

ويستمرَّ وقوفُ البطل عاريًا، غير واعٍ بإشكاله المظهري، حتى تتخذ علاقته مع المكوِّن العاكس طريقها نحو الاتصال: «بعد أن ملَّ وقفته تلك، شبك يديه خلف ظهره، وأخذ يسير جيئة وذهابًا أمام واجهة المحل الزجاجيَّة»[٣]، ويحدثُ التنبُّه الأوَّل بفعل الصورة الجانبيَّة للبطل المنعكسة على الواجهة: «خيِّل إليه أنَّه رأى شيئًا غريبًا ينعكس على الزجاج»[٤]، والصورة المتشكِّكة هذه هي بدء الكشف، ولكي تذهب المسحة المتشكِّكة، ويحلُّ اليقين الكامل فإنَّ على البطل أن يتموضع على نحو يؤهِّله للحصول على الرؤية الواضحة، ويحدث هذا ليكون الموقف الختام للقصَّة: «فتوقَّف، وأخذ يحدِّق فيه مستطلعًا... لم تكن الصورة التي عكستها الواجهة الزجاجيَّة غريبة عنه، إنَّها صورته، منعكسة تحدِّق فيه وهو

١- الحفلة: ص٢٨.
٢- نفسه.
٣- نفسه: ص٢٨.
٤- نفسه.

شابك يديه خلف ظهره يحدِّق فيه.

كان عاريًا تمامًا لا يرتدي من كلِّ ملابسه سوى غترته، وعقاله، وجوربه، وحذائه، ولا شيءَ غيرهما على الإطلاق»[1].

إنَّ وضع الرؤية هذا هو حالة انكشاف كبرى قياسًا بالانكشاف الجزئي القاصر الذي ظهر في المرآة الصغيرة بمنزل البطل، وهو انكشاف ذاتيٌّ خاصٌّ استغرق البطل زمنًا للوصول إليه.

إنَّ الدورَ الذي تؤديه السطوح العاكسة أبعد من مسألة الانعكاس الماديِّ، إنَ المرآة / الواجهة متقدِّمة بأشواط على الإنسان - فيما يتعلَّق بتأدية الدور - وسواءٌ أكانت هذه المرآة صغيرة، أم كبيرة، كافية، أم قاصرة الكفاية فإنَّها تؤدي دورها على نحو محايد، وغير مشوب بحكم، وحين نقارن هذا بدور الآخر في القصة: الدور الذي يأتي - على تمام الرؤية البصريَّة، ووضوحها - عاجزًا عن تقديم ما يتوجَّب تجاهها، ندرك حينئذٍ أنَّ تصميم المكان يسرِّب شيئًا من المعنى من خلاله، إن لم يكن المعنى كلَّه؛ فالمرآة - في القصَّة - لا تعكس الصورة الحسيَّة فقط، بل تعكس كافَّة التصوُّرات التي هجس بها البطل في باطنة أوَّل القصة، فالتكرارات لفكرة: الوحدة، والغربة، والجمع الكثير في المدينة الذي لا يتصل به، ولا يقيم علاقة معه تنعكس في المرآة لتصبح المادة العاكسة هذه موئل نجاته، وكأنما هي لا تعكس صورته فقط، بل تعكس ما يختلج في وجدانه من انفصال عن الناس، وفقد لحميميَّة العلاقات الإنسانيَّة فأصبحت بمنزلة: «(النافذة) التي أطلَّ منها على عالم خيالي، قوامه انعكاسات وخيالات لما يدور من حوله وفي داخله معًا»[2].

ويمكننا أيضًا أن نفهم من الدور الذي يؤديه السطح الماديَّ العاكس في

١- الحفلة: ٢٨-٢٩.

٢- د. محمود رجب: فلسفة المرآة، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٢٤.

القصة أنَّ هذا السطح كان هو الوسيلة المتاحة التي تمنح البطل فرصة اكتشاف ما هو عليه، من خلال اللعب على فكرتي: الصورة الكاملة، والصورة الناقصة، وعلى مستوى أعمق استعمال السمة المكانيَّة لا لتكون انعكاسًا ماديًّا كاشفًا توفّره المرايا، أو السطوح العاكسة فحسب، بل في شأن المعكوس نفسه (البطل): ففي مثل وضع البطل في القصَّة فإنَّ العاكس يجيب عن سؤال: هل يفقد الإنسان شعوره الحسِّي بالجسد مالم يره في الانعكاس؟ وهل عجزت لفحات الهواء الشاردة أن توقظ البطل حين دهمته وهو واقف أمام الباب الخارجي؟ لقد كان الانعكاس هو الموفِّر للصدمة اللازمة لإيقاظ البطل، الصورة البصرية الفاجعة، ويحيلنا ذلك إلى حديث البطل مع نفسه في القسم الأول من القصة، حيث تبدو النظرة القاصرة، الخائبة هي المسيطرة على علاقة البطل بالناس، والأشياء، بل وبنفسه أيضًا: «يحدِّق في الأشياء من حوله وهو لا يكاد يراها. عيناه تحدِّقان في الداخل بحثًا عن الأحلام التي تلاشت فجأة، بعد أن كان قد أمسك بها، أو هكذا هيِّئ له»[١]، و «يفتِّش في وجوه المارَّة، وعلى زجاج المحلاَّت، فيرتدُّ إليه البصر حاسرًا كسيرًا»[٢].

ثمة اعتلال في الاتصال بالآخرين، وفي الشعور الكامل بالجسد، وحتى محاولة الاتصال الوحيدة مع الآخر في موقف العري خارج البيت لم يكن ممنوحًا – من قبل البطل – فرصة النجاح بسبب تراكمات من الانفصال عن المجتمع؛ فحين التقى الرجلين المحدِّقين إليه: «تجاوزهما بتؤدة دون أن يلتفت لكليهما[٣]. لم يكن ما يقوله الآخرون ذا معنى بالنسبة له. مات الفضول داخل نفسه، ولم يبق شيءٌ يربطه بالآخرين»[٤].

١- الحفلة: ص١٧.
٢- نفسه.
٣- هكذا وردت، والصواب (لكليهما).
٤- الحفلة: ص٢٧.

وحين تؤدي فكرة الانعكاس - عبر المرآة، أو واجهات المحلاَّت التجاريَّة - دورها في ثنائيتي التعمية / الانكشاف في القصة الآنفة، فإنَّ الواجهات نفسها تضطلع بدور مختلف في قصَّة (مطر الغيوم الراحلة)[1]؛ فالواجهات هي تكوينٌ مكانيٌّ ذو وظيفة تجاريَّة يتيح للعابرين النظر إلى ما وراء الزجاج، لكنَّها - في حال البطل المرتبك في وحدته المدنيَّة - تغدو ذريعة إلى الهروب.

يجدُ البطل الحال بالمدينة حديثًا نفسه فوق الرصيف، وثمة إشعارٌ بأنَّ هذا الحلول غير مريح بالنسبة إليه: «مضيت أجرجر أقدامي وأنا أئنُّ تحت وطأة ثقل حقيبتي وحيدًا حزينًا»[2]، ويبدو هذا الوصف تمهيدًا لشعور مضطرب، وعلاقة غير مستقرَّة، ومتردِّدة بالمكان.

إنَّ وحدة البطل تلك لم تكن وحدة مسالمة تمامًا؛ فهو يجد نفسه - لسبب لا يعرفه - تحت وابل من نظرات فاحصة يوجهها له رجل غريب يقف فوق الرصيف المقابل: «لمحت رجلاً يقف في مواجهتي على الرصيف الآخر. يحدِّق في وجهي ويتأمَّلني باستغراق»[3]، وفيما البطل غائصٌ في هواجسه الخاصَّة، وخوفه، ووحدته المنتظرة في المدينة تتعرَّض طمأنينته - المهتزَّة أصلاً - إلى اختبار مواجهة يمنعه من عبور الشارع إلى الرصيف المقابل حيث يوجد الرجل، فلا يجد البطل - وهو الوحيد المتجرِّد من رفقة مطَمْئنة - إلاَّ خيار التحديق إلى الواجهات: «التصقت بالجدار وأخذت بالجدار وأخذت أحدِّق في الرجل. أزعجتني نظرته الملحَّة، تحرَّكت دودة القلق وظلَّت تجوس في صدري تأمَّلته لوهلة ثم تشاغلت عنه بالتحديق في واجهة أحد المحَّال التجاريَّة»[4]، هناك - إذن - افتعال لسلوك التشاغل، وهو سلوك يسعفه فيه المكوِّن المكاني الزجاجي المهيَّأ في أصله كي يكون

١- الحفلة: ص١٠٧.
٢- نفسه: ص١١١.
٣- نفسه: ص١١٢.
٤- نفسه.

محلَّ نظر، وتحديق.

إنَّ ما قامَ به البطلُ هو فعل لجوء، في لحظة خاطفة عليه أن يجد مستقرًّا لنظراته بعيدًا عن التحديق إلى الرجل الغريب، بل إنَّ الانعكاس الذي يوفِّره الزجاج يسمح له بالنظر غير المباشر إلى الرجل، ومراقبة ما يبدو أنَّه عدوٌّ محتمل: «انعكست تفاصيل وجهه على واجهة المحل، فازددتُ يقينًا من أنَّني التقيت به من قبل»[١]؛ فالخوف نفسه، وافتقاد جرأة المواجهة يجعل من الواجهة الزجاجيَّة - بفعل طبيعتها العاكسة - وسيلة مراقبة متاحة: إنَّ البطل إذن ينظر إلى خصمه المحتمل ولكن هذا النظر إنَّما يغدو ممكنًا عبر وسيط ماديٍّ.، وهكذا تؤدي الواجهة وظيفة مزدوجة: الحماية / المراقبة، والتخفِّي / الكشف.

ويستمرُّ البطلُ في لحظاته تلك تطوف به أسئلة حول هويَّة الرجل، فيما فعل التحديق / الهروب مستمرٌّ بمعاونة الزجاج: «لمع الماء في عينيَّ وأنا أحدِّق في واجهة المحلِّ»[٢]، ويبدو وسيط الهروب هنا - الواجهة الزجاجيَّة - مثاليًّا؛ إذ ينجز البطل هروبه محدِّقًا في الزجاج على نحو لا يثير الريبة؛ لأنَّ الزجاجَ نفسه موضوع تحديق، وهذا التحديق الإلهائي المتشاغل الذي يمارسه البطل يكرِّس حالة (لا جدوى) المسير، وهي حالة مسيطرة، ومستمرة: «أخذت أسير على غير هدى وأنا أتلفت خلفي»[٣].

وفي جانب آخر تصبح الواجهات الزجاجيَّة منقذة حين تذهب إليها عينا الرجل الغريب، فتغدو تلك فرصة سانحة لحركة البطل متحرِّرًا من سطوة نظرات الرجل المزعجة: «التقت عيناي بعينيه فاستدار نحو واجهة المحل الذي كان يقف أمامه... خطوت مسرعًا نحو الرصيف المقابل بعد أن تأكَّدت أنَّ الرجل منشغل

١- الحفلة: ص١١٣.
٢- نفسه.
٣- نفسه: ص١١٤.

بالتحديق في واجهة المحلِّ»[1]. ويبقى إسهام الواجهات الزجاجيَّة في أدوار القصَّة بوصفها ملجأً في فضاء الشارع بالنسبة إلى رجل غريب وحيد لا يجد مكانًا يلجأ إليه؛ فبعد حوار حول الهويَّة، والعلاقة مع الرجل الغريب تنتاب البطل حال من الانكسار، وتغدو الواجهة - حينئذ - منقذًا مرَّات أخرى: «أدرت وجهي نحو واجهة المحلِّ حتى لا يرى دموعي»[2]، «جذبت ذراعي من يده بعنف واستدرت نحو واجهة المحلِّ من جديد وأخذت أواصل النشيج»[3]، بل إنَّ قرار الحزم، والمواجهة يتخذه البطل وهو متوجِّه إلى الزجاج: «زممت شفتي وحزمت أمري. قلت وأنا أحدِّق في واجهة المحلِّ»[4].

وتغدو الألفة مع واجهة الزجاج - دون الناس - هي الفاصل الأخير في حكاية البطل مع الرجل الغريب؛ فهي ملجأ من هول مفاجأة لا تظهر ملامحها كاملة لكنَّها تتصل بشكل كبير بفعل اللجوء، ثم الرجوع عنه الذي تتجه إليه الحوادث، فالبطل يستجمع شجاعته ليواجه ما كان يهرب منه: «استدرت نحو الرجل لأرى وقع كلماتي عليه.. ذهلت.. انتابني فزع رهيب.. تراجعت والتصقت بواجهة المحلِّ وأنا أرتعد»[5]، فهو لا يلبث أن يعود إلى ملجئه الزجاجي مرَّة أخرى، في لحظة الفزع الأخيرة حين يلتفت قاصدًا المواجهة ليجد أنَّ ما من رجل يقف بالمكان من الأساس!

إنَّ المكان - كما يبدو هنا - وعلى الرغم من كونه جزءًا من عالم مرهوب، وغير مألوف بعد إلاَّ أنَّه يسعف البطل دائمًا في مقابل البشر؛ فيغدو هذا المكوِّن المكاني وجهًا مدنيًّا مترفِّقًا، وذا طبيعة كنونيَّة، وحاوية.

١- الحفلة: ص١١٤.
٢- نفسه: ص١١٩.
٣- نفسه: ص١٢٠.
٤- نفسه: ص١٢١.
٥- نفسه: ص١٢٢.

إن الأدوار التي تؤديها السطوح العاكسة في القصتين تمنحان المكان فاعليَّة الدور السردي؛ فهو يغدو كاشفًا، وحاويًا في قصَّتين تقومان على مفهوم الاصطراع بين الإنسان، وذاته من جانب، والإنسان، والآخر من جانب آخر.

وثمَّة إشعارٌ بأنَّ المكان - بصفته الجامدة المحايدة - يغدو أكثر احتواءً، وصدقيَّة من الآخر الذي يجابهه البطل في صور مضطربة من العلاقة بين الفرد، والجموع المحيطة به.

ثانيًّا – التقاطب المكاني:

يظهرُ التقاطبُ المكاني «في شكل ثنائيَّات ضديَّة تجمع بين قوى، أو عناصر متعارضة، بحيث تعبِّر عن العلاقات، والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي، أو الشخصيَّات بأماكن الأحداث»[١].

ويحقِّقُ الباب بوصفه مكوِّنًا مكانيًّا واحدًا من أمثل علاقات الإنسان بالمكان من حيث القدرة على التحكُّم فيه لإحداث صورٍ من الرغبات الإنسانيَّة: الإتاحة / المنع ، الكشف / الحجب.

وتُحدث عمليَّة التحكُّم بحركتي الباب: (الفتح / الإغلاق) وجها من وجوه علاقة الإنسان بالمكان، ويحقُّق بتلك الحركات تحوُّلاً في هويَّة المكان، فبحركة الأبواب المتقاطبة (الفتح / الإغلاق) تتحوَّل الأمكنة من حال إلى آخر، وتكتسب الصفَّة الحديَّة في شكله (المفتوح)، و(المغلق).

وثنائيَّة الحدِّ (Binarism) هي «كلِّ أسلوب تحليلي يحصر علاقات الوحدات بعلاقة ذات حدَّين»[٢].

١- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م، ص٣٣.

٢- د. خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٦٠.

تحتلُّ فكرة (الإخفاء) مساحة كبيرة في توصيف علاقة الابن (أيوب) بأسرته - بأبيه على وجه مخصوص - في قصَّة (موت أيوب)[1]؛ فالابن الضال يسبِّب - بجموحه، وسقوطه الدائم - حسرة للعائلة، والمكان - عبر تشكُّلاته - يوفِّر قابلية الإخفاء هذه، نلحظ هذا في التعامل مع (الأبواب) في ثنايا القصَّة؛ إذ تغدو (الأبواب) - بين يدي الشخصيَّات - أداةً لتمثيل المعنى، وندرك حينئذ أنَّ المكان - وإن كان إطارًا محسوسًا مفترضًا تجري فيه الحوادث - فإنَّه أيضًا إطارٌ للوحة المعنى: يُظهره، ويصنع انعكاساته عليه.

ويتحقق ذلك عبر حركتين قطبيتين هما (الفتح، والإغلاق)، ويحقِّق التعامل مع الأبواب - عبر هاتين الحركتين - فكرة الحديَّة الآنفة؛ إذ يضمن الباب وجود مكانين يحملان صفات مختلفة، إذ «لا بدَّ للحدِّ الذي يفصل بين شقَّي المكان أن يكون حصينًا لا يمكن اختراقه،، وأن تختلف البنية الداخليَّة لكلٍّ من الشقَّين فيه»[2]؛ فخارج البيت مكانٌ عامٌّ متاح للرؤية، والاستكشاف، بينما يتصف داخل البيت بسمات الحجب، والمنع، ويصبح الباب - حينئذٍ - موفِّرًا لهذه الحديَّة، عبر حركتي: الفتح / الإغلاق، بل وتتمُّ الحركة على مستوى داخليٍّ في المنزل نفسه حين تمسُّ غرفة الابن المريض - كما سنرى -.

تنبتُ فكرة العار من سلوك الابن / بطل القصة الذي تكتوي بآثاره أسرته، وبخاصَّة الأم التي يصفها البطل بصوته: «فجعتها مرَّات، ومرَّات خلال سني عمري التي أهدرتها في التسكُّع، واللامبالاة. جعلتها تطلق الأنَّة تلو الأنَّة وتبكي علي كأنني ميت وأنا حي أسير في الدروب هائمًا متعثِّر الخطى»[3].

ينفتح مجرى الحوادث في القصَّة على صورة الابن المسجى في حالة تشبه

١- الحفلة: ص٣١.
٢- جماليَّات المكان، سيزا قاسم، ص٨١.
٣- الحفلة: ص ٣٤.

الموت، بعد عودته من إحدى رحلات ضلاله، وفي حال التسجية تلك يحرص الأب، والأم على إحكام إغلاق الباب على الابن المريض الذي يروي بصيغة المتكلِّم حوادث تلك الأيَّام، فينقل حدث دخول الأم في جولة تفقُّد - بما يشير إلى انفتاح الباب المغلق -: «ثمَّ سمعت الباب يصرُّ وينفرج ببطء»[١]، وغير خافٍ هنا أنَّ فعلا: الصرير، والانفراج منبئان عن إغلاق مسبق، وبعد أن أنهت الأم جولة الاطمئنان جاء دور الأب، ويبعث السرد بإشارة إلى أنَّ الأم قد أغلقت الباب وراءها حين دخلت الغرفة، إذ يحدث انفتاحٌ آخر يقوم به الأب هذه المرَّة: «انفتح الباب وسمعت أبي يهمس لها بصوت غاضب»[٢]، ثم يجري إغلاقه بعد انتهاء جولة الطمأنينة تلك «أغلق باب الغرفة خلفه ومضى»[٣].

إنَّ التأكيد على حركتي: الإغلاق، والفتح، وتتابعهما في سلوك الوالدين تؤشِّر إلى فكرة العزل، والحرص؛ فالابن الضالُّ العائد مريضٌ منهك، وفكرة حمايته تتجسَّد في سلوك، وفعل، ويحدث هذا الفعل عبر أداة ماديَّة هي الباب، فالباب يغدو مؤشِّرًا على ما في عقل الشخصيَّات من تصوُّرات، وأفكار، بل إنَّ هذه التصوُّرات قد لا تبلغ القارئ دون إحداث انفعال مشحون بالفكرة، ويتكرَّر هذا الانفعال غير مرَّة مرتبطًا بضمان أن يبقى الابن الضال في مكان مغلق رأفةً، وخوفًا، وعزلاً، ويحدث هذا بعد حوار مشبع بالعاطفة بين الابن، والأب في موقف سابق: «نهض متكدِّرًا مهمومًا.. وقبل أن يغلق الباب خلفه التفت إليَّ وقال:

- استرح يا بني فلا أحد لدينا أغلى منك. لا أحد.. لا أحد»[٤].

وحتى بعد بدوِّ موت البطل فإنَّ فكرة الحجب المسيطرة على وعي الأسرة

١- الحفلة: ص٣٤.
٢- نفسه: ص٣٦.
٣- نفسه: ص٤٠.
٤- نفسه: ص٤٥-٤٦.

تظهر في إشارة السارد إلى حالة الإغلاق - مع حتميتها المفترضة في حالة الموت -: «فاحت رائحة الموت وعمَّت أرجاء الحارة فامتلأ بيتنا بالنسوة والأطفال. كانت غرفتي مغلقة عليَّ وأخي يجلس بجوار رأسي يقرأ القرآن وينهنه»[1].

وبثُّ السلوك عبر حركة الباب يقابلنا في القصة عبر أكثر من موقف، ففي إغماء سابق للبطل يرصد السرد سلوك الأب في لحظة ما، لحظة غضب يُحدث تأثيره في الباب: «كان غاضبًا من ضعفه. صفق الباب خلفه ومضى يهيم في الشوارع محاولاً تبديد غضبه»[2]، فـ(الصفق) هو انفعال محسوس متجسِّد في أحد عناصر المكان، وعبر حركته الدالَّة يصبح بمقدورنا استشعار ضروب الانفعالات التي توصلها الشخصيات عبر مكوِّنات هذا المكان.

إنَّ إنشاء حدث جزئي ضمن سلسلة حوادث القصة يكون مخصَّصًا لانفعال بالمكان على نحوٍ ما لا بدَّ أن يكون متضمِّنًا تصوُّرًا ذا علاقة بفكرة النصِّ عامَّة، ويحدث هذا على نحو واضح في القصَّة نفسها حيث تؤدي الانفعالات التي تصدر من الشخصيَّات في حوارها مع المكان - الأبواب بصفة خاصة - دورها في الإشعار بطبيعة موقف الأسرة من ابنها العائد؛ حيث يستعيد البطل ماضيه القريب حين يعود من تيهه الطويل إلى البيت، وتبدأ فصول التعامل مع حاله البائسة منذ اللحظات الأولى حين يدخل الحارة في حالة وهنه، وضعفه، يحضر الباب أثناء ذلك - بوصفه مكوِّنًا مكانيًّا - مندغمًا مع تصوُّرات الشخصيَّات، وأساليب حياتها، وتفكيرها؛ ويمكننا أن نلاحظ أنَّ الباب كان - قبل مجيء الابن - مواربًا، وتلك علامة الطمأنينة، والانفتاح على الحارة: «ركضَ أحدهم وشقَّ باب البيت المواربَ»[3]، لكن الوضع ينقلب تمامًا حين يصبح الابن داخل هذا

١- الحفلة: ص٥٠.
٢- نفسه: ص٣٧.
٣- نفسه: ص٤٠.

البيت؛ فعندما تخرج الأم لملاقاته يدفعها الأب إلى البيت ويحكم إغلاق الباب: «استدارت متردِّدة، لكنه دفعها أمامه حتى أدخلها وصفق الباب بعنف واستدار يحدِّق فيَّ دون أن يبرح مكانه»[١]، تلك إذن حالة منع، وإحكام، وحيلولة يقوم فيها الباب بدوره مسندًا فكرة الأبِّ بضرورة احتواء الموقف، وتقليل الأعين الناظرة إليه قدر الاستطاعة، ويذهب الأب في فكرة الإخفاء بعد حمل الابن من الزقاق: «أدخلني البيت وقال بخشونة بعد أن أغلق الباب: ماذا فعلت بنفسك يا بني؟!»[٢]، في موقف العودة هذا يغدو الباب عنصرًا مطواعًا في تحقيق فكرة مبثوثة في عنصر المكان في صورته التي يجري تحويلها، وتطويعها لتكون قادرة على تحقيق التصوُّر عبر حركتي (التقاطب): (الفتح / الإغلاق)، وبخاصَّة أن تأكيدهما جرى عبر النصِّ في أكثر من موقف.

يُبقي الباب ما يقع خلفه في مأمن من التلصُّص، والانكشاف غير المرغوب فيه على الآخر، وتظهر الرغبة في الاحتماء داخل المنزل حين يصبح (الانكشاف) غير المرغوب فيه مصدرًا للتهديد، ويحدث هذا حين تهدد الأم بكسر الحاجز الحاجب، والانتقال إلى منطقة الفضيحة حين منعها الأب من تغسيل الابن بعد موته: «إذا منعتني فسوف أشق ثوبي، وأخرج إلى الشارع، وأهيل على رأسي التراب»[٣].

تحقِّق حركة إغلاق الباب – إذن – فكرة الحجب التي تستقرُّ في وعي الأب نابتةً من رفض الانكشاف المفضي إلى فضول الآخرين، وأحكامهم المحتملة، و تحقِّق الحركة ذاتها لبطل قصَّة (يقظة مبكِّرة)[٤] ضربًا من الراحة بعد أن يعود إلى بيته، وغير خافٍ أنَّ علاقة الإنسان بمنزله هي علاقة لجوء، واستقرار وقد

١- الحفلة: ص٤١.
٢- نفسه: ص٤٢.
٣- نفسه: ص٥١.
٤- نفسه: ص٩.

عبَّر باشلار عن السمة المرجعيَّة الأوليَّة للمكان بالنسبة إلى الإنسان حين قال عنه: «البيت هو ركننا في العالم»[١].

يحقُّق الباب وجهًا من وجوه الطمأنينة للبطل قبل منامه: «يسمِّي بالرحمن ويغلق باب الغرفة، ويستلقي على فراشه بارتياح»[٢].

يستعدُّ البطل - إذن - للذهاب إلى منامه بتحقيق حفظين: أحدهما روحانيٌّ يتمثَّل في التسمية بالله، والآخر ماديٌّ يتمثَّل في فعل الاحتراز المطلوب: إقفال الباب، ويخامر البطل بعد هذين الفعلين شعور طمأنينة لا يلبث أن يتزعزع حين تغلب الأوهام، والشكوك عليه: «يظلُّ طوال الليل خائفًا، يخامره إحساس بأنَّ هناك من يرقبه في إحدى زوايا البيت»[٣]، ويصبح الباب بؤرة لهذه الشكوك؛ ومن خلاله تتمظهر داخل السرد كاشفة عن أقبية القلق الكامن في وعي الشخصية، فالباب إذن هو المادة المحسوسة الكاشفة عن المشاعر الجوَّالة داخل الشخصيَّة: «ما أن يستسلم للخدر الذي يسري في جسده المتعب حتى يخامره إحساس بأنَّه لم يحكم إغلاق الباب يهبُّ بسرعة يتأكَّد من إغلاق الباب ويعود إلى فراشه من جديد»[٤]، ندرك الآن أنَّ انشغالات البطل تدور حول الاطمئنان على إحكام حماية الغرفة من خلال إغلاق بابها، ويصبح الباب - حينئذٍ - هو موضوع التشكُّك: «يغمض عينيه لبرهة.. ثم يعود ويفتحهما. يحدِّق في الباب من جديد وهو يفكِّر في أنَّ الشخص الذي يرقبه ربما كان قد دخل إلى الغرفة في اللحظة التي كان يهمُّ فيها بإغلاق الباب»[٥].

إنَّ الباب هو حاجز الطمأنينة بالنسبة إلى البطل، وهو حارس عزلته، لكنَّ

١- جماليات المكان، باشلار، ص٣٦.
٢- الحفلة: ص٢١.
٣- نفسه.
٤- نفسه.
٥- نفسه: ص٢٢.

الخوف المسيطر يطعن موثوقيَّة هذا الحاجز بالنسبة إلى البطل، فثمة احتمال متشكِّك يهزُّ أركان هذه الطمأنينة، ويتمثَّل في أنَّ هناك من عبر في سهوٍ خاطف من البطل، تلك الشكوك - التي تعبر بها قنطرة مكانيَّة هي الباب - هدفها أن تصف الخوف المتوغِّل في وعي الشخصيَّة، الضارب بأطنابه في أرض أوهامها، وتلك هي الإشارات التي تبعثها الموصوفات المكانيَّة حين تشتبك في علاقة الأبطال مع الحياة، وحين تصبح مسفرة عن سلوكهم فيها.

وإذا كان الاستناد إلى الباب في قصة (أيوب) يتصل بمحاذرة الافتضاح، والرغبة في ستر مواضع العار - من وجهة نظر الشخصيَّات المنجزة لحركة الأبواب الدالَّة - فإنَّ الباب في قصة: (كلُّ الخطى وئيدة.. كلُّ الخطى مسرعة)[١] يصبح وسيلة حماية شخصيَّة بالنسبة إلى البطل، البطل المضطرب بفعل طرقات غريبة على بابه، وبعد عدد من مرَّات الطرق، والبحث عن الطارق، وبعد جملة هواجس تطفر من الماضي في شكل أصوات، وحكايات غريبة، بعد هذا كلِّه يقرِّر البطل أن يقفل الباب بصورة نهائيَّة؛ يبدو الباب حينئذٍ وسيلة فصل، وحجب ما بين مباعث الخوف المجهولة المصدر، وبين البطل، وتكريسًا لفكرتي الحجب، والفصل المؤمنتين يدفع البطل بمكوِّن مكاني آخر (الكرسي) نحو منفذ الخوف / الباب: «أقرِّر أن أغلق الباب بالمزلاج ولا أفتحه لكائن من يكون. حتى لو أراد أن يحطِّم الباب.

أغلقه جيِّدًا وأضع خلفه كرسيًّا»[٢].

التصوُّر الواعي، والمنطقي المستند إلى فعل الأسباب والاحتماء بقوَّتها، وسماتها الوظيفيَّة في المكان - الذي يتصرَّف البطل بوحي منه - يصطدم بفعل جانح، ومنفلت من عقال المنطق، ومن التراتبيَّة السببيَّة للأفعال القاصدة إلى

١- الحفلة: ص١٢٣
٢- نفسه: ص١٣٣.

الحجب، والتحريز، ذلك أن البطل يجد نفسه في مواجهة أشخاص يقفون أمام البطل: «انتفضت كالملدوغ وفتحت عينيَّ على اتساعهما غير مصدِّق.

نعم.. إنهم هم كانوا يقفون قبالة سريري بوجوههم الكالحة وابتساماتهم المائعة.. يمسِّدون لحاهم بفخر، ووقار»[1].

فاعليَّة الباب تأتي في صورتيه الكاشفة/ الحاجبة في القصة؛ إذ تغدو الطَرَقات عليه مثار فضول، وتعدُّد مرات فتح الباب في القصة إشارة إلى الرغبة في الكشف، لكنه كشف غير مفضٍ إلى طمأنيَّنة، وهنا تتحوَّل وظيفة الباب من الكشف إلى الحجب، ويغدو حاجزًا يحمي البطل من مصدر مخاوفه عبر إحكام إغلاقه حين «لم تكنْ لديه القدرة على مزيد من التحمُّل»[2]، على الرُّغم من أنَّ هذا الإحكام لم يكن حائلاً بين البطل، وبين مصدر مخاوفه في نهاية الأمر.

يبقى أن نتساءل هنا: لم غابت فاعلية المكوِّن المكاني / الباب، والكرسي التي اعتمد عليها البطل في صدِّ مخاوفه؟ لا سيَّما أن ثقة البطل في وقوع هذه الفعالية، وفي إنجاز الإجراء الاحتمائي لدوره قادته إلى النوم استجابة لطمأنينة النفس، ووثوقها.

إنَّ وسائل الاحتماء يمكن أن تكون فاعلة ضدَّ مصدر الخوف القابل للحدِّ، لكنَّ الأمر يغدو مختلفًا حين يقع في دائرة المخاوف العقليَّة، وهي المخاوف التي لا يمكن حجبها عبر وسائل ماديَّة؛ فلقد كان البطل في خلوة غير خالية؛ لأنَّ الأفكار، والمخاوف تبقى مجالسة لصاحبها، وأنَّ ثمة احترازات من نوع آخر لا تتصل بموجودات المكان، وفاعليتها المحسوسة، بل تتعلَّق بقدرة الشخص على انتزاع الأفكار، والمخاوف الكامنة في وعيه، وهذه المخاوف كانت مستقرَّة في

١- الحفلة: ص١٣٤.
٢- نفسه: ص١٣٣.

وعي البطل؛ ولهذا لم ينجز الباب – صورته محكمة الإغلاق – وظيفته.

وهكذا يغدو البابُ مكوِّنًا مكانيًّا ظاهر الفاعليَّة مخالطًا لسلوك الشخصيَّات على نحوٍ يفيض عمَّا هو في حكم العادة، ومستوى السلوك المألوف فيه إلى دلوٍ يهبط إلى بئر المخاوف التي تحيط بالشخصيَّات، ثم يخرجها إلى السطح.

وفي قصَّة (موت أيوب)[١] أيضًا تظهر – في موقف مستعاد – إشارة هيئيَّة تنبئ عن حال تقاطبيَّة هي (الإغلاق) في وقت الحديث عن الخطبة بين الأب، وخاطب الابنة كبير السنِّ بحضور الابن (أيوب) الذي يروي الحكاية مشيرًا إلى موضعه في المكان: «جلست أمامهما وظهري إلى الباب»[٢]، حالة الإغلاق تلك تتضح في الفعل المضاد، وهو الفتح الذي يفاجئ الجالسين: الأب، والخاطب، والابن: «ما إنْ أتمَّ كلامه حتى سمعت الباب يفتح بقوَّة»[٣]، الإشارة إلى هيئة المكوِّن المكاني تلك تفصح عن إرادة الحجب، والعزل، وهي إرادة تولَّدت لدى الأب من شعوره برفض محتمل من جهة الأم؛ وذلك لكبر سنِّ الخاطب بالنسبة إلى المخطوبة.

والإشارة الوصفيَّة لفعل الفتح (بقوَّة) تنبئ عن غضب، ورغبة في اقتحام، وتسجيل موقف تحقِّقه الأم الغاضبة، هذه الإحالات الجهويَّة المتصلة بالطرف (المُغلق)، وكسر حاجز العزلة المتمثل في إنهاء هذا الغلق من طرف الأم يسجِّل موقفًا عبر المكان.

ثمة تفصيل دقيق لأحوال المتصلين بالواقعة من خلال علاقاتهم بمصدر الحجب / الكشف، الإخفاء / المواجهة وهو (الباب)، وسنلاحظ إمعانًا في تقديم تفصيل خروج الخاطب هاربًا من تهديد الأم، وهو تفصيل يتصل بحركة الباب

١- الحفلة: ص٣١.
٢- نفسه: ص٥٥.
٣- نفسه.

أيضًا، إذ يحكم الخاطب - على الرغم من حالة الفزع - إغلاق باب المنزل خلفه، وكأنما هي عمليَّة حماية، وتحريز ضدَّ إضرار محتمل تتسبَّب به الأم الغضبى: «كان أبي لا يزال منكمشًا في مجلسه يرقب ما يدور ذاهلاً غير مصدِّق! وبعد أن صفق مشاري الباب خلفه.. ألقت أمي بعصاها بعيدًا، وبسرعة غريبة تلاشى انفعالها وغضبها، واستراحت في جلستها إلى جواري وهي تلهث»[1].

إنَّ اكتمال التصوُّر الجهوي للفاعلين، والمنفعلين بالمكان، واكتمال الصورة المشهديَّة للحدث ليست أمرًا عابرًا؛ إذ ليست مسألة الاتصال الانفعالي بالأبواب في حالتي التقاطب الآنفة متعلقة بالبطل، وحسب بل يمثِّل الباب وجهًا انفعاليًا تقدِّم من خلاله الشخصيَّات عبر إشارة موضعيَّة لمكان كلِّ شخصيَّة بالنسبة إلى مصدر التقاطب: جلوس الابن وظهره إلى الباب ما يعني جلوس الأب، والخاطب مقابلين للباب، في إشارة إلى حالة ترقبيَّة، قلقة.

وتنطوي القصَّة نفسها على ملمح تقاطبيٍّ آخر متعلِّق بصورة المكان من جهتي (الفراغ، والامتلاء)؛ إذ تتجلَّى قيمة الفراغ داخل المكان حين يُصنع عمدًا رغبة في إحداث صورة جديدة للمكان، وهي صورة يفوِّض الحدث الشخصيَّة لصنعها حين تعمد الأم - التي أصرَّت على تغسيل ابنها (أيوب) بمرافقة مرضعته عائشة - على إفراغ الغرفة من محتوياتها: «دخلت أمي وأمرت أخي بالخروج ودخلت في أثرها عائشة قالت لها أمي:

- لنخرج الأثاث أولاً.

كانت المرأتان قد تجاوزتا مشاعر الانفعال بالموت. أخذتا تعملان بهمة يشوبها شيء من العصبية. ظلتا تلقيان بالأثاث إلى خارج الغرفة. وأنا على فراشي أئن

١- نفسه: ص٥٨.

أنينًا خافتًا غير مسموع »[١].

وهكذا يحصلُ المكان – بعد إتمام عمليَّة الإفراغ –على هويَّة أخرى: «أصبحت الغرفة خالية إلاَّ من الفراش الذي كنت مسجى عليه»[٢].

إنَّ الإفراغ هو عمليَّة سلب لمحتويات المكان من أجل أن تحلَّ صورة أخرى مغايرة؛ فإنَّ ما يحدِّد وظيفة المكان هو مكوناته الحالَّة به، لإرادة انتفاع بعينها، وحين ظنَّت الأم أنَّ الابن قد مات بدت الغرفة غير مخصصة للسكنى، والمقام بل للرحيل، وعمليَّة الإفراغ هاته لها علاقة بفكرتين إحداهما روحانيَّة غير محسوسة: إذ الموت هو فراغ الجسد من الروح، وفكرة ملموسة أخرى: هي تحويل المكان إلى منطقة عبور متخفِّفة من آثار الدنيا (مغسلة للموتى) هذا الزهد في مكوِّنات المكان، يقابله اكتمال يتمثَّل في حرص الأم على إتمام عملية تغسيل الابن الميت بصورتها الكاملة: الإسباغ، والتغطية.

وهكذا يحقِّق التقاطب – بأشكاله المختلفة – دلالاته في السرد مفيدًا من المكان لتحقيق أحواله، وأشكاله، ومحققًا تصوُّرات الشخصيات، وضروب رغباتها.

ثالثـًا – العلاقة مع المدينة:

حظيت فكرة المدينة – بوصفها نوعًا خاصًّا من التجمُّع البشري – بمساحة غير قليلة في الإبداع الأدبي، وتتنوَّع صور حضور المدينة بين تقديمها في موقع مقابل للقريَّة، وتصوير طبيعة الحياة فيها من تعقُّد للحياة، وتفكُّك العلاقات بين سكَّانها.

وفجَّرت العلاقة مع المدينة مسارًا موضوعيًّا خاصًّا في الأدب: في المنظوم منه، أو المنثور.

١- الحفلة: ص٦٤.
٢- نفسه.

إنَّ معضلة التأقلم مع المدينة تبدأ قبل تحقُّق الاتصال المباشر معها؛ فهي دومًا المكان الغريب، المجهول المثير للأسئلة، الطارد للقادمين إليه، ويعاني عددٌ من أبطال مجموعة (الحفلة) من إشكال التأقلم مع المحيط المدني الذي يجدون أنفسهم مضطرِّين إلى التعامل معه.

أولى صور العلاقة مع المدينة هي لحظات الارتحال إليها، وتحقِّق هذه اللحظات مقابلة بين عالمين: عالم المدينة المجهول، وعالم البلدة الأم المألوف، الضامِّ الأليف، وأولى مفاصل هذه المقابلة هي (المسافة) بوصفها وجهًا من وجوه تصارع الإنسان مع قوَّة المكان، وتبدو المسافة في قصَّة(يقظة مبكِّرة)[1] ذات وجهين مختلفين؛ فهي الفاصلُ بين مكانين: مكان الاستقرار / البلدة، ومكان الانتقال / المدينة وسنجد البطل يعالج مسألة فاصل المسافة هذا بهواجس هي انعكاس لتصوُّرات الذات عنه، وطبيعة علاقتها بالمكانين اللذين تمتدُّ هذه المسافة بينهما؛ فحين تحجب هذه المسافة المدينة عن البطل يثير هذا الحجب - بدوره - في روحه تشوُّقًا يكسر رهبة الفواصل الهائلة التي تبدو وكأنها تحدُّ من علاقته بها: «عندما ترك بلدته الصغيرة، وجاء إلى هذه المدينة، كان يسير على ضفاف حلم جميل. آلاف الكيلومترات قطعها وهو يكاد يطير، حتى يصل»[2].

يبدو البعدُ - إذن - عاملاً مغريًا، وقابلاً للتجاوز حين تكون الرغبة في الذهاب جامحة، ويحدث ذلك - بالنسبة إلى البطل - وهو مقبل على خوض مغامرة الذهاب إلى المدينة، عالم هائل ومشوِّق، وغامض، ومحرِّض، تلك العناصر الجاذبة لا تخفِّف منها مسألة المسافة هذه، ولا تعيقها.

لكنَّ المسافة ذاتها - في صورتها الأخرى - تبدو هائلةً، وموحشة، وتلقي في روع البطل حقيقة انفصاله عن مصدر طمأنينته (البلدة) بمسافة تجعل عودته

١- الحفلة: ص٩.
٢- نفسه: ص١٣.

إليها أمرًا بالغ الصعوبة، ولذا تأتي صيغ تعبيره عن هذا المعنى وهو يحادث عامل المقهى قائمة على التكرار المثبِّت لفكرة البعد، ووحشة المسافة التي قطعها - حين جاء - طائرًا: «إني غريب يا أخي.. غريب غريب تمامًا.. لا أعرف ها هنا أحدًا. جئت.. جئت من مكان بعيد.. بعيد..»[١].

تبدو المسافة إذن بالنسبة إلى البطل - حين يصطدم بواقع المدينة المفاجئ - عصيَّة على القطع، فهو في تيهه المدني حيث لا يعرف أحدًا، ولا يلقى معونة، أو إشارة ترحيب يصاب بفزع محرِّض على العودة: «ارتدَّ على نفسه فزعًا أراد أن يعود من حيث أتى»[٢]، لكن تلك الرغبة تفسدها تلك المسافة التي «بدت له أبعد من قدرته على التراجع»[٣].

وهكذا فإنَّ المسافة الواحدة بدت بالنسبة إلى البطل نفسه في صورتين، وكلُّ صورة هي انعكاس مبعثه وعي الشخصيَّة بالمسافة في ظلِّ علاقتها بطرفي المكان الذين تفصل بينهما هذه المسافة، ويقودنا هذا الانعكاس إلى الحدود غير المعلومة للمكان حين يخضع لمعيار الرؤية الشخصيَّة، أو الفرديَّة التي يقول عنها جورج لوكاتش: «إنَّ النظرة إلى العالم هي تجربة شخصيَّة عميقة يعيشها الفرد، وهي أرقى تعبير يميِّز ماهيته الداخليَّة، وهي تعكس بذات الوقت مسائل العصر الهامَّة عكسًا بليغًا»[٤]؛ فطبيعة الشعور هي التي تجعل المسافة بين مكانين ممكنة تارة، ومستحيلة تارة أخرى.

إنَّ الإشكال الخاصُّ بالمدينة - حين تصبح مستقرًّا للغريب - يتعلَّق بشكل أساس في الشعور بالوحدة، وفي صعوبة اختراق العالم المدني، والاندماج في مكوناته البشريَّة الذي يبدو بعيدًا وصعب النيل، وهكذا تغدو المدينة في مقابل

١- الحفلة: ص١٥.
٢- نفسه: ص١٤.
٣- نفسه.
٤- دراسات في الواقعيَّة، جورج لوكاتش، ص٢٥.

المستقرِّ القديم (القرية / البيت) مكانًا للانقطاع.

يحلُّ البطل - في أكثر من قصَّة - حلولاً طارئًا على المدينة، وعلى الرغم من مظاهر النضج البادي على الشخصيَّة إلاَّ أنَّ إحساس الضياع، والتيه يسيطران على وعيها وهي تصطدم بالمدينة للمرَّة الأولى، بل إنَّ الرحلة إلى المدينة هي نفسها تأخذ منحى شكوكيًّا حيث «يخامره إحساس أكيد بأنَّه لم يأت إلى المدينة بمحض اختياره بل أنَّه جاء إليها عن طريق الخطأ بينما كان متجهًا إلى مكان آخر. يسمِّر عينيه في فراغ لا نهائي في محاولة لتحديد المكان الذي أراد الذهاب إليه، فيزداد حيرة وذهولاً عندما يتأكَّد له أنَّه لا يذكر شيئًا على الإطلاق»[1].

إنَّ المدينة تعمِّق بتفاصيلها فكرة التيه؛ فهناك (الوحدة): السمت المدنيُّ الذي يصبغ سكَّان المدن: الانشغال بالذات، والغوص في الشأن الخاصِّ بشكل لا يعود يمكن معه ملاحظة الآخرين، ولذلك تبدو المدينة مكانًا غريبًا تجتمع فيه ثنائيَّتان متناقضتان: الزحام، والفراغ، وهو تصور رؤيوي، لا مادِّي «بعد أن كان في بلدته الصغيرة يعيش ضمن إطار أسرة واحدة كبيرة، ها هو ذا يجد نفسه محاصرًا بوحدة قسرية لا قبل له باحتمالها.

زحام شديد و لا.. لا أحد»[2].

إنَّ (البيت) - بوصفه وسطًا خاصًّا - ضمن الوسط العامِّ (المدينة) يغدو المدماك الأوَّل لتمكين وجود الغريب في وسط متسع مبهم، والعلامة الأولى للألفة، والرغبة في الامتداد، غير أنَّ طبيعة السكن هنا تغدو مختلفة عن طابع الحميمَّة للسكنى في إطار الأسرة؛ ولذا يغدو البيت موصوفًا بطابع ساكنه (العازب الوحيد)، فالقهوجي يشرح للبطل «الطريقة التي تمكِّنه من الوصول

١- الحفلة: ص١٩.
٢- نفسه: ص١٦.

إلى حيٍّ يصلح لسكن عازب»[١]، هذا السكن المقولب اجتماعيًّا ليصبح المكان «المناسب لرجل وحيد»[٢]، فهناك إجراءات اجتماعيَّة راكمتها تصوُّرات، وقيم قد تكون صائبة أو غير صائبة تصنع أثرها في المكان فلا «معنى، ولا دلالة للمكان بعيدًا عن الإنسان الذي يقوم بتنظيمه، وإجراء عمليات التقطيع، والمَفْصَلة في بنيته وفقًا لآليات ثقافية محدَّدة»[٣].

إنَّ المساسَ الأوَّلَ بعالم المدينة يظهر في تفصيلاتها الخارجيَّة العامَّة المشتركة، وتختصُّ الأرصفة بكونها مكانًا عامًّا، ومستقرًّا مؤقَّتًا للقادم الغريب في لحظة تيهه الأولى داخل عالم المدينة الجديد، وهذا ما يحدث للبطل في القصة نفسها: «عندما وصل وجد نفسه يقف على الرصيف ذاهلاً مشدوهًا لا يدري من أين، أو إلى أين يمضي هزمته حيرته. أربكته»[٤].

ثمة اهتزاز في فكرة استحقاق المدينة أن تكون مكانًا صالحًا للعيش بالنسبة إلى البطل؛ فهو في لحظة ما يصفها (بالمكان الخطأ)[٥]، وعلى الرغمُّ من أنَّ المدينة تعجُّ بالحياة إلاَّ أنَّها حياة تخصُّ تجمعات محجوبة صعبة الاختراق، وتبقى كثرة فقيرة لا تشبع نهم البطل للاتصال: «يحلُّ عليه الليل بغتة وتحاصره المدينة بأضوائها الفارهة ومقاهيها الساهرة، فينسلُّ وحيدًا حزينًا يعود إلى مسكنه مسلِّمًا نفسه للذكريات والهواجس والكوابيس»[٦].

وحين يحلُّ البطل في قصة (مطر الغيوم الراحلة)[٧] بالمدينة تنتابه مشاعر

١- الحفلة: ص١٥.
٢- نفسه: ص١٦.
٣- خالد حسين حسين، شعريَّة المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لإدوار الخرَّاط نموذجًا)، مؤسسة اليمامة الصحفيَّة - سلسلة كتاب الرياض (٨٣)، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠)، ص١١٨.
٤- الحفلة: ص١٤.
٥- نفسه: ص١٩.
٦- نفسه: ص١٧.
٧- نفسه: ص١٠٧.

الوحشة التي تمسُّ كلَّ غريب طارئ عليها، وحين تتكالب مع وحشة الغربة، وحشة الشتاء تغدو الحاجة إلى مصدر للطمأنينة، والدفء ملحَّة: «هذا هو يومي الأوَّل في المدينة. إنَّني لا أعرف فيها حتى مكان دافئ أحتمي فيه من لسع الهواء البارد الذي أنهك جسدي المبتلَّ»[1].

يجد البطل المنهك ببرد الوحدة، والشتاء أن طريقه إلى التخلُّص من هذين الإنهاكين هو في الاندماج بسكَّان المكان، وحين يقف على الرصيف يلفت نظره - بحكم فراغ الوحشة - العدد الكبير للواقفين على الرصيف المقابل مقارنة بالرصيف الذي يقف هو فوقه: «كان الرصيف المقابل أكثر ازدحامًا، والناس يسيرون مسرعين نحو منازلهم بعد أن احتجزهم المطر طويلاً»[2]، وهكذا فإنَّ البطل يرى في المكان الصورة التي تنسجم مع الأفكار المسيطرة عليه، ويحدِّد من ملامح المكان ما يسعفه لاستكمال ما ينقصه.

وهكذا يبدو الرصيفُ المزدحمُ مكانًا أمثل لتبديد وحشته، وبخاصَّة حين تطوف به ذكريات حجرة أمِّه، وتفاصيلها الدافئة، ثمَّة صورة تلحُّ عليه إذن، صورة عليه استرجاعها، والخلاص من انفراده، وتيهه في الاتساع، والوحشة، فانطلق مندمجًا بهذا الزحام: «الزحام شجَّعني على العبور إلى الرصيف المقابل»[3].

وعلاقة الأبطال ههنا بعالم المدينة يتسق مع المنظور المستقر للمدينة في السرد بعامَّة؛ فهي مكان سلبي، والقاصُّ يعنى «عادة بالمكان السلبي، ولا يحفل بالمكان الإيجابي؛ لذلك تبدو حركة المكان في القصة القصيرة درامية، وهي تولِّد حالة تأزم وموت في حياة الشخصية التي غدت تفتقد الحياة الآمنة، والمسكن المريح

١- الحفلة: ص١١٣.
٢- نفسه: ص١١١.
٣- نفسه: ص١١٢.

في المدينة المعاصرة»[١].

وهكذا تُظهر القصص فروقًا بين مكانين / عالمين يسترشد الوعي لإدراكهما بقصاصات من الذاكرة، وصور من الواقع، وتُعثِّر هذه الفروق الاندماج بالمكان الجديد؛ لتبقى المدينة مكانًا عصيًّا، مرهوبًا، بعيدًا على الرُّغم من الإقامة فيه.

رابعًا – المكان غير الواقعي:

يقارب السرد - في مساراته الشائعة - مناطق الواقع، والممكن، غير أن سرودًا أخرى تميل إلى تمثيل عالم غير المعقول، والعجائبي، أو مناطق ما وراء الوعي كالأحلام، والكوابيس.

ويتكئ هاذ النوع من السرود على تشكيلات مكانية تنسجم مع لا معقولية الحوادث، واضطراب سلوك الشخصيَّات، وفيضان لا وعي الإنسان بما هو غير مترتب من الأفكار، وهذا ما يظهر في مجموعة (الحفلة)؛ إذ يوازي المكان تنوُّع الوقائع، ويصطبغ بمحتوى دلالاتها، ومضمون أفكار شخصياتها.

تمتاز المجموعة باقتحامها عوالم ما ورائيَّة، وحلميَّة كابوسيَّة، وأكسب هذا الاقتحام المجموعة سمةً لا تتعلَّق باستبطان الشخصيَّة عبر أحلامها، وكوابيسها، وتصوُّراتها البعيدة عن الواقع، وحسب، بل في الاشتغال على عامل المكان مؤطِّرًا لهذه العوالم الغريبة، ومتسقًا معها؛ لأنَّ «نصَّ الحلم من طبيعة مختلفة. إنه يتراءى في حال النوم، ويتخذ نسقًا خاصًّا، ومختلفًا وعلى الأصعدة كافة وهذا الاختلاف يجعله أقرب إلى النصِّ العجائبي أو اللغزي الذي يولِّد الحيرة لدى الرائي، أو المتلقي»[٢].

١- د. حسين المناصرة، الجدار والإنسان: قراءات في ثقافات القصة القصيرة وجمالياتها، مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ص٦٤.

٢- سعيد يقطين، السرد العربي: مفاهيم وتجليَّات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ص٢٠١.

في فضاء أسطوريٍّ متصل بموضوع الارتحال، والبحث تعزم شخصيَّة البطل محمد في قصَّة (الدنيا قادمة)[١] على البحث عن (الدنيا)، وعلى الرُّغم من أنَّ الدنيا فكرة أوسع من البحث؛ بل إنَّها فكرة يقيم في فضائها الإنسان، ولا يخرج منها، إلاَّ أنَّ البطل في مسيره، ووداعه لأمِّه يمنح الدنيا فكرة الغياب، والبعد، بل وتغدو موضوعًا له تجسُّده الأنثوي في صورة المرأة: «الدنيا فتاة جميلة تأتي للإنسان... يعشقها فتعشقه»[٢].

إنَّ هذا التجسُّد الذي يمنح الدنيا صورة الكائن البشري يدفع إلى تأسيس لازمة وجود الإنسان / المرأة: (المكان)، فتظهر الصحراء فضاءً لهذه الأسطورة «إنها هناك في الوادي ترعى الغنم»[٣]، ثمة مكانٌ محسوس يفترض أن يحتوي فكرة غير محسوسة، وتترك هذه الفكرة طابعها على هذا المكان: البعد غير النهائي: «نظر محمد إلى الوادي الممتدِّ أمامه عميقًا بعيدًا موغلاً في البعد»[٤]، والتناقض: «يا خالتي أم الدنيا، إنَّني لا أرى في الوادي عشبًا... ليس هناك سوى الرمال والحجارة؟»[٥]، وتنطوي هذه السكنى على مفارقتين ظاهرتين؛ ففكرة الدنيا تتصل دومًا بمعاني الامتلاء، والارتواء، والوفرة، وعلى نقيض ذلك تتجلَّى في الصحراء فكرة الخلو، والعطش، والقلَّة، فيبدو المكان (الصحراء) مؤشِّرًا أوليًّا على الاستحالة، وبعد التحقُّق، وتتعمَّق دلالات الاستحالة حين يصبح الجبل حاجزًا تغدو الدنيا معه غير مرئيَّة «العشب.. هناك.. خلف الجبال»[٦]، ويوغِّل هذا الحاجز التصوُّر الأسطوري الذي تنبثق منه الدنيا / المرأة، وإيغالا في الابتعاد تهبُّ عاصفة عاتية، والعاصفة - هي الأخرى - فعل حجب، تعيث في المكان

١- الحفلة: ص١٣٥.
٢- نفسه: ١٣٧.
٣- نفسه: ص١٤١.
٤- نفسه: ص١٤٢.
٥- نفسه: ص١٤٣.
٦- نفسه.

أيضًا، وتحول دون المرور، والانتقال: «يا خالتي أم الدنيا إنَّها العاصفة فأين نحتمي منها؟»[١].

وتأخذ العاصفة منحى آخر حين تجيب العجوز عن سؤال البطل بشأن الاحتماء من العاصفة: «أجابته العجوز دون أن ترفع رأسها عن مغزل صوفها:

- كلا يا بنيَّ.. إنَّها الدنيا قادمة..؟!!»[٢].

تنسف الخاتمة كلَّ الأفكار التي حملتها القصَّة في مبتدئها؛ فانتظار البطل، وارتحاله بحثًا عن الدنيا أفضى به إلى (مكان) مؤطَّر الحدود، ومعلوم الأوصاف، إنَّه إمكان على الرُّغم من بعده العميق، لكن تحوُّل الدنيا إلى عاصفة يهدم فكرة الاستقرار التي ينطوي عليها المكان الحاوي للدنيا/ المرأة، ويحوِّلنا إلى فكرة عدم الاستقرار، وحيث يغيب المكان يصعب القبض على الأشياء، بل تغدو فكرة العاصفة القادمة فكرة مفزعة، وقائمة على الهدم، والإزالة، والاقتلاع، وربما يقودنا ذلك إلى الربط بين حديث العجوز مع البطل حين قدَّمت تصوُّرًا عن مفهوم البقاء، والاستقرار: «حدثتها عن الاستقرار، فأكَّدت لي أنَّ الاستقرار الحقيقي لا يكون إلاَّ بمواصلة الرحيل»[٣].

إنَّ المكان الموصوف هنا مكانٌ ذهنيٌّ مؤسَّس لاحتواء فكرة تجسِّد وعي البطل، والمكان الذهني تُرسم «جماليَّاته بواسطة إشارات ذهنية وليس بواسطة التصوير الحقيقي»[٤]، مكانٌ مؤهَّل لاحتمال فيوضات نفسيَّة غير مستقرَّة تصدر عن البطل، فهو في بداية القصَّة يكشف تيهه المكاني، وابتعاده عن فكرة الاستقرار تلك التي تؤكدها الدنيا الطاردة، الموحشة في التكوين المكاني الذهني العاكس

١- الحفلة: ص١٤٣.
٢- نفسه: ص١٤٣.
٣- نفسه: ص١٤١.
٤- جماليات المكان في الرواية العربيَّة، شاكر النابلسين ص٢٠.

لهذا التيه: «كلُّ الجهات وجهتي»[١].

وتجري حركة بطل قصَّة (الحفلة)[٢] في معظمها داخل منطقة حلميَّة؛ فالبطل يغادر مكتبه دون أن يحمل بطاقة الدعوة الخاصَّة بالحفلة معه إلى المنزل، ويقرُّر السارد ذلك بوضوح في بداية السرد: «بعد أن فرغ من قراءة بطاقة الدعوة التي تلقَّاها هذا الصباح، وضعها في درج مكتبه وانهمك في عمله بطريقة روتينيَّة باردة»[٣]، غير أن الحوادث تذهب في منحى آخر حين يعود إلى البيت، وينام ثم يستيقظ مستعدًا لإجابة الدعوة؛ حيث تقع سلسلة حوادث موهمة بوقوعها في عالم الوعي.

وتأتي سلسلة الحوادث المتتابعة لاحقًا ناضحة باختلالات (في السلوك، والمكان) وتسمح هذه الاختلالات للقارئ بمقاربة المنطقة غير الواعية للبطل، أولى تمثلات هذه المنطقة غير الواعية هي غياب مظاهر الفرح عن منزل الداعي، وهذا الغياب يؤرجح البطل بين خياري البقاء، أو الذهاب: «فكَّر في أن يعود من حيث أتى لأنَّ البيت ليس عليه أو حوله ما يوحي بمظاهر الفرح أو الاحتفال»[٤]، وتتلاحق بعد ذلك مظاهر الغرابة الفاشية في المكان: «كان النور داخل رواق البيت مطفأً»[٥]، و«هدوء غريب يلفُّ البيت»[٦]، هذه المظاهر تزيد من شعور البطل بالخوف، والتردُّد؛ فهي تخالف ما هو مستقرٌّ في الوعي بشأن الأعراس، والحفلات: «للحفلات طقوسها وحركتها وضجيجها»[٧].

١- الحفلة: ص١٤١.
٢- نفسه: ص٩١.
٣- نفسه: ص٩٣.
٤- نفسه: ص٩٥.
٥- نفسه.
٦- نفسه: ص٩٦.
٧- نفسه: ص٩٧.

وتبلغ الغرابة ذروتها حين يدفعه مضيِّفه إلى غرفة بيضاء، وتبدو تفاصيل الغرفة غير واقعيَّة ابتداءً بحجمها الضخم مقارنة بحجم البيت: «كانت الغرفة واسعة بشكل لا يتناسب وحجم البيت إطلاقًا»[١]، ثمَّ اختفاء الباب الذي ولج منه إليها: «لم يكنْ هناك بابٌ أصلاً كان مكان الباب جدار أبيض ناصع البياض جدار بليد أصم حدَّق فيه بدهشة»[٢]، ثمَّ وقوع التباسات بشأن تفاصيل الأشياء؛ حيث يبدو الهدهد وهو يعلو الكرسي: «نظر إلى المقعد الوثير هناك في أقصى الغرفة فرأى على مسند ظهر المقعد هدهدًا خشبيًّا يتحفَّز ويكاد يطير»[٣]، ثم لا يلبث أن يختفي من مكانه: «لم يجد الهدهد على ظهر مسند الكرسي. كان مقعدًا عاديًّا»[٤]، وتظهر التباسات أخرى تتعلَّق بجدران الغرفة، وسقفها: «يرى السقف قريبًا منه. نهض وتطاول بقامته ومدَّ يده محاولاً لمس السقف فرآه بعيدًا موغلاً في البعد»[٥].

وتحتفظ الشخصيَّة - وهي في خضمِّ صراعها مع غرابة المكان - بقدرتها على الإدراك، والوعي، وتحتكم إلى منطق ناقد، وغير متقبِّل لسلسة العناصر الغريبة التي تنطوي عليها الحفلة، وبخاصَّة تلك التي تتعلَّق بالمكان: «يا لهذه الحفلة الغريبة! إنَّ الغرفة تكفي لاستقبال أكبر عدد من الضيوف. ولكنَّها خالية إلاَّ منه. إنَّها مبالغة لا مبرِّر لها: بدءًا من الشارع الخالي والرواق المعتم والممر الكئيب، وانتهاء بهذه الغرفة المبالغ في بياضها واتساعها»[٦].

وتستمرُّ الحوادث لتصل بالقارئ إلى منطقة الوعي مرَّة أخرى، حين تنقطع سلسلة الحوادث في منزل الحفلة لتعود إلى البيت: «مدَّ يده تحت وسادته وتناول

١- الحفلة: ص٩٩.
٢- نفسه: ص٩٨.
٣- نفسه: ص٩٩.
٤- نفسه.
٥- نفسه: ص ١٠٠-١٠١.
٦- نفسه: ص١٠٠.

ساعته»[1]، فتكون تلك إشارة إلى أنَّ البطل قد ذهب في النوم قبل الحفلة، وأنَّ تلك الحوادث التي مرَّت كانت أحلامًا في وعيه عن الحفلة القادمة، ويستأثر المكان - عبر تفاصيله الغريبة - بالقسم الأكبر من ملامح الحلم، فالسمات الغريبة للمنزل، وفقدان المنطقيَّة إشارات إلى وقوع الحوادث في منطقة غير واعية، ولذا فإنَّ تشكُّلات المكان فيها لا تخضع لحدود المنطق، وأحكام الواقع.

إنَّ الحلم هو منطقة ينفصل الإنسان فيها عن واقعه في اللحظة الحلميَّة ذاتها، لكن الواقع يبقى مطِّلاً في الحلم من خلال مصفوفة الأفكار الكامنة في الوعي، ولذا فإنَّ بطاقة الدعوة نفسها تطلُّ في الحلم في شكل تشكُّك آخر «استعاد في ذاكرته (بطاقة الدعوة) فهاله حجم شعوره بالنسيان، حتى لقد خُيِّل إليه أنَّه لم يتلقَّ أيَّة دعوة أصلاً»[2].

ويبدو أن الشخصيَّة تعاني تشوُّشًا ليس في منطقة أحلامها فقط، بل في منطقة واقعها أيضًا، الواقع الذي تتحرَّك فيه (بطاقة الدعوة)؛ فالبطل حين ينتبه من نومه - الذي انطوى على تفاصيل الحفلة الغريبة - يجد ظرف الدعوة: «دفع الغطاء ونهض على عجل عندما رأى إلى جوار الساعة ظرفًا مغلقًا: لم يكن قد ترك أيَّ ظرف قبل نومه. تناوله بقلق.. فضَّ غلافه وقرأ كانت (بطاقة دعوة) سقطت من يده كأنها جمرة بعد أن قرأها. إنَّها نفس البطاقة التي كان قد تركها في درج مكتبه»[3]، ففرضيَّة انتقال البطاقة من مقرِّ العمل إلى البيت هي فرضيَّة حلميَّة، وهنا أيضًا يتحقَّق التشويش - عبر عامل المكان - ليس فيما ظهر حلمًا بمجرَّد الاستيقاظ منه، بل باستعادة فروض تتعلَّق ببطاقة الدعوة في وجودها داخل المكان / المنزل على الرُّغم من أنَّ البطل لم يحملها إليه أصلاً، ونقل الإشارة التيهيَّة

١- نفسه: ص١٠٤.
٢- نفسه: ص١٠٠.
٣- نفسه: ص١٠٤.

هذه من وعي الشخصيَّة إلى وعي القارئ عبر اختلاطات المكان، وحينئذٍ تصبح الإشكاليَّة المكانيَّة هي ساحة الاستكشاف: هل القصة بكاملها حلم؟ هل هي حلم داخل حلم؟ هذه الافتراضات التي يكون المكان دليلاً على المنطقي منها.

وتنتهي القصَّة في منطقة التشوُّش هذه، حيث الاختلاط بين الواقع، والحلم، عبر فعل حركي يفصح - هو أيضًا - عن حالة اضطراب، وتيه: «كان يعدو في الشارع وحيدًا والإسفلت يلسع قدميه ويجعله يكاد يطير لا يلوي على شيء»[١].

إنَّ مشاهد المكان في القصة منافية لتوقُّعات البطل - بوصفه مدعوًّا إلى مناسبة فرح -؛ فهناك - دومًا - تصوُّرات كامنة في الوعي لشكل الذي تبدو عليه أمكنة الاحتفاء، ولذا جاء توقُّع تفاصيل المناسبة كالزحام الذي استند إليه البطل ليكون عاملاً لإنقاذه من الظهور، والانكشاف؛ فهو يخطِّط للاندساس في الجمع الحاضر، المتوقَّع: «سوف يندسُّ في زحمة الضيوف»[٢].

إنَّ الإشارات التي يبعثها المكان في القصة بوصفة مكانًا حلميًّا غير متسق مع الواقع يدفع إلى البحث عن وقود هذا الحلم من الواقع، ثمة إشارة سريعة في القصة تشير إلى علاقة قديمة بين البطل، وابنة الجيران - الابنة التي تخصُّ بطاقة الدعوة حفل زفافها - «هام بها وأسكنها أحلامه حتى انتفض القلب ذات يوم، وذهب بعيدًا»[٣] هذه البطاقة تمثِّل عاملاً حافزًا في الماضي، ذاكرة المكان القديم (منزل الفرح) في وعي البطل تعود في شكل حلم مزعج؛ فالتفاصيل مختلفة على نحوٍ يوحي بالتحوُّل، والتشوُّه، والخنق تمامًا كما هي العلاقة القديمة التي لم تعد موجودة، وعلى حين كان البطل يتوقَّع نسيان العائلة، ويستغرب مجيء بطاقة الدعوة، فإنَّ سلطة لا وعيه تثبت أنَّ الفكرة مستترة، لكنها غير ممحوَّة،

١- الحفلة: ص١٠٥.
٢- نفسه: ص٩٤.
٣- نفسه: ص١٠١.

وبذلك يصبح المنزل منزل ذاكرة الألم، فتأتي تفاصيله المشوَّهة الغريبة لتمسَّ البطل وتتصل بحواسِّه بشكل تفصيلي بطريق السلب، أو الإيجاع، فهناك إعاقة للرؤية: «كانت الإضاءةُ قويةً»[1]، و«رفعَ رأسَهُ وأخذ يتأمَّل الغرفة فاصطدمت عيناه بجدران قريبة»[2]، وهناك تعميق لفكرة الوحدة عبر ارتداد الصدى: «صرخ بكلِّ صوته فدوَّى الصدى وكاد يصمُّ أذنيه»[3]، بل إنَّ فكرة الزمن ذاتها مفقودة: «نظر إلى معصم يده اليسرى بحركة عفوية بحثًا عن ساعته فتذكَّر أنَّه تركها ملقاة على سريره في البيت»[4].

إنَّ غيابَ منطقيَّة تكوين المكان هو أمثل صورة عن قلق الذات، وتشوُّشها، وأيًّا كان مصدر هذا التشوش: التيه الذاتي، أو مطمور الذاكرة فإنَّ آثاره في المكان ستكون انعكاسًا لهذا التشوُّش، وتصريحًا تكوينيًّا عن حال الذات.

الخاتمة

قاربَ هذا البحثُ موضوع (المكان) في السرد القصصي من خلال مجموعة (الحفلة) للقاصِّ السعودي عبد الله باخشوين.

والمكانُ في السردِ لا يقتصرُ على دوره المؤطِّر للحوادث، والمنسجم مع حركة الشخصيَّات، والمعين على تصوُّر واقعيَّة الفكرة المسرودة فحسب؛ بل إنَّه - وبحسب حريَّة التشكيل المتاحة للمبدع - ينطوي على حمولات نفسيَّة، وفكريَّة، وفلسفيَّة: إذ ينتج تشكيل المكان عن مرجعيَّة اجتماعيَّة، وتصوُّرات تنحت شكله ليكون متوافقًا مع الرؤية السرديَّة للمبدع.

١- الحفلة: ص٩٧.
٢- نفسه: ص١٠٣.
٣- نفسه: ص١٠١
٤- نفسه: ص١٠٢.

وإذا كان تشكيلُ المكان يخضع - بالدرجة الأولى - للرؤية الفنيَّة فإنَّ نجاحَ الكاتبِ في تطويع التشكيل المكاني يعدُّ أحد علامات التفوُّق الفنِّي.

النتائج:

على مستوى المجموعة محلِّ الدراسة:

- يتجلَّى بوضوح استثمار الكاتب للمكوِّنات المكانيَّة في نصوصه لتحقيق الكشف اللازم لباطن الشخصيَّات؛ ابتداءً من اختيار المكان، ثم تشكيله وفق التصوُّر، والرؤية الموضوعيَّة؛ ليغدو كلَّ تشكيل مكاني مرآة تنعكس عليها هواجس الشخصيَّة، وأفكارها، وعقدها، وآلامها، وبخاصَّة أنَّ نصوص الكاتب كانت تتجه نحو مقاربة عوالم شخصيَّات مضطربة قلقة غير منتمية، وغير مستقرَّة، فكان المكان أداة كشف فنيَّة مُستثمَرةً على نحوٍ واعٍ؛ ففي السرد يمكن تحويل المكان إلى «أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالَم»[١].
- حقَّقت فكرة (التقاطب المكاني) في المجموعة إنجازها السردي القائم على التحويل؛ إذ يجري تشكيل المكان - في لحظة جريان الوقائع - بحسب ما يرد على وعي الشخصيَّة من أفكار، وهواجس تجعلها فاعلة في المكان، ومسيطرة عليه.
- لم تقتصرْ هويَّة المكان في المجموعة على المكان الواقعي، بل انفتحت على عالم غير واقعي تصبُّ فيه الشخصيَّة - أيضًا - مجمل أفكارها المشوشة، والمضطربة، فكان المكان الحلمي متشكِّلاً تحت ضغط الواقع، ومنبثقًا عنه.

١- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٧٠.

التوصيات:

يبقى عالمُ المكان في السرد عالمًا كبيرًا مؤهَّلا للاستنطاق البحثي في مسارات كثير منها:

- قراءة المكان في السرد القصصي ثقافيًّا بوصفه تمثيلاً للأفكار، والتصوُّرات الاجتماعيَّة المسيطرة في بيئة بعينها.
- مقاربة بيئة الشارع في القصِّ (مكانيًّا)؛ إذ يمثِّل (الشارع) بيئة قصصيَّة خصبة تنتظم فيها أصناف من البشر، وتقع فيه درجات متفاوتة من الاحتكاك البشري.
- تحفل كثير من النصوص السرديَّة بحوادث تجري في أمكنة حلميَّة هذيانيَّة كابوسيَّة، وهي أمكنة لها سماتها الخاصَّة التي تكتسبها من طبيعة الأحلام، وانفلاتها من سلطة الواقع المقيِّدة، وتسهم مقاربة هذه الأمكنة نقديًّا في الكشف عن الواقع الإنساني المعاصر المضطرب، وترصد أزمة الإنسان مع محيطه؛ فالتشكُّلُ المكاني المضطربُ يعكسُ اضطرابًا في الوعي الإنساني المشكِّل له ذهنيًّا.

والله المُوفِّق

فهرس المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربيَّة:

- أحمد بن فارس (أبو الحسين): مقاييس اللغة، تحقيق، وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر.
- أمبرتو إيكو: العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.
- أمين سلامة: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والإعلان، ط٢، ١٩٨٨م.
- جورج لوكاتش: دراسات في الواقعيَّة، ت: نايف بلُّوز، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠م.
- حسين المناصرة: الجدار والإنسان: قراءات في ثقافات القصة القصيرة وجمالياتها، مطابع دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.
- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- دارة الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربيَّة السعوديَّة، الرياض، ١٤٣٥هـ.
- سعيد يقطين، السرد العربي: مفاهيم وتجليَّات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
- سيزا قاسم، يوري لوتمان، وآخرون: جماليَّات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٨م.
- شاكر النابلسي: جماليَّات المكان في الرواية العربيَّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير: (من البنيوية إلى التشريحية) نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٦، ٢٠٠٦م. ص٤٧.
- عبد الله باخشوين: الحفلة، النادي الأدبي بالرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- عصام خلف كمال: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، ٢٠٠٣م.
- حاتم الصكر، ترويض النص: دراسة تتحليل النصي في النقد المعاصر إجراءات ومنهجيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- غاستون باشلار: جماليات المكان، ت: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- مجمع اللغة العربيَّة: المعجم الفلسفي، القاهرة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- محمد بن صالح بن عثيمين: تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي.
- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- محمد بن مكرم (ابن منظور الأفريقي): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- محمود رجب: فلسفة المرآة، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

المراجع باللغة الإنجليزيَّة:

- Leonard Lutwack,The role of literature, Syracuse uni press, New York, 1984.

الدوريات:

- صبري حافظ: (الخصائص البنائية للأقصوصة)، فصول (مجلة النقد الأدبي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج٢، ع٤، ١٩٨٢م، (من ١٩ إلى ٣٢).

References:

References in Arabic:

- Algathami, Abdullah: The Sin and Redemption: (from Structuralism to Deconstruction) Theories and Applications, Arab Cultural Center, Casablanca - Beirut, Sixth Edition, 2006.
- Almanasirah, Hussein: The Wall and the Human: Readings in the Cultures and Aesthetics of the Short Story, King Saud University Press, 2015.
- Alnabulsi, Shaker: The Aesthetics of Place in the Arabic Novel, the Arab Institute for Distribution and Publishing, Beirut, First Edition, 1994.
- Alsaqr, Hatem: Taming the Text: Examining Textual Analysis in Contemporary Criticism: Procedures and Methodologies, The Egyptian National Book Commission, Cairo, 1998.
- Alzubaidi, Muhammad Murtada: Taj Alarous Min Jawahir Alqamous, Abdulkarim Alazbawi Investigation, The National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, First Edition, 2001.
- Bachelard, Gaston: The Poetics of Place, Ghalib Helsa Translation, University Institute for Distribution and Publishing, Beirut, Second Edition, 1984.
- Bahroui, Hasan: The Structural Formation of the Novel (Space, Time and Character), Arab Cultural Center, Casablanca - Beirut, First Edition, 1990.
- Bakhashwein, Abdullah: The Party, Riyadh Literary Club, Second Edition, 2009.
- Bin Mukrim, Muhammad: (Ibn Mandhour Alafriqi) Lisan Alarb, Dar Sadir, Beirut, 1992.
- Bin Othaimeen, Muhammad Bin Saleh, The Interpretation of the Holy Quran, Dar Ibn Aljouzi.
- Darat King Abdulaziz Foundation: The Bibliography of Literature and Literary Figures in the Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, 2015.
- Eco, Umbreto: The Signifier: Conceptual Analysis and its History, Saeed Benkrad Translation, Arab Cultural Center, Casablanca - Beirut, Second Edition, 2010.
- Elhamdany, Hameed: The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Arab Cultural Center, Beirut, First Edition, 1991.
- Ibn Faris, Ahmed (Abu Alhussien): The Dictionary of Language Standards, Abdulsalam Haroun Investigation, Dar Alfkr.

- Kamal, Essam Khalf: The Semiotic Trend and Poetic Criticism, Dar Alfarha Press, Alminya, 2003.
- Lucas, George: Studies in Realism, Nayef Balloz Translation, University Institute for Distribution and Publishing, Beirut, Third Edition, 1985.
- Magma` Allougha Alarabiya: The Bibliography of Philosophy, Cairo, 1083.
- Qassem, Siza and Yori Lotman and others: The Aesthetic of Place, Oyoun Almaqalat, Casablanca, 1988.
- Rajab, Mahmoud: Mirror Philosophy, Dar Almaarif, Cairo, First Edition, 1994.
- Salamah, Ameen: The Bibliography of Individuals in Greek and Roman Myths, Aloroubah Publishing Establishment, Second Edition, 1988.
- Yaqteen, Saeed: Arabic Narrative: Concepts and Revelations, Aldar Alarabiya Liloloum, Beirut, First Edition, 2012.

References in English:

- Leonard Lutwack,The role of literature, Syracuse uni press, New York 1984.

Journals:

- Hafiz, Sabry: Structural Features of the Short Story, Fosoul Literary (Criticism Journal), The Egyptian National Book Commission, Cairo, Volume 2, Fourth Issue, 1982, p. 19-32.

ملامح البيئة المحليّة الإماراتيّة في روايات مريم الغفلي

Features of the local Emirati Environment in the novels of Maryam Al-Ghafli

د. بديعة خليل الهاشمي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

Dr. Badeeah Khaleel Alhashmi
Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences,
Al Sharjah University, United Arab Emirates

https: //doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.09

تاريخ تسلم البحث 2021/8/15 - وصدر خطاب القبول 2021/10/26

ملخص البحث

للبيئة تأثير كبير في السلوك البشريّ، والنشاط المجتمعي والثقافي في مكان جغرافي ما، وهو ما ينعكس بالضرورة في خبرات وتجارب قاطنيه، ويؤثّر في تشكيل سلوكياتهم واللاوعي لديهم، ومن ثمّ تعبيرهم الإبداعيّ والأدبيّ. وقد اعتنى عدد من الروائيين الإماراتيّين بتصوير البيئة المحليّة في رواياتهم، ومنهم الروائية «مريم الغفلي»، التي استطاعت من خلال رواياتها أن تؤسّس لمشروع وطنيّ، سعت من خلاله إلى تدوين ملامح مهمة من الثقافة المحليّة الماديّة والشفاهيّة.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن أبرز ملامح البيئة المحليّة التي صورتها الروائية في ثلاث روايات، هي: «طوي بخيتة»، و«نداء الأماكن.. خزينة»، و«أيّام الزّغنبوت»؛ وينقسم البحث إلى أقسام ثلاثة: الأول، يتناول أهمية تصوير البيئة المحليّة وعلاقتها بالهوية الوطنيّة، والثاني، يستعرض مشروع الروائيّة في استثمار مكوّنات الثقافة المحلية في رواياتها، والأخير، يشتمل على الدراسة التطبيقيّة التي توظّف المنهج الوصفي التحليلي في دراسة مضامين الروايات وبنائها الفني من حيث تصوير البيئة المحليّة.

الكلمات المفتاحية: البيئة، المحلية، الرواية الإماراتية، الموروث الشعبي، المضمون، البناء الفني.

Abstract

The environment has a significant impact on the human behavior and the social and cultural activities in any geographical place, which is necessarily reflected in the experiences of its inhabitants, and affects the formation of their behaviors and their subconsciousness, and thus their creative and literary expressions. A number of Emirati novelists have been taking care of portraying the Emirati local environment in their novels, including Maryam Al-Ghafli, who was able, through her novels, to establish a national project, through which she sought to write down the important features of the physical and verbal local culture.

This research aims to reveal the most prominent features of the local environment that the novelist portrayed in three of her works: «Twi Bakhita», «The Call of Places.. Khazina», and «Ayam al-Zeghnaboot». The research is divided into three sections. The first section: deals with the importance of portraying the local environment and its relationship to the national identity. The second section: reviews the novelist's project in investing the components of local culture in her novels. And the last section: includes the applied study that employs the descriptive analytical method in studying the contents of the novels and their artistic structure in terms of depicting the local environment.

Keywords: Environment, Locality, Emirati novel, Folklore, Content, Artistic structure.

مقدّمة

للبيئة تأثير كبير في السلوك البشري والنشاط المجتمعي والثقافي في مكان جغرافي ما، وهو ما ينعكس بالضرورة في خبرات وتجارب قاطنيه، ويؤثر في تشكيل سلوكياتهم ولاوعيهم، ومن ثمّ تعبيرهم الإبداعي والأدبي، ولمّا كان هذا البحث يروم اكتناه ملامح البيئة الإماراتية المحليّة في روايات مريم الغفلي، فإنّه من المهم في البداية أن نتساءل: ماذا نعني بملامح البيئة المحليّة حينما تكون الدراسة ذات صلة بالرواية الإماراتيّة؟

نقصد بتلك الملامح كل ما ينتمي إلى هذه البيئة بوصفها المحلّ أو الوسط أو المكان الذي يُحلّ فيه، ويميّزها عن غيرها من البيئات الأخرى، وبعبارة موجزة، كل العناصر التي تنتمي إلى دولة الإمارات وتميزها عن غيرها، وهذا - دون شكّ- لا يلغي وجود عناصر مشتركة ونقاط التقاء بين سمات البيئة المحلية الإماراتية وغيرها من البيئات الأخرى المحيطة أو القريبة منها.

وستسلّط الدراسة الضوء على مجموعة من الملامح، منها ما يتناوله المضمون الروائي: كالموروث الثقافي، والتقاليد المحلية، والمناسبات الاجتماعية، ومنها ما يُظهر البناء الفنّي للرواية: كالمكان والزمان، وبناء الشخصيات من حيث تسميتها، وملامحها الخارجية، وسماتها الداخلية، وتكوينها المعرفي والثقافي، ولغة الرواية، واستثمار عتبة العنوان لخدمة المضمون الروائي وأهدافه.

وذلك في ثلاث روايات لمريم الغفلي، هي: «طوي بخيتة»، و«نداء الأماكن.. خزينة»، و«أيّام الزّغنبوت»، وينقسم البحث إلى أقسام ثلاثة: الأول، يتناول أهمية تصوير البيئة المحليّة وعلاقتها بالهوية الوطنيّة، والثاني، يستعرض مشروع الروائيّة في استثمار مكوّنات الثقافة المحلية في رواياتها؛ والأخير، يشتمل على الدراسة التطبيقيّة التي تُوظّف المنهج الوصفي التحليلي في دراسة مضامين الروايات وبنائها الفني من حيث تصوير البيئة المحليّة.

تمهيد

يعرّف ميلان كونديرا الرواية في كتابه «فنّ الرواية» بأنّها: «الشكل النثريّ الكبير الذي فيه يستقصي المؤلّف من خلال أنَوَات تجريبيّة (شخصيّات)، إلى أقصى حد بعض موضوعات الوجود»[١]؛ وجود الإنسان في هذا الكون، والمكان الذي يحوي هذا الوجود، وكل ما يشكّله ويحيط به، يفكر به ويتخيله، يبنيه ويحوّله ويغيّره، والحديث عن وجود الإنسان يقتضي بالضرورة الحديث عن ظروف ومفاهيم عديدة تحيط به في عصر من العصور ومرحلة تاريخية ما، كالظروف الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة، والفكريّة، والطّبيعيّة. وهو بصورة ما يعني الحديث عن البيئة التي وُجد فيها، ومصطلح «البيئة» فضفاض رَحْبٌ، فهو يعبّر عن «جملة الظواهر المؤثرة في الفرد، ويطلق على مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد والمؤثرة فيه، فنقول: البيئة الطبيعيّة أو الخارجيّة، والبيئة العضويّة، أو الدّاخلية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الفكرية، فالبيئة بيئات تتنوّع وتتلوّن لتشمل مختلف جوانب الحياة في أطر عامة من الزمان والمكان واللغة، تحيط بتلك الظواهر، وتجعلها ذات صبغة محليّة».[٢]

وفي علم السّرد فإنّ المصطلح الأكثر تعبيرًا عن مصطلح «البيئة»، هو «الفضاء الحكائي» أو «الفضاء الأدبيّ»، الذي يعني: «البيئة التي تتموضع فيها الأشياء والشخصيّات، وبصورة أكثر تحديدًا، البيئة حيث تتحرّك وتعيش فيها الشخصيات... وهو بهذه الرؤية أكثر من مجرّد مكان ثابت أو ظرف زمكاني: إنّه يتضمّن المناظر الطبيعيّة، كما الظروف المناخيّة، المُدن، والحدائق والغُرف، وهو في الحقيقة يتضمّن كل شيء يمكن أن يُعدّ حيّزًا تشغله الأشياء أو يُقيم فيه الأشخاص،

١- كونديرا، ميلان: فن الرواية، تر: خالد بلقاسم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٧، ص١٦٥.

٢- مينو، محمد محيي الدين: معجم النقد الأدبي الحديث، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٢، ص٦٣.

وبالنسبة للشخصيّات، فإنّ المكان ينتمي إلى «موجودات» السّرد»»[1].

وبذلك فإنّ عامل البيئة يعدّ عنصرًا رئيسًا من عناصر السّرد بشكل عام، والرواية بشكل خاص، فالرواية في أبسط تعريفاتها هي: قصّة طويلة، تصوّر جانبًا من جوانب الحياة والمجتمع ، لا يستغرق ساعات أو أيامًا، بل يمتد أشهرًا وسنوات، وتنهض على طائفة من العناصر الفنيّة: كالشخصية، والحبكة، والزمان، والمكان، والحدث، واللغة والأسلوب ، ويقف الروائي عند تفاصيل تلك العناصر الدقيقة، لتصوير الأحداث والوقائع ، وربطها ربطًا محكمًا، واختيار الشخصيات المتعددة الملائمة لتلك الأحداث، فيُعنى بملامحها الداخليّة والخارجيّة، يحلّل نفوسها ويرصد انفعالاتها وعلاقتها ببعضها البعض.[2]

وانطلاقًا من هذا التعريف، فإنّه لا يمكننا تصوّر رواية، بغضّ النظر عن نوعها، تجري أحداثها أو تتحرك شخصياتها إلا في حيّز مكاني وزماني، له طابع خاص يتلاءم مع تلك الأحداث، ومع سمات تلك الشخصيات التي تعبّر عن البيئة التي تنتمي إليها، وتعبر بيئتها عنها.

أوّلاً: أهميّة تصوير البيئة المحليّة وعلاقتها بالهوية الوطنيّة:

تفرض البيئة نمطًا معيّنًا من الواقع ، بوصفها محدّدًا للسلوك البشري والنشاط المجتمعي والثّقافي في مكان جغرافي محدّد، والمكان كما تراه الدّراسات النّفسيّة «ليس مجرّد فضاء جغرافي، بقدر ما هو انعكاس للظواهر والخبرات الحسيّة التي تحدّد هُويّته، بمعنى أنّ هُوية المكان لا يمكن تحديدها في المكان نفسه مجرّدًا، بل تظهر في الانطباع الذهني، أي صورة المكان، الذي يرسمه قاطنو المكان عن أنفسهم... فهو وجود نفسي عميق ومشتبك في وعي قاطنيه، ليس بوصفه نوعًا

١- مانفريد، يان: علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١١، ص١٢٨.

٢- ينظر: مينو، محمد محيي الدين: معجم النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص١٥٠.

من الإدراك الحسي فحسب، بل هو أيضًا مدرك في لاوعيهم ويظهر في سلوكهم الغريزي».[١]

ومن هنا نلحظ أنّ تصوير البيئة المحليّة بمكوّناتها المختلفة يأتي مندمجًا مع معنى الهوية الوطنيّة في الإبداع الأدبي، سواء أقصد المبدع إلى الاشتغال على جماليّات عنصر المكان في العمل السّردي أم لم يقصد، إذ إنّ ذات الروائي تصبح جزءًا من بيئته، وقبل الحديث عن صور تمثيل البيئة المحلية في الرواية الإماراتيّة، نعرّج على تعريف الهوية الوطنية.

يتعلّق مفهوم الهوية على صعيد المجتمعات بعناصر وأسس مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، تشعرهم بأنّهم مرتبطون بعلاقات ووثائق وخصائص تميزهم عن غيرهم من المجتمعات الأخرى، مثل العناصر التراثية، والقومية، والحضارية، وغيرها، فهوية أي شعب هي: ثقافته التي تكوّنت عبر السنين من خلال تفاعل مجموعة من الأفراد، سواء من الطبيعة، أو البيئة الجغرافية، أو الثقافات الأخرى، فثقافة أي مجموعة من الأفراد تتشكل حسب إدراكهم لما حولهم، وحسب تطلعاتهم ورؤاهم وذكرياتهم، وهذا الأمر يختلف بين الشعوب، ويعرف ذلك بهوية الشعب الخاصة التي تعبر عن ثقافته الخاصة وإبداعاته، وهذا دون شك لا يلغي التشارك مع الشعوب الأخرى في السمات الإنسانية العامة.[٢]

إذن فالهوية الوطنية نظام من القيم الاجتماعيّة والأخلاقيّة المرتبطة بأسلوب حياة الناس في مجتمع ما، في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا النظام يقوم على جوهر وجود الأفراد والجماعات وبقائهم في مواجهة تحديات الزوال والتشتت.

١- الوكيل، سيد: تجلّيات الهوية في رواية المكان، مجلة بيت السرد، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، ع١٦، مايو ٢٠١٦، ص٣٣.

٢- الهاشمي، بديعة: الهوية الوطنية في قصص الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٤، ص٣١، ٣٢.

ويمكننا تقسيم ذلك النظام قسمين رئيسين، يندرج تحت كل منهما بعض عناصر مكونات الهوية الوطنية، هما:

– المكونات الثابتة:

وأهم هذه المكونات: الدّين، واللّغة، والأرض، والعادات والتقاليد، والموروث الثقافي والشعبي، والروابط الاجتماعية، وروابط الدم، وبعض أنماط العيش مثل: الملبس والمأكل والمسكن، والفنون الشعبية والمعمارية، والعادات المرتبطة بالمناسبات والأعياد.

– المكونات المتغيرة:

وهي العناصر المتحولة الناتجة عن الواقع المعيش والممارس الذي يعيشه الأفراد أنفسهم في المجتمع، أو عبر الأجيال التي تتعاقب بعدهم على هذه الأرض، مثل: تغيّر نمط الحياة، ووسائل الاتصالات وطرق المواصلات، ووسائل الإعلام، والنواحي العمرانية، وغيرها.[1]

ومما سبق يتضح أنّ البيئة المحلية، بمكوناتها التي أشرنا إليها سابقًا، جزء أساسي من مكونات الهوية الثابتة، لذا فإنّ حضورها في الفنّ الروائي يعدّ تجسيدًا لعنصر مهم من عناصر الهوية الأساسية، وبما أنّ الرواية فنّ إبداعي أدبي له عناصره وتقنياته التي تتعاضد معًا لتشكيله فنيًا وجماليًّا، فقد لا يغدو تصوير البيئة المحليّة بالنسبة للروائي هدفًا أساسيًّا من وراء كتابته لعمله الأدبي في حد ذاته، بقدر ما يكون مكوّنًا يدعم بناء الرواية فنيًّا، ويتآلف مع عناصره الأخرى.

وفي هذا السياق يقول صاحب الرواية الإماراتية الأولى «شاهندة»، الروائي راشد عبدالله النعيمي في عتبة الإهداء، معبّرًا عن اهتمامه بتصوير البيئة المحليّة

١- الهاشمي، بديعة: الهوية الوطنية في قصص الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق، ص٣٤.

في عمله الروائي وهدفه من ذلك: «قصتي هذه تنبع من واقع عشناه، عشناه بين حبات الرمل المحترقة، في حياة جافة قاسية، أكتبها لهذا الجيل الذي يبني بقوة سواعده بلدًا عظيمًا، فتمدّه بالعزيمة الصادقة والأمل الطامح.. أكتبها للأجيال القادمة؛ لتكون لهم نافذة يطلون منها على حياة آبائهم وأجدادهم، فتملؤهم بالعزة والثقة.. أكتبها للقادمين إلينا.. للعابرين على ضفاف خليجنا لتكون لهم دليلاً هاديًا ورفيقًا معينًا...»[١]

وقد اعتنى عدد غير قليل من كتّاب الرواية الإماراتية بتصوير البيئة المحليّة، سواء أكان تصويرًا غير مباشر خاضعًا للمعنى، ويُستشف من أحداث الرواية وسردها، أم تصويرًا مباشرًا مقصودًا يمضي مع المعنى في سياق واحد، ليكون مصدرًا للمعنى. ونشير هنا إلى أنّ البيئة المحلية في الروايات تُدرك عبر ثلاثة مستويات: الأول، هو المستوى المدرك المحسوس، إذ تُدرك البيئة عبر الحواس، كالبصر أو اللمس أو الشم، فتظهر مسرحًا لأحداث الرواية، وفضاء لحركة الشخصيات وتفاعلها، مثل: الصحراء، والبحر والشاطئ، والواحة والقرية، والمستوى الثاني، هو مستوى المُدَرك المعرفي، الذي يتجلّى في المنتج الثقافي للبيئة وموروثاتها الشعبية الشفاهية والماديّة، وعادات أهلها وتقاليدهم، مثل: المأكل والملبس والاحتفالات والمناسبات الاجتماعية، أما المستوى الثالث، فهو المستوى النفسي الوجودي، المتعلّق بالمشاعر والعواطف التي تعبّر عن الذات المنتمية إلى البيئة نفسها.

وهذه المستويات الثلاثة قد تظهر كلّ على حدة في روايات مختلفة، وقد تظهر متشابكة متجادلة في عمل روائي واحد، كمظهر من مظاهر تجلّي الهوية الوطنية فيها، فكلما «نجحت البيئة في إيجاد حسّ قوي بالانتماء للمكان يتّضح معنى الهوية

١- النعيمي، راشد عبدالله: شاهندة، دار كتّاب، الإمارات، ط١، ٢٠١٢، ص٥.

على نحو حسّي ومشاعري في نظر قاطنيه الأُصلاء»،[1] وكتّابه ومبدعيه، وهو ما سنشير إليه في أعمال الروائية مريم الغفلي الثلاثة التي سنتناولها.

ثانيًا: الروائية مريم الغفلي والكتابة للوطن:

صدر للروائية الإماراتية مريم الغفلي أربع روايات، هي: «طوي بخيتة» عام ٢٠٠٩، و«بنت المطر» عام ٢٠٠٩، و«نداء الأماكن.. خزينة» عام ٢٠١٤، و«أيام الزّغْنبوت» عام ٢٠١٦. وعلى الرغم من أن الروايات الأربع متباينة من ناحية موضوعاتها، ومختلفة من حيث رؤاها وقضاياها التي تعالجها، إلا أن الاهتمام بتصوير البيئة المحليّة وإبراز هويتها الثقافية يبدو هدفًا مقصودًا وواضحًا لدى الكاتبة. وذلك من خلال عناصر السّرد في الروايات: كالمكان والزمان وبناء الشخصيات، واللغة والأسلوب، وتوظيف الموروث الثقافي المادي منه والشفاهي.

وتصرّح الروائية بذلك في شهادة لها في ملتقى الشارقة الرابع للرواية الذي عقد عام ٢٠٠٩، فتقول: «ما شجّعني على الاستمرار في الكتابة، رغبتي لرد الجميل لهذا الوطن المعطاء، عبر الكتابة في مواضيع مثل البيئة، الاهتمام بالتراث، حب الوطن، الأخلاق، والعادات الاجتماعية، وإشكاليّة التركيبة السكانية، والعَوْلمة، والعمالة الوافدة، والخادمات وتأثيرها في المجتمع. أرى من خلال الكتابة أني أحتفظ بذاكرة وطني وأكتب للوطن، وأتحدّث عن المجتمع البدويّ الذي هو أساس مجتمع الإمارات العربية المتحدة..».[2]

إنّ رواية من روايات مريم الغفلي تبدو وكأنها جزء من مشروع وطني، تسعى من خلاله إلى تدوين ثقافة البيئة المحليّة، ورصد العلاقات الاجتماعية في الماضي

١- الوكيل، سيد: تجلّيات الهوية في رواية المكان، مرجع سابق، ص٣٤.
٢- الغفلي، مريم: الكتابة للوطن، السرد في الأدب الإماراتي: تجربة الرواية النسائية (وقائع ندوة)، إعداد: عبدالفتاح صبري، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٠، ص٣١٨.

والحاضر، ونقلها إلى الأجيال القادمة. وعن روايتها الأولى «طوي بخيتة» التي استوْحَتها من حكاية تراثية محليّة (خرّوفة)، وأعادت بناءها سرديًّا، تقول الكاتبة: «أنا أعتبر أن «طوي بخيتة» هي مولودتي الأولى، وعلى الرغم من أنني كاتبتها، فإنني عندما أعيد قراءتها فإنها تأخذني إلى عالم مضى، إلى زمن جميل أرتحل مع من ارتحلوا، زمن أعلم أنه لن يعود، حاولْتُ أن أقدم من خلال «طوي بخيتة» ما كان محفوظًا في الذاكرة، كي ينتقل إلى الأجيال القادمة».[٣]

ثالثًا: ملامح البيئة المحلية في روايات مريم الغفلي:

تتجلّى ملامح البيئة الإماراتية المحلية في روايات مريم الغفلي من خلال المضمون الروائي، والتشكيل الفني، والبناء الجمالي فيها، فعلى صعيد المضمون نجد اعتناء الروائية بموضوعات مثل: الموروث الشعبي والثقافي المحلي، وتصوير العادات والتقاليد في مجتمع دولة الإمارات قديمًا وحديثًا، كالمأكل والملبس والطب الشعبي والمناسبات الاجتماعية. أما على صعيد البناء الفني، فتوظف الكاتبة إمكانات العناصر السّردية: كالمكان والزمان والشخصيات واللغة وعتبة العنوان لخدمة أهدافها في تقديم صورة واضحة لبيئة رواياتها ومضمونها السردي. فعلى سبيل المثال تتخذ الكاتبة من عنصر المكان الجغرافي مسرحًا لأحداث الروايات التي تُسهم في رسم صورة مكتملة لملامح البيئة بنجاح تام. وكما هو معلوم فإن للدلالة المكانية سطوتها على سمات الشخصيات الداخلية والخارجية، وحواراتها التي تتناصّ في مواضع كثيرة مع الموروث الشفاهي، وتنطق باللهجة المحلية لأهلها في أحيان أخرى.

أ– ملامح البيئة المحلية من خلال المضمون:

أشرنا سابقًا إلى أنه على الرغم من اختلاف مضامين روايات مريم الغفلي

٣- المرجع نفسه، ص٣١٧.

والموضوعات التي عالجتها من خلالها، إلا أنها لا تكاد تغفل في أيّ من رواياتها الثّيمات المعبرة عن روح البيئة المحليّة، وحضورها الحيّ في المضمون الروائي. والبيئة المحلية لا تعني تحديدًا عنصر المكان في الرواية فحسب، إنما تشتمل على كل ما ينتمي إلى تلك الأرض، كالعادات، والتقاليد الاجتماعية، والموروث الشعبي والثقافي لأصحاب ذلك المكان. ففي رواية «طوي بخيتة» التي تنبض بثقافة المجتمع الإماراتي وهويته وعادات أهله، تحاول الروائية أن تحفظ ذاكرة البيئة البدويّة، فتصوّر مرحلة تاريخية مهمة بالنسبة لأهالي الإمارات، من خلال معاناتهم والمشاق التي كابدوها في رحلاتهم الجماعيّة في الصحراء المقفرة، التي كان يطلق عليها أهالي المنطقة رحلات «المقيظ»، هروبًا من حرّ الصيف الذي لا يُحتمل، وبحثًا عن أماكن أقل حرارة ومشقة في الواحات، وأماكن توفر الماء والكلأ والأمان. وهي رحلات تجسّد مرحلة ما قبل النفط، التي عانى فيها الناس من شظف العيش، وقسوة البيئة وجدبها، والخوف الذي كان يطاردهم بسبب الحروب القبليّة المستعرة، وقطّاع الطرق الذين يتربصون لمثل هذه القوافل والرحلات الجماعية.

يأتي المونولوج الذي تعيشه «بخيتة» بطلة الرواية معبّرًا بدقة عن هذه المعاناة:

«تمدّ بصرها عبر فتحة النّور المتدفّق، تلمح السحب، تلملم بعضها فتتذكر عطش الأرض وشحّ المطر، فما بقي من الحلال على وشك الهلاك، ما هو مصيرهم؟ الصحراء قاحلة والصيف قادم بأشهره الطويلة الحارة، أهل العين أيضًا يشكون، تمتمت كمن يواسي نفسه، أماكن المقيظ في العين تعاني المُحْل والجفاف، والأفلاج على وشك النضوب، كما أنها بحاجة للإصلاح، والحروب القبليّة طاحنة مستعرة، وفي الجنوب قُطّاع الطرق ناشطون، إنها حياة الصحراء القاسية. تطلق العنان لتنهيدة مصحوبة بدعاء من القلب،

رحمتك يا رب، تقول ثم تمّد قدميها وتميل بظهرها إلى الخلف تحاول الاستراحة من تراكم الأفكار في رأسها المتعب».[١]

ويعد ذلك محاولة من الكاتبة لربط ماضي المجتمع بحاضره، وتوجيه نظر الجيل الجديد لتقدير الحياة الهانئة الميسرة التي يعيشونها هذه الأيام، ومعرفة قيمة ما يمتلكون، وفضل الآباء المؤسسين فيما وصل إليه وطنهم اليوم. فهو توجيه لهم كي يحافظوا على وطنهم وعلى مكتسباته دون إسراف أو تبديد لثرواته، ويساهموا في بنائه والارتقاء به، حتى لا تعود مثل تلك الأيام القاسية.

وقد عرضت الروائية صورًا من العادات والتقاليد الاجتماعيّة التي رافقت البدو خلال تلك التنقلات والرحلات الشاقة، والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بخصائص البيئة البدوية وسماتها، مثل طريقة نصب البدو لخيامهم، وسقي الإبل، وإعداد القهوة، والترحيب بالضيف، وجني الرُّطب وتجفيف التمر، وتحويل الحليب إلى «يقط»[٢]، والعلاقات التي كانت تربط البدو بحيوانات البيئة كالكلاب والإبل.

فتفصّل الكاتبة في وصف أماكن السكن في المشهد الآتي لرسم لوحة حية للعريش في المقيظ، إذ تقول: «**وأخيرًا ها هي شمّة تتجه إلى عريشهم الذي انتهى الرجال من بنائه للتو، لكي تساعد بخيتة على تنظيفه ووضع الأمتعة فيه. كان عبارة عن غرفة مستطيلة بنيت بطريقة فنية من جريد النخل، لها فتحات أمامية للتهوية، كانت أرضية العريش**[٣] **مرفوعة عن الأرض بجذوع النخل اليابسة والمغطاة بسعف النخيل المجدول على هيئة أرضية مانعة لوصول العقارب والأفاعي لمكان النوم والجلوس. كما احتوت الأعرشة على**

١- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٩، ص٧.
٢- اليقط: هو الإقط باللهجة المحلية، كرات بيضاء من اللبن المطبوخ بعد تجفيفه في الشمس، يخزن ويؤكل بعد طحنه في أوقات عدم توفر اللبن.
٣- العريش: البيت المصنوع من سعف النخيل.

قاطع صغير للاستحمام وضعت بداخله جرة كبيرة مليئة بالماء البارد».[١]

وفي مكان آخر من الرواية تصوّر مريم الغفلي مشهد جني الرطب كعادة سنوية عند أهالي المنطقة: «**في أعلى النخلة بدأ رجل يحيط خاصرته بحابول**[٢] **سميك ممسكًا بفأس حاد في يده، يقطع عذوق**[٣] **الرطب التي تتساقط تباعًا حيث يلتقطها الرجال المتحلّقون تحت النخلة، وسرعان ما يجمعون الرّطب والبِسْر**[٤] **في مزاميّ**[٥] **ضخمة ينقلونها على ظهورهم تجاه المساطيح**[٦] **في المزارع وخلف البيوت».**[٧]

ونلحظ أن الكاتبة تطعّم لغة الرواية بمفردات محليّة متعلقة بالمشهد المرسوم، مثل: (الحابول)، و(المزامي)، حرصًا منها على نقل صورة مطابقة للأصل وما ينطق عنها. كما تحرص على شرح تلك المصطلحات في هامش الرواية تسهيلاً على القارئ وتعريفًا له بها. وهو ملمح آخر من ملامح العناية بصورة البيئة المحلية من خلال اللغة والأسلوب، وسوف نقف عنده لاحقًا.

كما تصوّر الكاتبة صورة من ملامح البيئة المحليّة في التطبيب الشعبي والتداوي بالأعشاب في مشهد تؤديه إحدى شخصيات الرواية فتقول: «**أحضرت «عويش» الماء وانحنت تغسل لها قدمها المجروحة، واضعة بعض الملح على الجرح، ثم ربطته بقطعة قماش من شيلتها**[٨]..»[٩] وتقول في مشهد آخر:

١- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ص٦٣.
٢- الحابول: حبل دائري يلفه متسلق النخل الذي يبغي خرف الثمر عنها حول بدنه وحول جذع النخلة لتساعده على التسلق وتحميه من السقوط.
٣- عذوق: مفرد عذق، وهو عنقود النخل وكل غصن له شعب.
٤- البسر: هو التمر قبل تحوله إلى الرطب.
٥- مزامي: مفردها مزماة، سلة من خوص النخيل الغليظ، يوضع فيها السمك والفواكه.
٦- مساطيح: جمع مسطاح، وهي أرض منبسطة توضع عليها حصيرة لتجفيف التمر.
٧- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ص٧٦.
٨- الشيلة: قماش رقيق أسود تضعه المرأة على رأسها.
٩- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ص٣٤.

«أسرعت بتسخين الماء، وإخراج الأعشاب من خَرس[١] فخاري قديم أمام خيمتها، غسلت الجرح، والفتاة تئن ألمًا كلما لامس الماء أو يد خصيبة مكان الجرح».[٢]

وللبيئة تأثير كبير في عادات السكان الاجتماعية المكتسبة وتقاليدهم اليومية، فهم يؤثّرون ويتأثّرون بها بالضرورة. فالبيئة الصحراوية الشحيحة أصّلت عادة الكرم ومساعدة المحتاج لدى أهلها، وهذا ما حرصت الكاتبة على أن تشير إليه من خلال أحداث الرواية. تقول واصفة عادة الكرم في تقديم الطعام لدى السكان المستقرين في تعاملهم مع المُرتحلين الذين غادروا أماكنهم وديارهم:

«من بين الأكمة الكثيفة لأشجار النخيل والليمون، خرج خادم صغير يحمل صينيّة كبيرة من الأرز الأصفر واللحم، يتصاعد منها البخار... تنحنح مرارًا ونادى بصوت عالٍ معلنًا قدومه ومنبّهًا النساء...»:

تسلّم عليكم عمّتي راية، هذا غداؤكم وستأتي للسلام عليكم بعد الغداء».[٣]

ولم تهمل مريم الغفلي رصد مظاهر الحياة اليومية التي صبغت حياة الجيل القديم، ومن ذلك أساليب طبخ الطعام على الجمر:

«انتهت من وضع الأرز في القدر، خفّفت النار وأزاحت المناصب الحجريّة، ووضعت القدر مباشرة على الجمر وغطّته، وأهالت الرّماد المختلط بالجمر على جوانب القدر، كما وضعت كميّة من الرّماد الحار فوق الغطاء المُحكم حتى ينضج ببطء وتركته».[٤]

١- خرس: زير الماء المصنوع من الفخار.
٢- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ص١١١.
٣- نفسه، ص٥٣.
٤- المصدر نفسه، ص٢٣.

وعن إعداد القهوة العربيّة المتأصلة برائحة المكان وعبقه، تصف الكاتبة إحدى الشخصيات «سلامة» وهي تعد القهوة فقد أخرجت: «**عدّة القهوة من العاروك[١]، وضعت التّاوة[٢] على النار، وأمسكت بالمحماس[٣] تحرّك به حبّات البن في التاوة**».[٤]

وفي رواية «أيام الزغنبوت» تصوّر الكاتبة الطريقة التي كانت تتبعها الأم في صبغ الأقمشة وتنظيفها بالمواد البدائية التي أتاحتها البيئة قديمًا مثل: نبات الوَرْس وقشور الرمّان الجافة، حتى توفّر لأبنائها الملبس في ظلّ الظروف الصعبة آنذاك:

«**كانت قد حصلت على قطع قماش بيضاء، خاطتها للبنات والولد. تتناول طاسة[٥] قد يمة تستخدمها لدبغ الجلود. تضع فيها كندورة الولد، ترمي فوقها كومة من الورس والماء وتتركها. أخذت قدر الصفر الذي كانت تطبخ فيه للضيوف، تضع كنادير البنات، تحضر بعض قشور الرّمان الجافّة، تطبخها على النار ثم تضع، الملابس في القدر وتتركها كي تتشرّب المواد ويتغيّر اللون الأبيض إلى اللون الأحمر**».[٦]

ب– ملامح البيئة المحلية من خلال البناء الفنّي:

يتضافر المضمون الروائي مع البناء الفنّي في تشكيل الرواية، فالمضمون هو الفكرة التي يريد الروائي أن يوصلها للقارئ، والبناء الفنّي هو طريقة عرض تلك الفكرة فنيًّا؛ ومعنى ذلك أنّ البناء الفنّيّ لا ينفصل عن المضمون، «فالمضمون هو القوّة المحرّكة في العمل الأدبيّ، وهو يحمل مغزى هذا العمل وما يحتويه من

١- العاروك: كيس من الخيش، به فتحة أعلاه، يوضع فيه الزاد ويعلق على ظهر البعير.
٢- التاوة: المقلاة، وعاء حديدي تحمص فيه حبوب القهوة.
٣- المحماس: ملعقة حديدية تحرك به حبوب القهوة عند التحميص.
٤- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ص٤٥.
٥- الطاسة: إناء عميق.
٦- الغفلي، مريم: أيام الزغنبوت، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠١٦، ص ٩٥، ٩٦.

أفكار وقضايا، أمّا الشكل فيعدّل حسب موقف المؤلف، والدور الذي يقوم به في تحريك الأحداث والأبطال، بالإضافة إلى أنّ الشكل والمضمون يلتحمان معًا ليمنحا العمل الأدبيّ هُويّته وتميّزه».[١]

١ – المكان:

لا يمكن تخيل أية رواية تجري أحداثها، وتتحرك شخصياتها إلا في حيّز مكاني وزماني، له طابع خاص يتلاءم مع تلك الأحداث، ومع سمات تلك الشخصيات التي تعبر عن البيئة، وتعبر البيئة عنها، فـ«تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئًا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الدّيكور، والخشبة في المسرح، وطبيعي أنّ أيّ حدث لا يمكن أن يُتصوّر وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني، غير أنّ درجة هذا التأطير وقيمته تختلفان من رواية إلى أخرى، وغالبًا ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمنًا، بحيث تراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان»[٢]، وهو ما نلمسه في روايات مريم الغفلي.

إذ تبدو الروائية حريصة أشد الحرص في رواياتها على تصوير المكان في البيئة الإماراتية القديمة، كما حرصت على تقديمها في صورتها الحديثة، ففي روايتها «طوي بخيتة» -الذي يشي عنوانها بصورة واضحة إلى مضمون الرواية وأمكنتها- ترسم الكاتبة لوحات ملونة بألوان البيئة المحلية القديمة، وتراثها الشعبي في مجالات شتى، فتبدو اللوحة الأولى التي تشكّل المكان الذي اختارته ليكون مسرحًا لأكثر أحداث الرواية إثارة وتشويقًا وهو الصحراء. تقول:

١- معالي، حنين: الرؤية والتشكيل الفنّي في قصص جمال ناجي القصيرة، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠١٤، ص٧٩.

٢- لحمداني، حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠١٥، ص٦٥.

«صحراء موحشة، كثبان رملية لا تنتهي، مكان معزول يغلفه الصمت، بيوت متناثرة تبدو خالية ويلفها السكون، الكلب الأسود الرابض أمام أحد بيوت الشعر أقعده الجوع والتعب عن مهام الحراسة، تقف إلى جانبه امرأة طويلة القامة ترتدي ملابس سوداء».[1]

فمن يقرأ هذه الأسطر لا يملك إلا أن يتوقع أنّ أحداث الرواية برمّتها ستجري في بيئة صحراوية، وسيتبادر إلى ذهنه أنّ الروائية لم تذكرها عبثًا، بل هو تأثيث مكانيّ تسعى من خلاله الكاتبة لبناء حبكة روائيّة تحمل سمات هذا المكان، وأحداث مبنية من المنطلقات البيئية تلك، وأنّ الشخصيات التي ستنتمي إلى هذه البيئة ستنطق بثقافة تلك الأرض، وستحركها تقاليد أهلها وعاداتهم، سواء أكانت ملتزمة بها أم خارجة عنها. فـ «المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية، ولا يكون دائمًا تابعًا أو سلبيًا؛ بل إنّه أحيانًا يمكن للروائي أن يحوّل عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم...».[2]

وفي هذه الرواية هو «الصحراء الموحشة»، جزء من الطبيعة التي لا ترحم، وهو هنا معادل موضوعي للشقاء والعناء والقسوة، التي تعاني منها الشخصيات في الرواية، وتحديدًا البطلة «بخيتة».

أما رواية «نداء الأماكن»، التي يشي عنوانها بشكل صريح إلى حضور عنصر المكان بقوة، فتحتشد بكل ما يحمله المكان من ثقافة محلية متجذرة في تربته، فأحداث الرواية تجري في مدينة العين التي تحضر معالمها واضحة في ثنايا الرواية، مثل: جبل حفيت، قلعة الجاهلي، وتفاصيل طريق العين: الشوارع، والضباب. كما في هذا المشهد الذي يتحرّك فيه «غانم» مستحضرًا ذكرياته المرتبطة بمدينة العين، ويقارن تفاصيل المكان الحديث بما كان عليه في الماضي:

١- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ص٧.
٢- لحمداني، حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص٧٠.

«يصل للسوق المركزي، ينعطف وراءه باتجاه الواحة حيث الشوارع الضيقة تحاكي المكان قد يمًا بسككه المتربة، وبأسوار طينيّة تحدد الممتلكات، هذا المكان هو قلب العين القد يمة، وكثيرًا ما جاءه زائرًا بمعيّة جدّته. كانت العين في ذلك الوقت بيوتًا متناثرة من الطين، صغيرة، لا يتصوّر كيف تضخّمت وزادت رقعتها، أين ذهبت الكثبان الرملية؟ واحة النخيل كانت وحدها معلمًا بارزًا وسط المكان والقلاع الطينيّة، قلعة الجاهلي في الغرب، والمربّعة في الشرق، والواحة بينهما، والبيوت المتناثرة هنا وهناك. يتساءل: أين هي مدينة العين القد يمة؟ أين أفلاجها المتدفقة بمياهها العذبة؟»[١]

فللمكان المتحوّل في هذ الرواية سطوته وتأثيره في شخصيات الرواية، فـ«شريعة المعترض» وواحتها تقوم بدور بارز في تغيير بطلها غانم من حالة التعصّب والتشدد التي مرّ بها بسبب تأثير الجماعات الظلاميّة المتشدّدة، ليعود معتذرًا طالبًا الصفح من العين ومن وطنه، ويعود صافيًا كالماء:

«يلتفت للفلج أمامه، وبلا وعي منه يدرك أنّ من رآه هو من حرّاس المكان، هو روح من روح أجداد خزينة، يشعر أنّ المكان يباركه و يمنحه الطمأنينة المفقودة... يخوض في الماء، سائرًا عبر الفلج، ظل كذلك برهة حتى وصل إلى عين الفلج.. أحس بنفسه طفلاً، وهو يطهّر نفسه في شريعة المعترض».[٢]

كما تحضر في الرواية شجرة الغاف، التي تحمل بالإضافة إلى رمزيّتها البيئية، جزءًا من الحكاية، وإيحاءً دلاليًا يشترك في صنع الحدث فيها ومقياسًا من مقاييسه. ففي بداية الرواية ينظر «غانم / الزوج» إلى الغافة التي تعاون هو وزوجته «سارة» في بداية حياتهما رعايتها حتى اخضرّت ونمت، فإذا هي قد تحولت إلى مجرد جذع يابس وأغصان جافة، وفي ذلك إشارة إلى اضطراب العلاقة بينه وبين

١- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، دار الحوار، اللاذقية، ط٢، ٢٠١٤، ص٢٤٤.
٢- نفسه، ص٢٤٣.

زوجته، وتحول الود إلى قطيعة وجفاء. ولكن، في نهاية الرواية، وحينما تبدأ المياه في العودة إلى مجاريها، تعود الغافة إلى اخضرارها:

«رفع عصاه عاليًا مشيرًا لشجرة الغاف.. التفت الجميع إلى حيث أشار.. كانت خضراء مورقة، عادت لها الحياة». [1]

فالشجرة الخضراء علامة سيميائية تنفتح دلالتها على الحياة الاجتماعية الخضراء الطبيعية، ولكنّها حينما تشيخ وتجفّ، فهي علامة على انقطاع تلك العلاقة، وجفاف نهر المودة الذي كان يرويها. و«بالرغم من وجود حبكة، وبالرغم من وجود شخوص بهذه الرواية، فإنّ المكان (أو الحيز) يظلّ العنصر الأهمّ في البناء، والمقصود بالحيز هنا ليس الفضاء العمراني أو الفضاء الطبيعي من جبال وسهول ووديان وكثبان وأشجار، فحسب، ولكنّه الأشياء والمقتنيات والملابس والصناديق واللوحات الزيتية، وما إلى ذلك مما يُصنّف ضمن التراث المادي». [2]

كما تشترك حاسة الشمّ في وصف عبق المكان وأصالته، عبر الروائح التي تعكس ملامح البيئة المحلية، مثل: رائحة قهوة عفراء، وعبق العود في منزل الزوجين، والعطر الذي تستخدمه «خزينة» المكوّن من الزعفران والياس مع العنبر. تقول الكاتبة واصفة مجلس «سارة» الذي تجتمع فيه مع صديقاتها:

«ترتفع رائحة عبق العود، تتصاعد، تعبق المكان بتلك الرائحة التي تظل عالقة في عناق حميمي مع رائحة القهوة ومطيّباتها، رائحة لا تتواجد إلا هنا». [3]

١- المصدر نفسه، ص٢٧٨.

٢- بوشعير، الرشيد: في خطاب السرود الإماراتية المعاصرة، دار صفصافة، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠٢٠، ص٥٧.

٣- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، مصدر سابق، ص٤٥.

٢– الزمان:

كما أنّ للمكان تأثيره في فهم البيئة التي يسكنها النّاس، فإنّ له علاقة أزليّة بالزمن، فالشخصية التي تعيش في مكان ما يؤثر فيها ويغيّرها ويمضي فيها الزمن ليصبح جزءًا من ذاكرتها وتاريخها. فـ«المكان تتجلى قيمته ودلالاته وفقًا لقيمته وسيرورته الزمنية، هل هو مكان قديم للشخصية فيه ذكريات؟ أم هو مكان طارئ حديث العهد تشعر فيه بالغربة؟ هل هو مكان قريب أم بعيد؟ وبهذا يكون المكان المختبر المادي للعوالم النفسية».[١] الداخليّة لأصحابه.

وهذا ما أظهرته مريم الغفلي في روايتها «أيام الزغنبوت»، فهي رواية يعتمد حدثها الرئيس على تبعات ظاهرة ارتبطت بفترة زمنيّة شديدة الصعوبة مرت بها المنطقة، ولها آثارها العميقة في نواحي الحياة كافّة، الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافية. وهي ظاهرة الرّق والاتجار بالبشر، بسبب الفاقة والحاجة التي عانى منها أهالي المنطقة إبّان الحرب العالميّة الثانية، وما أحداث الرّواية وصراعها المتأجّج وذكرياتها المؤلمة التي تعانيها شخصياتها، إلا نتاج لإحدى تلك الجرائم العنصريّة التي سادت في «زمن الزغنبوت»:

«بعيدًا عن رائحة الأهل، بعيدًا عن حضن الأحباب، عن رائحة القرية وناسها الطيّبين، تم انتزاعهنّ من عالمهنّ والزّج بهنّ في عالم جديد مخيف، كل ما فيه مخيف، لا فرق بين الأشخاص والأماكن... أيّ قسوة تلك! أي بشر!... كيف لمن عايش كلّ تلك الأيام أن يسكن ويرتاح؟».[٢]

وللزمن حضوره القوي أيضًا في رواية «طوي بخيتة» المحمّلة بالموروث المحلّي بشكل مكثّف، تكاد تنطق به عناصرها الفنيّة جميعها، فأحداث الرواية

١- الكيلاني، رحاب: الهوية في الرواية الإماراتية: الرموز والتجليات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ط١، ٢٠١٣، ص٣٩.

٢- الغفلي، مريم: أيام الزغنبوت، مصدر سابق، ص١٦٠.

تجري في زمن قديم من تاريخ الإمارات. زمن ما قبل النّفط، حيث كانت رحلات «المقيظ» ضرورة ملحّة ولابدّ منها لضمان العيش والأمان الذي ينشده الأهالي، وبذلك اكتسبت الرواية قيمتها وأهميّتها في تصوير البيئة وتفاصيل مكوّناتها، وتدوين تاريخ المكان «وتراثه وعاداته وتقاليده التي تشكّلت طِبقًا لحالة المكان بعد أن أصبح ماضيًا يتباعد كلّما أوغل الزمن وتقدّم ماحيًا كلّ ماضيه، ومنشئًا لزمن وأناس لا يشبهون ما انقضى من تاريخهم وما كان، لذا تعدّ كل كتابة عن تلك المراحل المنقضية، وعن كل مرحلة قادمة من مراحل أمكنتنا الخليجية المعرضة للتغيير والانقلاب على ماضيها بسرعة برقٍ تَقلِب حياةَ كلّ من يعيش فيها، كتابة مهمة تحمل توثيقًا وتدوينًا للأزمنة القادمة التي سيصبح فيها كل ما كتبناه تراثًا ليس له أثر في حياة من سيأتون بعدنا، وينبشون في هذه الروايات وينقبون ويُدهَشون مثلما دُهشنا حين قرأنا ما كتبه المستشرقون عن تاريخ وماضي بلادنا».[1]

٣- الشّخصيات:

«الشخصيّة الروائية تركيبٌ أبدعته مخيّلة الرّوائيّ وجسّدته اللغة، ولا سبيل إلى معرفة التركيب إذا لم ننطلق من اللغة التي جسّدته، وجعلته الشيء الوحيد الملموس بالنسبة إلى الناقد والمتلقي على حدٍّ سواء، أي أنّ الشخصية وحدة دلالية ذات دالّ ومدلول كأيّة علامة لغويّة»،[2] يطرحها الروائيّ في روايته وفقًا لأهدافه واختياره، وبذلك تمتلك الشخصيات الأسماء والنعوت والسمات الخارجية والداخلية التي يمليها الروائي.

فها هي الجدّة «خزينة» في رواية «نداء الأماكن» الغائبة عن أحفادها، الحاضرة في ذاكرتهم بقوّة، تمثّل الملاذ الآمن لهم؛ فهي لا تعني الماضي الأصيل

١- الشويش، فوزية سالم: المكان في الرواية النسائية الإماراتية، السرد في الأدب الإماراتي، مرجع سابق، ص١٧٦، ١٧٧.

٢- الفيصل، سمر روحي: مصطلحات نقد الرواية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٦، ص٢١٩.

فقط، بل هي المَعين للحاضر، والامتداد للمستقبل، هي مخزن الموروث الشعبيّ المحلّيّ من القصص والأشعار وملاحم الآباء والأجداد. تقول «سارة»:

«أجمل لحظاتي كانت عندما تجمعنا الجلسات مع خزينة في الفناء الواسع بمنزلها، كانت تجلس مقابلة لي، تروي لنا قصصًا وأشعارًا تحفظها عن ظهر قلب للآباء والأجداد، كانت تحفظ شعر ابن ظاهر، الملاحم والسّيَر، وغيرها الكثير من أشعار تنساب كشلالات رقراقة تعبر بها بوابة السمع».[١]

والواقع أنّ الشخصيات لا تعمل منفردة، بل تعمل معًا لتوضيح الفكرة التي من أجلها كُتبت الرواية، ومن ثمّ فالأفكار والقضايا المطروحة لا تُساق منفصلة عنها، بل متمثلة في الشخصيات المنتمية إلى بيئة ما، لتوصل بذلك الأثر الاجتماعي وتحقق القيمة الفنية المرادة منها، وقد استثمرت مريم الغفلي تلك الإمكانات في جعل شخصياتها تعكس البيئة المحليّة التي صوّرتها رواياتها، فعلى صعيد الصفات الخارجيّة تضفي الروائية على بعض شخصياتها سمات المحليّة من خلال ملابسها وملامحها الخارجيّة،

لذا تحضر الجدة «خزينة» في ذاكرة حفيدها «غانم» بصورتها التي تمثّل الماضي الأصيل، فـ **«تطلّ عليه من خلف البرقع النيلي المهترئ! كم يفتقد يديها الخشنتين، بعروقهما النافرة، رائحتها المحبّبة إليه، والمختلطة برائحة الياس والزّعفران، رائحة الماضي العتيد بكلّ ما فيه».**[٢]

كما نجد «غبيشة» التي حرصت على لبس «البرقع»، وهو جزء من لباس المرأة الإماراتية التراثي، ورفضت أن تخلعه حالما شعرت بالغربة في المحيط الذي أرغمتها الظروف أن تعيش فيه، وذلك بزواجها من شخص غريب لا ينتمي إلى

١- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، مصدر سابق، ص٨٠.
٢- المصدر نفسه، ص٦٣.

أرضها، فـ«البرقع» يعني لهذه الشخصية الانتماء والأصالة: «**فلبست البرقع ورفضت خلعه، وكأنها بما تفعل ترسل رسالة للمحيطين بها، رسالة فحواها أنها نبتة هذه الأرض، متمسكة بموروثها، وما هذا البرقع الذي تلبسه منذ الرابعة عشرة إلا خير دليل على أصالتها مقابل من تزوجته بدون إرادة منها، غريب زرع في أرضها التي لا تستسيغ النبت الغريب**».[1]

أما «غانم» العائد إلى حضن وطنه وأسرته، فتعني له الهيئة الخارجيّة الانتماء إلى المكان والتعبير عن الانتماء إليه، فنراه وهو يرغب في تغيير حاله وقد: «**استبدل كندورته الخفيفة بكندورة صوفية سوداء، ولفّ على رأسه شالاً صوفيًّا مضمّخًا بدهن العود، وكأنه يرغب باسترجاع حياته ومسرّاته**».[2]

وقد استثمرت الروائية تسمية الشخصيات في روايتها، إذ إن التسمية غالبًا ما تعطي للقارئ سمة أولية للشخصية، «ففي بداية الخطاب لا تتعدّى هوية البطل التسمية، ثم يكتسب تدريجيًّا أوصافًا ووظائف، حتى إذا شارف الخطاب إلى نهايته استوت الشخصية محدّدة الهوية واضحة المعالم».[3] وقد أطلقت مريم الغفلي على شخصياتها أسماء محلية أسهمت في الكشف عن طبيعتها من جهة، وإغناء الحكاية من جهة أخرى. ومن تلك الأسماء في رواية «نداء الأماكن»: جمعة، وخميس، وغرير، ومرحومة، وعتيق، وعشبة، وظاعن، وحمامة، وغبيشة. تقول شارحة معنى اسم «خزينة» على لسان إحدى الشخصيات:

«**اسمك يعني الشيء النادر، في الماضي كانت كلمة خزينة تطلق على الكنز النادر، فلان من الناس وَجَد خزينة... في الماضي كان الناس يدفنون**

١- المصدر نفسه، ص١٩٩.
٢- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، مصدر سابق، ص٢٥٠.
٣- الناصر، محمد: في الخطاب السردي (نظرية جريماس)، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩١، ص٣٧، ٣٨.

أموالهم في الأرض خوفًا من قطّاع الطرق واللصوص».[١]

وعن اسم «غبيشة» تقول: «**أنا جئت لهذه الدنيا غِبْشَة، أي قُبيل الفجر بقليل، وهذا الوقت يسمى غِبْشَة، و«غبيشة» هو اسم الفتاة بحسب لهجة أهلنا، والغِبْشِي هو اسم الولد**».[٢]

ويبدو اهتمام الروائية كبيرًا في الكشف عن معاني أسماء بعض الشخصيات وعلاقتها بأصحابها، إلى حدٍّ أثقل النص الروائي في بعض الأحيان، تقول على لسان إحدى شخصياتها، كاشفة عن عرف اجتماعي محليّ في اختيار أسماء المواليد:

«**من يولد يوم الجمعة يسمى «جمعة»، ومن يولد يوم الخميس يسمى «خميس»، ومن يولد في الربيع يسمى «ربيع»، ومن يولد في غرة رمضان يسمى «غرير». والفتاة التي تولد في الليلة كثيرة المطر يطلق عليها «مرحومة»...**»[٣]

ويظهر بشكل واضح تأثر الكاتبة بذلك العرف في توظيف أسماء شخصيات روايتها، فتصرّح بذلك على لسان «غبيشة»:

«**نعم، فالإنسان هو ابن المكان، ونحن نعتز بأسمائنا، لو أنّ الأسماء تُباع وتُشترى لما استطاع أحد شراءها**».[٤]

وتبدو حيوانات الصحراء الأليفة، كالكلب والإبل، جزءًا من شخصيات روايات مريم الغفلي، وتحديدًا في رواية «طوي بخيتة». فهي تقوم بدور الشخصيات المساعدة للشخصيات البشرية، تشعر بها وتشاركها أفراحها

١- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، مصدر سابق، ص١٢٩.
٢- المصدر نفسه، ص١٣٠.
٣- المصدر نفسه، ص١٣٠.
٤- المصدر نفسه، ص١٣١.

وأتراحها، وذلك في إشارة جليّة إلى العلاقة القوية التي كانت تربط إنسان البيئة البدويّة بحيواناته قديمًا وحاجته إليها. ومن ذلك وفاء ناقة «إليازية» و كلبها السلوقي، ومشاركتهما «مصبّح» أحزانه بعد فراق زوجته «إليازية»:

«وفي نهاية الشتاء لم تمهل الأيام مصبّح حتى يتعافى من مصابه بإليازية، فسقطت أجمل ناقاته، ناقة إليازية العزيزة وهدية والدها يوم زفافها، ثم كلبها السلوقي الذي ما كان ليفارق ظلّها، لحقا بها، لم تقوَ تلك الحيوانات الضعيفة والوفيّة على الفراق».[1]

٤– اللغة والأسلوب:

تعبّر اللغة الرّوائية عن المستويات الفكرية لشخصيات الرواية، وهي متنوّعة تنوّع اللغة في الحياة اليوميّة، ونجد أنّ مريم الغفلي تضع اللغة في رواياتها «مثلما وضعت عناصر السرد الرّوائي في خدمة الرؤية الفنيّة ذاتها: تمجيد التراث والأصالة، فتقدّم مفردات تنتمي لذلك العصر والمجتمع، ضمن سياق سردي مناسب».[2] فيظهر حرص الكاتبة على تطعيم لغة رواياتها ببعض المفردات من اللهجة العاميّة المعبرة عن البيئة المحليّة، مثل: النّبق، [3] الراعبي، [4] المدخن، [5] الدّخون، [6] الكندورة، [7] أم الدّويس، [8] الهور، [9] مَراح، [10] البوش، [11]

١- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ص١٨.
٢- حطيني، يوسف: في ظلال النخيل: دراسات في الرواية الإماراتية، دائرة الثقافة، الشارقة، ط١، ٢٠١٧، ص٤٢.
٣- النبق: ثمار شجرة السدر، وهي من الأشجار المحلية والمعمرة في دولة الإمارات.
٤- الراعبي: من أنواع الحمام المحلية.
٥- المدخن: آنية خشبية أو معدنية أو فخارية، تستخدم لإحراق البخور.
٦- نوع من البخور لتبخير الملابس والمنازل.
٧- الكندورة: الثوب الإماراتي للرجل أو المرأة باللهجة المحلية.
٨- أم الدويس: من الشخصيات الخرافية في الحكايات الشعبية.
٩- الهور: مكان منخفض وواسع بين تلّتين.
١٠- مراح: مكان مبيت الإبل.
١١- البوش: الإبل باللهجة المحلية.

العزبة، [١] السنّوت، [٢] الرايبة[٣]، الشلّق، [٤] البيدار، [٥] الوجيشيات، [٦] وغيرها من المفردات المحليّة والتراثية التي تشرحها في هوامش الرواية، فتوفّر على القارئ عناء البحث عن معانيها والمراد بها.

ومن الملاحظ أنّ «معظم تلك المفردات التي وظفتها الكاتبة في الرواية تكاد تندثر في معجم الجيل الجديد، وكأنّها بذلك تريد حفظ المصطلحات البدويّة الجميلة التي تحدّث بها أجدادنا».[٧] ففي رواية «نداء الأماكن» تصف غانم الذي لمح يدي جدته خزينة:

«**وهما تحركان الملاّس بحركة دائرية بقاع القدر الأسود، حركة متأنية دؤوب، رائحة السنّوت والمثيبة والطحين المحمص، وهو يسقط على القدر**».[٨] ثم تبين في هامش الصفحة أن السنّوت هو حبوب الكمّون باللهجة المحلية، والمثيبة هي حبوب الشّمر.

أما في رواية «طوي بخيتة» فتستثمر الكاتبة اللهجة العاميّة في بعض الحوارات لإشاعة الروح المحليّة التي تسعى لبثها في الرواية، ولكن دون تفريط أو ابتذال، وهي محاولة منها لمراعاة التناسب بين الخطاب وقائله، والمقام الذي قيل فيه، ومن ذلك الحوار البسيط الدائر بين «شمّا» ووالدها «سلطان»:

١- العزبة: مكان تربية وعادة الحيوانات، ما تكون خارج المدن أو على أطرافها.
٢- السنوت: حبوب الكمون.
٣- الرايبة: رؤوس الأصابع حينما تغطى بالحناء.
٤- الشلّق: المفرقعات أو الألعاب النارية.
٥- البيدار: الفلاح أو المزارع.
٦- الوجيشيات: مفردها وجيشية، وهو كائن صحراوي صغير من فئة القوارض، لونه أبيض ويشبه الجربوع.
٧- يوسف، ليلى: السرديّات النسوية الحديثة في الإمارات: مقاربات نقدية في الرؤية والتشكيل، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٤، ص١٩٨.
٨- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، مصدر سابق، ص١١٢.

«شمّا.. شمّا

ارتفع صوت سلطان مناديًا على شمّا.

تردّ عليه بدلال واضح:

– عونك أبوية.

– لا تِخَرّب لونك يا الغالية، هاتي دلّة القهوة أمّاية.

– إن شاء الله أبوية إن شا الله، تامِر أبوية».[1]

كما أفادت الروائية من توظيف الأمثال الشعبية في توجيه الحكاية وكشف جوانب بعض الشخصيات وملامحها الدّاخليّة، فتسري في رواية «نداء الأماكن» على لسان «سارة» القلقة من غياب زوجها بعض الأمثال، فتقول عن الهمّ الذي يعتريها:

«ما ينام إلا خليّ البال، اللي من الهمّ استراح».[2]

بالإضافة إلى العديد من الأمثال المحليّة التي وظفتها الكاتبة على ألسنة شخصياتها، مثل:

– «إذا فات الفوت ما ينفع الصوت».

– «ما عقب العود قعود».

– «عادت حليمة لعادتها القد يمة».

– «راعي الشّقا ما يصبر على شقاه».

١- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، مصدر سابق، ٢٦.
٢- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، مصدر سابق، ص١٦.

كما نجحت الكاتبة في توظيف الأشعار المحلية المشهورة باللهجة العامية في موضع عديدة من رواياتها، مثل:

«أبشّ لك من قلب بشّاش.. لي جيت من عقب المطاريش

حيث أن شوفك ليا أنعاش.. تروي ظماية من التعطّيش

صوبك شعوري دوم جيّاش.. أو حبّك امجيّش به تجيش

لجلك أنا هاجرت لعشاش.. أو طرت بجناحين بلا ريش».[١]

وكذلك الأُمهودات والهدهدات الموروثة التي كانت تغنيها الأمهات لأطفالهن قبل النوم. فتقول على لسان خزينة لحفيدها غانم في رواية «نداء الأماكن»:

«يا وليدي يا غناتي... لا ترقد في السّيوحِ...

ارقد في ظل بارد... بين الحشا والرّوحِ».[٢]

٥- العنوان:

«تتألّف معمارية الرّواية من شبكة متعدّدة ومعقّدة الخيوط الفنيّة تسهم في عملية نسج البنية الرّوائيّة، واستكمال مقوّمات بلوغها مرحلة النّضج والتّكامل، وترتبط هذه الشّبكة بمجموعة عتبات ومصاحبات نصيّة يتقرّر على أساس استوائها وتكاملها وتفاعل مستوياتها الوصولُ إلى تشكيل نموذجي ناجح للعمل»[٣]، ويشكّل العنوان عتبة نصيّة مهمة وعلامة سيميائية دالّة في النص الروائي، فهو المفتاح الرئيس لاكتشافه وتفسير محمولاته الفنيّة والدلاليّة، كما أنّه العتبة الأولى

١- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، مصدر سابق، ص١٣٦.
٢- المصدر نفسه، ص٢٤٠.
٣- عبيد، محمد صابر: العنوان دالّا روائيًّا: تجلّيات العلامة وفضاء المتن السّردي، دائرة الثقافة، الشارقة، ط١، ٢٠١٩، ص٢٥.

التي تواجه المتلقي، فتعرّف به وتميّزه عن غيره، بوصفه نواة له ومركزًا لمجموع أفكاره، فهو يتضمّن النص في حالة اختزال.

وبقراءة عناوين روايات مريم الغفلي المدروسة نلحظ مدى ارتباط هذه العتبة برؤية الكاتبة الروائية، وقدرتها على ضخّ الدلالة المكثّفة التي تحملها الروايات.

فعنوان رواية «طوي بخيتة» يتشكل من مفردتين لغويتين لهما دلالتهما المتعلقة بالبيئة المحليّة؛ الأولى «طُوي» مفردة محليّة تعني البئر باللهجة الإماراتية، والأخرى «بخيتة» اسم علم من الأَسماء المحلية في دولة الإمارات، وله دلالة حاضرة في الرواية ومرتبطة بمعناه في اللغة العربية الفصيحة، وهو «البَخْت» أي الحظ.

كما أنّ العنوان «طوي بخيتة» مستوحى من الحكاية التراثية التي أعادت الروائية صياغتها سرديًّا، ويحيل إلى الحدث الذي يشكل ذروة الحكاية، وهو طعن «سلطان» ابنته «بخيتة» ورميها في بئر «طوي» مهجورة في طريق الرحلة، وذلك بعد أن كادت لها عمتها «طريفة» زورًا وبُهتانًا عند والدها، وطلبت منه أن يخلّص العائلة من العار الذي حملته لهم ابنته، وهي علاقتها غير الشرعيّة بـ «عبيد». وتشير الحكاية الشعبية إلى أنّ تلك البئر أصبحت تعرف فيما بعد لدى أهالي المنطقة بالاسم ذاته «طوي بخيتة».

و«في بعض الأحيان يجد الروائي أنّ العنوان المركزيّ لا يُشبع إحساسه بتمثيل العمل تمثيلاً كافيًا وخصبًا، فيتجه إلى رفده بعنوان ثانوي يضاعف من قوة العنوان المركزي ويقرّبه من مرحلة الاستواء والتكامل».[1] وهو ما نجده في عنوان رواية «نداء الأماكن.. خزينة»، إذ يحتفي العنوان الأول «نداء الأماكن» بالأماكن التي تزخر بها الرواية، وتشكّل حضورها القوي في عالمها، فهي تشيخ فيها كما يشيخ البشر، وتعبق برائحة الماضي وأصالته، فعلى امتداد فصول الرواية تستحضر الكاتبة الأماكن تاريخيًّا، وتسجل التغيرات التي طرأت عليها

١- عبيد، محمد صابر: العنوان دالاً روائيًّا، مرجع سابق، ص٢٧.

عبر الزمن بعد اكتشاف النفط في الإمارات، فهي «تبدو مسكونة بالحيز، ولذلك فإنّها لا تكتفي باستحضاره في سياق السرد، وإنّما تؤنسنه وتضفي عليه مسحة أسطورية».[١]

أما العنوان الثانوي «خزينة» فهو اسم إحدى شخصيّات الرواية، وهي شخصيّة محورية رغم حضورها في ذاكرة الأبطال فقط، غير أنّ العنوان يُظهر حضورها القوي والمؤثر في شخصياتها، فالكاتبة ترفد العنوان الأول بالاسم الذي يعني الملاذ الآمن لشخصيات الرواية، ويعبّر عن معاني الانتماء إلى الأرض، وأصالة المكان ومكوّناته المحليّة.

وفي رواية «أيام الزغنبوت» إحالة زمانيّة لا تنفصل عن ذاكرة المكان، بوصفه عاملاً مهمًّا ومؤثرًا وجزءًا من ذكريات مضت متعلقة بالبيئة المحليّة وأهلها، إذ إنّ الزمن يعطي «المكان ملامحه وأشكاله التي تختلف من عصر إلى عصر، ومن حضارة إلى أخرى».[٢] فالرواية تروي أحداثًا تعبّر عن أحداث تاريخية مهمة عاشها أبناء المنطقة إبّان الحرب العالمية الثانية، كانت لها تبعاتها في حياتهم الاجتماعية على مدى أجيال، أحداث جرت في «زمن الزّغنبوت»، الذي انتشرت فيه تجارة العبيد والرّقيق، فتفرقت عائلات وأسر جرّاءها، واختلطت أنساب وتباعدت قرابات. و«الزغنبوت»، كما توضح الكاتبة في هامش الصفحة، هو تسمية محليّة لنوع من أنواع الـ «بسكويت مدعّم بالمواد الغذائية، تم توزيعه على السكّان المحليّين في ساحل عُمان خلال فترة الجوع أيام الحرب العالميّة الثانية، ويقال أيضًا إنّه الذرة الحمراء التي كانت صعبة الإعداد والهضم».[٣]

١- بوشعير، الرشيد: في خطاب السرود الإماراتية المعاصرة، دار صفصافة، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠٢٠، ص٥٨.

٢- إسماعيل، محمد السيد: بناء المكان في القصة العربية القصيرة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٢، ص١٩.

٣- الغفلي، مريم: أيام الزغنبوت، مصدر سابق، ص١٥.

خاتمة

إنّ تصوير البيئة المحليّة في الإبداع الروائي هو محاولة من الرّوائيين لتخليد الذاكرة الجماعيّة، فهو مرتبط باللاشعور الجمعيّ الذي ينتمي إليه المبدع، والذي يحوي التجارب المشتركة لشعب من الشعوب المنتمية إلى بقعة جغرافية ما، وموروث ثقافيّ معيّن، وقد نظّر لهذه الظاهرة عدد من المختصين في علم النّفس والجمال، أمثال كارل يونغ وغاستون باشلار.

وقد لاحظنا من خلال دراسة الروايات الثلاث أنّ الروائية «مريم الغفلي» حريصة أشدّ الحرص على الانطلاق من بيئتها المحليّة، واستثمار مكوّناتها وسماتها وملامحها، وذلك للتعبير عن أفكارها ورؤاها ومضامينها الروائية، فنجدها تسعى- من خلال توظيفها للموروث المحلي- إلى تكوين رؤية معاصرة للواقع في المجتمع الذي يجب على الأجيال الجديدة فيه - حسب رؤيتها - أن ترتبط بهويتها الوطنية وتراث أجدادها، وألاّ تتخلى عن هذا المعين النابض بتاريخ وطنها، فهو طوق النجاة لمواجهة مكابدات الواقع الراهن، وتذكرة السفر إلى آفاق المستقبل الواعد، وقد استطاعت الروائية أن تنجح في تجاربها الروائية في تحقيق ما تصبو إليه، مما يجعل بصمتها الإبداعية في الرواية الإماراتية بصمة مميزة في نقل صورة البيئة المحليّة الإماراتية للقارئ العربيّ والعالميّ بشكل ناجح ومتفرّد.

المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر:

- الغفلي، مريم: أيام الزغنبوت، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠١٦.
- الغفلي، مريم: طوي بخيتة، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٩.
- الغفلي، مريم: نداء الأماكن.. خزينة، دار الحوار، اللاذقية، ط٢، ٢٠١٤.

ثانيًا: المراجع:

- بوشعير، الرشيد: في خطاب السرود الإماراتية المعاصرة، دار صفصافة، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠٢٠.
- حطيني، يوسف: في ظلال النخيل: دراسات في الرواية الإماراتية، دائرة الثقافة، الشارقة، ط١، ٢٠١٧.
- عبيد، محمد صابر: العنوان دالّا روائيًّا: تجلّيات العلامة وفضاء المتن السّردي، دائرة الثقافة، الشارقة، ط١، ٢٠١٩.
- الغفلي، مريم: الكتابة للوطن، السرد في الأدب الإماراتي: تجربة الرواية النسائية (وقائع ندوة)، إعداد: عبدالفتاح صبري، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٠.
- الفيصل، سمر روحي: مصطلحات نقد الرواية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٦.
- كونديرا، ميلان: فن الرواية، تر: خالد بلقاسم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٧.
- الكيلاني، رحاب: الهوية في الرواية الإماراتية: الرموز والتجليات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ط١، ٢٠١٣.
- لحمداني، حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠١٥.

- مانفريد، يان: علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١١،.
- معالي، حنين: الرؤية والتشكيل الفنّي في قصص جمال ناجي القصيرة، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠١٤.
- مينو، محمد محيي الدين: معجم النقد الأدبي الحديث، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٢.
- الناصر، محمد: في الخطاب السردي (نظرية جريماس)، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩١.
- النعيمي، راشد عبدالله: شاهندة، دار كتّاب، الإمارات، ط١، ٢٠١٢.
- الهاشمي، بديعة: الهوية الوطنية في قصص الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٤.
- الوكيل، سيد: تجلّيات الهوية في رواية المكان، مجلة بيت السرد، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، ع١٦، مايو ٢٠١٦.
- يوسف، ليلى: السرديّات النسوية الحديثة في الإمارات: مقاربات نقدية في الرؤية والتشكيل، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٤.

Sources and references:

First: Sources:

- Al-Ghafli, Maryam: Days of Zaghniboot, Dar Al-Hiwar, Lattakia, 1st Edition, 2016.
- Al-Ghafli, Maryam: Tawi Bakhita, Dar Al-Hiwar, Lattakia, 1st Edition, 2009.
- Al-Ghafli, Maryam: The Call of Places.. Treasury, Dar Al-Hiwar, Lattakia, 2nd Edition, 2014.

Second: References:

- Boushaer, Al-Rasheed: in the discourse of contemporary Emirati narratives, Dar Safsafa, Giza, Egypt, 1st Edition, 2020.
- Hetini, Yousuf: In the Shadows of Palms: Studies in the Emirati Novel, Department of Culture, Sharjah, 1st Edition, 2017.
- Obaid, Muhammad Saber: the title denotes a narrative: The manifestations of the mark and the space of the narrative text, Department of Culture, Sharjah, 1st Edition, 2019.
- Al-Ghafli, Maryam: Writing for Motherland: Narration in Emirati Literature: The Experience of the Women's Novel (Proceedings of a Symposium), Prepared by: Abdel Fattah Sabry, Department of Culture and Information, Sharjah, 1st Edition, 2010.
- Al-Faisal, Samar Rawhi: Novel Criticism Terminology, Department of Culture and Information, Sharjah, 1st Edition, 2016.
- Kundera, Milan: The Art of the Novel, TR: Khaled Belkacem, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st Edition, 2017.
- Al-Kilani, Rehab: Identity in the Emirati Novel: Symbols and Manifestations, College of Islamic and Arabic Studies, Dubai, 1st Edition, 2013.
- Lhmdani, Hamid: The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 4th edition, 2015.
- Manfred, Jan: The Science of Narrative: An Introduction to Narrative Theory, Trans: Amani Abu Rahma, Nineveh House, Damascus, 1st Edition, 2011.
- Maali, Haneen: Vision and Artistic Formation in Jamal Naji's Short Stories, Ministry of Culture, Amman, Jordan, 2014.

- Mino, Muhammad Mohiuddin: Dictionary of Modern Literary Criticism, Department of Culture and Information, Sharjah, 1st Edition, 2012.
- Al-Nasser, Muhammad: In Narrative Discourse (Greimas Theory), Arab Book House, Tunis, 1991.
- Al-Nuaimi, Rashid Abdullah: Shahinda, Dar Kuttab, UAE, 1, 2012.
- Al-Hashmi, Badeeah: National Identity in Children's Stories in the United Arab Emirates, Department of Culture and Information, Sharjah, 1st Edition, 2014.
- Al-Wakeel, Sayed: Manifestations of Identity in the Novel of Place, Bait Al-Sard Magazine, Emirates Writers and Writers Union, Sharjah, 16th May, 2016.
- Yousuf, Laila: Modern Feminist Narratives in the Emirates: Critical Approaches to Vision and Formation, Department of Culture and Information, Sharjah, 1st Edition, 2014.

Les discours des lauréats du prix Nobel de littératures française et arabe entre intertextualité et analyse esthétique

خطابات الفائزين بجائزة نوبل في الأدب الفرنسي والعربي بين التناص والتحليل الجمالي

Prof. Fathéya AL-FARARGUY
Professeure de critique et de littérature française
Faculté de Pédagogie-Université de Tanta
Chercheur associé -UMR 8132 du CNRS-France

أ. د. فتحية سيد محمود الفرارجي
جامعة طنطا – مصر

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i64.10

تاريخ تسلم البحث 2021/6/14 - وصدر خطاب القبول 2021/11/8

ملخص البحث

يرتكز البحث الحالي على إبراز أهمية هذا الإرث الثقافي الدولي من الخطابات التى تعد في المقام الأول ترجمة لاهتمامات كل جيل وأهم قضاياه. كما يوضح القلق من المستقبل ودور التناص الذي يبرز وضع المؤلف وعلاقته بالسابقين واللاحقين. ويحاول الإجابة على الإشكالية : هل تنتمي خطابات الأدباء الحاصلين على نوبل إلى أدب الأفكار ؟ ما خصائص هذه الخطابات الأدبية ؟ إلى أي أسلوب تنتمي هذه الخطابات الوصفية ؟ كيف يساهم الاستشهاد فى عملية إثراء الخطابات الموجهة لجمهور متنوع في العالم كله ؟

وتعتمد الدراسة على منهج دومينيك مانجونو فى تحليل الخطاب على مستوى الأطر ونوع الخطاب. أما عن جانب الجماليات فتتضح بلاغتها على سبيل المثال في المقارنة والاستعارة. كما يعتمد تحليل الخطاب على قوانين القدرة اللغوية والبلاغية التي تنقسم إلى فئتين : قوانين عامة تشتمل على المشاركة والإخلاص وقوانين أخرى أكثر تخصصا: كالإعلامية و الشمولية وتحليل السلوكيات الاجتماعيه تعتمد على النظرية الشهيرة للمواجهات.

وتبعا لجوليا كريستفا الاستشهاد يعد التقاء مقاطع من الكتابة وبإعادة تركيبها تكون نصا جديدا. وتعتبر ناتلى بياجيه الاستشهاد قطع من الفسيفساء. يمكن إدخالها بشكل ظاهر أو بشكل ضمني.

تلك الخطابات الكثيفة المعقدة التي يثريها الاستشهاد لها مستويات تلقى شفوي وتحريري في ذات الوقت.

الكلمات المفتاحية: خطابات، جائزة نوبل فى الأدب، التناص، فن التخاطب للجمهور، الإرث الثقافى ، الكتابة الأدبية

Abstract

La présente étude s'appuie sur l'analyse de l'approche esthétique et intertextuelle des discours de l'écrivain égyptien arabe Naguib Mahfouz et des lauréats français depuis 1901 jusqu'à nos jours. Ces discours sont tous rédigés sur un ton presque didactique pour toutes les générations. Cet héritage culturel et international résume de grandes périodes, des expériences et des espoirs pour un futur distingué. Mais les discours des lauréats du prix Nobel n'appartiennent-ils à la littérature d'idées ? Quels en sont les éléments constitutifs à l'approche esthétique ? Comment l'intertextualité participe-t-elle à l'acte de l'écriture et à la richesse de ces discours adressés à un public très varié dans le monde entier ?

Dans Analyser un texte de communication, D. Maingueneau entame une analyse du discours sur le plan des cadres : genres de discours, scène d'énonciation et sur le plan de l'embrayage énonciatif.

Enfin, l'analyse des discours, du plus jeune lauréat du Nobel au plus âgé, du plus court discours au plus long, du romancier traditionnel au romancier du nouveau roman, du poète interprète des aspirations artistiques a mis en lumière la richesse esthétique du paradoxe et de l'intertextualité. Face aux réseaux sociaux et à leur attraction pour l'épanchement intime, les discours traités accentuent l'accroissement de l'importance de la littérature face à la déshumanisation de la modernité.

Mots clés: discours, prix Nobel de littérature, intertextualité, écriture littéraire, métissage culturel.

Depuis 1901 jusqu'à nos jours, La France avec ses seize nobélisés occupe la première place des pays sélectionnés. La présente étude s'appuie sur l'analyse de l'approche esthétique et intertextuelle des discours de l'écrivain égyptien arabe Naguib Mahfouz et des lauréats français: Sully Prudhomme, Frédéric Mistral, Romain Rolland, Anatole France, Roger Martin du Gard, François Mauriac, Albert Camus, Saint-John Perse, Claude Simon, Gao Xingjian (écrivain chinois naturalisé français trois ans avant son obtention du Nobel), Jean-Marie Gustave Le Clézio et Patrick Modiano. Il est intéressant de noter qu'avant A. France, il n'y avait pas de discours. Jean-Paul Sartre(1) et Samuel Beckett(2) ayant refusé le prix. Pour des raisons de santé, André Gide n'ayant pu assister à la cérémonie, c'est l'ambassadeur français Gabriel Puaux qui l'a représenté. Tout comme Henri Bergson, à demi paralysé par un rhumatisme déformant, et représenté par Armand Bernard, ministre de l'époque.

Depuis les années 1990, le développement d'une «analyse du discours littéraire» soulève des difficultés épistémologiques et institutionnelles, pour les spécialistes de littérature comme pour les analystes du discours(3). De fait, les discours des lauréats prononcés au mois de décembre (date anniversaire d'Alfred Nobel) à l'Académie suédoise sont tous rédigés sur un ton presque didactique pour toutes les générations. Cet héritage culturel et international résume de grandes périodes, des expériences et des espoirs pour un futur distingué. Mais quels en sont les éléments constitutifs à l'approche esthétique ? Les discours des lauréats du prix Nobel n'appartiennent-ils à la littérature d'idées ? Comment se forme l'image de chaque écrivain entre le jeu de l'analepse et de la prolepse ? Ces discours contiennent-ils une mise en abîme ? Comment l'intertextualité participe-t-elle à l'acte de l'écriture et à la richesse de ces discours adressés à un public très varié dans le monde entier ? Quelles sont les caractéristiques de ces discours littéraires conversationnels ? À quel style ces discours appartiennent-ils: narratif, descriptif, argumentatif ou explicatif ?

1- Selon lui «aucun homme ne mérite d'être consacré de son vivant» VALODE Philippe, Histoire des prix Nobel Français, Paris, HC Editions, 2006, p.84.

2- C'est son éditeur Jérôme Lindon qui a reçu le prix Nobel à sa place.

3- MAINGUENEAU Dominique, «Analyse du discours et littérature: problèmes épistémologiques et institutionnels», Argumentation et Analyse du Discours [En ligne], 1 | 2008, mis en ligne le 19 septembre 2008, consulté le 26 septembre 2021. URL: http://journals.openedition.org/aad/351

I- L'approche esthétique et l'image de l'écrivain entre le jeu de l'analepse et de la prolepse

Selon Eglal Errera, ces discours sont des textes «inspirés» sur «une réflexion et une médiation uniques sur l'écriture» avec un certain engagement politique, une évocation des «lointains et intimes souvenirs», un hommage à des «personnages-le plus souvent obscurs et parfois illettrés», un salut à des «écrivains dont la lecture a initié et accompagné leur travail» [(1)].Le discours est un texte à la fois oral et écrit. Mais le dernier lauréat français, P. Modiano (2014)y met l'accent sur la domination de l'écrit: «un romancier est plus doué pour l'écrit que pour l'oral»[(2)]. C'est un discours «second ou complexe» (M.Bakhtine 1984: 13)[(3)], «orienté», qui «se développe dans le temps, de manière linéaire». Cette linéarité monologale «se manifeste souvent à travers un jeu d'anticipations (on va voir que) ou de retour en arrière (j'aurais dû dire), les commentaires du locuteur sur sa propre parole se glissent dans le fil du texte» (M.Bakhtine 1984: 30).

Dans Analyser un texte de communication, D. Maingueneau entame une analyse du discours sur le plan des cadres: genres de discours, scène d'énonciation et sur le plan de l'embrayage énonciatif. Les discours sont argumentatifs parce qu'ils essaient de convaincre et de persuader en s'appuyant sur des exemples. Certaines marques linguistiques comme l'emploi de l'infinitif servent à un ancrage dans la situation de communication, et donnent un texte complet parce que l'infinitif ne comporte ni marques de personnes ni marques de temps (D. Maingueneau, 2007: p.7). Citons à titre d'exemple Le Clézio (2008): «Agir, plutôt que témoigner. Écrire, imaginer, rêver, pour que ses mots, ses inventions et ses rêves interviennent dans la réalité...» (T.D.R.P.N., p. 76). L'approche esthétique des discours s'avère par la rhétorique de la comparaison, de la métaphore et du paradoxe. R. Martin du Gard se compare à un hibou «qu'on a brusquement sorti de son nid pour l'exposer au grand jour, et dont les yeux, habitués à l'ombre, sont aveuglés

---

1- Tous les discours de réception des prix Nobel de Littérature, présentés par Eglal Errera, Flammarion, Paris, 2013, p.86-7. Dorénavant nous utiliserons l'abréviation T.D.R.P.N.

2- http://www.lemonde.fr/prix-nobel/article/2014/12/07/verbatim-le-discours-de-reception-du-prix-nobel-de-patrick-modiano_4536162_1772031.html

3- La conversation ou les échanges verbaux spontanés sont désignés comme «discours premier, ou simple».

par cette trop éclatante lumière» (T.D.R.P.N., p.840). Cette comparaison est très évocatrice du contraste éprouvé entre l'obscurité/méconnaissance avant le prix et la pleine lumière/renommée après le prix. N. Mahfouz, lui, compare les intellectuels qui doivent «nettoyer l'humanité de la pollution morale» aux scientifiques qui nettoient «l'environnement de la pollution industrielle» (T.D.R.P.N., p. 417). C. Simon commence son discours en exprimant son opinion envers l'institution du prix Nobel et en comparant les savants à des enfants aimant gagner, et être récompensés.

L'analyse du discours dépend aussi des lois de la compétence «Linguistique ou rhétorique» divisées en deux catégories: lois générales qui comprennent le principe de coopération, de pertinence et de sincérité et trois autres lois plus spécifiques: d'informativité, d'exhaustivité et de modalité. D'autres règles discursives nécessaires pour cette analyse concernent l'ensemble des comportements sociaux: loi de discours et comportement social, ou comment ménager autrui et se ménager soi-même (D. Maingueneau, 1990: pp.101-120).

L'esthétique du paradoxe prend forme par la mission de l'écrivain envers sa société et le moule littéraire dans lequel il conçoit le genre littéraire. C'est ainsi que le principal objet du roman provient du «témoignage d'une vision personnelle et de l'univers» (T.D.R.P.N., p.840) selon R. Martin du Gard. Dans cette même veine, l'universalité et l'éternité sont indispensable pour la création romanesque (F. Mauriac). Cette universalité pour Albert Camus émerge de «cet aller-retour perpétuel de lui aux autres». Ainsi l'écrivain a des «devoirs difficiles» à accomplir envers autrui, ceux «qui subissent (l'histoire)». L'écriture devient alors «un honneur», «un métier noble» pour un écrivain «passionné de justice». Néanmoins cette mission subit une sorte de contradiction pour une génération «vouée à refaire le monde». Mais celle de la Première Guerre mondiale reste paralysée devant «une histoire corrompue où se mêlent les révolutions déchues, les techniques devenues folles, les dieux morts et les idéologies exténuées» (T.D.R.P.N., p.763). Par l'image métaphorique de l'intelligence assimilée à une servante de la haine et de l'oppression, Albert Camus montre la déception de cette génération.

Du point de vue de l'anxiété envers le futur, le jeu de l'intertextualité élucide la position de l'auteur par rapport aux précédents et aux suivants, «par

ses choix d'écriture qui vont de la fidélité au déni de l'origine»[1]. Pour Gérard Genette l'Analepse autrement dit la «rétrospection» ou le «flashback»est une évocation après coup d'un événement antérieur au point de l'histoire où l'on se trouve Quant à la Prolepse qui signifie toute manœuvre narrative consistant à raconter ou évoquer d'avance un événement ultérieur[2]. C. Simon, un des pères du nouveau roman trouve une grande difficulté à définir l'écrivain: «dépossédé du bénéfice de ses efforts au profit de ce que certains ont appelé l'inspiration qui fait de lui un simple intermédiaire, le porte-parole dont se servirait on ne sait quelle puissance surnaturelle». Cette vision peut cerner le romancier dans une optique intertextuelle négative ou presque: «Il n'est tout au plus qu'un copiste», ou «le traducteur d'un livre déjà écrit quelque part», «une sorte de machine à décoder et à délivrer» (T.D.R.P.N., p.469). Pour lui, le roman est un «miroir promené le long d'un chemin» (T.D.R.P.N., p.470). Avec ce miroir, l'écriture connaît une sorte de paradoxe entre le côté statique du paysage intérieur et dynamique du paysage extérieur.

P. Modiano incarne, lui aussi, le côté négatif de l'intertextuel parce qu'il sent qu'il est prisonnier de la lecture des grands romanciers du XIXe siècle. Mais il analyse l'influence des lieux d'Oxford Street à Londres chez Thomas de Quincey et cite des vers des cygnes sauvages à Coole du poète irlandais Yeats.

Avec le temps et au XXIe siècle, l'idée du paradoxe s'élargit. Le Clézio intitule son discours «Dans la forêt des paradoxes». Il considère l'écriture comme un moyen de résistance ou de protection: «Si l'on écrit, cela veut dire que l'on n'agit pas. Que l'on se sent en difficulté devant la réalité, que l'on choisit un autre moyen de réaction, une autre façon de communiquer, une distance, un temps de réflexion» (T.D.R.P.N., p.69). L'écrivain peut vivre un autre paradoxe entre son aspiration et sa voix intérieure qui «lui souffle que cela ne se pourra pas, que les mots sont des mots que le vent de la société emporte, que les rêves ne sont que des chimères» (T.D.R.P.N., p.76). Même sentiment vécu par P. Modiano qui assimile ce moment à l'impuissance de revenir en arrière en conduisant une voiture le soir en hiver.

1- BUDICK, Trad. de Sophie Rabau, Une anxiété du futur, in L'intertextualité, Paris, Flammarion, 2002, p.215.

2- GENETTE Gérard, Figures III, Paris, éditions du Seuil, Poétique , 1972, p. 105-106

Ayant la conviction de l'importance de la littérature plus qu'avant, il faut à Le Clézio deux éléments: la solitude et le bonheur. Même ce bonheur ou cette «petite musique obsédante» est «contradictoire, mélange de douleur et de délectation, un triomphe dérisoire, un mal sourd et omniprésent» (T.D.R.P.N., p.77). De la forêt de la nature à la forêt du monde de la création, l'écrivain «observateur-acteur» se livre dans sa solitude au «miroir trop blanc de la page vide», à «l'écran trop vif de son ordinateur», au «bruit de ses doigts qui clic-claquent sur les touches» (T.D.R.P.N., p.77).

Un autre paradoxe peut évoquer la question suivante: est-ce une écriture adressée aux pauvres ou aux riches ? Le Clézio cite l'exemple de François Rabelais qui luttait contre le pédantisme et se dirigeait vers ceux qui avaient faim: «Il mettait en mots l'extraordinaire appétit de ceux qui se nourrissaient de la maigreur des paysans et des ouvriers» (T.D.R.P.N., pp.75). Pour N. Mahfouz «l'art est généreux et compatissant. Il visite ceux à qui la fortune sourit, mais ne déserte pas les damnés. Aux uns et aux autres, il offre pareillement les moyens nécessaires pour exprimer ce qui gonfle leur poitrine» (T.D.R.P.N., p.417).

Selon Le Clézio, la littérature est un moyen d'affirmer leur identité pour des sociétés décolonisées. Pour cette raison, il insiste sur le rôle permanent du livre «outil idéal», «pratique», «maniable», «économique». Pour réaliser ce vœu, il met l'accent sur le rôle des éditeurs parce que le livre ne doit pas être un «luxe inaccessible» (T.D.R.P.N., p.80). Il propose un projet de «coédition avec les pays en voie de développement, la création de fonds pour les bibliothèques de prêt ou les bibliobus» (T.D.R.P.N., p.80). Dans son long discours, la loi d'exhaustivité domine «c'est-à-dire que le locuteur est censé donner un maximum d'informations, mais seulement celles qui sont susceptibles de convenir au destinataire» (D. Maingueneau, 1990: p.109). Il vise aussi à «ménager la face positive et le territoire d'autrui» (D. Maingueneau, 1990: p.112).

Pour terminer son discours, il exige une action internationale pour mettre fin à la faim et l'alphabétisation. Même question déjà évoquée par Mahfouz venant d'un autre continent qui complète probablement la vision de l'écrivain européen. Il appuie son discours sur le principe de coopération «chacun des protagonistes se reconnaît et reconnaît à son co-énonciateur les droits et les devoirs attachés à l'élaboration de l'échange» (D. Maingueneau, 1990: p.102). Mahfouz s'adresse à son public en disant: «vous vous demandez

peut-être comment cet homme du tiers-monde a pu trouver la paix d'esprit nécessaire pour écrire des histoires» (T.D.R.P.N., p.416)[1]. Il compte ici sur la loi de pertinence, sur son «autorité» et sur le principe de sincérité: «Les locuteurs sont censés n'asserter que ce qu'ils veulent voir réaliser» (D. Maingueneau, 1990: p.105). Par le clivage entre les pronoms nous et vous en utilisant l'impératif, il entraîne ses auditeurs vers les misères des autres continents. Les spectateurs-auditeurs sont invités à fournir des arguments autour de la condition humaine et incités à réfléchir sur leur part de responsabilité: «Votre statut vous donne un noble rôle à jouer. Votre position de supériorité vous rend responsable de toute mauvaise direction prise». Il pointe les misères insupportables en répétant le verbe «sauvez»: «les êtres tenus en esclavage dans le sud de l'Afrique» «affalée», les Palestiniens (T.D.R.P.N., p.418). Pour rendre son discours plus argumentatif, il met en relief la valeur du lieu, «oasis de civilisations», d'où il adresse son appel de responsabilité à ses auditeurs: «Mais qu'attendiez-vous d'un homme du tiers-monde ? Tout flacon n'est-il pas coloré par ce qu'il contient ?» (T.D.R.P.N., p.419). L'emploi du connecteur argumentatif «mais» accentue l'orientation du discours qui fait référence au testament d'A. Nobel qui prône la tolérance et incite les dirigeants à avoir le sens des responsabilités. Mais il n'oublie pas de mettre en valeur la soif de la connaissance des habitants de ce continent et de «la civilisation païenne»: «Après avoir remporté une victoire sur Byzance, elle décida de lui rendre ses prisonniers de guerre en échange de livres de philosophie, de médecine et de mathématiques faisant partie de l'héritage grec» (T.D.R.P.N., p.416).

Ajoutons à cela la règle de l'ensemble des comportements sociaux. D. Maingueneau évoque à cet égard la célèbre théorie des faces: «Dans la vie en société, chacun cherche à défendre son territoire (appelé face négative) et à valoriser, à faire reconnaître et à apprécier par autrui la qualité de sa propre image (face positive)» (D. Maingueneau, 1990: p.111). C'est ainsi que Mahfouz réussit à mettre en scène le jeu des forces contradictoires: «Il est pourtant nécessaire de s'auto-dévaloriser un peu pour valoriser autrui et être en retour valorisé par lui» (D. Maingueneau, 1990: p.111). En outre, Albert Camus met en valeur le jeu de la prolepse de la création de ses compatriotes:

1- «ولعلكم تتساءلون:هذا الرجل القادم من العالم الثالث كيف وجد من فراغ البال ما أتاح له أن يكتب القصص؟»
https://alantologia.com/blogs/20197/, site consulté le 20 septembre 2021.

«je vois quelques grands poètes, quelques nobles et puissants esprits, sur lesquels, avec tant de raison, les suffrages auraient pu se porter» (T.D.R.P.N., p.840). P. Modiano, quant à lui, analyse le processus de l'écriture, le romancier étant souvent un «voyant», un «visionnaire», un «sismographe»[1]. Par la force des infrarouges et des ultraviolets de son imagination, il incarne l'air de son temps. Dans son discours Le Clézio s'interroge sur l'objectif de l'écriture: «Si l'on écrit, cela veut dire que l'on n'agit pas. Que l'on se sent e difficulté devant la réalité, que l'on choisit un autre moyen de réaction, une autre façon de communiquer, une distance, un temps de réflexion» (p.69).

Ajoutons à ce tissu esthétique romanesque, le rôle de l'imagination poétique d'après S.-J. Perse: «le vrai terrain de germination scientifique» (T.D.R.P.N., p.739). Ce ne sont pas seulement les romanciers qui peuvent laisser leurs empreintes sur leur monde, mais aussi la poésie comme «mode de vie intégrale». «Le poète existait dans l'homme des cavernes, il existera dans l'homme des âges atomiques parce qu›il est part irréductible de l'homme» (T.D.R.P.N., p.740). Par un jeu de prolepse, S.-J. Perse se pose la question: «Face à l'énergie nucléaire, la lampe d'argile du poète suffira-t-elle à son propos ?» (T.D.R.P.N., p.743).

Le Clézio se pose la même question: quels sont les éléments du maintien de cette littérature ? Même inquiétude pour P. Modiano qui s'interroge sur l'avenir de la littérature avec l'invasion des réseaux sociaux et avec l'épanchement intime dans le monde informatique qui était le bien des générations précédentes.

Ces discours contiennent-ils une mise en abîme ?

Selon la neuvième édition du dictionnaire de l'Académie, la mise en abîme est un: «procédé par lequel on intègre dans un récit, dans un tableau, un élément signifiant de ce récit ou de ce tableau, qui entretient avec l'ensemble de l'oeuvre une relation de similitude.»[2].

Albert Camus, le plus jeune lauréat, évoque la question de la renommée: «Tout homme et, à plus forte raison, tout artiste, désire être reconnu»

1- http://www.lemonde.fr/prix-nobel/article/2014/12/07/verbatim-le-discours-de-reception-du-prix-nobel-de-patrick-modiano_4536162_1772031.html

2- https://dejavu.hypotheses.org/3836, site consulté le 16 septembre 2021.

(T.D.R.P.N., p.760). Mais il sent un paradoxe entre sa jeunesse, sa renommée et sa richesse en situant la littérature française par rapport à celles de l'Europe entière: «De quel cœur aussi pouvait-il recevoir cet honneur à l'heure où, en Europe, d'autres écrivains, parmi les plus grands, sont réduits au silence, et dans le temps même où sa terre natale connaît un malheur incessant ?» (T.D.R.P.N., p.760).

Quant à F. Mauriac, il définit et justifie son écriture «noire» par ces mots: «Je passe pour tenir une sorte de musée des horreurs» (T.D.R.P.N., p.772-3). Face au désespoir de l'homme étouffé par l'absurdité du monde, l'homme se livre à l'inhumain. Avec C. Simon, la mise en abîme se construit autour de reproches, de jugements de critiques, de «griefs». Critiques qui le considèrent comme un auteur «difficile», «ennuyeux», «illisible» ou «confus» (T.D.R.P.N., p.467). Chez P. Modiano, l'espace sert à une mise en abîme «Grâce à la topographie d'une ville, c'est toute votre vie qui vous revient à la mémoire»[(1)]. Elle lui paraît «énigmatique» et sert de «matrice» dans ses livres et lui donne l'envie d'écrire. Influencé par Les Mystères de Paris, par L'homme des foules d'Edgar Poe, il se promène dans la ville tout seul en pleine journée à dix ans et pendant la nuit durant son adolescence. Comme les romanciers du XIXe siècle, cet écrivain né avec l'éclatement de la Seconde Guerre mondiale est obsédé par la grande ville et les villes détruites.

Mais comment l'intertextualité participe-t-elle alors à la richesse de ces discours adressés à un public très varié dans le monde entier ?

II- L'intertextualité et l'enrichissement de l'acte de l'écriture

«Le texte est une combinatoire, le lieu d'un échange constant entre des fragments que l'écriture redistribue en construisant un texte nouveau»[(2)]. C'est ainsi que Julia Kristeva désigne cette notion d'intertextualité à la fin des années 1960. Selon Nathalie Piégay-Gros, l'intertextualité peut être considérée comme une sorte de «Mosaïque, kaléidoscope, puzzle, écriture qui s'apparente au montage et au bricolage»[(3)].

1- http://www.lemonde.fr/prix-nobel/article/2014/12/07/verbatim-le-discours-de-reception-du-prix-nobel-de-patrick-modiano_4536162_1772031.html

2- PIÉGAY-GROS Nathalie, Introduction à l'intertextualité, Paris, Dunod, 1996, p.10.

3- Ibid., p.112.

Par cette mosaïque des indices d'interaction et des relations intertextuelles, l'identification et l'interprétation de la citation dépendent de quelques éléments primordiaux: «les limites de son découpage, les modalités de son montage, le sens que lui confère son insertion dans un contexte inédit»[(1)]. Les citations peuvent être introduites par la dérivation, implicite ou explicite[(2)]. D. Sangsue évoque la question chronologique de l'intertextualité: «il s'agit autant de lire le texte présent en fonction de textes passés que de lire en fonction de textes coexistants et, par réversibilité, de lire le texte présent sous le texte passé»[(3)].

Certains indices sont formellement explicites comme les «signes typographiques (les italiques et les guillemets)»[(4)]. L'intertextualité est insérée ainsi par des îlots textuels (D. Maingueneau, 1990: p.133). P. Modiano utilise l'écriture en gras, les guillemets et Le Clézio et C.Simon emploient l'italique.

Comme l'intertextualité sert à la caractérisation du personnage en précisant sa «psychologie», ses «hantises» ou ses «obsessions», son «savoir», ses «compétences culturelles»[(5)], elle sert certainement aussi à dévoiler celle des orateurs-auteurs dans leurs discours. Quant à l'interprétation du contexte, la mémoire y joue un rôle: «notre connaissance du monde, les savoirs partagés antérieurs à l'énonciation» (D. Maingueneau, 2007: p.9). À ce propos, G. Xingjian raconte sa première expérience avec sa mère, à huit ans, quand elle lui a demandé de lire un journal et avec son professeur de rédaction au lycée qui lui a accordé le titre de «Plume vigoureuse»[(6)] après la rédaction d'un commentaire critique sur un tableau dessiné.

1- Ibid., p.45.

2- PIÉGAY-GROS Nathalie, op.cit., p.45.

3- SANGSUE Daniel, Le grand Atlas des Littératures, Paris, Encylopedia Universalis, 1990, p.29

4- Ibid., p.95.

5- Ibid., p.76.

6- http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/literature/laureates/2000/gao-speech.html

L'enrichissement de l'intertextualité provient également des embrayeurs de personnes, des embrayeurs temporels et spatiaux.

- Les embrayeurs de personnes

Les embrayeurs (ou déictiques) sont les éléments qui dans l'énoncé marquent un embrayage: «l'ensemble des opérations par lesquelles un énoncé s'ancre dans sa situation d'énonciation» (D. Maingueneau, 1990: p.85). Les orateurs lauréats citent des écrivains ayant marqué de leurs empreintes leur création à travers la lecture de leurs œuvres, ou par leur accompagnement. Pour R. Martin du Gard et P. Modiano c'est Tolstoï, le grand maître. Albert Camus se réfère à Nietzsche et à l'amitié d'un demi-siècle de P. Valéry qui a laissé ses empreintes sur Gide. L'écriture de F. Mauriac a été influencée par George Eliot, Dickens, Dostoïeski, Selma Lagerlöf et Nietzsche.

Pour Le Clézio, l'écriture crée un paradoxe entre l'importance de la littérature, la conscience de l'écrivain et la volonté de gagner la vie. Il «insiste sur la dimension intertextuelle de la littérature, immense palimpseste où chaque œuvre absorbe et transforme une multitude de textes»[(1)]. Il cite ainsi les grands textes de la littérature universelle comme ceux de V. Hugo Quatre-vingt-treize, Les Travailleurs de la mer, ou L'Homme qui rit qui ont nourri son esprit et son écriture par des embrayeurs spatiaux: le Don Quijote illustré de Johannot, La Vida de Lazarillo de Tormes ; The Ingoldsby Legends, Gulliver's travels ; Les Contes drolatiques de Balzac, le Livre des merveilles de Marco Polo.

En outre, les contes de sa grand-mère l'ont aidé à renouveler le cadre spatial de ses œuvres. Il termine son discours par la dédicace de son prix à un enfant inconnu rencontré dans la forêt du Darien et à l'aventurière Elvira, la conteuse de la forêt isolée et éloignée. Le Clézio garde un souvenir inoubliable de sa voix et de la beauté de ses inventions: «Comme si elle portait dans son chant la puissance véridique de la nature» (T.D.R.P.N., p.84). Il constate le rôle du langage en citant: Jalâl al-Dîn Rûmi, l'architecture visionnaire d'Emanuel Swedenborg et il cite aussi le discours adressé à la fin du XIXe siècle au Président des États-Unis par le chef Stealth des Indiens Lumni pour reprendre sa terre: «les plus beaux textes de l'humanité» (T.D.R.P.N., p.84).

1- GRUCA Isabelle et BLONDEAU Nicole, Lecteurs in fabula, in Le Français dans le monde, n.°363, Mai-juin 2009, p.44.

Quant à Mahfouz, l'intertextualité émerge du métissage culturel entre les différentes civilisations: pharaonique, islamique et européenne. Il accentue le rôle de cette dernière en déclarant: «Plus tard, j'ai bu le nectar de votre riche et fascinante culture» (T.D.R.P.N., p.416).

- Les embrayeurs temporels et spatiaux

L'embrayeur temporel connaît aussi une sorte de paradoxe dû au changement du rythme sur le plan temporel. P. Modiano compare entre la lenteur du temps qui permet aux grands maîtres du XIXe siècle de produire de grands massifs romanesques, et le temps accéléré des siècles suivants qui donne naissance à des œuvres discontinues et morcelées.

Les embrayeurs spatiaux s'incarnent à la fois en France et hors de France. La province connue dès les vacances scolaires de F. Mauriac. D'où vient le jeu de l'intertextualité entre les mots et les choses. Quant à P. Modiano, c'est la capitale française qui l'attire. Il actualise le Paris de l'occupation: «une ville silencieuse», «absente à elle-même», «sans regard», «de mauvais rêve»[1]. À la recherche de sa ville «engloutie», pour respirer «l'odeur du passé», il consulte les vieux annuaires de Paris pour radiographier sa mémoire. Il s'interroge sur l'avenir des villes dans la création littéraire, sur les «mégapoles» en Amérique et dans le tiers-monde.

Pour d'autres lauréats, les embrayeurs spatiaux se forment hors de leur pays natal, comme la forêt pour Le Clézio. Cet écrivain niçois du port, fils d'un chirurgien anglais, fait l'anatomie de la nature humaine. Issu d'une famille bretonne immigrée, il profite de sa double appartenance à la culture française et mauricienne: «Je dois à la forêt l'une de mes plus grandes émotions littéraires de mon âge adulte» (T.D.R.P.N., p.81).

1- http://www.lemonde.fr/prix-nobel/article/2014/12/07/verbatim-le-discours-de-reception-du-prix-nobel-de-patrick-modiano_4536162_1772031.html

Conclusion

L'analyse des discours, du plus jeune lauréat du Nobel au plus âgé, du plus court discours au plus long, du romancier traditionnel au romancier du nouveau roman, du poète interprète des aspirations artistiques a mis en lumière la richesse esthétique du paradoxe et de l'intertextualité. Avec le temps et au XXIe siècle, l'idée du paradoxe s'élargit: un paradoxe entre les précédents et les suivants, entre le jeu de l'analepse et de la prolepse, entre l'aspiration et la voix intérieure, entre l'importance de la production littéraire pour les pauvres ou les riches, entre le côté statique du paysage intérieur et dynamique du paysage extérieur, entre la jeunesse, la renommée, la conscience de l'écrivain et la volonté de gagner la vie, entre la lenteur du temps qui permet aux grands maîtres du XIXe siècle de produire de grands massifs romanesques, et le temps accéléré des siècles suivants qui donne naissance à des œuvres discontinues et morcelées.

Ces discours «complexes», orientés, enrichies par une intertextualité thématisée, par une linéarité monologale possèdent deux niveaux de réception par leur qualité à la fois orale et écrite. L'imagination des lauréats est nourrie d'un espace, soit à l'intérieur du pays natal soit à l'extérieur: la province, la capitale, la ville, les ruelles et la forêt. L'intertextualité dans ces discours argumentatifs rédigés sur un ton presque didactique permet aux lauréats d'exprimer leur reconnaissance et de rendre hommage à tous ceux qui ont laissé leurs empreintes sur leurs œuvres. Toutefois, C. Simon et P. Modiano incarnent le côté négatif de l'intertextualité dû soit à l'imitation et à la dépersonnalisation soit à la domination des ouvrages classiques.

Face aux réseaux sociaux et à leur attraction pour l'épanchement intime, les discours traités accentuent l'accroissement de l'importance de la littérature face à la déshumanisation de la modernité. Dire ce qu'on pense est un plaisir coûteux mais trop vif pour qu'on y renonce (A. France, Les pensées, 1994, p.78)[1]

1- FRANCE Anatole, Les pensées, Paris, Le cherche midi éditeur, 1994, p.78.

BIBLIOGRAPHIE SELECTIVE

CORPUS DE TRAVAIL

- Tous les discours de réception des prix Nobel de Littérature, présentés par Eglal Errera, Paris, Flammarion, 2013.
- MAHFOUZ Naguib, Le vieux quartier et autres nouvelles, traduites de l'arabe (Egypte) et préfacées par Marie Francis-Saad, Editions de l'aube, 2001.

OUVRAGES GÉNÉRAUX

- BAKHTINE Mikhaïl, Esthétique de la création verbale, Paris, Gallimard, 1984.
- BOYER Régis, Les prix Nobel de littérature, Paris, L'Alhambra, 1992.
- BUDICK, Trad. de Sophie Rabau, Une anxiété du futur, in L'intertextualité, Paris, Flammarion, 2002.
- FRANCE Anatole, Les pensées, Paris, Le cherche midi éditeur, 1994.
- GENETTE Gérard, Figures III, Paris, éditions du Seuil, Poétique, 1972.
- GIGNOUX Annes Claire, Initiation à l'intertextualité, Paris, Ellipses, 2005.
- MAINGUENEAU Dominique, Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990.
- ----------, Analyser les textes de communication, Paris, Armand Colin, 2007.
- PIÉGAY-GROS Nathalie, Introduction à l'intertextualité, Paris, Dunod, 1996.
- RABAU Sophie, L'intertextualité, Paris, Flammarion, 2002.
- RASTIER François, Arts et sciences du texte, Paris, PUF, 2001.
- SMADJA Éric, Le rire, Que sais- je ?, Paris, PUF, 1993.
- SANGSUE Daniel, Le grand Atlas des Littératures, Paris, Encylopedia Universalis, 1990.

- TOURATIER Christian, La Sémantique, Paris, Armand Colin, 2010.
- VALODE Philippe, Histoire des prix Nobel Français, HC Editions, Paris, 2006.
- XINGJIAN Gao et BOURGEOIS Denis, Au plus près du réel, Paris, L'Aube, 1990.

ARTICLES

- GRUCA Isabelle et BLONDEAU Nicole, Lecteurs in fabula, in Le Français dans le monde, n.°363, Mai-juin 2009.
- HERMAN Thierry Herman, «Éclairages, dimension rhétorique et argumentation à l'épreuve des tweets de Donald Trump», Argumentation et Analyse du Discours [En ligne], 20 | 2018, mis en ligne le 15 avril 2018, consulté le 26 septembre 2021. http://journals.openedition.org/aad/2504.
- MAINGUENEAU Dominique, «Analyse du discours et littérature: problèmes épistémologiques et institutionnels», Argumentation et Analyse du Discours [En ligne], 1 | 2008, mis en ligne le 19 septembre 2008, consulté le 26 septembre 2021. URL: http://journals.openedition.org/aad/351.

DICTIONNAIRES ET ENCYCLOPÉDIES

- Le grand Atlas des Littératures, Eccylopaedia Universalis, 1990.

SITOLOGIE

- http://www.lemonde.fr/prix-nobel/article/2014/12/07/verbatim-le-discours-de-reception-du-prix-nobel-de-patrick-modiano_4536162_1772031.html.
- https://culturezvous.com/patrick-modiano-discours-academie-suedoise/
- http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/literature/laureates/1901/
- http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/literature/laureates/
- http://www.leparisien.fr/sciences/en-images-ces-francais-qui-ont-recu-le-prix-nobel-09-10-2012-2218493.php?pic=4#infoBulles1

- http://www.lefigaro.fr/livres/2008/10/09/03005-20081009ART-FIG00546-le-clezio-prix-nobel-de-litterature-.php
- http://www.archivesdefrance.culture.gouv.fr/action-culturelle/celebrations-nationales/2007/litterature-et-sciences-humaines/albert-camus-prix-nobel-de-
- http://www.biblio13.fr/biblio13/CG13/cache/bypass/pid/111;jsessionid=17BD250E7D61CC9CB6B7D06328A3275B?publi.id=704&publi.chapter.id=70
- https://alantologia.com/blogs/20197/, site consulté le 20 septembre 2021.

DOCUMENTS SONORS

- https://www.youtube.com/watch?v=mYxlYuH6cVk

RÉFÉRENCE EN ARABE

- عامر عطيه، قصة نوبل نجيب محفوظ، تحقيق وتوثيق وحيد موافى، مكتبة مدبولى، القاهرة 2013 المراجع بالإنجليزية.

SELECTED BIBLIOGRAPHY

CORPUS

- All the Discourses of the Holders of Noble Prize in Literature, presented by Eglal Errera, Paris, Flammarion, 2013.
- MAHFOUZ Naguib, The Old Neighborhood and Other Stories, translated from Arabic and presented by Marie Francis-Saad, Editions de l'aube, 2001.

GENERAL WORKS

- BAKHTINE Mikhaïl, The Aesthetics of the Verbal Creativity, Paris, Gallimard, 1984.
- BOYER Régis, Noble Prize in Literature, Paris, L'Alhambra, 1992.
- BUDICK, Trad. de Sophie Rabau, Worried about the future, in L'intertextualité, Paris, Flammarion, 2002.
- FRANCE Anatole, Thoughts, Paris, Le cherche midi éditeur, 1994
- GIGNOUX Annes Claire, Essentials of Intertextuality, Paris, Ellipses, 2005.
- MAINGUENEAU Dominique, The Pragmatics of the Literary Discourses, Bordas, Paris, 1990.
- ----------, Analysis of the Texts of Communication, Paris, Armand Colin, 2007.
- PIÉGAY-GROS Nathalie, Introduction to Intertextuality, Paris, Dunod, 1996.
- RABAU Sophie, Intertextuality, Paris, Flammarion, 2002.
- RASTIER François, Arts & Sciences of Intertextuality, Paris, PUF, 2001.
- SMADJA Éric, Laughter, what do I know?, Paris, PUF, 1993.
- TOURATIER Christian, Semiotics, Paris, Armand Colin, 2010.
- SANGSUE Daniel, Le grand Atlas des Littératures, Paris, Encylopedia Universalis, 1990.

- VALODE Philippe, The History of the French Noble Prizes, HC Editions, 2006.

- XINGJIAN Gao et BOURGEOIS Denis, Nearer to Reality, Paris, L'Aube, 1990.

ARTICLES

- GRUCA Isabelle et BLONDEAU Nicole, Readings in Fabula, The French Language in the World, n.°363, May-June 2009.

- HERMAN Thierry Herman, Point of view ("éclairage"), Rhetorical Dimension and Argumentation: the test-case of Donald Trump's Tweets, consulted the le 26 septembre 2021. http://journals.openedition.org/aad/2504.

- MAINGUENEAU Dominique, Discourse Analysis and Literature: epistemological and institutional problems, consulted the 26 septembre 2021, http://journals.openedition.org/aad/351.

Dictionaries and Encyclopedias

- The Great Atlas of Literatures, The International Encyclopedia, 1990.

Internet Sites

- http://www.lemonde.fr/prix-nobel/article/2014/12/07/verbatim-le-discours-de-reception-du-prix-nobel-de-patrick-modiano_4536162_1772031.html.

- https://culturezvous.com/patrick-modiano-discours-academie-suedoise/

- http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/literature/laureates/1901/

- http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/literature/laureates/

- http://www.leparisien.fr/sciences/en-images-ces-francais-qui-ont-recu-le-prix-nobel-09-10-2012-2218493.php?pic=4#infoBulles1

- http://www.lefigaro.fr/livres/2008/10/09/03005-20081009ARTFIG00546-le-clezio-prix-nobel-de-litterature-.php

- http://www.archivesdefrance.culture.gouv.fr/action-culturelle/celebrations-nationales/2007/litterature-et-sciences-humaines/albert-camus-prix-nobel-de-
- http://www.biblio13.fr/biblio13/CG13/cache/bypass/pid/111;jsessionid=17BD250E7D61CC9CB6B7D06328A3275B?publi.id=704&publi.chapter.id=70
- https://dejavu.hypotheses.org/3836, site consulté le 16 septembre 2021.

Oral Documentations

- https://www.youtube.com/watch?v=mYxlYuH6cVk

Arabic References

- Amer Atteia, The Story of Naguib Mahfouz's Noble Prize, Investigation and Documentation by Wahid Mwafy, Madbouly Library, Cairo 2013.

UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman
Chancellor of the University

EDITOR IN-CHIEF

Prof. Khaled Tokal

DEPUTY EDITOR IN-CHEIF

Dr. Lateefa Al Hammadi

EDITORIAL SECRETARY

Dr. Sharef Abdel Aleem

ISSUE NO. 64
Dhu al-Qa'dah 1443H - June 2022CE

ISSN 2791-2930

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. 157016

e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

EDITORIAL BOARD

Prof. Iyad Ibrahim - UAE

Prof. Mukhtar Marzouk - Egypt

Prof. Mustafa Al-Helali - UK

Prof. Faiza Al-Qassem - France

Prof. Saeed Yaqteen - Morocco

Prof. Joudeh Mabrouk - Egypt

Prof. Hassan Awad Al-Suraihi - KSA

Dr. Abdul Khaleq Azzawi - USA

Dr. Ahmad Bsharat - UAE

Dr. Abdel Nasir Yousuf - UAE

Translation Committee: Mr. Saleh Al Azzam, Mrs. Dalia Shanwany, Mrs. Majdoleen Alhammad, Dr. Muhamad Jamal

SCIENTIFIC ADVISORY BOARD

Prof. Salah Fadal
Ain Shams University - The Head of Arabic Language Academy – Cairo

Prof. Kotb Rissouni
University of Sharjah – UAE

Prof. Benaissa Bettahar
University of Sharjah – UAE

Prof. Saleh M. Al-Fouzan
King Saud University – KSA

Prof. Jamila Hida
Université Mohammed I Ouajda - Morocco

Al Wasl University in Brief

Al Wasl University is one of the academic institutions registered by the Ministry of Education (MOE) in UAE. In accordance with ministerial order No. 107 of 2019, the College of Islamic and Arabic Studies has changed its name to Al Wasl University.

The university's development has encountered two basic stages:

The First Stage:

The primary nucleus of the university was established in 1986-1987 under the name "College of Islamic and Arabic Studies" by Mr. Juma Al Majid and supervised and taken care of by a truehearted group of the people of this country, who appraise the value of knowledge and high rank of education.

- The Government of Dubai took care of this blessed step which was incorporated by the decision of the Board of Trustees issued in 1407 AH corresponding to the academic year 1986-1987 AD.
- On 02/04/1414 AH, corresponding to 18/4/1993 AD, H.H Sheikh Nahyan bin Mubarak Al Nahyan, Minister of Higher Education and Scientific Research of the UAE issued the decision No. (53) of the year 1993 granting the license to the college as a Higher Education institution.

1. Bachelor Program:

- Order No. (77) of the year 1994 was issued as relating to the equivalence of the bachelor's degree in Islamic and Arabic studies issued by the college with the first university degree in Islamic studies.
- Later, order No. (55) of the year 1997 was issued concerning the equivalence of the bachelor's degree in Arabic language granted by the College of Islamic and Arabic Studies in Dubai with the first university degree in this specialization.
- On 24/5/2017, the Board of Trustees, decided to open the doors for enrollment in graduate studies for male students, specializing in Shari'a and Arabic for the academic year 2017-2018.
- The Bachelor of Library Sciences and Information program has been accredited in 2020.
- The college celebrated the first graduating batch on the 23rd Sha'ban 1412 AH, 26th December 1992 AD under the patronage of his Highness Sheikh Maktoum Bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister and Ruler of Dubai (may Allah have mercy on him).
- The College celebrated the graduation of the second batch of male students and its first female batch on 29/10/1413 AH, 21/4/1993 AD.
- Since its establishment in the academic year 1406/1407 AH, 1986/1987 AD till 2019/2020, the number of the graduates reached students a total of 12761: 10141 females and 2620 males.
- By June 2020, the college has graduated 17 male batches and 23 female batches specializing in Islamic Studies. Arabic Studies graduates are 31 batches of males and 30 of female batches.

2. Post Graduate Program:

- The post-graduate program was established in the academic year 1995/1996 AD to award the candidates the master's degree in Islamic Studies/Shari'a and Arabic Language and Literature. This was followed by implementing Doctoral Program in Fiqh/Jurisprudence, which launched in 2004/2005 AD.
- Starting from the year 2007/2008, The university began the doctoral program in Arabic language and literature in the two sub-majors: literature and criticism and and language and grammar.
- On February 24, 2017, the Mohammed Bin Rashid International Center for Endowment Consultation awarded the university Dubai Endowment Mark.

Re-accreditation of master's and doctoral programs; The university granted:

- Master's degree in Literary and Critical Studies.
- Master's degree in Linguistics studies.
- Master's degree in Fiqh and its Fundamentals.
- Doctor of Philosophy in Islamic Jurisprudence and its Foundations.
- Doctor of Philosophy in Arabic Literary and Critical Studies.
- Doctor of Philosophy in Arabic Linguistic Studies.
- The total number of male and female graduates in postgraduate studies up to the date of issue of the issue, (303) students; Among them, (211) graduates with a master's degree and (92) graduates with a doctorate.
- Doctoral program of Arabic Language and Literature (in both literature/criticism and linguistics/grammar departments) started in 2007/2008.
- In 1997, Order No.56 was issued to announce the accreditation of the degree of the higher diploma in Islamic Fiqh/Jurisprudence awarded by the college.
- This was followed by the issuance of Oder No. (57) of 1997 AD for the master's degree equivalency in Islamic Shari'a (Fiqh)/Jurisprudence and Usul Al-Fiqh (Principles of Fiqh).
- On 24/2/2017, Mohammed bin Rashid Global Center for Endowment and Waqf announced awarding the Endowment logo (Waqf) to the College of Islamic & Arabic Studies in Dubai.
- The total number of male and female graduates in the postgraduate program till the date of issuance of the issue has reached 285 (197 master's degrees and 88 doctorate degrees.).

The Second Stage:

The name of the (College of Islamic & Arabic Studies) has been changed according to the ministerial decision No. 107 for the year 2019 into (Al Wasl University) which also received several updates in:

Vision:

Al Wasl University aspires to be a leading regional and global institution offering outstanding programs, approaches, and scientific research.

Mission:

Al Wasl University seeks to provide non-profit programs of high quality in bachelor's and postgraduate studies to qualify specialized cadres for the local and regional labor market, strengthen research capabilities, develop creative thought, and develop community partnership in a university environment characterized by originality, modernity, and innovation

Board of Trustees:

The Board of Trustees supervises the general affairs of the university and directs it to achieve its objectives. The board, in addition to its Chairman (the founder of the university), includes a number of distinguished figures who combine knowledge, opinion, and experience, representing scientific, social, economic, and administrative sectors in the United Arab Emirates.

University Colleges:

The university includes the following colleges:

- College of Islamic Studies.
- College of Arts.
- College of Management.

Study Program:

- The duration of the study to gain the bachelor's degree is (four years) for the holders of the secondary school certificate of Shari'a or general secondary school in its branches: scientific and literary or its equivalent.
- The study program is based on the credit hours system and has been implemented since the academic year 2001/2002 AD.
- The student should commit to attend and follow-up the determined courses and researches.
- The study duration of the master's program is two years and the Ph.D. program is of three years, with a preparatory year included in both.

Scientific Research and Community Service:

The scientific research at the university is based on stable factors and fundamentals, including:

1. Conferences: The University holds a number of annual, internationally- refereed conferences such as:

- The International Scientific Symposium in Al-Hadith Al-Sharif. It is held every 2 years. Its tenth version was in 2020-2021 AD.
- The International Arabic Language Conference. It occurs every two years, the first conference was held in 2020 AD.
- The International Islamic Studies Conference. It occurs every two years.
- The Second International Conference for Post-Studies. It also runs every two years, the first conference was held in 2019 AD.
- The International Linguistics Symposium runs every year. The first symposium was held in 2021 AD.
- The International Narrative Symposium runs every year. The first symposium will be held in March 2022. The second conference in 2021.
- The International Linguistics Conference is held every two years. The first conference was held in 2021.
- The International Conference on Narratives is held every two years, the first conference was held in 2022.

2- Refereed Journals: Al Wasl University publishes three refereed scientific journals, which are:

- Al-Wasl University Journal, a bi-annual journal.
- Thought and Knowledge Journal, issued by the Faculty of Arts once a year.
- Al-Mawyil Journal, issued by the College of Islamic Studies, once a year.

3- The Scientific Book: The University issues the scientific books, and it has two branches:

- The Scientific Book (as a study reference) published 30 books.
- The Scientific Book (Books were not intended for study purposes).

4. The project of printing outstanding theses and dissertations: The University is keen to offer free printing and distribution services of unique academic publications.

5- Digintal Library open access on the university's website.

Subscription Slip

We would like to subscribe in Al Wasl University Journal, for the period of .....

..... years, starting from .....

- Name in full: .....

- Address: .....

- Telephone: .....

- Email: .....

- Fees: .....

Subscription Fees

Source	Period		Fees		
	Year	Copies	Institutions	Individuals	Students
Inside UAE	One year	2	100 AED	80 AED	50 AED
	Two Years	4	200 AED	150 AED	100 AED
Outside UAE	One Year	2	50 $	40 $	30 $
	Two years	4	100 $	80 $	60 $

Method of Payment:

- Inside the UAE: Cash deposit at the Journals office at the University Campus, or bank transfer.

- Outside the UAE: Bank transfer to:

- Al Wasl University.

Dubai Islamic Bank – Dubai

IBAN No. : AE030240001520816487801

The deposit slip should be sent to this address:
Editor in chief of Al Wasl University Journal,
PO Box: 34414 Dubai – United Arab Emirates – Telephone: 0097143706557
Email: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

Rules of Publishing

First:

The Journal of the Al Wasl University publishes original or translated scientific research in Arabic, English or French ,. The research presented to the journal must be original, genuine in its theme, objective in nature, comprehensive, of academic novelty and depth, and does not contradict Islamic values and principles. The research papers will be published after being evaluated by referees from outside the editorial board, according to the standard academic rules.

Second:

All research work presented for publication in the journal must comply with the following conditions:

1. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
2. All researches must following the journal publication rules.
3. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
4. The journal accepts unpublished sections of theses.
5. The researcher does not have the right to publish his research elsewhere or present it for publication unless he receives a written permission from the editor in chief of the journal.
6. Research which embodies Quran quotes or Prophetic sayings (Ahadith) is required to be properly marked and foot-noted.
7. The research must be word-processed using Word 2010, single- spaced, font size 16, with a minimum of 20 pages (about 5000 words) and a maximum of 30 pages (about 7500 words). In case the research paper exceeds 30 pages, an amount of 20 AED is to be charged for every extra page.
8. For international publication, a Soft copy of the research (Word 2010) should be submitted with research's name (both in English and Arabic) and his occupation/title, as per the provided form.
9. An Arabic abstract of 120 words as well as an English one (150) words, should be added. Abstracts should include research objectives, problem, methodology and final conclusion. Five key words, at least, should be included.

10. A list of works cited and Bibliography should be added, as translated into English for international publication.

11. Tables, figures and additional illustrations referred to should be numbered referenced as per their relevance in the body of the research. They are to be indexed properly and included in a separate annex section.

12. The following methodology should be implemented in the documentation process:

- Works cited should be sequenced by order and indicated parenthetically in the text of the research. They are to be foot-noted, as per their occurrence on a page.
- When a reference is cited for the first time, full citation details are to be added as such: Author's name, Book name, editor or translator's name (if any), publishing house, country, edition number (if any), and date (if any). For referencing papers taken from periodicals, Author's name, title, journal/periodical name, issuing body, country, volume number, date and pages in the journal/periodical.
- When the reference is mentioned for the second time, an indication of the author/ reference name is to be included. If same reference is quoted twice in a row, an Ibid mark is to be indicated.
- Explanations and footnotes are to be preceded by an asterisk*.
- List of works cited/bibliography should be included, following typical referencing rules.

13. Researcher is committed to doing all the modification suggested by the committee of reviewers and provide the journal with the revised version along with the modification/ Errata report.

14. The journal only accepts proofread papers. All papers must be proofread.

Third: Other Rules:

1. The texts should be provided in both source language and the new target language.
2. Two abstracts (1 Arabic, the other in English or French) should be added. The abstract should be of no more than 120 words with key words being indicated.
3. The translated material should be audited or published previously in a reputed magazine.
4. The translated material should be of at least 7 pages (A4) and up to 20, of no more than 6000 words.
5. The translated material should be a non-forced one, with no ellipsis or translation loss, unless for translation necessity.
6. Text should be cohesive and coherent.

7. Upon the first mention of the original author, full citation of the author should be indicated.

8. The translation should be preceded by a brief introduction that indicated topic importance, significance and results.

Fourth:

1. Published points of view do represent their owners. They do not, by any means, represent the journal.

2. Submitted papers are to be kept under the possession of the journal, either published or not.

3. Publication is subject to many factors, e.g. Versatility of topics and universities.

4. The journal has all right to make superficial modification on the research, without affecting its content.

5. The journal has the right to publish approved researches in periodicals and other journals.

6. After the publication, the research can have a PDF copy of the volume in which his research has been published.

Fifth: Publication Fees:

- As a contribution from Al Wasl University Journal to enriching the research movement in the United Arab Emirates in particular, and all Arab and Islamic countries in general, the magazine does not bear researchers any fees, except for what was previously mentioned previously.

- All correspondence should be sent to the following address:

Editor in Chief, Journal of the Al Wasl University,
P.O. Box 34414 - Dubai, United Arab Emirates
Tel: 00-971-4-3706557 - Fax: 00-971-4-3964388
Email: research@alwasl.ac.ae - awuj@alwasl.ac.ae

Contents

- **PREFACE**
  Editor in Chief 19-21

- **Academic Conferences: Importance and Impact**
  General Supervisor 23-25

- **Articles** 27

- **Acoustic Phenomena Effect in the Interpretation of «Mafateeh Al Ghayeb - keys of the unseen» (Analytical Descriptive Study)**
  Dr. Salah Al-Din Ahmad Mousa Darawsheh - Dr. Abdelaaziz bin Alhoucain Ait Baha 29-76

- **Al 'Ihtijaj / Invoking in Imam Malik Language**
  Dr. Abdelghani Daikal 77-126

- **Sukūk Investment Difficulties And the Challenges Facing its Legitimacy**
  Dr. Mohammad Ali Gobran Zurib 127-174

- **Language immersion programs and their role in enhancing the intellectual security of Non-Arabic speaking learners**
  Dr. Edrees Mahmoud Abdulrahman Rababah 175-220

- **Conservation and Sustainability of Water Resources in the Prophetic Sunah (Objective Study)**
  Dr. Nourah Abdullah Al-Ghimlas 221-254

- **The Sex Prosthetic Doll and its Potential Risks (A comparative jurisprudence study)**
  Dr. Fatma gaber el sayed yosief 255-330

- **Permitted and prohibited of calling the jinn to Allah Almighty by people (Critical Analytical Study)**
  Dr. Abdulrahman bin Abdullah Alghamdi 331-360

- **The Place in the Group (The Party) of the Saudi Storyteller Abdullah Ba Khashwan**
  Dr. Siham Saleh Al-Aboudi 361-412

- **Features of the local Emirati Environment in the novels of Maryam Al-Ghafli**
  Dr. Badeeah Khaleel Alhashmi 413-450

- **Les discours des lauréats du prix Nobel de littératures française et arabe entre intertextualité et analyse esthétique**
  Prof. Fathéya AL-FARARGUY 21-42

PREFACE

Editor in Chief: Prof. : Khaled Tokal

This issue witnesses a clear development for Al-Wasl University Journal in various aspects, including: First, the editorial board includes a number of distinguished scholars, belonging to more than one continent, which qualifies the journal to be an international journal of the first category. Secondly, the journal has begun to be published in three languages: Arabic, English and French, in addition to publishing research papers that falls within the fields of humanities and social sciences, thus diversifying its fields and multiplying its languages, which qualifies it to deserve such prestigious position in the hearts of researchers.

We will not go beyond the truth if we say that Al-Wasl University Journal is unique among the international publications. Not only does it publish research papers free of charge but also it pursues an open access policy, two aspects rarely found in one journal.

In addition to its permanent and continuous presence on Al-Wasl University website, it has its own Facebook page entitled (Alwasl Journal), and it also has its pages on websites that allow free access, such as Academia and Archive.

All these efforts, aimed at the development, improvement, mastery, and keenness that scholars reach knowledge, would not have happened without the permanent care and constant encouragement given by the university administration to Al-Wasl University Journal and the editorial board and the insistence on overcoming obstacles whatever they were.

The sixty-fourth issue contains papers arranged alphabetically as follows:

Research Paper (1):

“Al ‘Ihtijaj / Invoking in Imam Malik Language”.

This paper is a scientific attempt to show the validity of the stories that tell a weakness in the language of Imam Malik, because after tracking, extrapolating, and conducting a scientific and objective study, He responds to it with arguments and evidence that prove the opposite of what was rumored about his language - may God have mercy on him - whether in terms of the chain of transmission or in terms of the text.

Research Paper (2):

"Acoustic Phenomena Effect in the Interpretation of " Mafateeh Al Ghayeb (keys of the unseen)":

The research aims to show the extent of the interpreter's need for phonetics and his use of acoustic means and tools in analyzing and interpreting the words and verses of the Holy Qur'an; Using the descriptive analytical method; And taking the interpretation of (Mafateeh Al Ghayb) Blog for him.

Research Paper (3):

"Sukūk Investment Difficulties and the Challenges Facing its Legitimacy":

This research mainly deals with the analytical aspect of sukuk investment in terms of pinpointing the obstacles and challenges facing their legitimacy. He also refers to editing the ruling, and before that he presents the pictorial entrances to its concept and the most important descriptive elements related to it, and legal rulings.

Research Paper (4):

"Language Immersion Programs and their role in Enhancing the Intellectual Security of non-Arabic Speaking Learners:

This research aims to know the programs of language immersion and its role in enhancing the intellectual security of non-Arabic speaker's learners from the point of view of the faculty members, and which of these programs more useful in that? Are there any statistically significant differences between the average of the study sample estimates due to variables (gender, experience, educational qualification, and grade)? the researcher applied a questionnaire as a tool for his research, adopting the descriptive approach.

Research Paper (5):

"Conservation and Sustainability of Water Resources in the Prophetic Sunnah (Objective Study)":

The research aims to explain the policy of water conservation in the prophetic Sunnah, and to highlight the strategy for resource development, by collecting hadiths on the subject; To benefit from the prophetic guidance on this important subject; Applying the inductive and analytical method.

Research Paper (6):

"The Sex Prosthetic Doll and its Potential Risks" (A comparative jurisprudence study):

This research aims to clarify the planning caused by the technology that produced the industrial dolls, and to show the psychological consequences thereof, and to show the position of the condition from it, using the inductive, conjunctive, and deductive method.

Research Paper (7):

"Permitted and prohibited of calling the jinn to Allah Almighty by people" (Critical Analytical Study):

This study seeks to clarify the legitimate and forbidden in the human call to the jinn to God Almighty, showing the legal and rational evidence for the existence of the jinn, their mandate, and the extent of the legality of the human calling to the jinn, and then shows the correct ways of this calling, as well as the wrong and forbidden ways of this calling.

Research Paper (8):

"The Place in the Group (The Party) of the Saudi Storyteller Abdullah Ba Khashwan":

This research aims to reveal the forms of place presence in this group using semiotic research mechanisms by focusing on spatial phenomena through which the moral and aesthetic dimensions of place presence can be explored.

Research Paper (9):

"Features of the local Emirati Environment in the Novels of Maryam Al- Ghafli.":

This research aims to reveal the most prominent features of the local environment that the novelist portrayed in three of her works: "Twi Bakhita", "The Call of Places. Khazina", and "Ayam al-Zeghnaboot" taking the descriptive analytical method to achieve the goal.

Research Paper (10):

"Les discours des lauréats du prix Nobel de littératures française et arabe entre intertextualité et analyse esthétique."

It is research in French, and it aims to highlight the importance of the speeches given by Nobel Prize winners in the fields of French and Arabic literature.

Supervisor's Word:
Academic Conferences: Importance and Impact
By the General Supervisor: Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman

The university will remain one of the greatest constructive achievements in human history. With what it offers to society, it has become an indispensable social necessity, and universities have become standards for the progress of nations and societies. This is because the role of the university today is no longer limited to the teaching process, but rather extends to research, which has become a pivotal tool for the production and development of knowledge. Research has become one of the most important basic criteria on the basis of which universities are categorized globally. The role of the university also extends to community service, through communicating with various social institutions, in order to provide them with what they lack of distinguished graduates and with the solutions that universities innovate for the obstacles or problems that many of these institutions encounter.

Research at Al-Wasl University has progressed in a programmed manner, and appears in multiple forms, with different types and various means, including academic publication, academic conferences, academic activity of faculty members, research projects, etc.

In this speech, we will focus our attention on conferences, highlight their importance and their positive effects, and clarify, through the conferences held by Al-Wasl University, its contribution to supporting the process of creative research in the United Arab Emirates.

To begin with, we note that the academic conference is nothing but a meeting held periodically within a certain organizational framework, and it includes a number of researchers and specialized scholars, to present and discuss a group of research studies related to the field of knowledge and specialization, with the aim of identifying modern academic trends and theories on a topic that includes a number of themes under the supervision of an academic institution or research center.

Academic conferences are considered one of the best means of academic publishing. This is due to their unique advantages that differ from other publishing methods. In the academic conference, direct interaction takes place between researchers and their counterparts, whether participants in the conference or those

who attend the conference as recipients, in addition to the speed of practical peer reviewing responses. In the following, we mention a number of points that highlight the importance of academic conferences:

1- Academic institutions or research centers achieve an important universal classification standard by organizing conferences.

2- Conferences for scientific institutions and research centers open prospects for scientific cooperation with universities that participants or referees belong to.

3- The conferences enable scientific institutions that present their experiences to evaluate these experiments and listen to their constructive criticism from the participant's point of view on one hand, and the refereeing scientists on the other hand. Consequently, this leads to the development of these experiments results. The importance of this is confirmed by the issuance of studies that focus on the fact that the most prominent solutions to scientific and industrial problems come out of the source of scientific conferences and meetings.

4- The conferences help to publicize the researcher and institution name that one belongs to, among the specialists from the same scientific field.

5- Scientific conferences support the confidence of the scientific researcher, especially when presenting his/her research to specialists of the same field and are from different countries.

6- Scientific conferences are designed to build up academic relationships between researchers from different countries.

7- Conferences open up new research horizons by revising researchers' point of view in the field of specialization.

8- The skills of researchers and graduate students are developed through benefiting from the refereeing of outstanding scientists in their fields for the participants' research that enriches their practical experience in specialization field.

9- Conferences are an opportunity for some important ideas to be applied, so the researchers with their organizations will be overwhelmed with benefits.

10- The conferences represent an opportunity for postgraduates to discover ways of improving their scientific theses, which makes it easier to convince the referees committee of their work quality and opens new horizons for their research career.

Believing in the importance of this type of scientific research activity, and to achieve the university's vision and mission, we have been holding several scientific conferences in the knowledge fields and specialization carried out by the University, including its research plan. We have also been preparing for a series of conferences in areas that will open on its time. For its conferences, it highlighted the basic aspects, taking advantage of technological progress. It provided online participation, in recognition of the different circumstances of researchers, and began to receive research electronically, and manages the process of scientific refereeing of research through an international scientific science, selected carefully from distinguished scientists from many countries of the world, adopting a number of international standards in refereeing. This is evident through the conferences organized by the University, which seek to raise the level of scientific research in the UAE and open the door to international scientific cooperation. Here we refer to the most prominent conferences held at Al Wasl University, as follows:

1- International Hadith Symposium: an international conference that the University has held every two years for more than two decades and is organized by the Prophetic Sunnah Research Centre of the university, and the 10th International Symposium of Authentic Hadith was held in June 2021.

2- International Conference on Graduate Studies and Scientific Research: The University focuses on graduate students to be innovative and have a new vision for their scientific research. So, we are keen that they should acknowledge the latest scientific theories and cognitive trends.

3- International Conference on The Arabic Language: The University has a great interest in Arabic language and literature, so Faculty of Arts in Al Wasl University organized its scientific conference in its first edition in December 2020 and is now to hold the second version of it in November 2022.

4- International Conference on Islamic Studies: Faculty of Islamic Studies in the University organizes a scientific conference every two years, and its first edition conference is scheduled to be held, in partnership with the Qasimiyah University of the United Arab Emirates, in June 2022.

5- International Conference on Linguistics: This conference is an extension of the so-called Linguistics International Symposium that is organized every two years by the University's Centre for Linguistic and Narrative Studies, and its second edition will be held in June 2023.

6- International Conference on Narratives: The conference is also organized by the University Centre of Linguistic and Narrative Studies, which is held every two years and was held in its first edition in March 2022.

At the end of this speech, I can only express my sincere thanks, gratitude, and appreciation to His Excellency Mr. Juma Al Majid, the honorable patron of Al Wasl University, and the inspirer of the administration to advance the university to be in a highly international universities ranks, not only at the level of the UAE, but also at the regional and international levels.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

June - Dhu al-Qa'dah
2022 CE / 1443 H

64

Issue No. 64
Email: research@alwasl.ac.ae
Website: www.alwasl.ac.ae